تَربيَة الأطفَال وَاليَافعيْن و إعَادة تَأهِيلهم

تأليف

الدكتور علي القائمي

ترجمة

لجنة الهدى

دار البلاغة

تربية الأطفال واليافعين

و

إعادة تأهيلهم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع

تلفاكس : 1-544334 / 546787 -1 مكتبة : 1-544336

ص.ب. 25/16 بيروت - لبنان e-mail:dar albalagha@hotmail.com

تربية الأطفال واليافعين

و

إعادة تأهيلهم

تأليف

الدكتور علي القائمي

ترجمة

لجنة الهدى

دار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نتقدم بالشكر إلى كل من الأخوة موسى قصير وعباس الرضوي على ترجمة هذا الكتاب ومراجعته وتحقيقه راجين من المولىٰ القدير أن يسددنا في طريق اعلاء كلمته ونشر الكلمة الصالحة.

لجنة الهدىٰ

القسم الأول

تمهيد:

سنتكلم في هذا القسم باختصار. ونتناول فيه موضوعين أساسيين، الأول مقدمة تتناول بحثاً في الوضع العالمي الحالي والنقص الموجود في المجالين الأخلاقي والإجتماعي. فنبيّن أصل وجذور الإنحراف والتمرد لدىٰ الأطفال وأسباب ذلك، ونتحدث عن الخطر الذي ينتظر البشرية، معتبرين أن انجيل الحالي هو جيل مظلوم ومستضعف، لأنه ابتلي بانحرافات واختلالات تربوية لم يكن له دور في إيجادها. ثم نتحدث عن فقدان النظرة المستقبلية وعدم جدوىٰ وفعالية العلوم الإنسانية في مجال حل المسائل والمشاكل التي يواجهها البشر، ثم نتعرض إلىٰ مهمة المسؤولين والمربين في المجتمع، وندون لهم بعض الملاحظات حيث نجاة الجيل لا تكون إلا في ظل جهاد المربين وجهودهم.

وفي الموضوع الثاني نبحث نماذج من الانحرافات، فنتناول معنىٰ الإنحراف كمفهوم، ثم نستعرض صوره في أقسامه الثلاثة: الفردية والعائلية والاجتماعية، ونسعىٰ إلىٰ تقديم صورة كاملة وشاملة نسبياً لفرد منحرف ومتمرد.

وفي الختام نقوم بتوزيع المنحرفين علىٰ أقسام ثلاثة، ونبحث في كل قسم العوامل التالية: الذكاء، والجنس، والسن. لكن الحديث في الخاتمة لن يكون قطعياً وعلمياً بالكامل، لأن التحقيق العلمي والإحصاءات لم تكتمل في هذا المجال.

الفصل الأول

تمهيد:

قال (فيكتور هيغو) من قبل: إن افتتاح مدرسة يؤدي إلىٰ إقفال سجن. لكن بعد مرور قرن علىٰ كلامه ذاك نجد أن كلمة (لكن) أخذت لها مكاناً بعد كلامه، ذلك لأن المدارس تزداد يوماً بعد يوم، لكن السجون تزداد معها وبموازاتها. من هنا يبدو أن كلام ذلك العالم والأديب كان يقصد به أمراً آخر، وهو المدارس ذات المزايا، ولم يقصد أي مدرسة تفتح لتعليم القراءة والكتابة والحساب.

نعم إن المدارس يمكنها أن تكون وسائل لإغلاق السجون إذا كانت قد افتتحت علىٰ أُسس محددة، وبرنامج مدروس، مدارس تسير في طريق خدمة البشر، وتسعىٰ إلىٰ القضاء علىٰ الموانع وحل المشاكل التي تعترض طريق التكامل الإنساني، المدارس التي تسعىٰ نحو هدف إنساني وإلهي، والتي تطبق فيها أساليب بنّاءة...

نظرة إلىٰ يومنا هذا:

إذا نظرنا إلىٰ وضع أطفالنا ويافعينا وشبابنا، بل وحتىٰ كبار السن ـ ليس في مجتمعنا فحسب ـ بل في كثير من نقاط العالم، ولو بنظرة سطحية؛ لشهدنا مسائل ومصاعب عظيمة في مجال العلاقات والأخلاق الإنسانية، كلها

ناشئة عن الأساليب التربوية غير الصحيحة. فوضع العلاقات في العالم يواجه أزمة، بحيث لو ادعينا أننا نواجه في هذا المجال آفة كبرىٰ فإننا لا نبالغ في ذلك.

فالانحرافات والاختلالات والإنحطاط الأخلاقي أمور موجودة قطعاً وبشكل واسع، وهي تهدد حاضر هذا الجيل ومستقبل الأجيال القادمة، وإذا كنّا لا نسمع نداءات الاستغاثة تتصاعد من المجتمعات الحالية، فإن ذلك يعود إلىٰ أن الناس قد اعتادوا على هذا الوضع بشكل تدريجي، ويظنون أنه لا بد أن يكون علىٰ ما هو عليه!

فأي جماعة أو مجتمع يعيش أفراده لمدة تحت ظل وضع غير سليم، دون أن ينهض بينهم مصلح يسعىٰ إلىٰ إصلاح الوضع، ودون أن يرتفع بينهم صوت معترض؛ فإن أفراد ذلك المجتمع سيعتادون علىٰ ذلك الوضع تدريجياً، بل سيبلغ بهم الأمر إلىٰ حد لا يفرقون فيه بين الوضع السليم والوضع السقيم، وقد يظنون أحياناً أن سلامة المجتمع تكمن في العيش في ذلك الوضع وتلك الحالة.

سوء الخلق والتمرد:

نواجه اليوم في رقعة واسعة أفراداً متمردين خلقهم سيّىء، يرتكبون الجرائم والمعاصي، همهم بلوغ رغباتهم غير المشروعة، يتناسون الهدف من أجل حفظ وضعهم الحالي، يتحركون خلافاً لمصلحة المجتمع، معاشراتهم تخرج عن الضوابط المقبولة اجتماعياً ودينياً، لا يمكن الاطمئنان إلىٰ أقوالهم وأفعالهم. كل ذلك لأن شخصيّاتهم مهزوزة، وبناءهم التربوي ضعيف.

نجد علىٰ المستوىٰ الدولي، وأحياناً علىٰ المستوىٰ المحلّي وجود تنافس خطر، تسابق خطر جداً، حرب باردة وحامية، وعلىٰ مستوىٰ واسع جداً، بحيث لم تعد تترك لمن يريدون أن يعيشوا بهدوء وسكينة أعصاباً سالمة

وفكراً هادئاً، ولا أن يجدوا حلولاً لآلامهم وآلام مجتمعهم.

إن كل مسألة مما ذكرنا تكفي لإيجاد الاضطراب والإنزعاج، وسلب الهدوء والسلامة الروحية لدىٰ الأفراد.

ومن منّا اليوم لا يعلم بوجود كل هذه التجاوزات الأخلاقية المنتشرة في الساحة العالمية، وما هو نصيب مجتمعنا منها. فالصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرىٰ تعج كل يوم بالأخبار المؤسفة، مما يفرض علىٰ المسؤولين والمعلمين الاحساس بتعاظم مهامهم، ويضاعف من مسؤولياتهم التربوية.

ويبدو أن التحرك والمواجهة والتصدي التي يفترض بها أن تكون من الأمور العارضة والطارئة في المجتمع، أصبحت اليوم جزءاً من ضروريات حياتنا، وهي في تزايد يومي وتوسع دائم. وفي المقابل فإن حظها من تفكير المسؤولين وتدبرهم من أجل حل تلك المسائل والقضاء عليها ما يزال قليلاً، مما يجعل تلك الاضطرابات تنمو وتتسع باستمرار.

شموليتها:

كما ذكرنا فإن حالة التمرد والإنحراف والأزمات التي تتولد عنهما لم تعد محصورة في بلد معيّن أو منطقة خاصة، نعم قد تنخفض النسبة في منطقة وترتفع في أخرىٰ، لكن بشكل عام لم يعد الوضع يسمح لنا أن نستثني بلداً ومجتمعاً ونعتبرهما بعيدين عن تلك العوارض.

فقلما يتصفّح أهل المطالعة والمعرفة صحيفة أو مجلة دون أن تطالعهم أخبار قتل أو انتحار أو سطو مسلح أو انحراف جنسي وشذوذ، أو مواجهات، أو مؤامرات وغير ذلك. فالخلل في الأفعال والتحركات الإجتماعية بمعناه العام أضحىٰ كلمة موجودة في كل مكان، لكن بنسب متفاوتة.

بعض الآباء والأمهات يشكرون الله على سلامة أبنائهم من بلوى الأمراض الأخلاقية والسيرة غير الحسنة، وهذا الإدعاء لا يخلو من حقيقة في بعض الأسر، لكن يجب أن لا نركن كثيراً إلى هذه الإدعاءات المتفائلة، ذلك لأن بعض الإنحرافات والأخلاق السيئة تتواجد بشكل خفي، وتهدد الأسر دون أن يطّلع الوالدان على وجودها في أبنائهم. يمكننا أن ندّعي وجود انحرافات وخلل في السلوك بين أبناء أفضل الأسر أيضاً، ونثبت ذلك بالأدلة الدامغة، لكن مستوى ذلك غير كافٍ لتحريك أحاسيس الخطر، أو الظهور المشهود من خلال التصرفات الملحوظة.

جذورها وأسبابها:

إن أهم جذور هكذا وضع هي:

التربية الخاطئة في الأسرة أو المجتمع أو المدرسة، استخدام المعلمين للأساليب غير المناسبة عند مواجهة المشاكل التربوية، وجود خلل وتداخل في برامج وعمل وسائل الإعلام، وجود ممتهني الإفساد الذين يسعون لكسب لقمة عيشهم وكسبهم بطرق غير مشروعة عبر إفساد الجيل، أو يحيكون المؤامرات ليتسنى لهم الصيد في الماء العكر، عدم اهتمام الزوجين بطبيعة العلاقة بينهما ومع الآخرين، وجود جوانب من ثقافة مفسدة وتخديرية مستوردة لم يتم تقويمها، وجود فلسفات ومذاهب تحطم جدول القيم الأخلاقية الإنسانية والإلهية الماضية وتسوق الأفراد نحو توجهات غير مناسبة، الضعف الرسالي والعقائدي لدى الناس مما يؤدي إلى عدم التزامهم بالضوابط الإنسانية والإلهية، الحريات المطلقة والمتهتكة والتي تنتج عن عدم اهتمام مسؤولي البلاد أو عدم فعالية القوانين أو عدم تطبيقها، حرية العقيدة إلى الحد الذي يسمح للأفراد بطرح إنكارهم لوجود الله بين المجتمع بشكل علني، تنكر الأفراد المتذبذبين للمبادىء والضوابط الإجتماعية من الذين

يعيشون ليومهم، التلقين الخاطىء المخيف من خلال الأسر والمدارس والصحف والمجلات والسينما والإذاعة والتلفزيون والملصقات وعشرات العوامل الأخرىٰ.

الخطر العظيم:

نواجه اليوم نحن وسائر المجتمعات البشرية خطراً عظيماً يهدد بفساد الجيل وإفساده، وهو عبارة عن انتقال هذه الإنحرافات إلى الآخرين، واتساع رقعتها لتشمل جميع فئات المجتمع. إننا نخشىٰ أن يبتلىٰ الجميع بالإنحرافات بصور ومظاهر وأشكال مختلفة، وأن يهدد ذلك الحياة الشريفة للجيل.

فبسبب انتشار وسائل الإعلام العالمية أصبح وضع البشرية بشكل يصعب معه البقاء بعيداً عن الضرر الذي تبثه تلك الوسائل. فإذا منعت تلك الوسائل من محيطك المنزلي، فما أسرع أن يلتقط ابنك تلك المضار عبر ابن الجيران أو عبر زميله في المدرسة. وإذا ظهر أي شذوذ أو انحراف اخلاقي في بلد أو مجتمع بعيد عنّا، فلن نكون في منأىٰ عنه بسبب وسائل الإعلام والتبادل الثقافي.

الجيل المظلوم والمستضعف:

الحقيقة التي علينا أن نقرّ ونعترف بها هي أن هذا الجيل هو جيل مظلوم ومستضعف، وذلك:

لأنه يعيش في حرمان وقلق رسم له من قبل، دون أن يكون له دخل ودور في إيجاده.

ولأنه يتعرض لقصف إعلامي مركّز باسم التقدم والرقي والمدنية الحديثة والحداثة، وقد وقع تحت حصار أولئك، ولم يسمحوا له أن ينظر خارج إطار إعلامهم هذا، أو أن يفكر خيراً.

ولأن المتصدّين لشأن التربية ومسؤولي الشأن الاجتماعي من أب وأم ومعلم ومدرسة ومخططين ومبلّغين لم يقوموا بعمل مناسبٍ وكافٍ لبناء ذاته ورفع الاستضعاف عنه.

ولأن أصحاب المدارس الفكرية والثقافية صبوا جلّ اهتمامهم بالحديث عن أنفسهم بدل التفكير بخير الناس وصلاحهم، واستغلوا اسم الناس ليسخّروا أقلامهم لخدمة آلهة المال والسلطة، بإرادة أو دون إرادة، عن علم أم عن جهل. لهذا لا ترىٰ في الساحة العملية اليوم ـ عبر منفذي آراء تلك المدارس الفكرية والفلسفية ـ ما فيه خير وصلاح المجتمع الإنساني.

وأخيراً فإن الجيل الحاضر يريد أن يعدّ نفسه، وأن يسير في الطريق التي يريد، والتي تطلبها ذاته، لكنه لا يعرف لها سبيلاً. إنه يرجو النجاة من هذه النزاعات والفوضىٰ والمواجهات، ويحس أن أمامه طرقاً مغلقة متعددة ومتنوعة.

بعد أن استعرضنا وضع هذا الجيل، ألا ترون معي أنه جيل مظلوم ومستضعف حقاً؟ ألا يجدر بنا أن نلتفت لحاله ووضعه، وأن نبادر لانقاذه؟

نظرة إلىٰ المستقبل:

بالنظر إلىٰ ما نشهده اليوم نتمكن من تجسيم الوضع المستقبلي القادم وما سيكون عليه هذا الوضع. فمن خلال حساب الأصابع ونظرة مهما كانت محدودة وسطحية يمكننا معرفة أين يتجه هذا الجيل، وما هو مصير حياة هذه البشرية سيئة الخلق، الضالة، المستضعفة والمظلومة.

إننا نعتقد أنه بوجود مثل هذه الأوضاع فإن عالم المستقبل سيكون عالم مواجهة واختلاف، وارتفاع حمّىٰ التوسع، والمنافسات الخطرة، والسباق غير المحسوب، والاضطراب الذي يزيد من العناء، والفوضىٰ التي تولد المرارة.

عالم المستقبل، عالم مظلم، عالم فوضىٰ، عالم فقر معظم المحرومين، عالم الحرب وسفك الدماء، عالم عدم الثقة بالآخرين، عالم التخلّي عن تحمل المسؤولية، إلاّ إذا تدبّر في ذلك مسؤولو المجتمع والمصلحون وطلاب الخير والسبّاقون من ذوي الأفكار النيّرة والتربويون المطلعون والملتزمون، واعتمدوا علىٰ تعاليم الرسالة الإلهية، فأوجدوا أرضية تحتضن جيل طريق الله، وتهيأت الظروف والأسباب لظهور مصلح وقائد عظيم وإلهي ينهي هذه الفوضىٰ.

دور العلوم الإنسانية:

في خضم هذه الأزمة العظيمة التي يعيشها جيلنا الحاضر، فإن العلوم الإنسانية غفلت بدورها عن واجبها الأساسي، ووقعت في أحضان تلك المفاسد أكثر من أي برهة، فلسنا نجد في أي فترة زمنية قد تخلت العلوم عن الالتزام الأخلاقي كما هي عليه اليوم. فعندما يطرح شعار العلم من أجل العلم، وعندما يكون العلم وسيلة للكسب، وليس لخدمة الإنسانية، وعندما تفقد العلوم موضوعها الأساس، فهل سيكون وضع العالم أفضل مما هو عليه الآن؟

يقول «أريك فروم»: إن علم النفس في عصرنا الحاضر قد فقد موضوعه الأساس أي موضوع البحث في قضايا النفس الإنسانية. فالوجدان الإنساني يمتلك طريقاً وأسلوباً للحكم علىٰ القيم، وقد سعىٰ علم النفس اليوم لإخراج الوجدان من دائرة بحثه، وانشغل بقضايا أقل أهمية، ولا علاقة لها بروح الإنسان ونفسه. ونتيجة لذلك صرنا اليوم نواجه هذه المسألة وهي أن الجو الفكري والعاطفي الذي كان يبحث فيه علم النفس وأحياناً الفلسفة أيضاً والجوانب المتعلقة بالآثار الروحية وتقوىٰ الإنسان وسعادته قد تركت جانباً، وأضحىٰ جلّ اهتمامه بالجوانب المادية والمخبرية.

في حين أن العلوم عامة، والعلوم الإنسانية خاصة ينبغي أن تكون في خدمة الإنسان، وأن تقدم له طريقة فضلىٰ للاستمرار بحياة مشرّفة، ولتحد من انتشار الثقافة العدائية، ولئلا يستثمر الإنسان مستقبله في تطوير الرصاص والقنابل، التي لا تستهدف إلا الإنسان نفسه.

واجبنا الحالي:

الآن وبعد ملاحظة الآثار المرّة التي تجاوزت المدرسة والتربية، لتشمل زوايا ساحة المجتمع والبلد. أصبح من الضروري ـ خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية ـ أن يركز مربو المجتمع من والدين ومعلمين ومسؤولين وصانعي الأجيال علىٰ مجالين هما:

١ ـ إعداد الجيل الذي خطى خطواته الأولىٰ، وبدأ حياته، ولبلوغ هذا الهدف لا بد أن يكون الزواج عن وعي والتزام وهدفٍ ورسالي، ومن أجل بناء الطفل الحديث الولادة لا بد من إعداد برنامج لذلك.

٢ ـ ترميم الجيل الموجود من صغار وكبار، أي الجيل المتضرر من الطاغوت ومن الإستعمار، الجيل المستضعف والمظلوم، وذلك من خلال برمجة جديدة مدروسة.

وفي الطريق للوصول إلىٰ الأهداف المذكورة فإن الجميع مسؤولون:

ـ الوالدان مسؤولان أن يربيا طفلهما تربية صحيحة، فالطفل أمانة الله قد وضعها بين يدي الوالدين والمجتمع والحكومة، ومن ثم بين يدي الطفل نفسه. وأي تهاون في تربية الطفل ستكون عواقبه وخيمة علىٰ الطفل والمجتمع، ويثير المشاكل بوجه المسؤولين.

ـ جهاز التربية والتعليم مسؤول أيضاً في هذا المجال، مهمة هذا الجهاز هي البرمجة وإعداد المشاريع الجديدة لأصول ومباني التربية، وتغيير البرامج

السابقة التي أدت إلىٰ ايجاد الوضع الحالي، ووضع بناء تربوي إنساني وإلهي مكانها.

ـ المربون والمعلمون مسؤولون أيضاً، فعليهم تربية الجيل علىٰ أساس أهداف التربية والتعليم الإسلاميين، كما أن عليهم أن يمهدوا الأرضية لنشر التربية الإسلامية، وإعادة الأطفال إلىٰ وضعهم العادي والطبيعي، وأن يوجدوا العوامل المؤدية إلىٰ إيجاد التوازن النفسي والأخلاقي لدىٰ الأطفال في جميع المجالات.

ـ المساعدون والمرشدون الاجتماعيون عليهم ـ واستناداً إلىٰ التزامهم المهني والديني والأخلاقي ـ أن يقوموا أكثر من السابق بإرشاد الجيل وهدايته، من خلال دراسة المشاكل التربوية وإجراء التحقيقات لإصلاح الجيل.

ـ الأسر والجماعات والمجموعات الدينية والمرشدون الاجتماعيون، وعلماء الدين عليهم أن يجتهدوا في القضاء علىٰ بؤر الانحراف والفساد في المجتمع، ليتمكنوا من تأمين جيل حي وسليم.

ـ مصلحو المجتمع ومديرو شؤونه ومسؤولو الأمور عليهم أن يسعوا في إصلاح محيط العيش والآداب والسنن والضوابط والقوانين، وأن يؤمّنوا للجيل الامكانات اللازمة لترسيخ العقائد الصحيحة والسالمة في المجتمع، والعمل بالضوابط الإنسانية والإلهية.

تنبيه إلىٰ المربين:

عندما أقول المربي فإني لا أقصد الأب والأم والمعلم، فقد يكون الإنسان أباً أو أماً أو معلماً ولا يكون مربياً، فالمربي في رأينا هو الشخص الذي يمارس البناء والإعداد ورفع الموانع وحل المشاكل التي تقف في طريق تكامل البشر. والذي يؤمّن لهم إمكانية الرقي، وذلك الذي يسعىٰ أن يجعل من

الإنسان المركب من ماء وطين موجوداً علوياً سامياً يسير ويتحرك نحو الله.

فعمل المربي هو المراقبة، مراقبة الحياة ونموها، رعاية الطفل وإرشاده بشكل مستمر، مراقبة التغيرات والتحولات الجسدية والنفسية للطفل باستمرار، وأخيراً توجيهه نحو الأهداف السامية الرسالية. ومن البديهي أن عدم المراقبة أو التساهل في أداء هذه المهام يستتبع خطراً عظيماً على الجميع، ومن جملتهم الجيل الحاضر والقادم والطفل نفسه.

من الضروري اليوم وأكثر مما مضى أن يجتمع مربو المجتمع، ليفكروا ويقيّموا ويتساءلوا كيف سيعيش جيلنا مع هكذا وضع؟ وما هي آماله وأهدافه في الحياة؟ وإلى أين يذهب من خلال الأسلوب المتّبع؟ وكيف يجب أن يعيش؟ وما هي الأهداف التي يجب أن يضعها أمامه؟.

أساس بحثنا:

إننا نسعى من خلال هذه الأبحاث أن نلفت نظر الوالدين والمربين إلى أن لا يستخفّوا ويستصغروا زلات وانحرافات أبنائهم، وأن لا يغضّوا الطرف عن أخطائهم، وأن يبادروا إلى إصلاح أخلاقهم وسيرتهم التي تلونت غالبيتها بلون الأهداف والمضامين والأساليب الطاغوتية، وأن يجدّوا في إصلاح انحرافاتهم، وتوجيههم نحو الطريق الرسالي.

إن إصلاح الأطفال خُلقياً هو قسم من المهمة، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على الضوابط والموازين الدينية، وما استنتجناه من الدين، ويأتي الجانب النفسي والروحي ضمنه.

سنسعى إلى استعراض الأصول والضوابط المتبعة لإصلاح أخلاق الأطفال وسلوكهم، وأحياناً المراهقين أيضاً، ونحدد نوع المواقف التي يجب أن يتخذها الأبوان والمربون تجاه انحرافات ومخالفات أبنائهم. عسانا بذلك نجد طريق نجاة هذا الجيل من الخطر المحدق به؛ ولنمهد الطريق أمام من

يريد الخير والصلاح لأبنائه وللمجتمع خلال عصر الحياة الإسلامية، من خلال ثقافة جديدة أولدتها الثورة الاسلامية المظفرة.

القسم الأكبر من هذه البحوث أوردناه صوتياً بشكل منظم ومتتابع عبر الإذاعة الإيرانية بدءاً من ربيع عام ١٩٧٩م، ثم راجعتها وهذبتها وأجريت عليها بعض التعديلات لتكون على شكل كتاب وضعته بين أيدي الراغبين، على أمل أن يستفيد منه الوالدان والمربون الملتزمون ومسؤولو المجتمع.

علي القائمي الأميري

* * *

الفصل الثاني

ظواهر الإنحراف والمخالفة

معنىٰ ومفهوم الموافق والمخالف:

ليس هناك معيار يتفق عليه الجميع لتحديد الموافق من المخالف، فعادة يعتبر أفراد أي مجتمع من كان مثلهم موافقاً، ومن كان مختلفاً عنهم مخالفاً ومنحرفاً أو شاذاً. لكن تلك النظرة المتسرعة هي نظرة العوام.

وهناك معايير علمية ودينية يمكن عرضها والدفاع عنها، لكن لمعرفة الفرد المخالف والمنحرف والشاذ لا بد لنا أن نبدأ بتعريف الفرد الموافق أو السليم:

إن الفرد الموافق والسليم هو ذلك الذي يعمل علىٰ مطابقة نفسه مع الأهداف المحددة للحياة والضوابط والموازين، ذلك الذي يسير علىٰ صراط مستقيم، ويسعىٰ إلىٰ تحسين وضعه وتنقية محيطه.

علىٰ هذا فإن المخالف والمنحرف والشاذ هو الذي يفعل عكس ذلك، والذي ينمي في نفسه الأحاسيس والدوافع والأعمال المخرّبة والهدّامة والتي تقضي علىٰ فرص التكامل لديه.

توضيح وعموميات:

علىٰ الأساس المذكور يمكن تعريف المخالف والمنحرف في عدة عبارات:

ـ ذلك الذي يسير خلاف الاتجاه والموازين المقبولة.

ـ ذلك الذي تكون سيرته مخالفة لسيرة الأفراد المنضبطين والعقلاء.

ـ من يقوم بأعمال مشوّشة ومستهجنة خلافاً للمتوقع وغير محتملة.

ـ ذلك الذي يخطط ضد الآخرين خططاً وحشية، ويسعىٰ في إيذائهم وإزعاجهم والاستهزاء بهم، أو لا يمكنه تحمل تقدم الآخرين وفلاحهم.

ـ ذلك الطفل الذي يخرّب ما يعدّه سائر الأطفال، أو يعذّب الأطفال الأضعف منه بإيذائهم.

ـ وأخيراً هو الذي يخالف الموازين الشرعية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي بسيرته وأعماله، ولا يمكنه الإنسجام مع المحيط السليم، الذي يظهر ضعفاً أمام المشاكل والصعاب المعيشية، أو يفرّ منها، ويخالف أنظمة المجتمع وقوانينه، الذي يتمرّد علىٰ السنن والآداب الصالحة للمجتمع وعلى الأخلاق الإجتماعية المقبولة، الذي يرفض الخروج من حالة العبودية والاستسلام والتهتك والتحلل والذل، الذي يسير مع الاتجاه المرفوض في المجتمع.

صور المخالفة والإنحراف:

هناك علامات كثيرة تدلّ كلّ واحدة منها أن الفرد مخالف أو منحرف، وفي حالة غير عادية وغير طبيعية، ويجب إصلاحه. تلك العلامات والصور متعددة ونذكر فيما يلي بعضاً منها في ثلاث مجموعات، ونبحثها في جوانبها الفردية والعائلية والفئوية والاجتماعية.

أ ـ **على الصعيد الفردي**: هناك علامات كثيرة نذكر أهمها:

١ ـ **الإضطراب**: وهو عدم الاستقرار الداخلي الذي يحكي عن وجود خوف مبهم، وخشية غير معينة يسلبان الاستقرار والهدوء منه، فلا يتمكن من الجلوس في مكان ثابت أو الوقوف فيه، خشية أن يكون فيه حيوان خطر.

٢ ـ **الخوف**: وخاصة الخوف من أمور ومسائل لا تستدعي الخوف عادة، كالخوف من الصراصير، أو الظلمة، أو مواجهة الواقع وغير ذلك، علماً بأن كثيراً من ذلك ينشأ عن تنشئة خاطئة.

٣ ـ **عدم تمركز الحواس**: بحيث يكون وضعه الداخلي والفكري لا يمكنه من تركيز حواسه حول أمر معين، أو أن يؤدي أي عمل بدقة والتفات، إذا شرع بكتابة موضوع ما، فإن القلم يتحرك في يديه، لكن ذهنه منشغل بأمور أخرىٰ.

٤ ـ **التخيل**: يستغرق في عالم الخيال أحياناً، فيرىٰ نفسه في عالم آخر وفي مشهد يختلف عن واقعه، يجسّم العوالم البعيدة والمستقبلية، وينشغل بأحلام عظيمة وهو يقظ.

٥ ـ **الاستنتاج الخاطيء**: تكون استنتاجاته وتفسيراته للأمور مخالفة الطبيعة والعادة، وبعيدة عن الواقع، وغالباً تسير في طريق حاجاته الشخصية، فيفسرها بذوقه وأسلوبه الشخصي بحيث تكمل تصوراته السابقة.

٦ ـ **الإنشغال بنفسه**: ينشغل بذاته أحياناً، يلعب مع نفسه، يكلم نفسه، يحرك يده وتقاسيم وجهه وباقي أعضائه وكأنه يواجه أحداً، أو يواجه مشكلة.

٧ ـ **الهروب من المشاكل**: يفر من المشاكل التي تواجهه، وكأنه

عاجز عن حل أي منها، وكأنه لا يعرف طريق مواجهتها، وفي بعض الأحيان يتعجب بنفسه من ذلك أيضاً، ذلك لأنه يرىٰ أن المشكلة التي كان يظنها معقدة جداً هي بسيطة جداً وسهلة.

٨ ـ **التهوّر الزائد**: إن إبراز الشجاعة يختلف عن عدم الخوف، فالشجاع يتحرك بناءً لتفكير وحساب فيتقدم. أما عدم الخوف دون حساب وتقييم فيؤدي إلى اقتحام الخطر والتهوّر. ويظهر الإنحراف أحياناً بهذه الصورة.

٩ ـ **التبول ليلاً**: الطفل الذي بلغ سنّ التمييز، لكنه ما زال غير قادر علىٰ السيطرة علىٰ نفسه، فهو غير طبيعي. أشير إلىٰ أن هناك عوامل قد تؤثر في ذلك وتشكل سبباً آخر له مثل: الخوف، الإضطراب، القلق والذهول. كما قد ينشأ ذلك عن مرض عضوي جسدي.

١٠ ـ **مص الإصبع**: الطفل الذي تؤذيه فكرة يلجأ منها إلىٰ: مص إصبعه، قرض أظافره بأسنانه، في هذه الحال يجب أن نسعىٰ لاكتشاف سبب ذلك، لنتمكن عندئذٍ من حل الأمر.

١١ ـ **علامات أخرىٰ**: من العلامات الأخرىٰ في هذا المجال: الإنزواء، التحسّس من الانتقاد، الأنانيّة، العُجب، سرعة الغضب، التمارض، استمرار الأمراض الجسدية، العصبية، الميل نحو السيادة، الإصرار علىٰ الترؤُس، سوء الظن، واليأس، الميل نحو الإنتحار، الفوضىٰ في القول والفعل، الوسوسة، فقدان الشهية، انعدام الإحساس بالأمن، التكدّر والتململ.

ب ـ **علىٰ الصعيد العائلي**: في هذا المجال أيضاً هناك عدة علامات وأهمها:

١ ـ **اللامبالاة**: والمقصود هو اللامبالاة أمام الحوادث العائلية. فهو

يفترض أنه ليحصل ما يحصل، وكل ما يمكن أن يحصل فهو جيد، وكأنه ليس من أعضاء الأسرة أو أنه يحب أن يعمل بشكل منفصل عن باقي أفراد أسرته.

٢ ـ **التسليم**: يقبل كل ما يقال له، ويأكل أي طعام يقدّم له، ويلبس أي لباس يعطى له، فهو في تسليم كامل، لا يبدي رأياً. ولعل بعض الوالدين يرونها صفة إيجابية، لكنها في الحقيقة نقطة سلبية ومخالفة.

٣ ـ **الحياء في غير محله**: فيكون وضعه بحيث تحمّر وجنتاه من الخجل حتى في الحالات العادية التي لا تستدعي الخجل، يأبىٰ مصارحة والديه بالأمور التي يبادر أمثاله عادة لطرحها.

٤ ـ **التخريب**: تخريب وهدم وإبادة ألعاب أو أشياء معينة ما يؤدي إلىٰ أذية الآخرين في البيت، العبث بوسائل البيت واجهزته وتخريبها، يرىٰ فيه والداه أنه مؤذٍ وسيء، وأنه يظهر بأعماله تلك عداءه.

٥ ـ **الإنحراف والشذوذ الجنسي**: رغم صغر سن الأطفال تجدهم أحياناً قد ابتلوا بانحراف جنسي، من خلال اتصالهم بالأشياء مثل الفراش والمخدة وغير ذلك فيشعر بالراحة من خلال ذلك، أو أحياناً ينشغلون باللعب بأعضائهم التناسلية، حتى إذا أصبح ذلك عادة كان الضرر أشد.

٦ ـ **عصيان الوالدين**: الطفل الذي يصرّ علىٰ مخالفة ما يقوله له والداه، ولا يحترم القوانين والقرارات العائلية ولا يلتزم بها، فهو طفل منحرف، ويستثنىٰ من ذلك ما كان ضمن الحد المقبول.

٧ ـ **الكذب**: هناك أطفال دائمو الكذب، يسعون إلى تضخيم الأمور الصغيرة، ونقل الأمور على عكس حقيقتها، ويرغبون في إثارة دهشة والديهم.

٨ ـ **الهرب من البيت**: الطفل الذي لا يمكنه تحمّل الضبط المعتدل للأسرة، فيحس بأنه مطالب دوماً، فيفرّ من البيت. فهو طفل غير موزون، كما أن هناك أطفالاً يفرّون من البيت بأساليب سيئة.

٩ ـ **الخلافات الزوجية**: الأزواج الذين يتنازعون دوماً، ويطرحون في البيت مسألة الطلاق والإنفصال بشكل مستمر، يوجدون أرضية تربية أطفال غير موزونين في معاملة أزواجهم في المستقبل.

١٠ ـ **الخلافات والضوضاء**: بعض الأطفال يثيرون في منازلهم الفوضىٰ والخلافات بشكل دائم، وأي نقص يواجهونه يدفعهم للعراك وإثارة الخلاف، يرفعون أصواتهم، يغضبون، يبكون ويصرخون، ويزعلون، يريدون تحقيق كل ما يبغون بالقوة.

١١ ـ **علامات أخرىٰ**: تكرار نفس الخطأ في البيت، الإصرار علىٰ فرض رأيه دون نقاش، استغلال احترام الأسرة له، يظن أن أفراد أسرته يعادونه، لا ينفذ ما يطلب منه عنوة، لا يشرك أفراد أسرته في مساعيه، لديه تصرفات كثيرة غير مدروسة، يبكي إذا نبهه والداه، وقح أحياناً، يقف بوجه والديه، لا يبالي بالتحذير، لا يؤثر فيه التوبيخ.

جـ ـ **على الصعيد الفئوي**: في هذا الجانب أيضاً هناك انحرافات ونواقص وعدم اتزان، أهم علاماته هي:

١ ـ **النزاع والتخاصم**: يتنازع مع من هم في عمره، وأحياناً مع أصدقائه، أو مع الجميع بحيث لا يرضىٰ به أحد صديقاً له، ويستغل أي مشكلة صغيرة ليحولها إلىٰ عراك بالأيدي وصراخ.

٢ ـ **الإعتداء والتعرض**: من العلامات أيضاً التعرّض للآخرين، مثلاً هناك طفلان منشغلان باللعب، فيتدخل لمنعهما بحجة أنه لا يحق لكما اللعب هنا، دون أن يمتلك سبباً وجيهاً لتبرير منعهم، فيقوم بتخريب ألعابهم،

ورميها هنا وهناك.

٣ ـ **الإيذاء**: يلتذ بعض الأطفال غير الموزونين بإيذاء أقرانهم، فيخطف الألعاب مثلاً من يد طفل أصغر منه، ويفرح أن الآخرين يلحقون به ويبكون، فيحس بسرور ولذة.

٤ ـ **الغش**: الغش في الامتحانات المدرسية، وفي معاملات البيع والشراء، وفي شرح ما حصل رغم أن الطفل ليس بحاجة لذلك، بل يفعله رغبة فيه، ليظهر تفوقه وقدرته.

٥ ـ **الإدمان**: كثير من حالات الإدمان يبتلىٰ بها الأفراد بهدف سد النقص، والكدر الناتج عنه. فالطفل الذي يتعرض للإهانات، والطفل المعقد يحاول أن يظهر رجولته واستقلاليته من خلال التدخين، أو وضع السيجارة في فمه، أو يسعى لمسايرة رفاق السوء، فيتطبع بعاداتهم وإدمانهم.

٦ ـ **الرياء**: يرغب الأفراد أن يكونوا مقبولين في المجتمع، وأن ينالوا رضا الجميع، لهذا يلجأون إلىٰ الرياء، وإلىٰ أن يظهروا كما يحب الناس، رغم أنهم على غير ذلك، مثل هؤلاء هم أشخاص لديهم حاجات غير مؤمنة وشخصية كاذبة.

٧ ـ **الحسد**: حسود ولا يمكنه تحمل نجاح الآخرين، ينظر إلىٰ تقدم الآخرين نظرة كره، يتمنىٰ سقوط ذلك الشخص، وأن تهتك كرامته، وأن يتخلىٰ الناس عنه.

٨ ـ **السرقة**: وهي من العلامات الخطرة، حيث تمتد يد الشخص المنحرف إلىٰ مال غيره، فيحصل علىٰ مال غيره دون أن يكلف نفسه عناء الحصول عليه ببذل الجهد كغيره.

٩ ـ **الفتن**: مؤذٍ، غير ملجوم، متهتك، يرتكب أي جريمة من

ضرب وزرع فتنة واعتداء، ويعتبر أن عمله الظالم ذاك نجاحاً، فلا يندم عليه.

١٠ ـ **الفرار من المسؤولية**: يتهرب من تحمل المسؤولية، غير مستعد لتقديم أي شيء مقابل الامتيازات التي يعطيها له المجتمع، رغم نموه وتقدمه في العمر يبقىٰ كالطفل الصغير، يظن أن علىٰ الآخرين أن يحتضنوه، وأنه ليس مطلوب منه أي شيء.

١١ ـ **علامات أخرىٰ**: من أهم العلامات الأخرى علىٰ هذا الصعيد:

الإحساس بالعداء تجاه الآخرين، الظن بأن الجميع يريدون به سوءاً، الشكوىٰ من الجميع، التعامل مع الآخرين دون إنصاف، الانزعاج من مدح الناس للآخرين، بالرغبة بالاعتداء وفرض الأمور، التأثر بالآخرين، يلتذ بالحديث عن مشاكل الآخرين، كثير الظن بالآخرين، يخل بأعمال الآخرين، يسدّ الطريق بوجه الآخرين، يفرح لإيذائه الآخرين، لا يتعاون مع أحد، يسعىٰ لتحقير الآخرين، ينشغل بتتبع عيوب الآخرين، محتال ومزور، لديه غفلة وسذاجة، يذكر عاره بفخر، يسعىٰ لاتخاذ الناس جسراً لوصوله، يشك بالآخرين ويشكك بهم، ينافق أمام الآخرين، ينافس الآخرين دوماً، يفشل دوماً، يلجأ إلى الإجرام والفحشاء والتهريب وتشكيل العصابة، لا يخشى ارتكاب الجريمة.

تقسيم المنحرفين

إذا أردنا أن نقسّم الأفراد المنحرفين أو غير الموزونين إلىٰ عدة فئات علىٰ أساس المعايير النفسية، فسنجد أمامنا أرقاماً مذهلة، بل يمكن القول إن كل واحد منهم يشكل حالة خاصة. وسيبدو أن كل إنسان مبتلىٰ بشيء مما ذكرنا، لكن لحسن الحظ أن كثيراً من الحالات يمكن تحملها. لكن إذا أردنا أن نبحث في الحالات البارزة يمكننا أن نقول إن من بين كل ٨ ـ ١٠ أشخاص

هناك شخص واحد منحرف أو غير طبيعي، ويلاحظ الآخرون ذلك فيه، ويشيرون إليه. وإذا أردنا أن ندرس الحالات الخارجة عن حد التحمّل فسنجد أن النسبة تتدنىٰ لتصل إلى ١/ ٢٠.

لكن معظم الناس بسبب انشغالهم بأمور العمل والشؤون الشخصية والفكرية والاجتماعية لا يلتفتون لتلك الأمور جيداً ولما يدور حولهم، فيمرون علىٰ بعض تلك الحالات مرور الكرام، ويعتادون علىٰ وجودها، فيسهل عليهم تحملها. وهذا يدعو إلىٰ الغبطة من ناحية لقدرة الناس على التعايش مع هكذا أشخاص، ويدعو إلىٰ الأسف من ناحية أخرىٰ لأن العلاج يصعب بعد استفحال المرض أو عند عدم تشخيصه.

١ ـ **من الناحية الذهنية**: أشارت الدراسات التي قام بها العالم البريطاني «بيرت» حول الأطفال المجرمين والمنحرفين الذين لم تتجاوز أعمارهم ١٥ عاماً، وأدخلوا السجن بسبب ارتكابهم الجرائم أن نسبة المجرمين والمنحرفين من بين الأطفال الأقل ذكاءً والأضعف ذهنياً تفوق سواهم، فأكثر من ٧٠٪ منهم كانوا من ضعفاء الذهن وقليلي الذكاء.

لكن ذلك لا يعني أن الأذكياء لا يرتكبون الجرائم، بل قد يرتكبون جرائم أكثر وأشد، لكنهم يفرّون من الشرطة في الوقت المناسب، فيبقون دون عقاب. فالإحصائية تدل علىٰ أن أكبر نسبة ممن يلقىٰ القبض عليهم هم من الأقل ذكاءً.

٢ ـ **من ناحية الجنس**: تشير الدراسات والتجارب العلمية أن الانحراف لدىٰ الصبيان أكثر بكثير مما هو لدىٰ الفتيات، وهذا لا يدل علىٰ تلقي الفتيات لأساليب دراسية أفضل، لأن العالم الغربي يقدم للجنسين نفس المحتوىٰ الدراسي، وهذه النسبة موجودة فيه أيضاً.

لكن الظن يميل إلىٰ أن ذلك بسبب الجوانب الوراثية، والأمور المتعلقة

بخلقها وبنيتها الجسدية، والحالات العاطفية والإحساس المرهف، ورقة القلب، وترشّح وعمل بعض الغدد، والجوانب التقليدية حيث منذ القدم الإناث أكثر حياءً وصبراً وتحملاً.

٣ ـ من ناحية السن: القسم الأعظم من المنحرفين وغير الموزونين من بين الأطفال والأغرار، ويعود ذلك لأنهم لا يعرفون الأمور علىٰ حقائقها، فيقومون بأعمال يعدّها الكبار انحرافاً ومخالفة.

إلىٰ جانب ذلك فإن حب الإطلاع والتجسس والبحث لديهم أقوىٰ، لهذا يسعون لمعرفة أسرار الأمور، فيقدمون على أي شيء، يتصرفون بالأشياء، يقومون بإيجاد أصوات مزعجة ليختبروا أهلهم؛ وليختبروا قدراتهم، ويريدون أن يعرفوا مدىٰ تحمل الأشياء والأشخاص.

مما تقدم يتبين أن كثيراً من المخالفات والتجاوزات، ليست في الواقع كذلك، بل أنها أعمال ذات هدف آخر. كما أنه لحسن الحظ هناك أشخاص من المخالفين والمنحرفين قد أثرت فيهم التربية حتى لعبوا دوراً هاماً في مجتمعهم، وكان منهم العلماء والعاملون المفيدون، مما يعني إمكانية إعدادهم وتربيتهم، بل علينا أن نركز كل جهدنا في هذا المجال.

* * *

القسم الثاني
الضرورات والأهداف

في هذا القسم نسعىٰ إلىٰ بيان الأسباب والأهداف من ضرورة بناء الأفراد وإعدادهم، وما هي الأهداف التي يجب أن نسعىٰ لتحقيقها.

سنبيّن ما نريد قوله في فصلين، الفصل الأول نبين فيه معنىٰ إعادة البناء أو الترميم، وهدف ذلك، والضرورات من وجهة النظر الفردية والجماعية والسياسية والدينية، ثم نذكّر بأن بلوغ ذلك الهدف يستلزم وضع برنامج ومشروع، وإزاحة العوائق والموانع التي تقف في وجه ذلك.

وفي الفصل الثاني نبيّن ضرورة وجود هدف ومصدر، وقد سعينا بعد تبيان الأهداف العامة أن نبيّن الأهداف التفصيلية، والهدف من إعادة بناء الجيل من حيث علاقته مع نفسه، ومع خالقه، ومع الآخرين، وفي الأبعاد الأخرىٰ. ثم ذكرنا أسس البحث وهي النظرة الواقعية، والالتفات إلى جانب نموذجية الوالدين، والجانب التدريجي للوصول إلى الأهداف.

* * *

الفصل الأول

ضرورة إعادة البناء أو التأهيل والمقصود منه

مفهوم إعادة البناء أو التأهيل:

إعادة البناء أو التأهيل هما نوع من قطع العلاقة مع طريقة العيش السابقة، وإيجاد الأرضية الجديدة لحياة فردية واجتماعية، كما يمكن القول إنها نوع من صياغة جديدة للطفل نسعىٰ خلالها لتغيير سيرة وأخلاق وطريقة تفكير واسلوب تعامل الطفل وآدابه وعاداته التي اعتاد عليها من قبل، ودفعه لقبول اسلوب جديد مدروس ومقبول، وذلك من خلال مشروع جديد وهدف محدد.

وهذا الأمر لا يختص بصغار السن، بل يشمل الكبار أيضاً. وبعبارة أخرىٰ يجب اتباع هذا الهدف بالنسبة للشبان والكهلة أيضاً، وما أكثر الأفراد الذين نجدهم في المجتمع يسعون إلىٰ تحسين أوضاعهم، واستبدال سيرتهم الحالية بخير منها، أي أنهم بادروا بأنفسهم لإصلاحها وتأهيلها، وإعادة بنائها وصياغتها بشكل أفضل.

أساس التفكير بالتأهيل:

إن أساس فكرة وضع برنامج وتنفيذه هو قد يخطر ببال المربي أنه لم

يكن هناك أي عمل ايجابي لتأهيل طفله، وأنه لم يبنَ علىٰ أساس الهدف الذي حدد له، أو أن التربية والتعليم والدراسة لم يكونا كافيين للطفل، وأن المسؤولين التربويين لم يتمكنوا من إعداده بشكل متعادل ومتوازن بناءً للظروف والأهداف المحددة.

ففي التأهيل تدور الأفكار أحياناً حول محور يقول: إن ذلك الطفل المنحرف لم يربَّ ويعد، بل أعدّ ونما بشكل غير موزون. وأن سيرته المنحرفة وأعماله تلك إنما كانت بسبب التربية والتعليم السيئين، وأن وضعه تماماً كوضع البناء الذي كثرت فيه الأخطاء، وأصبح الآن معرّضاً للإنهيار، وانهياره ذاك سيؤذي غيره أيضاً. فليس أمام البنّاء سوىٰ هدم ذلك البناء، وإعادة بنائه، وهذا ما يجعل كلفة البناء الجديدة مرتفعة.

علىٰ أي حال فإن التأهيل أو إعادة البناء يكونان عندما يرىٰ المجتمع والمربّون أن ما صنعه وأعده السابقون غير مقبول، ولا يرضون عن الوضع الحالي للفرد، في أحد أبعاده أو في كل أبعاده الشخصية، ويسعون للاستفادة من الفرصة والظروف الموجودة والمتاحة إلىٰ إعادة بنائه وتأهيله علىٰ أساس الأهداف والسيرة التي يرون صلاحها.

هدف التأهيل:

علىٰ هذا فإن هدف التأهيل هو جعل الطفل مطابقاً لظروف الحياة الجديدة، وتجديد النظر لإصلاحه أو لبنائه مجدداً في مجال طباعه وسيرته، وإنقاذه من الحالة المرفوضة التي يعيشها.

لكن في أي اتجاه نريد أن نسوق أبناءنا المنحرفين؟ لا بد لنا من الإجابة قبل ذلك علىٰ الأسئلة التالية:

من هو الشخص الذي تربّىٰ؟

من هو الإنسان الكامل والمتعادل والموزون؟

ما هي توقعاتنا من أبنائنا؟

في أي ظروف معيشية نريدهم أن يعيشوا؟

أية مواقف عليهم أن يتخذوا في مواجهة مصاعب الحياة وقضاياها؟

كيف يكون تعاملهم وعلاقتهم بالآخرين؟

وغير ذلك من الأسئلة، ومن الطبيعي أن تكون أجوبة تلك الأسئلة كامنة في جوانب الأهداف المحددة للحياة الجديدة المرجوة.

لكن ما نريده في جعل الأطفال موافقين ليس أن يتقبلوا القضايا والأمور دون أي استفسار، وأن يستسلموا للأحداث، بل إن ما نريده هو أن يتخذوا مواقف مقبولة على أساس الأهداف المقبولة في حياتهم، وأن تكون واقعية وهادفة.

إننا نريد أن يكون أبناؤنا سالمين روحاً وجسماً، وأن تكون لديهم جهوزية أداء الواجبات، وتحمل المسؤوليات. وأن تكون عواطفهم وغضبهم متعادلين، وأن تكون غرائزهم معدّلة وعلى مستوى من التربية، وأن يكون تعاملهم مع الآخرين تعاملاً إنسانياً وإسلامياً، وأن يكون لهم تجاه القضايا والمشاكل مواقف مقاومة وبناءة تساهم في حلها، وأن يكون لديهم في حياتهم الفردية والاجتماعية برنامج وسيرة مدروسة، وأن يكونوا قادرين على حل الصعاب والتغلب عليها، وأن يختاروا لأنفسهم عملاً مفيداً ومشروعاً، وأن يكونوا في سعي حثيث وتقدم دائم، وأن يحملوا المؤهلات الكافية لخوض غمار الحياة والمشاركة فيها بفعالية، وأن يدركوا أن المال والعمل والثروة هي وسائل لبلوغ الكمال والمعنويات وليست هدفاً، وأن يجاهدوا بكل قوة من أجل اكتساب الحرية والاستقلال وصونهما، ونيل الحياة الشريفة والعزيزة.

من الطبيعي أننا عندما نحسّ أن مثل تلك المؤهلات غير موجودة في

فرد ما، وأن فيه جوانب غير مقبولة، عندئذٍ نجد من الضروري تأهيل ذلك الفرد، والسعي بجدٍّ لينال تلك المؤهلات والإمكانيات.

الأمور الضرورية للتأهيل:

لقد طرحنا فيما مضىٰ الضرورات، ولتتضح الأمور أكثر، ندرس تلك الضرورات من جوانب مختلفة:

١ ـ في الجانب الفردي:

إن التأهيل من الناحية الفردية أمر ضروري، ذلك لأن الفرد هو مخلوق الله، وهو أمانة بيد والديه والمربين والمجتمع ونفسه، ولا بد أن تبذل الجهود الكاملة من أجل حفظ هذه الأمانة والسهر عليها.

من ناحية أخرىٰ فإن الطفل هو موجود عزيز، وقد احترمه الإسلام وكرّمه، وكرامته الإنسانية تستدعي أن نؤمّن نواقصه، وأن نبنيه ونكرمه كما أراد له الإسلام ذلك، ليبلغ مقام الخلافة الإلهية.

من جهة ثالثة فإن التربية في الإسلام هي حق للطفل، وللأبناء في هذا المجال حق علىٰ والديهم، والوالدان مسؤولان عن أداء هذا الحق، وإذا لم يؤديا حق طفلهما فسيتحملان مسؤولية ذلك، ويعاقبان عليه. وعلىٰ الوالدين أن يربيا ابنهما تربية صالحة، وعليهما أن يسدا النقص الحاصل في تربيتهما السابقة له.

من جهة رابعة فإن الطفل المخالف والمنحرف ليس طفلاً سعيداً أبداً، فهو دوماً عرضة للتحطم والإنسحاق علىٰ يده وأيدي الآخرين، فهو في صراع دائم مع نفسه، وسيعيش حياة صعبة وقاسية، وسيقضي عمره بالبطالة.

٢ ـ في الجانب الإجتماعي:

إن تأهيل الطفل لا يؤمن مصلحته الشخصية وخيره فقط، رغم أن لذلك بذاته قيمة وأهمية، لكن كثيراً من المجتمعات تسعىٰ لإصلاح الأطفال

وتأهيلهم من أجل تأمين مصالح المجتمع علىٰ أساس أن الطفل يشكل فكرياً وحدة من وحدات تلك الدولة وذلك المجتمع.

فالمجتمع الإنساني بحاجة لوجود أفراد تربوا علىٰ الوعي والتوازن وذوي سيرة مدروسة، ويسيرون في طريق بلوغ الأهداف المرجوة. ورغم أن المجتمع ككل يمتلك وجوداً مستقلاً، وفكراً ووجداناً مستقلاً عن فكر ووجدان كل فرد من أفراده، لكن المجتمع يتشكل من أفراد، والمجتمع الإنساني يقتضي أن يتربىٰ جميع أفراده علىٰ أساس نظامي، وأن يتحرك كل فرد عند دخوله المجتمع ومشاركته فيه وفي الحياة الاجتماعية علىٰ أساس حاجات ذلك المجتمع وتوجهاته.

إن انحرافات الأطفال التي ينظر إليها اليوم علىٰ أنها أمور تافهة، ستكون عواقبها وخيمة على الطفل وأسرته مع مرور الزمن. لذلك لا يمكننا أن نغض طرفنا ولا نبالي بما يتعلق بنا وبمصيرنا. فأطفالنا يشكلون نصف مجتمعنا، وما هي إلا عدة أعوام يصبحون عندها من بناة المجتمع وقادته، وإذا كانوا اليوم منحرفين ومذنبين وخطّائين، فسيكون مستقبل مجتمعنا الإنحراف والخطيئة، وسيكون لدينا كبار ومنحرفون وخطّاؤون.

لهذا فإننا نعتقد أن الوالدين ـ اللذين هما المسؤولان المباشران عن تربية أبنائهما ـ إذا لم يؤدوا هذه المهمة، علىٰ الحكومة أن تباشر بنفسها بذلك. لأن تأمين الأفراد الموزونين والهادفين في المجتمع يستدعي بذل الجهود لتأهيل الجيل الحديث الولادة وصغار السن.

٣ ـ في الجانب السياسي:

إننا نعيش اليوم في وضع خاص وعصر خاص، فهناك تحولات سريعة ومفاجئة تظهر في مجتمعنا، وتؤثر علىٰ جميع أوضاع مجتمعنا، فالوضع

السياسي الجديد يتطلب تغيير الأنظمة والبرامج والخطط الموجودة من قبل، وإعادة رسمها بما يتطابق مع التغييرات الحاصلة.

٤ ـ من ناحية المسؤولية الشرعية:

نحن المسلمين نتحمل مسؤولية عظيمة من خلال كوننا وآباءً وأمهاتٍ في المجتمع أو أفراد ملتزمين ومسؤولين أمام الجيل وأبناء المجتمع، وعلينا أن نبدي اهتماماً بمصير الأفراد من حولنا.

وعندما نكون والدي الطفل فإن هذه المسؤولية تكون ديناً للطفل في أعناقنا من ناحية لحقّ تربيته علينا، فإننا مدينون لهم حقيقة، وإذا لم نؤدِّ له ذلك الذَّين نحاسب ونعاقب عند الله. ونُدان على ذلك، ونكون ظالمين لأبنائنا.

فليس من حقّنا أن ندين الطفل أو حتى المجتمع بسبب سيرته غير السليمة، إلا إذا كنّا قد قدمنا له شيئاً، وبذلنا جهدنا ورعايتنا له، كما لا يحق لنا أن نلومه على أعماله إلا إذا كانت أفكارنا وأعمالنا مطابقة للأنظمة والقوانين والأفكار التي نقبلها وندعوه إليها.

على أي حال فإن مسؤوليتنا وواجبنا تجاه أطفالنا هي أن نعدّهم وأن نحسن إعدادهم. وإذا لاحظنا انحرافاً أو خلافاً فيهم، علينا أن نبادر إلى إعادة تأهيلهم. وكلما كان ذلك التأهيل والإعداد في صغرهم، كلما كان أثره أكبر وعوارضه أقل.

ضرورة وجود البرنامج:

إنَّ إعادة التأهيل تعني إيجاد تحوّل في البناء التربوي السابق، والتغيير والتحوّل الإيجابي لدى الفرد أو المجتمع ضمن ظروف وإمكانات محددة. فمن الممكن إعادة تربية الفرد من جديد، وجبران النقص وتقويم الإنحراف

فيه، وقطع جذور الفساد والإنحراف فيه؛ لكن شرط أن يكون ذلك عن وعي ومعرفة، وعلىٰ أساس خطة.

وأساساً فإن كل مربٍّ يريد أن يكون موفقاً في عمله، فإنه يحتاج إلىٰ برنامج وخطة، وخاصة في مجال الإعداد والتأهيل الذي يجب أن يكون بشكل تدريجي، ومرحلة بعد مرحلة، وليس بشكل مفاجىء ودفعي. وعلىٰ المربي أن يعلم من أي نقطة عليه أن يبدأ، وأيّ مراحل عليه أن يطوي، وإلىٰ أي هدف أو أهداف يجب أن يبلغ.

تلك هي فائدة وجود خطة وبرنامج، فهي تسمح للمربي أن يقيّم في كل مرحلة وضع الفرد الذي يربيه والمستوىٰ الذي بلغه، ويرىٰ ماذا فعل حتى الآن، وفي أي نقطة هو، وما هي المشاكل والموانع التي تقف في وجهه، وأيّ خطوات جديدة عليه أن يخطوها.

لا شك أن هذا البرنامج وتلك الخطة لا ينفّذان في الفراغ، إذن لا بد أن ننظر في الواقعيات الموجودة، وفي نفس الوقت يجب أن يكون البرنامج التربوي دقيقاً وعملياً ومرناً وقابلاً للتغيير، بحيث إذا اصطدم المربي خلال تنفيذه بمانعٍ يتمكن من انتخاب طريق آخر حتى لا يصل إلى طريق مسدود.

صعوبة الأمر:

إن إعادة التأهيل أمر مهم وصعب، وهو عمل الأنبياء. لكن علينا أن لا نيأس من ذكر الصعاب، لأن الإقدام عليه واجب. وكل ما في الأمر هو أنه علينا أن نخطو في هذا الطريق بوعي ودراسة وتمعّن.

ولا يمكننا هنا أن نذكر جميع الصعاب والموانع التي قد يواجهها المربي خلال سعيه نحو هذا الهدف، لكننا سنذكر أهمها وباختصار، ليتنبّه لها المربّون:

١ ـ أساساً فإن إعادة البناء ، التأهيل أصعب من البناء نفسه، ذلك لأنه عمل مجدد، وفيه عملان هما: هدم البناء السابق، والبناء مجدداً.

٢ ـ إن كثيراً ممن يمارسون إعادة تأهيل أبنائهم وتربيتهم لا يمتلكون الوعي اللازم لذلك، لهذا فإن إعداد الأفراد المخالفين أو المنحرفين في المجتمع تزداد يوماً بعد يوم، وهذا الأمر بحد ذاته يزيد من صعوبة إعادة التأهيل، ويعقد العلاقة بين الفرد المطلوب تربيته والآخرين.

٣ ـ إن انشغال الوالدين وهمومهما المعيشية كماً وكيفاً تقلل من فرص اهتمامهما بتربية أبنائهما. لهذا فإننا نعتبر أن الأسرة فقدت بعض الأهمية والقيمة التي كانت لها من قبل، ولا يمكنها أن تنظم وضعها كما ينبغي أن تكون عليه، وهذا يقلل من قيمة جهودها المبذولة لبلوغ الأهداف الجديدة.

٤ ـ إن عوامل المحيط من مجتمع ومدرسة وبرامج ووسائل إعلام وآداب وسنن وفنون وآداب ليست متناسقة ومتكاملة لتحقيق إعادة التأهيل، بل إنها أحياناً تفرط العقد، وتخرّب ما أنجزه الآخرون.

٥ ـ أساساً إن تغيير سيرة الفرد أمر صعب، خاصة إذا أصبحت من طبيعته الثانوية، فإن الأطفال، بل وحتى الكبار لن يتركوا تلك العادات بسهولة، كما أن إرادتهم وتحركهم وحبّهم للأمر الذي إعتادوا عليه يجعلهم يقاومون التغيير ويدافعون عما اعتادوا عليه.

الموانع والمنافذ:

إن الأنبياء والمصلحين وعلماء الأخلاق والفلاسفة وأصحاب الرسالات والمذاهب قد قدموا وصايا لبناء النفوس أو تأهيلها من جديد، وهي تدلّ على إمكانية إعادة التربية والتأهيل. لكن في نفس الوقت علينا أن نعلم أنَّ التأهيل يتم تحت نفوذ وتأثير عوامل متعددة، أهمها: أبعاد الثقافة المادية والمعنوية للمجتمع والأسرة والإدراكات والعقائد والشخصيات ووسائل

الإعلام وتربية المحيط والسيرة الاجتماعية والفلسفات والأفكار التي هي في عصرنا ـ مع الأسف ـ كثيرة ومتعددة. وما دامت تلك العوامل لا تخضع للرقابة، فإن إعادة التأهيل أمر غير ممكن. فمع وجود المحيط الفاسد وتعاليم المجتمع الخاطئة كيف يمكننا أن نتوقع تجلّي شخصيتنا الإنسانية؟ وأن تكون سيرتنا ربانية؟ورغم ذلك قد يتمكن المربون بهمّتهم وجهدهم من رفع تلك الموانع من الطريق، أو على الأقل أن يوجدوا سدّاً في مواجهتها، لئلا يعود ضررها على الشأن التربوي.

وقت البدء:

إذن فمتىٰ علينا أن نبدأ بإعادة التأهيل؟ لا بد هنا من جواب جدّي وواضح. فبعد أن عرفنا الخطر، علينا أن نفكر في رفعه واجتثاثه، وكلما كان ذلك أسرع كان أفضل. كان علينا أن نبذل الجهد قبل الوقوع في تلك العوارض وأن نتوقّاها. لكن الآن بعد أن وقع التساهل، ولا بد من العلاج، علينا أن نسرع بمعالجة مرضانا.

فاليوم هو يوم العمل، وإذا لم نقم بما يجب، فلن ينفعنا ذلك غداً، فليست مشكلتنا في زلة إبننا وانحرافه، بل بحثنا هو في مضار عواقب الغد، وهو وضع يؤثر في مستقبل الطفل والمجتمع.

ولعل تهاون بعض المربين بأمر تأهيل أجيالهم ينتج من عدم ادراكهم لجدية الأمر، وانهم لا يعتبرونه أمراً ضرورياً، أو انهم يظنون أن الخطر لم يبلغ درجة الجدّية. في حين أن هذا التهاون سيؤجل العمل إلى الغد حيث يستحيل القيام به.

واجبنا ومهمتنا:

إن ما نريد بحثه هنا هو أن نخرج الوالدين من حالة المواجهة مع أبنائهم

إلىٰ حالة المصالحة والتفاهم، ونجعلهما أصدقاء رحماء. وذلك في عصر وزمان تمر فيه قافلة البشرية ومعها التربية في مرحلة مظلمة، ويساق أطفالنا الأبرياء دون إدراك نحو جهات غير صائبة.

إن المسألة أهم من أن نتصور أن الفرصة أمامنا للتربية والبدء كبيرة، أو أن نظن أننا لا نحتاج إلىٰ ذلك. فإذا لم نواجه علل وعوامل الإنحراف الهدّامة بسرعة، ولم نجتث جذور الخلل والانحراف، فلن نتحمل ذلك فيما بعد.

سنسعىٰ إلىٰ استعراض أسس وضوابط التأهيل، وطرق وأساليب إصلاح الطفل التي يجب علىٰ الوالدين اتخاذها، لنخطو بذلك خطوة نحو تأهيل هذا الجيل.

* * *

الفصل الثاني

أهداف التأهيل

لقد أدركنا الآن أنّ الأهداف التربوية السابقة، وبعض أساليب التربية والتعليم السابقة لا يمكنها أن تبني هذا الجيل على أساس أهداف الحاضر، أو أن تؤمّن حاجة المجتمع المعاصر. وأن الطريق الذي أمامنا على خلاف الطريق السابق. وأن الجيل الموجود بحاجة إلى إعادة بناء، وذلك يستدعي تغييراً في الهدف.

إن ما نقصده من الهدف هو ما نريد أن نصل إليه، قد تكون تلك النقطة قريبة جداً منّا، أو بعيدة جداً عنّا، وقد يكون الهدف مثالياً ومنتهى الآمال، أو أنه عملي وممكن نيله. لكن علينا أن لا ننسىٰ أن هدفنا هو إعادة بناء الأطفال أو تربيتهم من جديد. أو بعبارة أخرىٰ إننا غير راضين عن فرد أعددناه أو أعدّه غيرنا، ونريد أن نهدم ذلك البناء، وإعادة بنائه من جديد.

ضرورة وجود الهدف:

لا بد من وجود هدف ينتهي إليه طريق تأهيل الأطفال والأغرار، فالتربية دون هدف هي كالسفينة دون بوصلة تضيع بين الأمواج، لا تدري أين تذهب، وأين ستصل.

من ناحية أخرىٰ إذا اعتبرنا أن التربية أمر جدي وواع، علينا أن لا نتوقع أن تسير الأمور لوحدها دون حساب وتخطيط، ودون هدف معيّن. وللوصول إلىٰ هذا الأمر علينا أن نعلم ما هو نوع الأفراد الذين نريدهم في المجتمع؟ وأي فرد نريد إدخاله المجتمع؟ وكيف يجب أن تكون سيرة أطفالنا؟ وبأية أرضية عاطفية وعقلية وحسية وشعورية وأخلاقية واجتماعية وحتى دينية سندخلهم المجتمع؟ ويجب أن يكون واضحاً للمربي أنه آخذ بيد الطفل، فإلىٰ أي نقطة سيصل به؟ وعلى أي طريق سيضع أقدامه، وعلىٰ أساس أي نموذج ستكون سيرته وأخلاقه؟

المنبع:

القضية الأخرىٰ هي أن هدف التربية هذا علىٰ أي منبع نريده؟ وما هي المعايير التي اخترناها لتحديد الصواب من الخطأ؟ وعلىٰ أي أساس يحق لنا أن نبدي رأينا في التربية؟

الأهداف قد تنشأ مما يريده الناس، أو من الفلسفة والرسالة الخاصة، أو من الدين. إن ما نطرحه نحن يشمل القسم الثالث أي الدين الإسلامي والرسالة الاسلامية. وعلىٰ هذا فإن منبعنا لتعيين الأهداف هو القرآن الذي هو كلام الله، ودليلنا نحو الخير والسعادة من جهة. ومن جهة أخرىٰ السنة والتي تشمل قول المعصوم وعمله وتقريره، وهي السنّة التي وصلتنا عبر عترة الرسول ﷺ.

إننا نعتقد أن المنبعين الوحيدين الموثقين لدينا هما ما ذكرناهما، خاصة إنهما مبنيان علىٰ أساس الفطرة والمباني التي أودعها الله في الإنسان. وعليه فإن التربية التي تعتمد التقاليد المتعارفة وآراء العلماء والمدارس التي تعتمد التجربة وعلماء النفس والمجتمع لا تقبل إلا إذا كانت لا تخالف كلام الله. وهذا لا يعني أننا نرفض العلم والعلماء، بل لأن آراءهم ونظراتهم الكونية

محدودة جداً، وتعتمد التجارب المحدودة، ورؤيتهم للمستقبل محدودة، وتؤثر فيهم الميول الشخصية، وقد يخضعون لمصالح سلطة المال والقوة.

الأهداف العامة للتأهيل

إن الأهداف التي نتابعها في تأهيل الأطفال والأغرار لنجعل منهم بشراً مطمئنين وواثقين ومستقلين وواعين ويمتلكون فعالية ونشاطاً ايجابياً في مسيرة العدالة والتقوىٰ والكمال والوصول نحو السعادة الخالدة، ممتلكين لحرية الفكر والعمل، مطلعين على القوانين الحقة ومطيعين لها، سائرين علىٰ طريق استمرار الحياة المشرّفة.

إننا نريد أن نعد أبناءنا ليسيروا في جادة الصواب تابعين أو متبوعين، يعيشون نمواً ورشداً في جميع أبعادهم الوجودية، في الجسم والنفس والعقل، وفي جميع أبعاد الحياة الإجتماعية من اقتصاد وسياسة وأخلاق وتربية، غرائزهم مؤطرة، وقواهم المختلفة متناسقة ومؤهلة.

الأهداف التفصيلية:

لنعرف أكثر وأوضح إلى أي جهة نريد أن نوجه أبناءنا، ونخرجهم من الوضع السابق، وإلى أي وضع وموقع جديد نريد إيصالهم، لا بد لنا من دراسة تفصيلية لأهداف التربية، تنظر إلىٰ المسألة من زاوية علاقة الفرد بنفسه وبربّه وبالآخرين وبالظواهر من حوله.

أ ـ علاقة الفرد بنفسه: في مجال علاقة الفرد بنفسه، ومن الناحية الشخصية ما هو الوضع الذي نريده؟ وكيف نريد أن يكون أبناؤنا؟ وما هي الخصوصيات التي نريدها فيهم؟

في الإجابة علىٰ هذه الأسئلة على أساس ما يمكن استنباطه من القرآن والسنّة يمكننا القول: إننا نريد أن يكون أبناؤنا أفراداً أحراراً ذوي عزّة نفس

وطبع سامٍ، يمتلكون شخصية مستقلة، يرفضون الذل، بعيدين عن التلوث بأنواعه.

إننا نريد أن يكون أبناؤنا أفراداً موزونين، يمتلكون توازناً في أبعادهم الوجودية، فعالين، معتدلين، سيرتهم الوقار، تتحرك قلوبهم وأيديهم وألسنتهم بحركة متسقة. ليس فيهم حالة كبر وغرور، ولا ذلة وخنوع، لا تأخذهم بلاهة الأنانية والعجب، ولا يدفعهم التكبر والدلال اللامحدود إلى أن يروا لأنفسهم حقوقاً على الآخرين، بل أن ينتصروا على رغباتهم وشهواتهم، يعقلون ألسنتهم وأعمالهم بالتقوى، ويصبغون وجوههم بالخجل.

نريد أن يكونوا أصحاب نظرة واقعية، يسعون لتحقيق أهداف إنسانية أصيلة، يقبلون بالانتقاد ليصلحوا أنفسهم، لا يبهرهم المدح والثناء، أن لا يعيشوا على أمجاد الماضي، ولا على أحلام المستقبل، بل في الواقع، يعرفون أنفسهم جيداً، ويتابعون أهدافهم جيداً.

نريدهم أن لا يطلقوا ألسنتهم هباءً، ولا يمدوا أعينهم إلى أي شيء، ولا يعيروا أسماعهم لأي كان، وأن يحفظوا أنفسهم من التلوث، وأن لا يكثروا الكلام، وأن يحترزوا من الغيبة والكذب والنميمة والبهتان.

وفي الجانب الفكري نريدهم أصحاب تفكير متنامٍ، وفكر ناقد وباحث عن الحقيقة، لا يعرف الركود والجمود، وأن يستعملوا إدراكهم ووعيهم، وأن يكون تفكيرهم شاملاً وسليماً، وأن يستفيدوا من فكرهم في بناء أنفسهم ومحيطهم، لا في الهدم. وأن يحصنوا تفكيرهم من الإنحراف، وأن يمرنوه، ويستفيدوا منه في حل قضاياهم، أن يكونوا استدلاليين منطقيين، يعتمدون على الفكر في قراراتهم، لا يتملكهم التعصب والجمود.

وفي الجانب العاطفي نريد أطفالنا رحماء، ذوي سيرة حسنة، مرنين،

عافين، مضحين ومؤثرين، ليسوا صعبين فييأس الآخرون منهم، ولا سهلين فيطمع الآخرون بهم، أن يكونوا في الحوادث ممن يحس بلطافتها لكن لا يؤخذون بسرعة بحبائلها، أن يكونوا واعين مدركين، ومعتدلين في كل شيء.

نريد أن تتفتح استعداداتهم، وأن تحدد إمكاناتهم وقابلياتهم النفسية بشكل جيد، وأن يستفاد منها، وأن يكون نموهم الروحي طبيعياً ومتناسقاً، وأن يصانوا من الأمراض النفسية وعوارضها. وأن تكون شخصياتهم راشدة ومتوازنة، لأن الذي لا يمتلك شخصية يميل إلى أحد اثنين، بين إفراط وتفريط.

بعض أهدافنا تتركز على العقل والذهن والتفكير لدى أبنائنا، فلا بد من تأهيل الأذهان، لأن أي خطة مفيدة أو مضرة سيخطط لها في الذهن قبل أن تصل إلى ساحة العمل والتنفيذ. كما أن الطفل بحاجة لحل قضاياه، وللنظام والترتيب في الأمور، والسيطرة على نفسه من خلال تحديد الحق من الباطل.

وبعض أهدافنا تتركز على جسمه، فالإسلام يكرم البدن أيضاً، ولا بد من تربيته بشكل جيد، لا بد أن يصل الطفل جسدياً إلى درجة يتمكن فيها من الدفاع عن نفسه، وأن يواجه التعديات عليه، كما انه بحاجة لمهارة أعضائه لتؤدي أعمالاً مفيدة وشريفة، لا بد من حفظ البدن من المخاطر، لا بد من تقويته وتنشيطه، وحفظ الجوانب الصحية وسلامته، واصلاح نواقصه وثغراته، والإحتراز من الإضرار به.

وأخيراً نريد أن يعتمد أبناؤنا على أنفسهم في المستقبل، وأن يحملوا ثقل حياتهم على اكتافهم، وأن يفوا بعهودهم، وأن يؤدوا واجباتهم خير أداء.

ب ـ **علاقة الفرد بربّه**: إن كثيراً من الإنحرافات والمخالفات والجرائم

يرتكبها الإنسان لأنه يظن عدم وجود شاهد يراه أو حاكم يحاسبه علىٰ عمله، إنه يظن أنه خلق عبثاً دون هدف معيّن، وأنه يستطيع أن يفعل ما يحلو له دون رقابة ومحاسبة. لهذا يجب أن تكون بعض أهداف التربية الجديدة أو التأهيل وإعادة البناء تسعىٰ إلىٰ تثبيت علاقة الفرد بالله، وإيجاد أرضية الإيمان به، وتثبيته في قلبه.

فالهدف هنا هو ايجاد العلاقة بين الفرد وخالقه، إننا نريد أن يكون لأبنائنا علاقة متينة وصحيحة مع الله، وأن يطلبوا رضاه في كل الأمور، وأن لا تغفل قلوبهم مطلقاً عن ذكر الله، وأن يحطموا أي سدّ ومانع يقفان في طريق وصولهم إلىٰ عنايته ونظره.

إننا نريد أن يكون شغل ابنائنا مع الله، وأن يعلموا أنه شاهد وحاكم علىٰ جميع أحوالهم وأعمالهم، وأن يحكّموا ضميرهم الباطني، وأن يدركوا عملياً أن الله سبحانه يشاهدهم ويراهم في السرّ والعلن، وأن كل عضو من أعضائهم سيشهد عليهم، فيبعدوا بذلك أنفسهم عن الذنوب والإنحراف.

نريد أن لا يغفل أبناؤنا عن ذكر الله، وأن يحسوا بوجود حلقة ارتباط بينهم وبين الله، أن يحذروا حسابه وعقابه، أن يبتعدوا عن الشرك العلني والخفي، أن يسيروا علىٰ الصراط الذي حدده لهم، وأن يكونوا منفذين لأوامره، وساعين في تحصيل رضاه.

نريدهم أن يعتبروا أن الحق ما جاء به الله، وأن يبتعدوا عما أمر به غيره، وأن يرفضوه، وأن لا يخضعوا له. أن تكون العبادة ـ التي هي نوع من الارتباط بين العبد وخالقه ـ نافذة في جميع جوانب وأبعاد حياتهم. وأن يتحملوا الوحدة بذكر الله، وأن يبتعدوا عن الوساوس ويأمنوا شرّها.

جـ ـ العلاقة مع الآخرين: من المصاعب الكبرىٰ التي نواجهها في تربية الأجيال هي العلاقة مع الآخرين، فأكثر علاقاتنا وعلاقات أبنائنا مع

الآخرين غير إنسانية ولا إسلامية، فما أكثر ما نواجه بعضنا مواجهة الأعداء، ونتصارع مع بعضنا صراعاً تخجل من خوضه الحيوانات.

لهذا فإن جزءاً من أهدافنا في إعادة تأهيل الأطفال تنصبُّ علىٰ إصلاح نوع العلاقة بيننا وبين الآخرين. إن ما نريده في هذا المجال ورد ذكره باختصار وشمولية في كلام المعصوم عليه السلام، حيث يصور من تلقىٰ التربية بهذا الشكل:

ذو حياء، لا يؤذي الآخرين، صادق القول، قليل الكلام، كثير العمل، خطأه وزلله قليل، حسن المعاشرة، يأنس به من حوله، وقور، صبور، شكور، قريب، نظيف، طاهر، رحيم، غير نمام، لا يستغيب، غير متسرّع، لا يحقد، ليس ببخيل، وليس بحسود، حسن الطلة، حسن المعاملة، يحب في الله، يبغض في الله، يرضىٰ في الله، ويغضب لله. منصف لغيره، يعتذر ممن أخطأ معه، يتحمل عناء الآخرين، يتمسك بالقادة الربانيين وبقوانين الله عند الصعاب، تشغله عيوبه عن تتبع عيوب الآخرين، بشوش مع الصغير والكبير.

لهذا إننا نريد من أبنائنا أن يقيموا علاقاتهم مع الآخرين علىٰ أساس العفو والرحمة، والتضامن والتعاضد، والوفاء بالعهد، والتفاهم، وتبادل الآراء، وترك الجدال، والإنصاف، ومعرفة الواجب، والعيش بسلام، ومراعاة حرية الآخرين، واحترام الآخرين، والتعاون مع الآخرين علىٰ البر والتقوىٰ، والاهتمام بالعلاقة مع الآخرين.

نريد أن تكون علاقاتنا مع الآخرين علىٰ أساس الوحدة والأخوة والتعاون والمشورة، على أساس حفظ الحدود مع الآخرين، وحفظ احترام الآخرين، وإنصاف الناس، واللطف في الكلام، والوفاء بالعهد، والعدالة، والشجاعة، والقول الثابت، وحب الحق، والصدق في الحديث، ودفع الشر

بالخير، والإساءة بالإحسان، وأن نحب للآخرين ما نحب لأنفسنا.

إننا نريد أن يكون أبناؤنا معتدلين، مع الناس متواضعين، يعيشون معهم بسلام وصفاء، يعملون لنفع الآخرين، يرفعون العقبات من الطريق، يقضون حاجات المحتاجين، يدعون إلى الخير، يحبون ولا ينتظرون ثمناً لذلك، للمظلوم عوناً، للظالم خصماً، يدافعون عن المستضعفين، يطردون المستغلين، أشداء على الكفار المعتدين، رحماء بينهم.

إننا نتوقع من الأبناء الذين تلقوا التربية أن يصغوا للقول الحسن، أن لا يقاطعوا الآخرين بكلامهم، أن لا يرفعوا أصواتهم عند الغضب، أن لا ينطقوا بسباب وشتم وفحشاء، أن لا يؤذوا الناس، أن لا يدخلوا عليهم دون استئذان.

إننا نريد من أبنائنا أن يعينوا الآخرين على بلوغ الأهداف المشروعة، وأن يكونوا صادقين في إعانتهم، أن يعينوهم عند الحاجة، وأن لا يطلبوا العون إلا عند الحاجة، أن يكون تعاملهم مع الآخرين سليماً، أن يكونوا أمينين وطاهرين، مخلصين صافين، غير لجوجين في الحوار، يمتنعون عن محاورة السفهاء وغير الموزونين، يعطون غيرهم حق إبداء الرأي، يسارعون لقضاء حوائج الناس، يسعون في خدمة الناس دون أن يمنّوا عليهم، أو يحقروا من استعان بهم.

إننا نريد من أبنائنا أن يدركوا قيمة أنفسهم والآخرين، وسبباً في رحمة الآخرين، لا إزعاجهم، عمالاً جيدين، أزواجاً لائقين، جيراناً جيدين، لا ينتظرون من الآخرين خدمة مجانية، يعرفون كيف يتعاملون مع الأحاسيس الايجابية والسلبية للآخرين.

إننا نريد أن يكون لأبنائنا مكاناً مرموقاً في المجتمع، وأن لا يمنعهم استقلالهم عن التعامل مع الناس، وأن يكونوا يقظين أمام الأحداث، يتلقون

الأخبار ولو كانت من فاسق، لكن يتمعنون فيها ويحققون ويحللون. أن يجاهدوا الظالمين، أن يعدّوا أنفسهم للتغلب على القوى الكاذبة، أن يقفوا بوجه القيم الخاطئة والموضوعة، أن لا يكونوا غير مبالين بالمحيط الفاسد، أن يضغطوا من أجل ايجاد الأمن والسلامة في المجتمع.

وأخيراً نريد أن يعرف أبناؤنا أسلوب المعاشرة، أن لا تصدر عنهم كلمات بذيئة، أن يحترموا والديهم، أن يعطوهم وزناً وقيمة خاصة، أن يحترموا الآخرين لكن دون خضوع غير مدروس، أن يقدموا دائماً رضا الله على كل رضا.

د ـ في الجوانب الأخرى: هناك مسائل أخرى نذكرها هنا:

على المستوى الثقافي: نريد أن يكون لدى أبنائنا ضميراً حياً، وعقلاً وفكراً نيراً، وفهماً ملتزماً، وفناً واعياً يقظاً، وأدباً موجهاً هادفاً، وفلسفة مدروسة للحياة. أن تكون الأهداف الإنسانية السامية حيّة فيهم، بحيث يحبون التضحية والإيثار، أن لا يكونوا عبيداً للآخرين، أن يفكروا بحرية، أن يعيشوا بحرية، أن يمتلكوا مستوى عالٍ من الوعي والشعور، أن يختاروا جيداً، أن يفهموا جيداً، أن يعملوا جيداً.

إننا نريد أن يعرف إبننا نقاط ضعفه، وأن يسعى في إصلاحها، أن يعلم ما هو وضعه وموقعه، أن يعلم أي أفكاره وأعماله صحيحة، وأيها خطأ، أن تكون توقعاته مدروسة، أن تكون حياته على أساس الرحمة والفضيلة والوعي للمسؤوليات الفردية والاجتماعية. أن يلتذ بالحقيقة ويبحث عنها.

إننا نريد أن لا يكون إبننا متكبراً أنانياً يتمحور حول نفسه، ويظن نفسه محور الوجود، فلا يعتمد على نفسه، ويغفل عن ربّه. بل أن يكون ثابت الرأي والخطى، لا يعتمد على الغير فيلقي له عينه وأذنه ولسانه. أن لا يكون ضيق الصدر حرجاً، أن لا يبقى غير منتج، أن يعرف محيطه، أن يقيّم ميراثه

الثقافي، أن يكون مخترعاً ومكتشفاً، أن يرفض الخرافات، أن يجتنب الهوىٰ.

علىٰ المستوىٰ الإقتصادي: نريد أن يعرف أبناؤنا قيمة العمل وأهميته، أن يلتذوا بأدائه، أن يحسنوا أوضاعهم الاقتصادية، أن لا يتهاونوا ولا يتقاعسوا في أعمالهم وواجباتهم، أن ينالوا ما يكفيهم من حظ دنياهم، أن يكونوا متحركين وفعّالين، أن ينفعوا غيرهم بما رزقهم الله، أن لا تخدعهم الدنيا، وأن لا تصبح الدنيا أكبر همهم، وهدفاً لهم، أن لا يلوثوا أنفسهم بالحرام والممنوع من أجل تأمين معيشتهم وسدّ حاجاتهم، أن تكون الملذات وسيلة في نظرهم لا هدفاً، وأن يستخدموها كسلّمٍ لبلوغ درجات الكمال الإنساني السامية.

علىٰ المستوىٰ السياسي: نريد أن تكون علاقاتهم مع الآخرين قائمة علىٰ أساس العدالة والرحمة والعفو وطلب الخير، أن لا تتملكهم طباع الاستبداد والاستغلال والاستئثار، أن يحترموا المواثيق المشروعة، أن لا يعتدوا ولا يظلموا، أن يحذروا الحيل والخداع، أن يعرفوا قيمة الإنسان وكرامته وأن يحترموها، أن يدعوا إلىٰ الاصلاح في المجتمع، أن يبتعدوا عن اتباع دنيا السياسة اللامدروسة، وأن يدعموا المطالب المحقة للآخرين.

علىٰ المستوىٰ القضائي: نريد أن يقف أبناؤنا إلى جانب الحق، أن يدعموا العدالة، أن لا ينحازوا في الأحكام، أن لا يتّبعوا الأهواء غير الحقة، أن يمتلكوا قوة الروح والشجاعة والصبر، وأن يقدموا رضا الله في القضاء علىٰ رضا الآخرين.

ملاحظات حول الأهداف: ما ذكرناه آنفاً يمثل زاوية من القضايا التي يجب بحثها، فرغم عناوينها التفصيلية، إلا أن بحوثنا ليست مفصلة، ولا بد من أن نبحث مجدداً كل جانب من تلك الجوانب، لكن هناك ملاحظات لا

بد من إيرادها في هذا المجال أهمها :

١ ـ عند تنفيذ البرامج التي توضع لتحقيق الأهداف لا بد من النظر إلىٰ الواقع والوضع والظروف المكانية والزمانية، فرغم أن البعض قد يضع تصوراً مثالياً، لكن المهم بالنسبة لنا هو أن تكون التربية والتأهيل هادفين، وغير بعيدين عن النظرة الواقعية.

٢ ـ لا بد من الالتفات لاعتماد التدرج في الوصول إلى الأهداف، فالشجرة القديمة التي نبتت لسنوات وامتدت جذورها في الأرض لا يمكن اجتثاثها مرة واحدة، ولا يمكن إصلاحها بسهولة، بل إن الوصول إلىٰ ذلك الهدف يحتاج إلى زمان ومراحل.

٣ ـ خلال القيام بالتربية وبإعادة تأهيل الأجيال لا بد من طرح النماذج والأسوة، فإن التربية عبر طرح النموذج والأسوة أسهل وأكثر تأثيراً من الطرق الأخرىٰ، وخاصة أن التربية الإسلامية قد اعتمدت هذا الأسلوب. وعلىٰ هذا يجب علىٰ الوالدين والمربين أن يكونوا نماذج وأمثلة تحتذى.

٤ ـ الملاحظة الأخيرة هي لا بد من ايجاد ارتباط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ورغم الاهتمام بالحاضر لا يجوز تناسي الماضي والغفلة عن المستقبل، لأنه لا يمكن للإنسان أن يكون منفصلاً عن أحد تلك الأبعاد الثلاثة.

* * *

القسم الثالث

علل الإنحرافات وأسبابها

إن أفضل طريق للتغلب على الطفل وتأهيله هو أن يعرف المربي السبب الذي جعل الطفل على تلك الحال، ولماذا يقوم بأعمال غير مقبولة؟ ذلك لأن أغلب الأعمال تكون عن قصد وهدف، وهناك دوافع أدت إلى القيام بها. وما دامت تلك الدوافع والعلل مجهولة تبقى إمكانية الإصلاح معدومة.

لذا فإننا نعتقد أن أي عمل تأهيلي للطفل يحتاج إلى أمرين هما:

١ ـ التشخيص.

٢ ـ العلاج.

في الأمر الأول أي التشخيص علينا أن نعرف أولاً هل إن ما نسميه انحرافاً ومخالفة هو انحراف حقاً أم لا؟ لأننا قد نرى في بعض التصرفات نوعاً من الإنحراف، لكنها في الواقع ليست كذلك. مثال ذلك: بكاء الطفل، ركضه، خوفه.

ثانياً علينا أن نعرف العلل والدوافع عند ثبوت الإنحراف والمخالفة، علينا معرفة جذور ذلك الانحراف، ولماذا صار ولدنا هكذا؟ وما هي الثغرات ونقاط الضعف فيه؟ وما هي العوامل والظروف التي ساعدت على انحرافه؟

إن علل وجذور الانحرافات والمخالفات تكمن عادة في الأمور التالية:

- جسدية ومعيشية كالنقص الجسدي والضعف والمرض وما شابه ذلك.

- ذهنية كنقص في الإدراك، أو ضعف في بعض القدرات، وحب الإطلاع والحشرية، وحدة الذكاء.

- نفسية كالخوف، والاضطراب، والإحساس بانعدام الأمن.

- عاطفية كنقص المحبة، والإحساس بالحقارة، والهيجان العصبي.

- أخلاقية كالحساسيات، وعدم الاعتماد والثقة بالنفس، والحرمان الخُلقي.

- اجتماعية كالعلاقات الخاطئة وغير المنتظمة.

- ثقافية كالفقر المالي، والحرمان الغذائي.

كما أنه قد يكون منشأ ذلك من الأسرة أو المجتمع أو المدرسة أو المعلم، أو زملائه في اللعب.

على أي حال فإن معرفة السبب وتحديده يعدّان أساسين قبل العلاج، ودون ذلك لا يمكننا أن نخطو في العالم المعقّد للطفل، وأن نفهم مشاكله والأسرار التي تقف في وجه العلاج، كما لا يمكننا أن نضع برنامجاً لفرد لا نعرف ما به وكيف هو؟

وتتم معرفة الطفل من خلال المشاهدة، الإدراك، التفاهم، الاختبارات المتعددة بواسطة المربين وعلماء النفس والأطباء والأطباء النفسانيين. ولا بد من رعاية الضوابط والملاحظات الخاصة بذلك.

وفي الأمر الثاني أي العلاج، فإننا نسعىٰ إلىٰ محاربة العلل، والقضاء

علىٰ جذورها في الطفل، دون أن نواجه المعلولات، ذلك لأن جذور العلل ما دامت حية فيه لا يمكن ولا ينبغي أن تتوقف عملية التأهيل. المهم بالنسبة إلينا هو نوع العلاج المطلوب، وكيفية العلاج، أو استعمال الأساليب المناسبة، وسنشير إليها في البحوث القادمة.

في هذا القسم نسعىٰ من خلال عدة فصول إلىٰ استعراض العلل والعوامل البيئية والنفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية. ونطرح باختصار القضايا التي تخص كل مجال منها.

* * *

الفصل الأول

العلل البيئيّة

قلنا من قبل أن أول خطوة في التأهيل هي معرفة وضع وظروف الشخص المنحرف من كافة الجوانب. مثلاً وضعه من الناحية البدنية، هل هو في مرحلة الطفولة أم في مرحلة البلوغ، سليم جسدياً أم مريض. فقد ثبت أن كثيراً من الإنحرافات والمخالفات لها جذور بيولوجية، وترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بوضع البدن والمزاج والجوانب الأخرىٰ. لهذا سنبحث في هذا الفصل هذا الجانب، ونتحدّث في البداية عن مرحلة الطفولة.

مرحلة الطفولة:

إن مرحلة الطفولة هي مرحلة عدم الدقة، وعدم الالتفات. فمقتضىٰ السن والنمو يستوجب أن يكون الطفل في حالة مخالفة، ولا يكون مثل الكبار الذين يلتزمون بجميع الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والآداب والتقاليد.

فالطفل يقوم في هذه المرحلة العابرة وحسب ما يقتضيه سنّه بأعمال قد لا تتلاءم مع أيٍّ من الموازين التي نعيّنها له. فتراه يركض دون علة ظاهرة للركض، ويضحك دون وجود سبب معروف للضحك، ويثرثر دون أن يكون هناك سبب للكلام.

هذه العلامات تدل علىٰ وجود انحراف إذا صدرت عن الكبار، لكنها طبيعية وعادية إذا صدرت عن طفل. لهذا علىٰ الوالدين أن لا يلوموه على ذلك أو يغضبوا منه، أو يعتبروا حركته تلك انحرافاً.

زوبعة النمو:

بناءً على ذلك فإن كثيراً مما قد نعتبره انحرافاً، ليس في الحقيقة من مقتضيات النمو، وقد يصل الأمر إلى درجة نطلق عليها تعبير زوبعة النمو. لكن صورتها المحيّرة تكون في مرحلة الصبا والبلوغ، فنمو الفكر والعادات والميول والأحاسيس لدىٰ الطفل تحدث تغييرات، ولكل مرحلة من العمر لها قضاياها ومشاكلها الخاصة.

فمثلاً عندما يكون الطفل في الثالثة من عمره يمر في مرحلة الإنكار، إذا طلب منه شيء أو أمر بأمر ما، فسيكون جوابه النفي. وعلة ذلك حس الاستقلال لديه في هذه المرحلة. ويخطىء الوالدان عندما يقرران تأديبه على ذلك.

وفي مرحلة ٣ ـ ٤ سنوات يبكي الطفل ويلجّ، لذا ينبغي أن لا نعاقبه علىٰ بكائه.

وفي السادسة من عمره يكون الطفل متمرداً بحيث يعتبره والداه أنه صعب. لكن لا ينبغي الوقوف بوجهه بحيث تحطم أحاسيسه وتضمحل، بل لا بد من حل مشاكلهم بالمداراة.

فتصدر عن الطفل في بعض مراحل حياته أحاسيس وأعمال متضادة، فيتصرف أحياناً على هواه تاركاً أوامر وتوصيات والديه جانباً، لا يبر بوعده، بينما أحياناً يطيعهم ويسلّم لأوامرهم إلىٰ درجة تجعلهم يمتلئون فرحاً منه.

وفي سنين أخرىٰ تكثر توقعاته، إلىٰ حد أنه في عمر سبع سنين يعتبر أن

كل من لا يلبي طلباته فهو ظالم. يبذل قصارىٰ جهده ليحسبوا حسابه ويؤمنوا له حاجاته ورغباته، دون أن يقوم هو بقضاء حاجة غيره، بينما في أحيان أخرىٰ يكون علىٰ العكس من ذلك.

وقد نجده يميل إلىٰ العزلة، رغم رغبته بامتلاك حياة اجتماعية، وحشرية وحب اطلاع شديد تجاه بعض الأمور، رغم إهماله لأمور أخرىٰ.

هذه الأمور التي قد تطرأ علىٰ الطفل خلال مرحلة النمو، وخاصة في مراحل التي تطرأ فيها على بدنه تغييرات. وعلىٰ الوالدين أن لا يقلقوا من ذلك، أو يواجهونه بجد. وعلىٰ المربين أن يعطوا الطفل فرصة ليمارس طفولته، بل عليهم أن يتصابوا له أحياناً حسب وصايا رسول الإسلام، ويسمحوا له بعبور هذه المرحلة إلىٰ أن تخمد تلك الزوبعة.

لكن ذلك لا يعني أن نترك الأطفال نهائياً، أو أن نتغاضىٰ عن جميع أفعالهم لأنهم أطفال. بل ما نريده هو أن لا يتوقعوا منه أن يسير على صراط مستقيم خلال هذه الفترة. أما إذا كان تصرف الطفل قد يؤذيه أو يؤذي غيره، أو يتفوّه بكلام بذيء لا يحتمل، عندئذٍ لا بد من تحذيره ومنعه من ذلك.

مرحلة ما قبل البلوغ:

إن البلوغ لدى الإنسان يتم بشكل تدريجي علىٰ عكس ما يحصل لدىٰ الحيوانات، فهو يمتد لدىٰ الذكور إلى (١٥) عاماً، ولدىٰ الإناث أقل من ذلك بقليل. لكن مقدمات البلوغ تبدأ من السنة التاسعة، وبعبارة أخرىٰ فإن الأطفال يدخلون في هذه السنين (٩ ـ ١٤) مرحلة تنتهي بالبلوغ الطبيعي، والتهيؤ أو التأهل ليصبحوا آباءً وأمهاتٍ.

هذه المرحلة من عمر أبنائنا هي مرحلة صعبة وترافقها تغيرات وتحولات في التعامل، ويواجه فيها المربي العصيان والانحراف والغضب وحب الاستقلال والنشاطات والجهود الزائدة لدىٰ الطفل، وتصل تلك الحالة إلىٰ

أوجها في أواخر مرحلة البلوغ. ففي هذه المرحلة تبدأ مواجهة الطفل لوالديه، وقد يقف أحياناً بجد في مقابلهم. وهذا يعني أن نلحظ خلال عملية الإصلاح هذه التصرفات. وبعبارة أخرىٰ فإن التعاليم والأفكار المغلوطة تكون في هذه المرحلة أكثر تأثيراً في إيجاد الانحراف لدىٰ الطفل، لكن ليست كل مخالفة وانحراف بسبب التعليم المغلوط، بل إنها ترتبط أحياناً بحالة النمو.

ولا بد هنا من الإشارة إلىٰ أن الطفل إذا تربىٰ تربية حسنة، وكان ذهنه وروحه مهيئان للحياة، فسيعبر هذه المرحلة بهدوء وسكينة أكثر من الطفل الذي اكتسب من ثقافته ومجتمعه الشقاوة والكذب والخيانة.

الوراثة:

في بعض الأحيان نضطر إلى الأخذ بعين النظر الصفات والخصائص التي اكتسبها الطفل من والديه وأجداده بشكل وراثي ومن خلال رابطة الدم، علينا أن نكتشف ذلك لنعرف جذور وعلل الإنحراف ونسعىٰ للتأهيل.

إننا لا ندّعي أن هناك أحداً شريراً بذاته، أو أنه أتىٰ إلىٰ هذه الدنيا وهو غير سليم، أو أن أبويه كانا مجرمين فورث ذلك عنهما، لكن ما نريد أن نقوله هو أن الأعمال السيئة وشر الوالدين وشقاوتهما لا بد أن تترك أثراً علىٰ الطفل، وقابليته نحو الانحراف والأعمال المخالفة أقوىٰ.

وقد تكون الجوانب الوراثية علىٰ شكل نقص عضوي في الطفل، خاصة إذا كان له تأثير علىٰ روحية الطفل، أو قد تكون علىٰ شكل نزيف دماغي أو عوارض قلبية، ويتم معالجتها طبيّاً، لكن لها تأثير علىٰ تعامله.

نواقص البدن:

من جملة الأمور التي تؤثر في الإنحراف والأعمال المخالفة لدىٰ الأطفال وجود نقص وضعف جسدي لديهم، مع الأسف أن مجتمعنا ما يزال

يعتبر أن الأشخاص الذين يعانون من نقص أو ضعف في أعضاء أجسادهم أفراداً مذنبين أو مقصّرين، بل إنهم إذا وقع شجار بين شخصين، نراهم يعيّرون الشخص الناقص الأعضاء بنقصه.

ولهذا الأمر جذور قديمة عجيبة، بل حتى أن بعض الناس اعتادوا أن يعتبروا ناقص العضو ملعوناً، وجرىٰ بينهم مثل «كل ناقص ملعون» في حين أن ذلك لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة. فالشخص الذي تعرض خلال حياته إلى نقص في أعضاء جسده لحادث أو لثقافة مغلوطة أو بسبب المحيط، دون أن يكون مقصراً في شيء يجب أن لا يعيّر أو يلام علىٰ ذلك.

إن توبيخ الشخص المبتلىٰ بنقص في أعضاء جسده، أو اظهار الترحم عليه، أو إظهار محبة زائدة نحوه، أو مناغاته بشكل مؤذٍ، كل ذلك مما يؤدي إلىٰ خروجه عن طوره، ويدفعه إلىٰ إساءة الظن بالحياة وبكل ما يرتبط بها، خاصة عندما يكون ذلك النقص يعود علىٰ الشخص نفسه بالعناء والألم، ويضغط عليه روحياً.

من الناحية التربوية يجب أن لا يلتفت نظر الطفل إلى نقص عضوه تحت أي ظرف من الظروف، أو أن يتم تذكيره بالنقص، إلا إذا كان ذلك لهدف بنّاء، أو لتشجيعه علىٰ قبول العلاج والإصلاح.

أحياناً يكون النقص الجسدي مصحوباً بعيوب روحية وأخلاقية، فمثلاً الشخص الذي يعاني من شلل في يده ورجله قد يصل إلىٰ درجة يعجز فيها عن تحمّل الأمر، ويفقد توازنه، أو يثور عصبياً، أو يلجأ إلى العصيان، أو إلىٰ الانحراف، أو تزداد طلباته، أو يتوقع من الجميع مساعدته، أو يتغنّج.

علىٰ الوالدين والمربين أن يداروا هكذا أطفال أكثر من غيرهم، وأن تكون توقعاتهم من هكذا أطفال متناسبة مع إمكانات أولئك الأطفال وقدراتهم، وإذا غضبوا من الطفل المبتلىٰ أو انزعجوا منه أو أرادوا معاقبته

عليهم أن لا يستخدموا مرضه وبلواه وضعفه وسيلة من خلال تذكيره بها، وأن لا يستخدموا ذلك من أجل إطفاء نار غضبهم. وأهم من ذلك أن يعملوا علىٰ تقوية روحيته، ورفع معنوياته، وأن يفهموه أن النقص أو الضعف الذي يعاني منه أمر بسيط وصغير.

طريقة عمل الغدد:

للغدد الداخلية دور أساسي ومصيري في البدن. فالترشح غير المتوازن لتلك الغدد يؤدي إلىٰ الإضرار بسلامة الطفل وتعامله، فمثلاً إذا كان ترشّح غدة التروئيد أكثر من الحد المطلوب يصبح الشخص عصبياً وسريع التأثر، ويعاني من ضغط نفسي.

النمو البطيء والناقص يؤدي أحياناً إلىٰ مضاعفات نفسية كثيرة من الميل إلى العزلة، أو العيش بعيداً عن الأجانب، أو عدم الاهتمام بالأحاسيس، أو حصول حالات عاطفية معينة قد يعبّر عنها بالمخالفة وغير الموزونة. فكثير من تلك العوارض تعود إلىٰ طريقة عمل الغدد. في هذه الحالات يراجع الطبيب أو الطبيب النفسي ليقدم لذويه الإرشادات اللازمة، لينقذ الطفل من الوضع الذي فيه.

التعب:

الأطفال الذين يتعبون كثيراً بسبب نشاطهم اليومي، ويفقدون طاقتهم وحركتهم يصابون بحالة عصبية يفقدون خلالها السيطرة علىٰ أنفسهم، بسبب انتشار السموم في الجسم إثر النشاط الزائد، فيؤدي ذلك إلىٰ حالة تنبلة وخروج عن الطور.

وأحياناً يؤدي التعب إلىٰ بروز الخوف لدىٰ الطفل، أو يسلبه الطمأنينة والهدوء والنوم، وقد يسبب له الاضطراب، أو يفقده رغبته بأُمور كان يرغب

فيها، أو يجعله عاجزاً تجاه قضايا ومواقف فردية، وأخيراً يظهر إنحرافاً أو تصرفاً مخالفاً.

من الواضح أن استراحة بسيطة، أو شرب قهوة أو شاي، أو تقوية الدوافع، أو تنظيم برنامج النوم يخلص الطفل من ذلك الوضع. أما إذا استمرت تلك الحالة عندئذٍ يراجع الطبيب لمعرفة السبب ومعالجته.

الأمراض:

الأطفال الذين يصابون بمرض يفقدون عادة توازنهم، خلال مرحلة المرض أو خلال النقاهة منه. كما أن العفونة الدماعية، وأمراض الصرع، وتلف الأعصاب كلها تؤدي إلىٰ إيجاد فوضىٰ وعدم توازن لدىٰ الأفراد. ذلك لأن قدرة الطفل علىٰ التحمل محدودة، ولا يمكنه أن يتزن بوجود تلك العلل.

فالطفل المريض جسدياً وضعه غير اعتيادي، ومن الطبيعي أن تصدر عنه أعمال مخالفة، وأن تسوء عشرته، وأن تزداد لجاجته، وأن يقل اهتمامه بالأحاسيس والحوادث من حوله. لكن العناية الناقصة أو المفرطة بالطفل أثناء المرض قد تجعل تلك الحالة دائمة لديه.

كما أن الأمراض القاسية مثل الحصبة والجدري وحصبة الماء أو الجراحة تترك آثاراً جسدية علىٰ الطفل، إضافة إلى آثار نفسية، إنها تهيء الطفل للقيام بعمل غير متزن وغير صحيح، لهذا فإن مراقبة الطفل أثناء المرض والعناية به أمر ضروري لسلامته وتوازنه الجسدي والنفسي.

الوضع الجسدي:

إن الوضع الجسدي للطفل، وضعفه أو قوته، جمال وجهه أو قبحه، كل ذلك يؤثر في صدور الأحكام عليه، فالناس عادة يحكمون علىٰ النحيل أو

النحيف بأنه ضعيف وعاجز، كما يحكمون على البدين والضخم بأنه قوي. هذه الأحكام بذاتها تؤدي إلى تهور الطفل واستعراضه لقدراته والقيام بأعمال عنيفة، والطفل ذو البنية القوية إذا لم يُربَّ تربية حسنة فسيستغل قوته للإعتداء على الآخرين، وسيصيبه الغرور.

والطفل الجميل والذي يحسّ بجماله يصبح عادة طفلاً مدللاً ومغنجاً، أو مغروراً. وتصرفه هذا هو عمل غير موزون ولا أخلاقي. وهكذا الأمر بالنسبة لمن يمتلك نقاطاً إيجابية أخرى، أو سلبية أيضاً.

على هذا فإن الوضع الجسدي للطفل من قدرة وقوة جسدية قد تجعل منه طفلاً لا أخلاقياً أو مخالفاً ومنحرفاً. فالمهم في التربية هو توجيه الطفل بأن يستفيد من النعم في طريق الخير والصلاح لنفسه وللآخرين، لا أن يستغلها في أذيتهم.

الحاجات الجسدية:

إن للطفل حاجات جسدية أو فسيولوجية، فالجوع العادي أو العطش البسيط يؤدي أحياناً بالطفل إلى العصيان والمخالفة، ويدفعه نحو التهجم والعراك، وهذا ما لا يحبه الوالدان أو المربون، لكن إذا تم تأمين تلك الحاجات بشكل كاف ومتعادل، فستساهم بشكل غير مباشر في إصلاح الطفل وتأهيله.

وهناك موارد أخرى في هذا المجال لم نذكرها رعاية للإيجاز.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

العلل والأسباب النفسية

إن كثيراً من الأعمال غير الموزونة واللاإجتماعية كالسرقة والكذب والتعامل السيء تعود لوجود مشكلات وفوضىٰ نفسية. فالإحساس بالبؤس والحقارة والنقص العاطفي والضغوط والحاجة وانعدام الأمن، كل ذلك يؤدي إلىٰ وجود مخالفات وانحرافات، قد لا يمكن تحملها أحياناً. فالطفل في ظل الآلام النفسية يعيش وضعاً لا يتمكن معه من إظهار ما يعاني منه، بل وحتى لا يدرك السبب.

فعندما تصبح حياة الطفل ساحة انعدام الأمن، ويحس أنه متروك ومستبعد أو منسي، يصاب بآلام نفسية، ويبتلىٰ بسيرة يعجز أهله عن تحملها. لهذا لا بد من اكتشاف سبب مخالفته تلك، ومعالجة السبب.

إن الضربات النفسية التي تكال للطفل توجد لديه مخالفات وفوضىٰ، تظهر على شكل فقدان الشهية، مصّ الأصابع، التبول ليلاً، عدم الاستقرار والسيطرة على النفس، الاستسلام، المواجهة، الهجوم، الحيل والمكر، التمارض، اللجوء إلى الأمور السيئة، الهرب من المشاكل، التخيّل، الرياضة المفرطة، المنامات المزعجة، تحقير الآخرين ولومهم، الإفراط في التسلط، الإكثار من الحجج، العودة إلى طفولة أصغر كالبكاء والضجيج، إنكار الواقعيات، وما شابه ذلك.

نريد أن نقول إن ظهور أي من الحالات المذكورة آنفاً لدىٰ الأطفال تدل علىٰ وجود قلق لدىٰ الطفل يضغط عليه نفسياً، وعلامة عن عدم استقرار نفسي، وهذا الأمر ناتج عن عوامل وأسباب منها:

الحرمان والحاجة:

للأطفال حاجات مثل سائر الأشخاص، إنهم بحاجة إلى الأمن، ولتحقيق رغباتهم، واحترامهم، إنهم بحاجة للطعام، واللباس، واللعب، وللمحبة، ولبلوغ الكمال، وهم في بيان حاجاتهم تلك دقيقون جداً على عكس ما نتصور.

فالأطفال يبينون ما يريدون وما يحتاجون أحياناً بالكناية والرمز، فإذا لم تقضَ حاجاتهم تلك، لا يمكن تأهيلهم. وإن كثيراً من الانحرافات والتخريب والأعمال الشريرة تعود لحاجة لم نقضها للطفل، أو رغبة لم نعالجها. فالأطفال الذين لا يتلقون عناية كافية، أو يفتقرون إلى رعاية الوالدين ودعمهم، أو محرومين من نعمة الأسرة لا يمكنهم أن يلتزموا سيرة عادية ويتصرفوا بشكل طبيعي، بل سيبقون ضعفاء تجاه قضايا الحياة.

فالأطفال الذين حرموا من وجود أخ أو أخت، أو لا يجدون في البيت من يلعبون معه، وبعبارة أخرىٰ الطفل الأوحد في الأسرة لا يكون وضعه عادياً وتصرفه طبيعياً وطريقة معالجته وإصلاحه هي إيجاد أخ أو أخت له، أو من يلعب معه.

فالأطفال الذين يغيب عنهم آباؤهم وأمهاتهم، أو الذين يرون ميلاً شديداً من قبل الوالدين نحو من هم أصغر منهم، ويعتبرون أنفسهم مهملين، أولئك الأطفال يكونون عادة غير موزونين.

النقص العاطفي:

إن النقص العاطفي بحد ذاته علة من علل المخالفة والإنحراف. فالطفل يحتاج لحب والديه له وتعلّقهم به، وعندما لا يجد منهما ما يتوقعه من حب واهتمام، يقوم بأعمال غير محسوبة.

استناداً إلى الإحصاءات التي أجريت علىٰ الأطفال المنحرفين أو سيئي التصرف تبين أن نصفهم كانوا يسعون ليحبهم الآخرون، وأقل من النصف بقليل كانوا يسعون ليكونوا محبوبين. فعندما يهمل الوالدان طفلهما عاطفياً، أو عندما يسلّمانه إلىٰ المربية أو الخادمة، أو المرضعة، فرغم أنها ستشبعه من الطعام، لكنه سيبقىٰ متعطشاً للغذاء العاطفي والروحي. فتظهر منه حالة هيجان أو عدم تقيد، وتؤدي به تدريجياً إلىٰ الطغيان والعصيان.

فالمحبة غير المدروسة للأم، وقلة الحنان للأب، واهتمام الوالدين الزائد بأمورهما الخاصة، دون أن يحسبا للطفل حساباً ينتج نقصاً وحاجة لدىٰ الأطفال نجد تجليها من الناحية العاطفية علىٰ شكل عامل تدميري للطفل.

التمييز:

إن كثيراً من الأطفال يعانون من التمييز وعدم المساواة داخل الأسرة والمجتمع. فكما نعلم أن بعض الأسر تحب الصبيان أكثر من البنات، كما أن البعض الآخر علىٰ العكس من ذلك. فيرىٰ الطفل أن هناك اهتماماً أكثر بطفل آخر هو ظاهرياً مثله، وإن كان قد لا يذكر ذلك بلسانه، لكنه يرىٰ فيه تمييزاً وعدم مساواة، وهذا الأمر بحد ذاته يؤدي إلىٰ ظهور المخالفات منه.

وفي بعض الأحيان تعتبر الأسرة أن الإبن الأكبر أو البنت الكبرى سبب أو في تقصير شريكان من هم أصغر منهما، أو يلامان دائماً عند حصول شجار مع من هم أصغر منهما، ويعتبران أنهما السبب، فيقعان في مواجهة دائمة مع والديهما، فيوبخانهما أنه لو لم يكن منكما كذا وكذا لما حصل

لأخيكما كذا. في حين يعفىٰ الأصغر من التوبيخ فقط لأنه صغير ولا يدرك الأمور. ويتسع ذلك ليطال المدح والثناء والشجيع والمواساة والحنان غير المدروس حتى يصل الأمر إلى درجة أن طفلاً من نفس الوالدين وفي نفس الظروف والأوضاع يشعر بالحرمان.

والأطفال أمام هذه الحالة لا يستطيعون أن ينتقموا لهذا التمييز الحاصل بشكل صحيح، لهذا يتحركون بشكل غير مدروس، فيرون أن الإنتقام من والديهم يكون بالقيام بأعمال مخالفة، أعمال تزعج الأهل، أعمال قد تجر علىٰ الأهل ندماً وتحرق قلوبهم، أو أنهم رغم حبهم لأمور يحبها آباؤهم وأمهاتهم، لكنهم يظهرون عدم حبهم لها.

الإفراط:

ليس نقص العاطفة والمحبة تجاه الطفل هو السبب الوحيد لبروز المخالفات وعدم الإتزان لدى الطفل، بل أحياناً يكون الإفراط في المحبة والعاطفة دون خطة وحساب هو السبب في ذلك، فجملة «تقبرني» أو «ليتني أفديك» وما يعادل ذلك من جمل باللهجات العامية، وإطلاقها باستحقاق ودون استحقاق يدفع الطفل للإحساس بأهمية مفرطة لنفسه، أو يدخل المحبة والاهتمام الزائد بحساب عظمته وقيمته، فيظن أنه مهم إلى درجة لن تستقيم شؤون الأسرة إلا بوجوده.

مثلاً الطفل الأول في الأسرة الذي هو ثمرة الحب والعشق للسنة الأولىٰ من الزواج، هذا الطفل الأوحد يتلقىٰ عادة محبة وعطفاً وإقبالاً وتشجيعاً كبيراً من الزوجين الشابين، فيكون مثله كمثل الوردة التي تسقىٰ بماء أكثر من حاجتها. حيث يغض الطرف عن زلاته، ويؤمّن له كل ما يريد، فيترعرع كطفل أناني، وكثير التطلّب، متجاوز للحدود، حتى يصبح تدريجياً عضواً فاسداً في المجتمع.

فالأم التي تربي إبنها ليكون دوماً في أحضانها، وتدلله كثيراً، وتثير كل ما حولها إذا تململ من أي شيء، إذا عطش أو سعل ضربت رأسها وصدرها خوفاً عليه، مثل تلك الأم التي تسعىٰ من وراء اهتمامها الزائد أن تؤمن خير ابنها وصلاحه وسلامته وصحته، عليها أن لا تنسىٰ أن اهتمامها الزائد ذاك سيؤدي فيما بعد إلىٰ بلاء لها ولطفلها. علىٰ الوالدين أن يتعاملا مع طفلهما ضمن الحد المقبول الذي عينه لهما الشرع والعرف، أن يرفقا به إلىٰ حد معيَّن، لا أن يفهماه أنهما تحت أمره، وانهما خدام له، قد شمرا عن سواعدهما لتأمين حاجاته، وأن يستبدلا دور التربية والرعاية بدور الخدم والتملّق، فسيجرّ عليهما ذلك المصائب والمتاعب.

الخوف والإضطراب:

وقد تبرز المخالفات لدىٰ الطفل أحياناً بسبب ابتلائه باختلال نفسي وخوف واضطراب. فعندما يخاف الإنسان من شيء يبادر لمواجهته قبل أن يصله منه ضرر. مثلاً يخاف من الأفعىٰ، لذا يبادر إلىٰ قتلها عند رؤيتها دون أن تمسّه بسوء.

لهذا فإن الخوف قد يدفع الطفل إلىٰ ردة فعل غاضبة أو انفعالية تظهر على شكل مخالفة أو انحراف وعدم اتزان. وهكذا الأمر بالنسبة للمضطرب فهو قلق دون أن يدرك سبب قلقه، وكذا الحسود الذي لا يجد سبيلاً للقضاء علىٰ من يحسد.

الخوف والاضطراب عادة يأتيان بشكل متتابع، وقد ينشآن عن وجود قوانين صارمة داخل البيت، أو من الفوضىٰ داخل الأسرة، أو من وجود تمييز بين الأبناء، أو من اختلاف الوالدين، أو من الإحساس بالحاجة والنقص، أو من الإحساس بالخطر أو تصوره. كما أن المنامات المرعبة والكوابيس تتعب الطفل نفسياً. وأحياناً حاجة الطفل المثالية تدفعه إلىٰ الكذب، وإطلاق

التهديد، أو التلوّن، أو استعمال شخصيتين.

إن الأهوال والخوف الشديد والمستمر لدىٰ الطفل تؤدي إلىٰ مخالفته وانحرافه، بل قد تؤدي أحياناً إلىٰ شلله أو خرسه أو تأتأته، بل وحتى إلىٰ عماه، فالاضطراب الطويل والخوف الشديد قد يوجدان اختلالات نفسية وتصرفات غير عادية.

الإحساس بالضغط الشديد والوضاعة:

من الأسباب المهمة للمخالفات أو التصرفات اللاإجتماعية وجود إحساس بالوضاعة لدىٰ الطفل، أو الضغوط التي لا يتحملها.

فالإحساس بالحقارة لدىٰ الأفراد يدفعهم في المستقبل إلى إظهار القوة أمام الضعيف، وإحساس الطفل أنه مستخدم ذليل قد يدفعه في المستقبل إلىٰ التأمر علىٰ من هم دونه والتجبرّ.

التنافس والمسابقات التي تفرض علىٰ الطفل ولا يخرج منها منتصراً، والضربات والصدمات النفسية التي لا يتوقعها ولا يتحملها، والاخفاقات النفسية تتحول إلىٰ تصرفات غير موزونة لدىٰ الطفل، وتنغّص عيش والديه.

فعندما يتعرّض الطفل لضغوط خارجية شديدة، أو عندما يرىٰ أن والديه يصرّان على أن يكون في مستوىٰ غيره، لكنه يرىٰ استحالة ذلك عملياً. وعندما لا يحرز الطفل رضا والديه مهما فعل، أو يجد أن قوانين البيت صارمة جداً، عند ذلك قد يخرج الطفل عن وضعه الطبيعي، ويتخذ سيرة لا اجتماعية. وقد يمرض أحياناً مرضاً شديداً، أو يصاب بالتقيّؤ، أو بنوبة خوف وفزع، أو يتخلىٰ عن واجباته، أو يفقد ثقته بنفسه. وقد يصاب بخلل في حواسه، أو تظهر لكنة في لفظه، أو يصبح وسواسياً متردداً، أو تظهر عوارض أخرىٰ في شخصيته أو نفسيته.

فقدان الأمن:

الطفل يحتاج إلى محيط آمن ومستقر ليستمر في حياته وينطلق، إنه يريد أن يكون مطمئناً أن والديه يحبّانه ويدعمانه، وأنهما سيعينانه عند مواجهته للمشاكل والصعاب، وأن بيته هو مكان الراحة والإطمئنان.

فإذا وقعت حادثة أدت إلىٰ تحول عالم الأمن والسلامة هذا إلىٰ مكان دهشة ووحشة، ولم يكن الطفل يمتلك ليونة كافية لتحملها أو قوة لمواجهتها. وعندما يشعر الطفل بانعدام الأمن في بيته، ويظن أنه فقد محبة والديه، فمن الطبيعي جداً أن يخرج عن طوره، وأن يقع في الوهم أحياناً.

فما أكثر الأطفال المنحرفين والمخالفين وسيئي التصرفات واللا إجتماعيين بسبب إحساسهم بانعدام الأمن، يرون أنفسهم في جو غير آمن، أو أن راحتهم وهناءهم معرّضان للخطر الجدي، أو أن غيرهم قد استولىٰ علىٰ محبة والديهم، فأهملوهم، أو أن شخصيتهم وكرامتهم معرضة للهدر، أو أنهم فشلوا في أمر ما ولا يمكنهم أن يكونوا كما يريدهم أهلهم.

الطفل الذي يضطر لصب كل اهتمامه علىٰ دروسه وفروضه، فيحرم من اللعب، إنه طفل لا يعيش الأمن المطلوب. وكذلك الطفل الذي يصبح جل اهتمامه وتفكيره مرتكزاً على الحصول علىٰ علامات جيدة، ويقحم نفسه في كل شيء من أجل تحقيق ذلك، إنه طفل فاقد للأمن المطلوب.

حب الظهور:

الأطفال بحاجة للظهور والاستعراض أكثر من الكبار، إنهم يسعون إلىٰ الظهور وإثبات قدراتهم ولفت النظر إليهم والاهتمام أكثر بهم وكسب محبة الكبار من خلال استعراضهم لفنونهم، والإنشاد بصوت ولحن جميل، وإظهار حفظهم لمقاطع، والحصول علىٰ علامات جيدة. كما أن كثيراً من قلة الأدب والتخريب يصدر منهم بهدف لفت النظر إليهم، فالطفل يسعىٰ ليقول

كلاماً جديداً، وأن يظهر قدرته لأن في ذلك لفت انتباه واهتمام الآخرين به.

من البديهي أن إخفاق الطفل في محاولات الظهور تلك تولّد لديه عقدة، فيسعىٰ إلىٰ الانتقام، ومن طرق الإنتقام التصرف بشكل لا إجتماعي. لهذا فمن الضروري للطفل أن يمارس حبّه للظهور، وأن يتعاون الأهل معه في ذلك ما دام الأمر لا يصل إلى حد الابتزاز والرشوة.

قضايا أخرىٰ:

من القضايا الأخرىٰ في هذا المجال، والتي قد تسبب ظهور مخالفات لدىٰ الأطفال وعدم اتزانهم: الخجل، حب الاطلاع، السعي للتفوق، التخيل، الآمال الكاذبة، اليأس، عدم التمكن من التغلب علىٰ الرغبات، الالتزام المزدوج، وجود قيم غير مناسبة، ملاحظة اهتزاز قرارات الوالدين، وغير ذلك.

إن حب الإطلاع لدىٰ الأطفال في بعض مراحل نموهم يؤدي إلى بروز المشاكل، كما أن إنشغال الوالدين يجعلهما لا يوليان طفلهما الاهتمام الكافي، فيحرم الطفل من محبة وحنان والديه، وهذا ما يسبب وجود مشاكل تربوية.

هناك عشرات القضايا التي تنذر بالخطر عند وقوعها مثل: الضغوط المعيشية، وتشوش الأفكار، عدم الرضا والتململ، عدم كفاءة الوالدين، الحريات المطلقة، المهاترات والصراعات داخل البيت وخارجه، الطلاق والانفصال بين الوالدين، العجلة في اتخاذ القرارات، وهذه الأمور كلها تؤدي إلى سوء الخلق وانحرافات في حياة الطفل. وإذا لم تعالج وترفع الأسباب فستنعدم إمكانية تأهيل الطفل وإصلاحه.

* * *

الفصل الثالث

الأسباب الاجتماعية والثقافية

إن كثيراً من المخالفات والانحرافات والتصرفات السيئة والجرائم لدىٰ الأطفال ناشئة عن قضايا المحيط الإجتماعي. فعندما يتصرف الطفل بتصرف مخالفٍ للأخلاق فإن أحد أسباب ذلك يعود إلىٰ أن والديه ومجتمعه قد أوصدوا في وجهه باب الصلاح، ولم يدعاه ينمو بالشكل المطلوب. وفي هذا الفصل سنبحث باختصار بعض العلل والأسباب التي أشرنا إليها:

أ ـ القضايا المتعلقة بالوالدين:

للحد من الانحرافات والمخالفات لدىٰ الأطفال، لا بد من أن نتوجه في البداية نحو الوالدين وننظم الصورة عندهما. ونذكر في هذا المجال عدة أمور هي:

١ ـ أسلوب التربية:

إحدىٰ المشكلات التربوية في مجتمعنا هي أن كثيراً من الآباء والأمهات عندنا لا يعرفون الأساليب الصحيحة في التربية، ولا يعلمون ماذا يفعلون عند مواجهتهم لأي وضع خاص يطرأ علىٰ الطفل.

فبعض الآباء والأمهات يعتمدون في تربيتهم لأطفالهم علىٰ نظرية (دع

الطفل يعيش طفولته، فالعناء الكثير ينتظره فيما بعد) لذلك يتركون أبناءهم يفعلون ما يحلو لهم. وهذا الأسلوب في التربية ناشىء عن محبة غير مدروسة، ويحاول الأهل من خلاله أن يجنبوا طفلهم التجربة التي عاشوها هم.

وفي المقابل هناك بعض آخر يعتمدون فكرة معاكسة، فيهدرون كرامة طفلهم عند ارتكابه للخطأ والزلل دون الالتفات إلىٰ عواقب هذا الأسلوب التربوي الخاطىء، فعند أي قضية جزئية يؤدي تأديبهم له إلى البكاء والخجل، ويعتبرون أن صدور هذا التصرف من الطفل أمر مشين لهم. ويؤدي تصرف الأهل بهذا الأسلوب إلىٰ إحساس الطفل بالضغط والاضطراب أو الحقارة وفقدان الأمن. وأنه مظلوم وأدنىٰ من باقي الأطفال.

هذه الفوضىٰ والسذاجة غالباً ما تحدث خلال تربية الأسرة لطفلها الأول، لأن تجارب الوالدين قليلة، وأسلوبهما ما يزال غير مدروس. أما أولئك الذين يسعون إلى أن يتعقلوا أكثر، فيسلّمون أبناءهم إلىٰ مربي دور الحضانة، وأحياناً إلىٰ أقسام داخلية، ملقين همَّ تربية أطفالهم علىٰ عواتق غيرهم، فإنهم يقعون في خطأ أكبر.

على أي حال قد يكون الأسلوب التربوي المستخدم من قبل الوالدين أو المربين أسلوباً غير مدروس وغير معقول، ويوجد في الطفل حالة من الطغيان والانحراف، وفي هذه الحالة لا معنىٰ لتأنيب الطفل وتوبيخه علىٰ فعله ومخالفته.

٢ ـ العلاقات الخاطئة:

عندما نستعرض أسباب وعلل كثير من المخالفات والانحرافات لدىٰ الأطفال نجد أنها تعود إلى العلاقة العدائية الحاكمة بين أفراد الأسرة، وإلى الجو المشحون بالعداء داخل البيت. فوجود علاقات غير سليمة داخل البيت بين الزوجين يعد من العوامل المهمة لسوء الأخلاق والتصرف لدىٰ أبنائهم.

من ناحية أخرىٰ فإن الاختلافات والمواجهات والتعامل غير السليم للأهل يشكل تهديداً للحياة العاطفية للطفل. وتهيىء الأرضية المناسبة لعدم توازن الطفل نفسياً، وتكون درساً سيئاً لمستقبلهم. فالطفل الذي يعيش في أسرة مقبلة علىٰ الإنفجار، والطفل الذي يرى نفاق والديه وتفرقهما، والطفل الذي يترعرع في جو عائلي متشنج دوماً، لا يمكن أن يكون طفلاً موزوناً وطبيعياً.

ففي ظل خلل الحياة العاطفية للطفل، يحس الطفل بالخطر، وقد يرسم خطة مشؤومة وخطرة لتأمين حياته، فيفر من بيته مثلاً، أو يواجه والديه مباشرة.

كما أن كثيراً من مخالفات الأطفال وفتنهم وغوغائهم تعود لكونهم عاشوا داخل أسرة فوضوية، مثلاً انفرط عقد الأسرة بسبب طلاق الوالدين أو انفصالهما، أو أن الوالدين منصرفان إلىٰ عملهما مما جعل الأسرة تعيش حياة الفوضىٰ وانعدام الأمن الأسري. فالأطفال هم ضحايا مثل هذا الوضع، وأبواب الفساد والتحلل مفتحة لهم. وقد حمّل الإسلام مسؤولية مثل هذا الوضع للوالدين، وفي حال بلغ تقصيرهما ذروته ينحيهما الإسلام عن ولايتهما القهرية على أطفالهما، ويعيّن للأطفال من يرعاهم.

٣ ـ التعامل غير السليم:

لا ننسىٰ أن نسبة كبيرة من الأخلاق الحسنة أو السيئة لدىٰ الطفل تعود إلىٰ حسن التعامل معه أو سوئه. فالوالدان هما مثل وأسوة لأطفالهما، وهما دليل الطفل في حياته الحالية والمستقبلية، فكلما كان الوالدان هادئين صبورين ثابتين وقورين، كلما كان لذلك انعكاس إيجابي على أطفالهما.

علىٰ هذا علينا أن نبحث عن بعض علل سوء سيرة أطفالنا في سيرتنا وتعاملنا معهم. وأن نسعىٰ للبدء باصلاح أنفسنا، ثم نصلح أطفالنا. إن سعي

الأهل لإخفاء أعمالهم وسيرتهم عن أولادهم له تأثير كبير في تربية أبنائهم، لكنهم لن يتمكنوا دوماً من إخفاء ذلك عن أبنائهم، فيكفي أن يلاحظ الأطفال التعامل الخاطىء لوالديهم لعدة مرات ولو كان بالخفاء، ليزرع فيهم سوء التعامل.

المزاح المشين أمام الأطفال، ونوع علاقة المرأة وزوجها أمام الأطفال، والغضب، والغيبة، والكلام البذيء، والضحك غير الموزون، والرياء، وإظهار التأثر الزائد، والحب والحنان المفرط، كل تلك الأمور هي دروس سيئة للأطفال، وأرضية خصبة لإنحراف الأطفال.

ولهذا الأمر تأثير أكبر خلال السنوات الأولىٰ من حياة الطفل، لأن الطفل يعتمد في سنينه الأولىٰ على التقليد أكثر من أيّ مرحلة أخرىٰ، كما أنه يعتقد خلال هذه المرحلة بأن كل ما يقوله والداه هو صحيح ومن المسلّمات.

٤ ـ انشغال الوالدين وغيابهما:

في السنوات الأخيرة وقعت الأسرة عندنا تحت تأثير الحياة الغربية والصناعية، ونسيت أساليبها وتقاليدها. فمن المؤسف أن بعض الآباء يصرّون علىٰ قضاء معظم أوقاتهم خارج البيت بعيداً عن الأسرة. أو أنهم يمارسون أعمالاً تحرم أبناءهم من رؤيتهم والجلوس معهم. كما نرىٰ أن بعض الأمهات قد أهملن أطفالهنّ بسبب الأعمال الإدارية أو الإجتماعية، ليقضي أبناءهم ساعات طويلة مع الخادمات أو الحاضنات، مما يعد خسارة تربوية كبرىٰ.

علىٰ الآباء والأمهات الذين لا يهتمون بأولادهم لأي سبب وعلة، أو لا يمتلكون الفرصة الكافية لتربية أبنائهم أن يعلموا أن أبناءهم يتعرضون خلال غيابهم عنهم إلىٰ عوامل مضرة قد تؤدي بهم في المستقبل إلىٰ ارتكاب الجرائم والضياع، أو أنهم سيصابون بعقد من الحرمان قد تولّد فيهم سوء خلق وانحراف في جوانب مختلفة.

تشير الدراسات العلمية إلىٰ أن الأسباب الأساسية لانحراف الأطفال هي:

فقدان الأب أو الأم أو الاثنين معاً، غياب أحد الوالدين أو كلاهما عن الأطفال، وجود زوج الأم أو زوجة الأب وعدم وجود علاقة صحيحة لهما مع الأولاد، خصام الزوجين داخل البيت.

وقد يتواجد الوالدان في البيت، لكنهما ينشغلان بأعمال تجعلهما يسقطان حق الأطفال من حسابهما، أو يكونان عاجزين عن السيطرة علىٰ أبنائهما، مما يجعلهما في وضع المتخلي عن دوره. وفي هذه الحالة نجد نفس الآثار والأضرار والنتائج التي يتركها غياب الوالدين.

إننا نذعن أن ضرورات الحياة قد تستدعي من الوالدين أن يقضيا عدة ساعات في أماكن العمل، لكن علىٰ الأهل أن يعوضا ذلك بالإهتمام بالطفل عند تواجدهم داخل البيت، والأنس به. ونذكر هنا أن الأهل إذا كانوا يبذلون جهوداً إضافية من أجل تأمين المال للعيش في حياة مرفهة وتأمين الكماليات فإنهم يرتكبون بذلك خطأً جسيماً.

ب ـ القضايا المتعلقة بالمجتمع:

نحن وأطفالنا نتأثر بالمجتمع بإرادة ودون إرادة. فسيرتنا وطريقة تعاملنا وجميع القضايا الاجتماعية التي نرتبط بها فكرياً وذهنياً وقولاً وفعلاً متأثرة بالمجتمع. ولهذا الأمر أهمية كبيرة جعلت بعض العلماء يعتقدون أن شخصية الفرد ووجدانه الأخلاقي هما من نتاج المجتمع.

فأفراد المجتمع ومن خلال علاقتنا بهم وتعاملنا معهم ينقلون إلينا آدابهم وسننهم وطريقة تفكيرهم وقيمهم ووعيهم وطريقة استنتاجهم. وإذا كانت هناك عيوب فيما ذكرنا، فسنتأثر بتلك العيوب أيضاً، لكن التأثير لا يكون علىٰ الجميع بنسبة واحدة، فيتأثر فرد أكثر من آخر. ونشير فيما يلي إلىٰ القضايا التي لها تأثير أكبر علىٰ الأطفال:

١ ـ رفاق اللعب:

يتأثر الأطفال في بعض مراحل حياتهم بزملائهم وأبناء جيلهم أكثر من تأثرهم بوالديهم. حيث يعاشرونهم كثيراً، ويتوجهون سوياً إلىٰ المدرسة أو إلىٰ الرحلات، يبوح كلّ منهم بسرّه للآخر. فيكون دور وتأثير رفاق اللعب في بعض الحالات أكبر من الحد المتعارف، وذلك في الحالات التالية:

ـ عندما يكون هناك نزاع داخل الأسرة، ولا يوجد تفاهم بين الوالدين، في هذه الحالة يتوجه الطفل إلى أصدقائه ليكونوا موضع أسراره، فيشكو لهم، ويخفف عن نفسه بذلك، ويتأثر الأطفال بأصدقائهم وبمن يتقاسمون معه همومهم، وقد يتأسىٰ أحدهم بالآخر.

ـ عندما تنتقل الأسرة إلىٰ مدينة أخرىٰ أو منطقة جديدة، فإن علاقة الاسرة بمحيطها وبالجيران تحتاج إلىٰ وقت طويل بسبب الضوابط العقلية التي تحكمها، لكن الطفل لا ينتظر ذلك، بل يبادر بسرعة لإقامة علاقات صداقة مع جيله، ويضطر إلىٰ التحدث بلغتهم والتزام عاداتهم وأساليبهم ليقبلوه في جمعهم.

ـ عندما يبلغ الأطفال سن البلوغ والمراهقة وتحدث التغيرات في أجسامهم وأفكارهم، فإنهم يميلون نحو أصدقائهم وموضع أسرارهم، حتى لكأنهم ينسون والديهم، بل ويرفضون آدابهم وعاداتهم. وإذا بحثنا في جذور كثير من الانحرافات والمخالفات وإدمان الأطفال والمراهقين نجد آثار أصدقائهم ورفاق اللعب فيها.

فالمعاشرة غير السليمة، وعلاقة الطفل مع أشخاص غير صالحين أخلاقياً، ورؤيته لأعمال مخالفة للأخلاق منهم تعد عوامل مهمة في الانحراف والإعوجاج. إضافة إلىٰ وجود فريق من المفسدين والمضلّين الذين يسعون إلىٰ استغلال الأطفال لتحقيق أحلامهم غير المشروعة. لكن علينا أن

نعلم أن أقل نتيجة سلبية للعلاقات غير السليمة هي فقدان أبنائنا لملكة الأسرية والعائلية.

لقد ثبت علمياً أن الغضب والعصبية والحسد والبكاء والضحك والمرض وغيرها هي من الأمور الاكتسابية والمسرية. وعلاقة الطفل مع ذوي النفوس المريضة يشكل خطراً عليهم. لهذا فإننا نعتقد أن على الأهل أن يراقبوا علاقة أبنائهم بالآخرين ليتمكنوا من إصلاحهم يراقبونهم، كيف يتكلمون والعبارات الدخيلة، والعادات الدخيلة، وأين يقضون أوقات فراغهم، ومع من، وما هي طرق تسليتهم، ومع من يترددون.

٢ ـ المعلم والمدرسة:

ويتأثر أبناؤنا أيضاً بالمعلم وبالمدرسة وبالبرنامج وبالأسلوب التعليمي، وبالنصوص الدراسية. فالكتب الدراسية يمكنها أن تكون وسيلة إحياء للأطفال أو وسيلة تخديرهم، والمعلم والمدير يمكنه أن يكون بنّاءً أو هدّاماً، أما أطفالنا فإنهم يقعون أحياناً ضحايا لأخطاء وانحرافات الجهاز التربوي وأساليبه الخاطئة.

فالطفل يتعرف من خلال المعلم والبرنامج الدراسي على عالم آخر، فتعليمات المعلم والمدرسة قد تلهب فكر الطفل وروحه، وقد تسقطه وتلوثه. لهذا على الوالدين أن يعلما أين يضعان طفلهما وفي أي مدرسة، ولأي أيدٍ يسلّمانه.

فمن كان ينوي تربية إبنه تربية رسالية، وعلى أساس الأهداف الاسلامية يخطيء عندما يسلمه إلى مدرسة علمانية أو مدارس أديان أخرى أو يرسله إلى الخارج لدراسة المراحل الابتدائية أو المتوسطة.

فالتعامل المشين، والأسوة الخطأ، والأسلوب السيء كلها أمور يمكن أن تغيّر شخصية الطفل لتجعل منه موجوداً سيّىء الخلق ومنحرفاً. وأحياناً

يتصرف المعلم داخل الصف بشكل يجعل الطفل يحس بالحقارة والحياء، ويجعله يظن أنه لن يصلح أبداً.

على أي حال إن هذه العوامل المفسدة حتى لو صدرت عن أصدقاء غير واعين، لكنها تفسد فكره وذهنه وقلبه.

٣ ـ سائر أفراد المجتمع:

إن كثيراً من مخالفات الأطفال وانحرافاتهم الأخلاقية تنشأ عن سوء أخلاق أفراد المجتمع، فالبشر عامة والأطفال خاصة يتأثرون كثيراً بغيرهم، وبمن حولهم، وعليه فإذا كان أفراد المجتمع غير سالمين، لا يمكن توقع جيل سالم، لأنه ستسري إليه الانحرافات والمخالفات عن إرادة أو دون إرادة.

فالانحرافات والميول الفاسدة واللامبالاة وعدم الإلتزام بالقوانين والأعراف، وعدم الاهتمام بالقيود الأخلاقية، وتحلل الأخلاق، وفقدان احترام القوانين، وسوء الظن، والخصومة، والرياء، والتزوير في المجتمع كلها دروس سيئة لأطفالنا.

عندما لا تفكر المنظمات الاجتماعية المسؤولة بشؤون المجتمع، وعندما يكون أسلوبهم غير صحيح، فكيف نتوقع إصلاح أفراد المجتمع؟ فالأطفال يحتاجون إلى نماذج سالمة خلال مرحلة نموهم وتكاملهم، وإذا كانوا يرون أمامهم نماذج وأسوات فاسدة، فليس الأطفال هم من يجب معاقبتهم، بل لا بد من معاقبة تلك النماذج ومسؤولي المجتمع.

فما أكثر الأطفال المعرضين للسقوط والفناء بسبب النماذج السيئة التي كانوا يرونها. وما أكثر الأطفال المعرضين لخطر الإنحطاط الأخلاقي لأن محيطهم مليء بالإغواء والخداع. فمناظر مخالفة الأخلاق، ومخالفة العفة، والخمور، والجرائم العلنية، والتهتك، والحريات المطلقة كلها دروس سيئة لأطفالنا.

لهذا فإن المجتمع الإسلامي يقوم بمواجهة الفاسدين وفسادهم، ويحدد أطر العلاقات والمعاشرة، ويمنع المظاهر المسيئة للأدب، ويؤطر الحرية بقوانين، ويصلح التعليم ويقضي علىٰ التعاليم والعادات الخاطئة، ليفتح الباب واسعاً أمام تكامل الإنسان.

جـ ـ القضايا المتعلقة بوسائل الإعلام:

نقصد بوسائل الإعلام الإذاعة والتلفزيون والسينما والمجلات والصحف، وهي عوامل مؤثرة في بناء أو إفساد الحياة الأخلاقية للبشر عامة وللأطفال واليافعين خاصة. وهذه الوسائل تتغلغل إلىٰ داخل كيان الأسرة فتؤثر في طريقة التفكير، والعقائد، والملكات، والنظرة إلى الأمور، والأساليب.

فما أكثر القضايا التي تطرح عبر وسائل الإعلام العامة والتي تقضي علىٰ العطف والرحمة الإنسانية. فمن أسباب العنف لدىٰ الأطفال مشاهدتهم للأفلام التي تمجّد العنف، وتظهر القوة كصفة حسنة. وما أكثر الأمور التي تمسخ في وسائل الإعلام، فتمهد لانحراف الأطفال واليافعين.

فكثير من الأعمال الجنونية والجرائم والخيانات والأعمال المخالفة للأخلاق هي وليدة الأفكار والثقافة السينمائية التي تضع أبناءنا في واقع روحي غير سليم. والمجلات والصحف التي تنشر أحياناً أخباراً وصوراً فاضحة ومخزية، وتستعمل أساليب مبتكرة وقحة لإفساد الجيل الصاعد، وتؤدي إلىٰ انحرافه، وظهور ردود فعل لا إنسانية بين أفراده.

د ـ الأدب والفن:

إن كثيراً من المخالفات والانحرافات والتصرفات اللاإجتماعية تنشأ في ظل الأدب غير الملتزم، والفن الهدّام. فالشعر والنثر والكناية والأمثال يمكنها

أن تكون بناءة، كما تكون هدّامة أحياناً أخرىٰ. فبدل أن تدفعنا وتدفع أبناءنا نحو حسن النية والتقوىٰ والفضيلة والمثابرة نحو الأحسن، تشدنا نحو البطالة وسوء الخلق والتهتك.

إننا نجد في الأدب وخاصة الأدب العامي أمثالاً هدّامة مثل: لعيسىٰ دينه ولموسى دينه! أو إن أردت أن لا تفشل فسر مع السائرين، وغيرها من الأمثال التي تبث روح اللامبالاة والاستهتار وعدم الإحساس بالمسؤولية في المجتمع.

وهكذا الأمر بالنسبة إلىٰ الفن الذي يفترض به أن يوقظ الناس، نجده أحياناً وسيلة لتسلية الناس وتخديرهم. أو أنه بدل أن يعلم الناس كيفية مواجهة العدو والتكتيك والاستراتيجية، نجد أن التعرّي والرقص صار فناً.

لا بد من القضاء علىٰ كل ما أدخلوه في أذهاننا عن الفن والأدب المبتذل، وأن تمحىٰ من المجتمع ومن الأذهان مظاهر الفساد التي هي من آثار التجمّل وبطر الأثرياء.

القضايا الأخرىٰ:

من القضايا الأخرىٰ التي تعد من الأسباب الثقافية والاجتماعية للإنحراف:

العقائد والأساليب الفكرية الخاطئة، الأذواق السيئة، الحياة المصطنعة الناشئة عن عوارض الصناعة والآلة، الإفتقار إلى وجود الموازين والقوانين الإجتماعية، تساهل المسؤولين في الرقابة الإجتماعية، والكثافة السكانية العالية التي تؤثر في نسب الاهتمام.

* * *

الفصل الرابع
الأسباب السياسية

من العوامل التي تساهم في هدم النظام الأخلاقي لدىٰ الأطفال واليافعين عامل التربية والتعليم في المجتمع الذي وضع أسسه الجهاز السياسي الحاكم للنظام البائد، وعلىٰ أساس آراء وتوجهات عملاء الاستعمار وبالتعاون مع خدمهم المحليين وأحياناً بمساعدة جمع من غير الواعين.

فالنظام التربوي لأي مجتمع قد يعدّ الأفراد ويبلغ بهم طريق الكمال، ويهديهم إلىٰ أسلوب التعامل الحسن والتحرك الإيجابي. وقد يكون علىٰ عكس ذلك، فيكون عامل فساد وانحطاط للفرد والمجتمع. فبالتربية تتمكن من إعداد قوم أحرار أو عبيد، وبها يمكنك أن تزرع فيهم العظمة وغنىٰ النفس وطهارة القلب والخلق السامي أو تمهّدهم للخنوع والذل والأسر.

نظامنا التربوي:

منذ عشرات السنين وضع عدوّنا الخطط ليفسد أجيالنا. وعندما تقرر فتح المدارس الحديثة في بلدنا، استغل العدو الفرصة، وتحرك لهدم دعائمنا الدينية والأخلاقية.

فدخل أعداء الإسلام والمستعمرون إلىٰ مجتمعنا وبلادنا بمظهر المحب

للخير والمشفق، وتحت عنوان إصلاح المجتمع طرحوا ضرورة تغيير نظام التربية والتعليم، فعرفونا على مظاهر الصناعة والمدنية الغربية. من البديهي أن أولئك لا يريدون أبداً أن يكون مجتمعنا مجتمعاً حراً وحيّاً يتبع القوانين. ولا يريدون لنا أن نكون أصحاب رأي، وأن نكون عاديين وطبيعيين ومستقلين ومفكّرين، لأنه إذا حصل ذلك فلن يبقىٰ لهم موطىء قدم لاستعمارنا واستغلالنا.

لهذا فقد قاموا بالتعاون مع جمع من المسؤولين اللاهثين خلف التجديد والمفكرين المتأثرين بالغرب بإيجاد المدارس النظامية الجديدة التي رأينا وما زلنا نرىٰ آثارها.

الأهداف:

أولياء الأمور ومسؤولو النظام التربوي الجديد اعتبروا أن العلوم الطبيعية هي دليلنا في الحياة، متأثرين في ذلك بدعايات وإرشادات المخططين الغربيين ومديري المدارس الذين تم إعداد معظمهم في الدول الاستعمارية، واعتبروا أن التربية والتعليم هي الوسيلة للوصول إلى الماديّات.

وانصبت بذلك كل الجهود والاهتمامات نحو هذا الأمر، وأضحت الماديات هي الأصل، وتم نسيان المعنويات وكل ما يرتبط بالقضايا الإنسانية.

وليتهم تابعوا هدفهم المادي ذاك بشكل جيد وبنّاء وموجّه، لكن للأسف نجد أن ما قدموه للناس علىٰ أنه علم، لم يكن سوىٰ أمور نظرية وليست عملية، وفي النتيجة حصل الطلاب علىٰ الآداب والألقاب، لكنهم بقوا عاجزين عن كل ما يتعلّق بالبناء والإنتاج. وانتجت لنا المدارس والجامعات خريجين في العلوم التطبيقية يحملون اسم متخصصين، فاشلين في ساحة العمل الفردي.

على أي حال فقد نظمت أهداف التربية بحيث يدرس الطالب من أجل بيته وإرضاء أعزائه، دون أن يخطر في ذهن الطالب وفكره شيء من الأهداف الإنسانية السامية. فكان الإنسان مثله كمثل الحيوان، ونحيت الأخلاق والإنسانية جانباً.

محتوىٰ التربية:

أما المحتوىٰ التربوي فقد كان معداً لتسلية الطلاب، وتعليمهم أموراً لا قيمة لها، دون أي ذكر واهتمام بطريقة العيش وآداب المعاشرة والأخلاق والحاجات الأساسية للمجتمع الإنساني.

كان المحتوىٰ التربوي منصباً علىٰ دفع الطلاب نحو طريقة الحياة الغربية، وليته بلغ بهم الحياة الغربية. فرغم كثرة المفاسد في الحياة الغربية هناك بعض الأمور الإيجابية، لكن ما بلغه طلابنا كان ظاهر الحياة الغربية، لقد أعدوا الطلاب ليلبسوا كالغربي، ويأكلوا كالغربي، ويتعاملوا كالغربي، ليتقبلوا مظاهر المدنية الغربية وتقاليدها وحركاتها.

سعىٰ المحتوىٰ التربوي أن يعيش الأطفال يومهم بالفرح، دون أن يفكر في مستقبل أولئك الأطفال. فكان الطلاب إذا ما أنهوا دراستهم لم يجدوا سبيلاً إلىٰ الوظائف الحكومية، وباتوا نصف جائعين، وأجسادهم عارية.

ورغم وجود الفقر والحرمان كان للكماليات وفضول العيش مكانة في ثقافة الناس، وكانت العوامل المختلفة تحرك هوس الناس في هذا المجال. فما اكثر الأشخاص الذين نعرفهم في مجتمعنا كانوا قد فتحوا أمامهم عشرات أبواب الفقر من أجل أن يحصلوا علىٰ سجادة يدوية جميلة، أو غرفة نوم غربية، أو صالون غربي غالي الثمن!

لقد سعىٰ النظام البائد أن يربي النظام التربوي الأطفال بحيث لا يتمكنون من الإنسجام مع الواقع، وأن يقعوا في تضادٍّ وتعارضٍ. فكانت

البرامج الدراسية تعد أطفالاً عصبيين، يفتقرون إلىٰ الصبر. وقد ضيعت الأطفال في متاهة حل مسائل لا ترتبط بحياتهم الفعلية والمستقبلية، ليسلبوا بذلك منه أية فرصة للتفكير والتأمل في وضعه.

أما الدين الذي قدّم للبشر خدمات قيمة في صقل الشخصية الإنسانية لم يكن له أي ذكر ووجود في المحتوىٰ التربوي، وكانت تهدر ساعات درس الدين دون فائدة. وفي المقابل كان التركيز علىٰ النوادي ومراكز الفساد التي فتحت بوجه الأطفال والمراهقين تحت شعار التسلية السليمة، وكان كل واحد منها يكفي للقضاء علىٰ أخلاق تلك الأجيال. فكان الرقص والباليه والرقص العاري لبنات المدارس أمام المدعوّين ومتعطشي الشهوة يعدّ فناً، وباب المعاشرة الحرة بين الجنسين مقر ومسموح.

المحتوىٰ الدراسي كان يسوق الأجيال دون أي دراية نحو الحكم، ويلقنهم أن الحكام معصومون لا يخطئون، وأن كل ما يقولونه هو كالوحي يجب أن يقبله الجميع، وكان ذلك من أساليب تثبيت هيبة الحكم، وفي النهاية نفاذ القدرة الاستعمارية.

الأسلوب:

الأسلوب التربوي كان في جانبيه التعليمي والتربوي أسلوباً متعباً ومرهقاً ومدمراً، كان يبعث روح السكوت والسكون، يعتمد علىٰ الذاكرة والقدرة الذهنية، غير فعّال، يعتمد فرض الأمور بالتلقين، لا يستخدم فنون الإرشاد والمشورة والحوار. فكان الطالب يسعىٰ لإدخال المعلومات في ذهنه، ليردد ما سمعه كالببغاء.

وفي جانبيه الإعدادي والتربوي أيضاً اعتمد أسلوب الطاعة غير المشروطة فإما أن تقبل بكل شيء أو تنال العقاب. دون وجود وضع متوازن وعادل لأبنائنا.

كان أساس التربية مبنياً علىٰ ضعف الإرادة والخوف والتحقير. كان يلقن الجميع أنه إذا أردت أن لا تفتضح فتلون بلون الجماعة، ولم يدع لهم مجالاً لتقييم الجوانب الإيجابية والسلبية في ثقافة المجتمع، ليختاروا الوجه الأحسن وكان يلقن الطفل من سنينه الأولىٰ أن عليه أن يجعل نفسه مقبولاً في المجتمع، لا أن يرضي الله. وكانت آثار ذلك الأسلوب إيجاد مفسدة عظيمة للأجيال.

كما أن ضعف القرارات والقوانين، والتساهل مع المعاصي، وتشريع أبواب الفساد والإفساد، وانتشار الطبقية والتمييز الذي مارسه مسؤولو المجتمع... كل ذلك أوجد عقداً ما زلنا نرىٰ آثارها حتى الآن. حيث كان طلابنا يلهثون خلف أي تحرك محاولين بذلك إثبات وجودهم وتمدنهم، دون أن يفكروا في عدالة وصدق ذلك التحرك أو خطئه وسقمه.

المعلم:

المعلمون هم البناة الحقيقيون للمجتمع، قام النظام البائد بتحقيرهم وإحباطهم عبر الحيل والمكائد. فإذا استثنينا بعضهم ممن صانوا أنفسهم وكانوا يسعون إلى هدف أصيل، نجد أن استخدام المعلمين كان وسيلة لاستيعاب ما تلفظه باقي الإدارات الرسمية من أناس لا ينفعون لشيء، فيتقلدون أوسمة التعليم، ويعهد إليهم بتربية الأجيال!.

فعندما يكون المعلم مجبراً علىٰ القيام باستعراض أمام الطاغوت وأتباعه، من خلال الاستغلال الفكري. فكيف يمكنه أن يربي أفراداً أحراراً ومفكرين؟ وكيف سيطلب منهم أن يقيموا كل أمر ونهي يصلهم؟ وأن لا يذعنوا لما يرونه خطأً؟

نعم.. لقد سعىٰ النظام البائد أن يسلم الأمور لمن يرقص علىٰ ألحانه، ولمن ينفّذ أوامره، ولأن ينفذ الخريجون أوامره الملكية، وأن يحلّوا مشاكلهم

على أساس قوانين الطاغوت، وأن يستعملوا المفتاح الغربي في كل مصاعبهم...

هذا الأسلوب وجّه للأجيال المتعاقبة ضربات مهلكة، بل مارس الظلم الشديد ضد كل حرٍ مبتكر خلاّق، فكان يرى جهده يذرى مع الريح، ولا فائدة من أي جهد مخلص، وأن كل ما سينسجه سينفرط عقده ويعود قطناً. وأن ما يرهقون أنفسهم بتربيته وإعداده جيداً سيتلون في المجتمع ويتلون بلون الأكثرية اللامبالية.

التقييم:

لم تكن مهمة المدرسة والمعلم تتجاوز عملية ملء الأذهان بالمسائل المعقدة، ودفع الطلاب إلى حفظها، ثم ترديدها يوم الامتحان للحصول على الشهادة. فكان جهازنا التعليمي عملياً يقوم بإعداد التلاميذ للامتحان فقط. لهذا كان من يظن أنه لن يحصل على العلامات المطلوبة في الإمتحان يلجأ إلى الحيل، والغش، ومواجهة المعلمين، وسرقة أسئلة الإمتحانات، وشهر السلاح للحصول على العلامات، والتهديد، والرشوة وآلاف الأمور اللا أخلاقية، خاصة في السنوات الأخيرة من الدراسة، حيث الشهادة النهائية تعتمد على انتصارهم في الامتحان، ليتسلموا وثيقة تؤهلهم لكسب العيش.

وقد أدى ذلك إلى الحاق الضرر الشديد بالمجتمع، فما أكثر الشبان الذين هجروا قراهم، وتخلّوا عن شغل آبائهم، ليأكلوا فتات السلطة، بل ليكونوا جنوداً للسلطة. وما أكثر التذلل والتضرع والخنوع والتمارض الذي كانوا يلجأون إليه من أجل الحصول على العلامات، لسوء الفهم والتقييم السائد للدراسة. وما أكثر الانحرافات والمخالفات والأساليب اللااجتماعية التي انتجتها تلك الحالة، بحيث لا نزال اليوم نرى آثارها وتوابعها في أذهان الأجيال، والتي تحتاج إلى سنوات طوال لمحوها من الأذهان.

المحصول التربوي:

فكان المحصول التربوي والنتيجة من تنفيذ ذلك النظام التعليمي الإستعماري أن أصبحت المدرسة منفصلة عن المجتمع، فالذين تخرجوا من تلك المدارس لم يعدّوا فيها ليعيشوا، ولم يجهّزوا لمواجهة المشاكل والصعاب في المجتمع، وكانوا يسقطون أمام أيّ مشكلة تواجههم، وبلغت بهم الفوضىٰ أطنابها، والقلق عمَّ النفوس، ومجال الإصلاح ضيق.

المحصول التربوي للأطفال كان قد جعل من بعض الأطفال مجرمين وسفلة، بل إن بعضهم كان مجرماً ذكياً ومبتكراً، اكثر الطلاب تخرجوا لا يعرفون الانضباط والقانون، وحتى الأشخاص الملتزمين بالضوابط ظاهرياً كانوا لا يحسّون بأي مسؤولية تجاه الخير والرفاه، ولا يشعرون بأي عناء وآلم تجاه معاناة الآخرين.

ورغم كثرة المدارس إلا أنها لم تتمكن من رفع المستوىٰ الفكري، ولم تتمكن من إعداد أشخاص مضحّين ومؤثرين، ولم تربِّ أعضاء لائقين للمجتمع الإنساني والإسلامي. وإذا كنّا نرىٰ اليوم وجود مضحّين وذوي إيثار وفداء فليس لذلك أيّ علاقة بالنظام التربوي.

وها نحن اليوم نواجه جهازاً تربوياً يمتلك موازنة ضخمة جداً، لكنه لم يعطِ النتائج المرجوّة، كما أن ثماره كانت مرّة في كثير من الأحيان. فكثير من جيلنا الأول والثاني ذوو حساسية مفرطة، يغضبون لأي صغيرة، ويسعون لتنفيذ آرائهم دون حساب ونقاش.

أما الآن:

والآن بعد أن تبيّن عدم سلامة الجهاز التربوي، وعلمنا أن أساس كثير من المفاسد والانحرافات يعود إلىٰ هذا الجهاز ونظامه، لا بد لنا من القيام والتحرك نحو إصلاح النظام التربوي وجهازه وإعادة ترميمهما. فعلىٰ التربية

والتعليم أن يؤمّنا الحاجات الأساسية للمجتمع، وأن يحققا توقعات وآمال المجتمع.

ما زلنا حتىٰ الآن لا نمتلك الإمكانات التربوية الكافية للدفاع عن استقلالنا وحريتنا. ولا توجد الوسائل والأدوات الكافية لحفظ وجودنا وهويتنا، ولا بد من إحداث تغيير في الجهاز التربوي، وأن ينقذ نفسه من الأهداف والمضامين التي تخلق العقد الموجودة فيه.

يجب أن تبني المؤسسة التربوية للبلاد الأجيال من جديد علىٰ أساس معايير الإسلام والمبادىء المحددة. ويكون ذلك بالنظر إلى مصالح المجتمع ومستوىٰ القدرات والاستطاعة لدىٰ الأبناء.

كما أن علينا أن ندرك أن تغيير النظام التربوي لا يعني ظهور النتائج بشكل فوري، بل لا بد أن يظهر أثره تدريجياً وخلال مدة طويلة ليحقق الهدف المنشود.

* * *

القسم الرابع

إمكانية التأهيل، ومشروع التأهيل

سنبحث في هذا القسم مسألتين أساسيتين، إحداهما: هل هناك إمكانية للقيام بالتأهيل وإعادة البناء التربوي أم لا؟ والثانية: هل يتم التأهيل بشكل تلقائي ومرفقاً بالفوضىٰ، أم أنه يتم على أساس مشروع وبرنامج محدد؟

وللإجابة علىٰ السؤال الأول بالإثبات نقوم بدراسة وبحث إمكانية التأهيل من الناحية العلمية والدينية والفطرية وقابلية التحول عند الإنسان. ونستعرض التجارب اليومية الجارية في الحياة، لنجد أن مرحلة الطفولة هي مرحلة التقبل، ولا بد من إيجاد التغييرات الأساسية المطلوبة في هذه السنين من العمر.

وللإجابة عن السؤال الثاني، سنذكّر أن أي برنامج تربوي يحتاج إلىٰ مشروع وبرنامج. وأن هناك ثلاث نقاط يجب أن يركّز عليها المربي في هذا البرنامج وهي: التعرف علىٰ الطفل، معالجة الطفل من خلال دراسة وتحديد الطرق الأصلية والمؤثرة في معالجته، الأمور التي يجب أن تراعىٰ في هذه العملية.

* * *

الفصل الأول

إمكانية التأهيل

يجب أن لا نيأس عندما نرىٰ لدىٰ الطفل تصرفات مخالفة وفوضوية، ولا أن نظن أن كل شيء بيننا وبين الطفل قد انتهىٰ، ولا يمكننا اصلاحه. يجب أن لا نيأس لأن كل إنسان يحمل قابلية التأثير والتأثر معه حتى آخر عمره، فكما أن الإنسان الذي قضىٰ عمراً في الطهر والتقوىٰ قد يفسد، فكذلك الإنسان الذي قضىٰ عمره في التلوث وسوء الخلق والفساد قد يصلح. ولا يحق لنا إلقاء اللائمة علىٰ الطفل المخالف وتوبيخه لأنه ليس المسؤول الوحيد عن مخالفته وفساده، أو عن عدم تربية نفسه وعدم إعدادها. حيث لم يصله النور والخميرة الكافية ليكون صالحاً ومقتدراً.

فالذين اعتادوا على أمر أو سيرة ما قد يتغيرون، وتتحول ردود فعلهم غير المناسبة إلى مناسبة، شرط أن لا نخرج نحن عن طورنا كمربين، وأن ننظر إلىٰ كل فعل مخالف وخطأ يصدر عن الطفل علىٰ أنه مرض.

هناك عدة نواحٍ لإمكانية التأهيل نشير إلىٰ بعضها:

من الناحية العلمية:

من الناحية العلمية الإنسان هو موجود متغيّر، وقابل للتحول. وإن

قابليته للتغيير والتحول تفوق قابلية الحيوانات بعدة أضعاف. إلى حد قول أرسطو: عبر التربية يمكن تبديل الأشرار إلى أخيار، وإصلاح الملوثين بالقبائح.

فدراسات علماء النفس وعلماء المجتمع والمربين تدل على أن غرائز الإنسان معدودة ومحدودة، وأقل من الحيوانات بكثير. فالذي يوجه نشاطات الإنسان ليست غرائزه، بل تربيته. خلافاً للحيوان الذي ترشده طوال حياته غرائزه.

ووجود الغرائز المعدودة في الإنسان هي نقطة ايجابية لصالح المربي، لأنه سيتمكن من توجيهه كما يشاء، ويمكنه أن يوجه سيرته إلى اتجاه معيّن. بل ويعتقد علماء النفس أن سيرة الطفل يمكن تغييرها مهما كانت عقيدته متطرفة.

لكن هناك مسألة ضرورية وهي أنه لا يمكننا دوماً سدّ جميع النواقص والثغرات الموجودة في الإنسان. كما أن إصلاح بعض الثغرات الجسدية أمر متعذر أيضاً كقبح الوجه، أو شلل الأطفال عند الولادة، أو مرض السكري منذ الولادة وغير ذلك، فكلا الأمرين مستحيل أو صعب جداً، وإمكان حدوثه ضئيل. وفي الجانب النفسي فإن الإصلاح حتى بلوغ الحد الأقصى أمر ضئيل، والبلوغ بفرد قليل الإدراك والذكاء إلى درجة النبوغ محال عبر الظروف الحالية. أما في الجانب الأخلاقي والسلوكي فإن إمكانية الإصلاح أكبر بعدة أضعاف، والمجال لتوجيه الفرد نحو الهدف المطلوب أوسع بكثير.

وفي نفس الوقت لا بد من التنبيه إلى أن إمكانية تأهيل الطفل ليست إلى حد الأحلام الذهبية، أو صنع فرد مثالي منه. فقد لا نتمكن من تربية أبنائنا ليكونوا دوماً أفضل ورود الباقة، لكن هناك إمكانية أن نصل بهم إلى الحد المقبول.

من الناحية الدينية:

إن المذاهب والأديان السماوية تنظر إلىٰ امكانية التأهيل الأخلاقي والسلوكي للأفراد نظرة أمل واسع. إن إرسال الرسل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوصايا باصلاح النفس، وفتح باب التوبة بوجه الناس، كل ذلك يشير إلىٰ إمكانية التأهيل لدىٰ الأديان. فالقرآن كتابنا السماوي يقول في إحدىٰ وصاياه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم/٦] وهذا يدل علىٰ إمكان الوقاية وإلا لما أمر الله بذلك.

ومهمة الأنبياء في الإسلام هي تلاوة آيات الله على الناس وإرشادهم إليها، وتعليمهم الكتاب والحكمة وتزكيتهم (أي تأهيلهم وإعادة بنائهم) ولو لم يكن ذلك ممكناً للأنبياء لما أرسلوا وكلفوا بذلك.

وتشير آيات قرآنية أخرىٰ إلىٰ أن التأهيل ممكن علىٰ يد الإنسان نفسه أي أن الإنسان يمكنه أن يبلغ بنفسه الصلاح والفوز من خلال إدارته لنفسه ومراقبته لها ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس/ ٩] وأمثال هذه الآيات والمفاهيم كثيرة في القرآن والأحاديث.

علىٰ هذا الأساس يمكننا أن نأمل إذا كان أبناؤنا قد ابتلوا بأخطاء ومخالفات أو إذا كان بعضهم ذا سيرة سيئة أو سيىء الخلق، أن بإمكانهم السير نحو الإصلاح من خلال عيشهم في ظل أسلوب حسن يتبعه الوالدان والمربون، وأن يصل اليوم الذي يتخلصون فيه من معظم ثغراتهم.

الأرضية الفطرية لدىٰ الإنسان:

من ناحية أخرىٰ يمكننا الاطمئنان بوجود إمكانية التأهيل في الأفراد، ذلك لأن فطرتهم هي فطرة إلهيّة، وهي قائمة علىٰ أساس موازين الحق والعدل. وبعبارة أخرىٰ إن فطرتنا أسست بحيث تأنس بالخير والطهر وحسن

الخلق والفداء والتضحية والأمانة والصدق. وكل إنسان عند بدء خلقه يطلب بوجدانه وفطرته الطهارة والتقوىٰ والشرف وعزّة النفس والفضيلة وغير ذلك. وإذا تصرف عكس ذلك، فمردّه إلىٰ التربية السيئة والنماذج التي رافقته كانت سيئة وغير مناسبة.

نعم فأحياناً تكون العوامل الخادعة التي تقف في وجه الإنسان قوية ومتعددة إلىٰ درجة، وجذابة جداً، بحيث تضل الإنسان بدوامتها، فيصبح رغم حبّه للفضائل يرغب في اللذة الآنية التي تجر عليه رذيلة.

إننا نعتقد أنه ليس هناك طفل خبيث وشرير ذاتاً، لأن فطرة أي إنسان ليست كذلك، بحيث يكون مجرماً أو سيئاً. بل إنه مخيّر في اختيار الخير أو الشرّ. فإذا قويت أرضية أحدهما فيه أكثر مال نحوه، خاصة إذا كان من عوارض المادة جذبه نحو الأثقال والعيوب.

قابلية التحول لدىٰ الإنسان:

الإنسان موجود قابل للتحول. ويعتقد بعض الفلاسفة أن في الإنسان قوة للتقبل. فإذا لقّن الطفل أمراً أو فكرة بأسلوب وضوابط معينة لتقبّل ذلك، وهذا الأمر بذاته أرضية خصبة لآمال المربي في طريقه لتربية الطفل.

فالحياة من وجهة نظر التربية ليست سوىٰ دورة مستمرة لتقبّل الأمور وتعديلها في جانبيها الإيجابي والسلبي. فالإنسان يسعىٰ دوماً ليطابق نفسه مع أمور، ويقلع عن أمور أخرىٰ، ويميل إلى أمور أخرىٰ. وطوال مرحلة التقبل والتعديل والاستبدال تزداد قدرته علىٰ السيطرة على نفسه، فيستسلم لأمر ما، أو يبدي مقاومة تجاهه، ويسير في طريق الحق والعدل، أو في طريق التجاوز والتعدي. ودعم المربي وحمايته له يزيد من رسوخه في طريقه.

كما إن الطفل حسب العادة يخضع ويخشع لمن هم أكبر منه، ممن يحسنون إليه. إنه متعطش للحب والحنان، فهو عبد لمن يبرز له محبته لأي

سبب كان، فيخضع الطفل وينقاد له، وهذا الأمر بحد ذاته نقطة ايجابية بيد المربي يمكنه استخدامها لتلقين الطفل آراءه، وتسهّل عملية التحول وتسرّعها.

كما أن بعض النظريات العلمية تشير إلىٰ أن الشخص المخالف يمتلك قابلية للإصلاح أكبر من الأشخاص الموافقين والعاديّين، ويسير نحو طريق الصلاح أسرع وأفضل ممن سواه. وإذا كانت هذه النظريات غير مقبولة لدىٰ الجميع، فإن الجميع يقرّ أنهم قابلون للإصلاح كغيرهم على الأقل.

لهذا ما أكثر الأطفال المشاكسين الذين يسببون العناء والشقاء لوالديهم ومربيهم اليوم، لكنهم في الغد سيكونون أشخاصاً جيدين علىٰ مستوىٰ من التربية. وما أكثر الأطفال الذين لا يهدأون سيجدون السكينة والهدوء في ظل التربية الصالحة. لذا يجب أن لا نجزع من مخالفات أطفالنا اليوم، وأن لا نيأس من تربيتهم تدريجياً ولو بصعوبة وعناء. فالطفل في تحوّل دائم، فمن يجزم أن غده لن يكون خيراً من يومه؟ خاصة إذا كان مربيه مخلصاً مثلكم.

المؤيدات الأخرىٰ:

من الأمور الأخرىٰ التي تشير إلىٰ إمكانية التأهيل والإصلاح، أو تؤيد إمكانية إعادة تربية الأفراد وجود عامل الإرادة والتصميم لدىٰ الإنسان. فلحسن الحظ أن كثيراً من الأفراد يريدون أن يكونوا صالحين، وهذا عامل إيجابي لصالح التربية. صحيح أن ابننا صغير السن، لكن قدرة إرادته وتصميمه قوية بمقدار قوة تمييزه، لهذا يمكنه أن يساهم في أمر بناء نفسه وإعدادها.

إذا تمكنّا من تنمية قوة الاختيار لديه إلىٰ الجهة الإيجابية وتقويتها، وإذا تمكنّا من رفع مستوىٰ إدراكه ووعيه بحيث يتمكن من التفريق بين الحق والباطل، وإذا تمكنّا من إبراز الميل لديه نحو القيام بالأعمال الحسنة؛

فسيتمكن عندئذٍ من بناء نفسه بنفسه، وأن يرافق مربيه إيجابياً في هذا الطريق.

ونذكّر ضمنياً بأن الطفل المخالف كلما أبدىٰ مقاومة تجاه المربي وأعماله وأساليبه كلما ضعفت إمكانية تأهيله. لذا علىٰ الوالدين والمربين أن يكسبوا ودّه وثقته كخطوة أولىٰ، ثم أن يوجهوه ليصلح نفسه بنفسه، وهذا هو فن المربي.

مرحلة الطفولة:

إن مرحلة الطفولة من أكثر المراحل تأثيراً واستعداداً لدىٰ الطفل لإصلاحه، وأفضل فرصة لإصلاح اعوجاجه ومخالفاته. وكلما ازداد عمر الطفل كلما ضعفت إمكانية اصلاحه، وذلك لأن التصرفات كلما مرّ عليها زمان أكثر وكررها الإنسان أكثر كلما ثبتت فيه أكثر وأصبحت جزءاً من عاداته.

مرحلة الطفولة مهمة لأن معظم الأبعاد الشخصية للإنسان تتشكل وتأخذ لونها في تلك المرحلة. فالأمور التي يتلقاها الإنسان خلال هذه المرحلة تكون كالنقش في الحجر، كما أن الاستقبال والتلقي لديه يكون أسهل وأسرع. فيمكن خلالها إعداده كفرد صالح ومفيد إذا أفهمناه أساليب العيش وطرقه الصحيحة وأودعناه المعلومات التي يحتاج إليها.

في هذه المرحلة ما زالت مخالفات الطفل غير متجذرة فيه، وهو ما يزال تحت سلطة والديه وقدرتهما، وما زالت روحه لطيفة ومرنة، وتأثره سريع، ويستسلم بسرعة لمنطق الكبار واستدلالاتهم. لهذا يجب الإسراع في التحرك، وتربيته مجدداً بسرعة وبشكل أفضل قبل أن تنقضي هذه المرحلة.

عدة ملاحظات:

١ ـ إن إعادة تأهيل الأطفال أمر غير ممكن إلا بإيجاد تغييرات أساسية

وعميقة في علاقات الطفل. يجب أن تكون علاقة الطفل مع الأشخاص أو الأشياء تحت المراقبة.

٢ ـ ما دامت الأسرة ـ أي الحضن الأساس لتربية الطفل ـ غير صالحة، فلا يمكن اصلاح الطفل. وعلىٰ الوالدين أن يصلحا أنفسهما، ثم أطفالهما.

٣ ـ إن تغيير الفرد عن العادات والأساليب التي اعتاد عليها أمر غير سهل، لذلك فهو يتطلب صبراً ومثابرة ومقاومة.

٤ ـ إذا صلح الطفل فلا تكلوه إلىٰ نفسه، لأنه قد يعود إلىٰ سيرته الأولىٰ من جديد.

٥ ـ أفهموا الطفل حالته ووضعه غير المناسب، واقنعوه أن يسعىٰ لإصلاح نفسه.

٦ ـ عند اصلاحكم للطفل لا تضغطوا عليه إلىٰ درجة تنسيه طفولته، فلا بد للطفل خلال مرحلة طفولته من اللعب وبعض الأعمال الفوضوية والأذية.

٧ ـ لا تتوقعوا أن يكون أبناؤكم ملائكة خلال تأهيلهم، لأن ذلك لن يتحقق كما تريدون بشكل كامل. ورغم ذلك ابذلوا كل ما بوسعكم لإعدادهم.

* * *

الفصل الثاني
ضرورة وجود مشروع وبرنامج للتأهيل

إن تأهيل الأطفال بحاجة لتنفيذ برنامج وتكتيك صحيح، ودون ذلك يصبح عمل المربي صعباً، بل وحتى غير مثمر أحياناً. فما أكثر الجهود التي تبذل دون وعي وإدراك للأساليب الصحيحة، ولا نقطف منها سوى التعب والعناء، ويهدر المربي عمره فيها، دون أن يتغير الطفل.

فالمربي الذي يريد إرشاد الطفل إلىٰ طريقة عمل أو توجيهه إلىٰ اتجاه معيّن عليه أن يمتلك خطة وبرنامجاً، وأن يعلم ماذا يفعل، وأين هي مشكلة الطفل، وأيّ ضوابط وأصول يجب أن يحددها للطفل، وما هي السيرة التي نريدها للطفل، وكيف نريد نقل الآداب والعادات وأساليب الحياة الصحيحة إلى الطفل، وغير ذلك من مستلزمات أية خطة.

فوجود مشروع وخطة وبرنامج للتربية يمكّن الوالدين والمربين من تذكر ما قد لا يخطر ببالهم، أو ما هم غافلون عنه، ويبين لهم ما يفعلون وما يجب أن يفعلوا.

فالمربي الذي يمتلك برنامجاً بين يديه لا يحتار ولا يتردد في سيرة تربيته للطفل، فعمله وتنفيذه لبرنامجه يكون طبقاً للحسابات، ولن يعيش حياته في اضطراب.

ماذا يشمل البرنامج:

الأمور اللازمة لأي مشروع أو برنامج تأهيل وإعادة تربية وإعداد هي: أن نعرف أولاً ما هو هدفنا من إعادة تأهيل الطفل؟ في أي اتجاه وناحية نريد توجيه الطفل؟ أي فرد نريد أن نعد؟ ما هي الطرق والأساليب التي نريد اتباعها في عملنا هذا؟ أي برنامج يجب أن ننفذه في إعداده؟ وما هو البرنامج الذي سنتبعه في تربيته؟ وما هي المواقف التي يجب أن نتخذها لمواجهة المشاكل والمصاعب التي قد تبرز في هذا الطريق؟

التعرف عليه:

قلنا من قبل أن معرفة الطفل هي من المسائل المهمة في عملية تربيته وتأهيله، فلا بد للمربي أن يعرف سبب مخالفة الطفل وانحرافه، هل سببها أخلاقي أم نفسي؟ وما هو منشأ تلك المخالفة؟ وهل سببها وجود نقص جسدي أم نفسي أم فكري أم ديني؟ ومن أين ظهرت المخالفة؟ ومنذ متىٰ ابتلي الطفل بها؟ وما هو دور الأصدقاء ومن حوله والمعلمين وجيله في وجودها؟ ما هي العوامل التي تؤثر في ارتكابه للمخالفة؟ من هم الأشخاص المؤثرون علىٰ الطفل؟ ما هي الفرص والثغرات والمجالات التي يمكن الاستفادة منها لإصلاحه وإعادة تأهيله؟

المعلومات اللازمة:

يقوم المربي بعملية إعداد صحيحة وشاملة للطفل المخالف، فإنه بحاجة لمعلومات كثيرة وشاملة، معلومات حول الظروف العائلية، أمراضه الجسدية الحالية والسابقة، أمراضه النفسية، علاقاته الاجتماعية، الوضع الاقتصادي لأسرته، الجو السياسي المسيطر علىٰ حياته وغير ذلك.

فقد يكون منشأ المخالفة أمر جسدي، وقد يكون نفسي، وقد يكون

اجتماعي، وفي بعض الأحيان قد يكون ذو جانب اقتصادي أيضاً، أو سياسي، أو ثقافي. فمعرفة بعض الأمور عند الطفل كذكائه وقدراته الذهنية، أو صراعاته الداخلية، أو خوفه واضطرابه، والوضع الثقافي لأسرته، وأخطاء والديه، ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وحاجات الطفل الأساسية طوال مدة نموه، والتلوث الحاصل من خلال علاقاته السرية مع أفراد غير صالحين، وعشرات الأمور الأخرىٰ كلها تؤثر في إمكانية إصلاحه.

يجب أن يستفيد المربي ـ خلال سعيه للتعرف على الطفل ـ من الخصوصيات التي تظهر عند الطفل في مراحله المختلفة، من دور العادات والتقاليد التي تحكم مجتمعه، من توجهات والديه، من الأهداف التي يرسمها والداه لايصال طفلهما إليها. فإذا لم يطلع المربي علىٰ هذه الأمور يكون حينها قد أتلف طاقته وضيّع الفرصة.

ويحتاج المربي إلىٰ لسان ولغة يتمكن من خلالهما من إدراك الأمور وتوضيحها، ليساعده ذلك في فهم الأمور وترجمتها، ليتمكن من إظهار واقعيات الطفل الخافية، وأن يبرز الحقائق بحيث تتخذ القرارات على أساسها.

مرحلة العلاج:

في هذا الجانب أيضاً يحتاج المربي إلىٰ برنامج ومعلومات. لأن بعض المخالفات قد تعالج فتغيير الجو والمحيط، وبعضها عبر تأمين الحاجات وحلّ العقد، وبعضها عن طريق التنبيه والنصيحة والإنذار والتشجيع والمحبة والتوبيخ وما إلىٰ ذلك.

فالطفل الذي يعيش في جو سالم يمكن إعادته إلىٰ ذاته، ومن خلال تأمين جو هادىء يمكن قطع جذور المخالفة والالتواء لديه، وسوقه نحو حياة صحيحة. وهذا الأمر ضروري لعمل المربي وخطته، ودونه لن يكون موفقاً.

فالحوادث المهمة التي تقع خلال حياة الطفل قد تخرج الطفل أحياناً عن طوره، مثل: موت الوالد أو الوالدة، فقدانه لألعاب كان يحبها كثيراً، فقدانه لأصدقاء وزملاء لعب أعزاء عليه. كل هذه الأمور تؤلم الطفل، لكنها قد تنسىٰ إذا تغير محيط الطفل، طبعاً مع جبران النقص، وتحقيق بعض الأمنيات التي لم تكن متحققة من قبل. فبعض المخالفات تعالج بحل المشاكل العاطفية، مثل: المسح باليد علىٰ رأسه بمحبة وحنان، ملاعبته، الدفاع عنه. كما أن اللعب معه يحل أحياناً كثيراً من مخالفاته وانحرافاته.

الاصلاحات اللازمة:

يقوم المربون أحياناً باستخدام أساليب خاطئة مع الطفل، فتنطبع في ذهن الطفل تصورات سيئة عن نفسه. مثلاً: الطفل الذي يتعرض دوماً إلىٰ التوبيخ والإهانات، أو الذي يتعرض للخسارة دوماً في ساحة المنافسة، لا يثق بنفسه ويحتقرها ويعتبر نفسه ليس أهلاً.

علىٰ المربي هنا أن يرفع من معنويات ذلك الطفل، أن يسعىٰ لاكتشاف النقاط الإيجابية في حياة الطفل ويهنئه عليها، يمكنه أن يحمله بعض المسؤوليات البسيطة، ويدفعه لتأديتها، ثم يشجعه عند تحملها، ويدفعه بذلك تدريجياً إلىٰ الثقة بنفسه، ليصلح فيه تصوراته الخاطئة عن نفسه.

وقد يكون الأمر علىٰ العكس من ذلك، مثلا: طفل كان ينال محبة مفرطة، وتملقاً شديداً حول جماله، قد يصاب بحالة من الغلو بنفسه، فيظن نفسه أقوىٰ واكبر مما هو عليه. لا بد من عرض بعض الواجبات عليه لإفهامه أنه أقل مما يقوله الآخرون عنه، وإفهامه بنقاط ضعفه، ليتعاون مع المربي في سدّ ذلك.

الإمكانات الموجودة لدىٰ الطفل:

توجد لدىٰ الطفل امكانات يمكن للمربي أن يستفيد منها في إصلاحه وتوجيهه منها:

ـ الميول الفطرية الموجودة لدىٰ الطفل والتي تحثه نحو الخير والجوانب الإنسانية السامية.

ـ كون إرادة الطفل واختياره يتأثران في سنوات الطفولة إلى حد كبير بالمربي.

ـ عوامل المحيط الإيجابية التي تساعد علىٰ جذبه.

ـ وجود حاجات ونقاط ضعف لدىٰ الطفل مما يجعله يتبع من يؤمن له تلك الحاجات.

ـ وجود ملاحظات عاطفية بين المربي والمتربي.

ـ وجود خوف وخشية لدىٰ الطفل من العواقب التي قد تنتظره إذا لم يسلّم بالقضاء.

سعة البرنامج وأبعاده:

هناك مسائل عديدة علينا أن نلاحظها في مجال إعادة تأهيل الأطفال، منها:

١ ـ إن المخالفات تكون في المدن أكثر مما هي عليه في القرىٰ، لأن مجالاتها في المدن أكثر وأوسع.

٢ ـ إن المخالفات في المجتمعات الكبيرة أكثر مما هي عليه في المجتمعات الصغيرة، لأن الإحساس بالضياع وأنه مجهول يكون أكثر.

٣ ـ تجب ملاحظة الإمكانات والموانع الواقعية للمحيط عند ممارسة التربية، لأنها لا تتم في الفراغ.

٤ ـ لا بد من ملاحظة إخفاقات ونجاحات الطفل السابقة، لأنها أمور مصيرية عنده.

٥ ـ خلال قيامنا بإعداد الأطفال علينا أن لا ننسىٰ أن النظام الحاكم علىٰ المجتمع والسياسات والتوجهات الحكومية لها تأثير علىٰ الشأن التربوي عن قصد أو غير قصد.

٦ ـ لا بد من الاهتمام أيضاً بمسائل مثل: الكتاب، المضمون، الأسلوب، وباقي العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

دسائل لا بد منها:

رغم وجود مشروع وبرنامج للتربية، هناك أمور لا بد من الالتفات إليها أيضاً.

١ ـ إن الأطفال يتحملون الضغط لحد معيّن تماماً كما هم الكبار، وإذا بلغ الضغط حدّه الأقصىٰ فسيؤثر عليهم سلبياً.

٢ ـ خلال إصلاح الطفل وإعادة تأهيله يجب أن لا يقتصر بذل الجهد علىٰ المربي وحده، بل لا بد أن يستجيب الطفل أيضاً. لذلك لا بد من تأمين الأرضية اللازمة لدىٰ الطفل.

٣ ـ كلما ازدادت الجهود لإصلاح الطفل كلما كان ذلك مؤثراً، لكن يجب أن لا تتوقف الجهود عند إصلاحه، لأن كثيراً من المخالفات إذا لم تتابع ستعود مجدداً.

٤ ـ وأخيراً لا يمكننا أن نتوقع الحصول علىٰ النتائج الكاملة لجميع الخطط والبرامج، لوجود عامل المقاومة في الجوانب المختلفة للإنسان. أي أنه في الوقت الذي يسعىٰ فيه الأهل أو المربون إلىٰ إصلاح الطفل، يسعىٰ الطفل لإفشال جهودهم بدوره، لذا لا بد من هزيمة عامل المقاومة لديه بطريقة سليمة.

* * *

القسم الخامس
القائمون بالتأهيل والإعداد

من هم الأشخاص أو الفئات الذين يجب أن يقوموا بإعادة تأهيل الطفل، نذكر فيما يلي الفئات والوسائل الآتية:

١ ـ **الوالدان**: ويتحملان المسؤولية المباشرة للإعداد وإعادة تأهيل أطفالهما، وعليهما أن يخلصا في تربية أولادهما تجاه الله والمجتمع والطفل نفسه. إن إمكانية التأهيل داخل الأسرة أكبر، لأن الوالدين هما الأعرف بظروف وخصوصيات طفلهما. إضافة إلى أنه إذا امتزج العطف مع الانضباط بلغت النتائج حد الإعجاز. وهذه الإمكانية موجودة اليوم داخل الأسرة.

٢ ـ **المعلمون، المربّون، مستشارو الإرشاد المدرسي**: ودورهم في تأهيل الأطفال هام جداً، وعملهم وجهودهم أكثر ثماراً لأنهم يتصرفون علىٰ أساس وعي وضوابط علمية. شرط أن يكون عملهم هذا متلازماً مع الإيمان والحرص.

٣ ـ **المجتمع والمصلحون وقادة المجتمع**: من شرطة، وعلماء، ومرشدين اجتماعيين، وزملاء اللعب مع الطفل، وباقي أفراد المجتمع، حتى البقال والخباز والخياط والخطيب والخادمة وغير ذلك من سائر أفراد المجتمع الذين يرتبط بهم الطفل بأي رابطة وعلاقة وكل من يساهم في إعداد

الطفل وتأهيله، أو تدمير الطفل أخلاقياً وذهنياً.

٤ ـ **وسائل الإعلام العامة**: من كتب وصحف ومجلات واشرطة تسجيل وأفلام.

٥ ـ **الشخص نفسه**: الذي يستطيع إلىٰ حد ما أن يتعرف علىٰ نفسه وعالمه، فيشرع بتأهيل نفسه من خلال تلقين نفسه، هذا إذا كان صاحب ذوق وروحية كافية لذلك.

سنبحث في هذا القسم باختصار ثلاثة عوامل مهمة هي: الأسرة، المدرسة، المجتمع. وقد خصصنا لكل منها فصلاً كاملاً.

* * *

الفصل الأول

الأسرة

من المسائل المهمة في إعداد الأطفال وإعادة تأهيلهم الالتفات إلى الجوانب العائلية وسلوك الوالدين ومعلوماتهم. فالأسرة والمجتمع هما الركنان الأساسيان لإصلاح المجتمع، وما دام هذان لم يعدّا، فلن يكون إصلاح الطفل وإعادة تأهيله أمراً ممكناً.

فالأسرة هي أقوىٰ حصن في مواجهة المفاسد الاجتماعية والاعمال غير اللائقة. كما أن فساد كثير من الأطفال وتعرضهم للحملات يكون بسبب عدم فاعلية هذا الحصن كما ينبغي له. لهذا فإننا نعتقد أن أي محكمة تنعقد لمحاكمة طفل، عليها أن تحاكم والديه أولاً.

فالاصلاحات التربوية يجب أن تبدأ من الأسرة، فليس هناك عامل مؤثر في هذا الأمر كالوالدين. فتساهلهم في هذا الأمر يزيد من الفوضىٰ والمخالفات لدىٰ الطفل ويجعل رقعتها أكثر اتساعاً. لذا فإن علىٰ أي مربٍ أن يسأل نفسه عن بيت الطفل هل هو ملائم له أم لا قبل أن يقوم بأي خطوة في إعادة التأهيل؟ وهل أن أفراد الأسرة متعاونون فيما بينهم، ويخدم بعضهم بعضاً، أم أنهم في تعارضٍ وتضاد؟

من الجدير ذكره أن إعداد الطفل وتفعيله هو بحد ذاته جهاد مقدس،

وتأدية الوظيفة في هذا الأمر هو متابعة واستمرار حقيقيين للطريق الذي أمرنا الله به. كما أن عدم الاهتمام بمصير الطفل يعد بحد ذاته خيانة له وللمجتمع، وأمر يستحق عليه فاعله عقاباً إلهياً.

واجبات الوالدين:

إننا بحكم كوننا أباً أو أماً فإننا مسؤولون، واجبنا هو تربية أطفالنا وتنزيههم. لذلك علينا أن نؤدي واجبنا ذاك عن رغبة، وأن نعتبره واجباً أساسياً.

إن عمل الوالدين والمربين هو صعب لجهة، لأن الأطفال هم أمانات الله، ولأن حفظ هذه الأمانة ـ بالالتفات إلىٰ أن صاحبها هو الله العظيم ـ يعود علينا بالمسؤولية. وتربية الأطفال أمر يمكنه أن يكون سهلاً لأن تنفيذ ما يرونه في مصلحة أبنائهم صادر عن رغبة وصفاء وجهد صادق. فالوالدان يريدان لابنهما خيره وسعادته، وإرادتهم تلك صادقة.

وبحكم هذا الواجب الإلهي يجب علىٰ الوالدين أن يشرفوا على ابنهم ويراقبونه بالشكل الكافي، وأن يسعوا من أجل صحته وخيره ورفاهيته، وأن يعدوا له جواً سليماً، ويتخذوا بشأنه تدابير صحيحة، وأن يضعوا خطة وبرنامجاً مدروساً لإعداده أخلاقياً.

دور الأم:

خلال مسيرة إصلاح مخالفات الطفل علىٰ الأم والأب أن يؤدوا واجباتهم، لكن الواقع هو أن دور الأم في هذا المجال أقوىٰ من دور الأب، لأنها هي التي تمنح طفلها الحنان، هي التي تروي عطشه للحب والحنان، هي التي تعبت على طفلها وتسعىٰ بقلق لتعرف ما يريد، هي التي تسانده وتقويه، هي التي تقضي على عقده.

الأم يمكنها أن تمارس دور قيادة الطفل وإرشاده، وتسوقه نحو

الأهداف المطلوبة، لأن الاهتمام المتبادل بينهما كبير، والطفل يدرك أنه مدين لوالدته أكثر، والأم بدورها هي مصدر اطمئنان الطفل ومحبته، وقد ترعرع الطفل في أحضانها، ولا يزال يأنس بها ويحنّ إليها.

والخلاصة هي أن من يريد إصلاح طفله وتأهيله علىٰ أساس إسلامي فلا بد من تواجد الأمهات في عش الأسرة، وأن تتولىٰ شخصياً أمر إدارة الأطفال وتربيتهم ورعايتهم. تلك هي المسألة التي تضافر الجميع علىٰ تأييدها من العلم الحديث إلىٰ المفكرين والفلاسفة.

أهلية الأسرة:

ليست كل أسرة تحمل الأهلية الكافية لإصلاح الأطفال وتأهيلهم، فالأسرة الموفقة هي التي تؤمن لطفلها محيطاً هادئاً وثابتاً. أن يكون منزل الأسرة عشاً من السلام والصفاء، مركزاً للخير والتعاون، مركزاً للإهتمام بحاجات الطفل ورغباته، لا يواجه فيه الطفل لا مبالاة الآخرين بحاجاته وتصرفاته.

الاسرة المؤهلة لتربية الأطفال وتأهيلهم هي الأسرة التي تسخر طاقاتها وإمكاناتها في سبيل إحياء الفضائل الفطرية لدىٰ الطفل، التي لا يكون بين الزوجين فيها نفاق واختلاف، التي لا تحكمها الأهواء الشخصية، التي لا تدع للشك طريقاً بين أفرادها.

الأسرة الصالحة لإصلاح الطفل هي الأسرة التي يفكر فيها الوالدان في المستقبل، التي تهتم وتتابع مسألة إعداد الطفل وتربيته ببصيرة وحرص، التي يتصف أفرادها بحسن الخلق، التي لا يضطر صاحب الحق فيها إلىٰ رفع صوته والخروج عن طوره.

وأخيراً الأسرة التي توفق في أمر إعادة التأهيل هي الأسرة التي يكون محيطها تربوياً، التي تكون تصرفات أفرادها أسوة، التي تدرس عملياً درس

الأخلاق والفضيلة، التي لا ينحرف فيها الأب أو الأم أو سائر الأفراد، التي تكون فيها جميع التصرفات والأعمال مطابقة لضوابط الرسالة التي يؤمنون بها.

علىٰ طريق إصلاح الطفل:

الأسرة التي تسير علىٰ طريق إصلاح وتأهيل الطفل لا بد لها من الإلتفات إلىٰ نقاط هامة منها:

١ ـ إصلاح الذات:

كيف يمكننا أن نوفق لإصلاح طفلنا إذا لم نصلح أنفسنا؟ وإذا لم نتحكم بأهوائنا وسلوكنا. فالمربي الذي يريد تربية الآخرين عليه أن يبدأ بتربية نفسه. وهذا الأمر يحتاج إلىٰ شهامة منّا لنعرف أنفسنا علىٰ حقيقتها أولاً، ثم لنبادر إلىٰ إعداد أنفسنا وتربيتها.

على المربي أن يقيّم نفسه، أن يحدد نقاط القوة والضعف لديه، أن يتعرف علىٰ المسائل والمشاكل التي تقف عقبة في طريق بنائه لنفسه وتكاملها، ثم يقضي على تلك العقبات، ليتمكن بعدئذٍ من حل مشاكل طفله.

وأخيراً فإن الوالدين اللذين يريدان إصلاح طفلهما عليهما أن يطمئنا إلى أنهما قد أصبحا مديران لائقان لنفسيهما، ويمكنهما أن يكونا أسوة سليمة لأطفالهما، وأفراداً يعتمد عليهما من قبل أطفالهما، خاليان من أي انحراف وتلوث، وليس فيهما شيء مما ينهيان ابنهما عنه.

٢ ـ اكتساب الوعي:

فدون معرفة طرق التربية لا يمكننا أن نبادر إلى إعداد الآخرين وتربيتهم. ومن يريد إصلاح طفله، عليه أن يفكر في طريقة تأهيل ابنه،

ويرسم خطة لذلك، ويهيىء مشروعاً، ويحدد لماذا صار هكذا؟ وكيف يمكن تخليصه مما هو فيه؟

الأطفال يحتاجون إلىٰ إرشاداتنا خلال مراحل نموّهم المختلفة، ولا بد من القيام بإصلاحهم طبقاً لضوابط ومقررات معينة، ولا بد للمربي أن يعرف الطرق والأساليب اللازمة. فدون وعيه لها وإطلاعه عليها لا يمكنه أن يمارس التربية، بل عندما لا يملك الوعي اللازم قد يعود بالضرر علىٰ روحية الطفل.

٣ ـ قبول الطفل:

من الأمور الهامة في عملية تأهيل الأطفال أن نقبل بالطفل كما هو، وعلىٰ الحالة التي هو عليها. قبيح أم جميل، صبي أم فتاة. صحيح أن مخالفاته تعذّبنا، لكن علينا أن نفكر في أن استمرار الوضع علىٰ هذه الحالة فماذا سيحصل؟ وهل يجب أن نكله إلىٰ نفسه، أم لا بد من المبادرة إلى إصلاحه؟

علىٰ الأسرة أن تتصرف مع الطفل بشكل يجعله يعتمد علىٰ والديه، ويحسّ أن والديه يحبانه ويحترمانه، وإذا أمراه بشيء ونهياه عن آخر أو عاقباه فكل ذلك من أجل خيره ومصلحته هو.

فالوالدان العاقلان يبرزان لطفلهما مدىٰ حبهما له وسعيهما نحو سعادته من خلال إعطائه دوراً في النشاطات والبرمجة وحتى في اتخاذ القرارات البسيطة في حياتهم، أو يضعان برنامجاً خاصاً للفت انتباهه، مهيئين بذلك المجال لكسب ثقته.

٤ ـ إعطاؤه بعض الوقت:

من يريد إعداد طفله بشكل جيد، عليه أن يكون في حضور دائم داخل ساحة تربيته، أباً كان ذلك الشخص أم أماً. لأننا إذا لم نهتم اليوم بأطفالنا، فسوف لن نتمكن من ذلك غداً.

من المؤسف جداً أن انشغالات المربين والآباء والأمهات أصبحت بشكل جعل علاقتهم بأولادهم علاقة سطحية. يعود الوالد إلىٰ البيت وقد نام الأطفال، ويخرج صباحاً إلىٰ عمله وهم نائمون، أو غير واعين تماماً. والمؤسف أكثر أن هذا الأمر ينطبق علىٰ وضع الأمهات الموظفات أيضاً.

يستطيع أولئك الرجال والنساء أن يكتفوا بمدخول متوسط، ويستفيدوا من الفرصة المتبقية ليقوموا بتربية أبنائهم. لكن الميل إلىٰ العيش في حياة مرفهة ومليئة بالكماليات والتنافس والتفاخر يجعلهم يصرفون كل أوقاتهم في العمل، فيخسرون بذلك أولادهم لعدم بقاء وقت أو طاقة لرعايتهم.

٥ ـ كسب ثقة الطفل:

خلال ممارسة عملية إصلاح الطفل لا بد للوالدين من السعي لكسب ثقة الطفل بهم، لتكون قراراتهم حوله مؤثرة. فما أجمل أن يدرك الطفل أن والديه يريدان خيره وسعادته، وأن ما يقومان به من أجل راحته وسلامته.

فمن الضروري أن يدرك الطفل أن والديه قريبان منه، مضحّيان من أجله، محبان له، يسعيان لحفظه وإصلاحه، وهما موضع أسراره. وانهما لن يسلباه راحته في الملمات، ولن يمنعاه من اللعب، وليس عندهم نية ايذائه.

٦ ـ الصبر والتحمل:

كلما ازداد صبرنا وسيطرتنا علىٰ أنفسنا خلال تربية الطفل وتأهيله كلما كنا أكثر توفيقاً في إصلاحه والبلوغ به نحو الكمال، وكلما أصبح أكثر استعداداً للنمو والتكامل.

فقدرة الوالدين أمر ضروري، لكن هدوءهم وصبرهم وثباتهم وثقتهم أمر ضروري أيضاً. فقضايا الأطفال يمكن حلّها بالصبر وسعة الصدر والتفاهم الحسن وبإبراز الدعم للطفل.

بفرض القوة وبتعكير الجو وبالصراخ والغضب لا يمكن الوصول إلىٰ حل. بل إننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى مفاوضات ومشاورات حول الطفل، بحاجة أحياناً إلىٰ ايقاظ وجدانه فيه.

٧ ـ التعاون مع المدرسة:

الأهل الذين يريدون إعداد طفلهم وإصلاحه لا بد لهم من الإستعانة بجميع ذوي الرأي في هذا المجال ممن يمتلكون تجربة وخبرة. عليهم أن يستشيروا في شؤون تربية أبنائهم المعلم والمدير والناظر والمسؤول التربوي في المدرسة فإنهم من ذوي الرأي والخبرة ويطّلعون علىٰ قضايا الأطفال في المجتمع.

فما أكثر المشاكل والمصاعب التي قد تحل عبر المدرسة والمعلم، وما أكثر ما يحل منها عبر الوالدين، وخاصة عبر الأمهات، فالأمهات بتعاونهن مع المدرسة، وإعطاء المعلومات الوافية عن أطفالهن يسهّلن طرق الحل. وأخيراً ما دام هذان القطبان ـ الأهل والمدرسة ـ متعاضدان ومتكاملان، ويسعيان سوياً لبناء الطفل وإعداده وتربيته فإن الآمال بتأهيل الأطفال تتضاعف وتكبر.

لو لم تكن الأسرة كذلك:

إذا لم تكن الأسرة كذلك، أو كان الطفل المخالف محروماً من وجود والديه أو أحدهما، فما هو السبيل الذي يجب أن يتّبع لإعادة تأهيل الطفل؟ وقد يكون والداه في حالة اختلاف وصراع دائمة، ولم يتمكنا من التحرك لإصلاح طفلهما، فماذا نفعل في هذه الحالة، وما هو الواجب؟

في هذه الحالة يبدو أن الأنسب هو أن يتولىٰ أقرب أفراد العائلة إلى الطفل مسؤولية إعادة تأهيله، مثل جده أو جدته أو عمته أو خالته أو عمه أو

خاله. نعم إننا نعترف بأن نقل الطفل يعد خطأ من الناحية التربوية، فالطفل يجب أن لا يعهد به إلى غير والديه لكن إذا كان الخيار بين الضررين فقبول أقلهما ضرراً أفضل.

كلمة حول الأيتام:

إننا نعتقد بضرورة أن يؤخذ اليتيم إلى البيت مهما أمكن ذلك، وأن يربيه المشرف كإبن له. لأن إيداع الأيتام في المياتم، وحرمانهم من العواطف الأسرية، يوجه إلىٰ روحيتهم ونفسيتهم لطمة شديدة.

فلا بد أن يعيش الطفل في جو عائلي، وأن يعاشر عدداً من الأطفال ويعيش معهم، وأن يتم الاهتمام به صحياً وروحياً تماماً كما يهتم الشخص بأولاده، ولا بد أن نطمئنه أننا نحبّه، وأنه واحد منّا، وأننا نتفهم آلامه، ونشاركه فرحه وهمومه. وهذه هي خلاصة ما أوصىٰ به الإسلام حول تربية الأيتام وتعهدهم.

* * *

الفصل الثاني

المدرسة والتعليم

من المسلمات التي لا تنكر أن المدرسة تؤدي دوراً تأسيسياً هاماً لا يمكن إنكاره في إيجاد التحولات الاجتماعية والتغيرات الايجابية والسلبية لدىٰ الفرد وأنها أهم مركز للتربية.

ففي عملية إعادة تأهيل الأطفال واليافعين يصبح أحياناً دور المدرسة أهم من دور الأسرة، حيث تطرح القضايا والأمثلة بصورة عامة، ويسعىٰ الأطفال إلىٰ اختيار أسوة لهم، والتمثل بتلك الأسوة. فإذا كانت المدرسة تمتلك نظاماً تربوياً بنّاءً فسينشأ الطفل بشكل حسن، وإلاّ فسينشأ مخالفاً ومشوشاً.

وعندما نتحدث عن المدرسة فيعني ذلك الحديث عن دور المعلم والموظف والمستخدم والناظر والبرنامج والأسلوب وغير ذلك. وبالطبع فإن الكيفية العامة لهذه المجموعة حسنة كانت أم سيئة ستترك أثراً كبيراً علىٰ الطلاب.

أهمية المعلم:

الاستاذ في المدرسة هو الشخص الوحيد الذي قد يصل تأثيره علىٰ

الطفل إلىٰ مستوىٰ تأثير الوالدين عليه. فيعدّ الطفل، أو يعيد توجيهه. فالمعلم أو الاستاذ هو شخصية نافذة وقوية في نظر الطفل، وقد يكون النموذج الأخلاقي والسلوكي عنده. فالطفل يرتبط بالتدريج مع دنيا الفكر والعلم وسعة نظر المعلم، ويسعىٰ في عدة أحيان إلىٰ تقليده.

فالطفل يتأثر كثيراً بمعلمه الواعي والخبير، فيحترم الطالب ما يحترمه المعلم، ويستقبح الطالب ما يستقبحه استاذه. فعمله يطابق عمل المعلم، وشخصيته تعكس شخصية المعلم.

فأولئك الذين هم معلمو الأطفال واليافعين هم حقيقة الممثلون التربويون للوالدين والمجتمع. هم الذين تحملوا مهمة تعهّد الجيل الجديد وتربيته، وهم الذين يسيرون به نحو الأهداف. لهذا يجب أن يكون عملهم عن إدراك وتخطيط ودراية

ضرورة الإصلاحات:

نظراً لأهمية عمل المدرسة والمربي لا بد من القيام بخطوات نحو تفعيلهما وجعلهما هادفين، وتتركز تلك الخطوات علىٰ الأمور التالية:

١ ـ المعلم والمربي:

قلنا أن للمعلم تأثيراً كبيراً علىٰ الطفل، وهو الذي يمكنه أن يجعل من المدرسة والصف مقراً لإصلاح الطفل وتربيته. ولا بد أن يكون المعلم و المربي نفسه فرداً معدّاً وذا تربية صالحة. أن يكون مدركاً لأهداف التربية وغاياتها، وأن يكون واعياً للطريق والأسلوب في العمل.

إننا نعتقد أن التمكن من الدرس والبرنامج لا يكفي لإعداد الطفل، بل إن شخصية الأستاذ وفكره وروحيته يجب أن تكون معدّة أيضاً وحاضرة. وهذا الأمر لقي تأييداً كاملاً من قبل علماء النفس.

يجب أن يمتلك المعلم الجرأة الكافية للقيام بتقييم نفسه والتعرف إليها، فيحدد بذلك نقاط ضعفه وقوّته، ويعرف ما هي ثغراته ومشاكله، ومستوىٰ سيطرته علىٰ نفسه، وإلىٰ حد يمكنه من إدارة نفسه وغيره، وكيف يمكنه أن يزيد من قدرته تلك لصالح التلميذ؟

فالمعلم الذي ينوي تأهيل الآخرين، عليه أن يقوم بتأهيل نفسه في مجال الأخلاق والمعلومات والتجارب، وأن يجهّز نفسه في شتىٰ المجالات. فالحياة اليومية مصحوبة دوماً بالأخطاء والزلاّت، فإذا لم يقم يومياً بتقييم نفسه ومراقبتها وإصلاحها، فسيتخلف ويتراجع.

٢ ـ النظام والتربية:

إن النظام التربوي السابق كان نظاماً مغلوطاً، كان نظاماً يسوق الأفراد دون حق نحو:

ـ الترويج للتهتك والتحلل ليشغل الناس بما يخدّرهم، ويعجزوا عن التفكير بجدية بالأمور الأساسية.

ـ سلب جانب التفكير الحرّ لدىٰ الأفراد، لئلا يتمكنوا من التفكير بشؤونهم ومستقبلهم.

ـ شغل الأطفال بحفظ وحل المسائل المعقدة، لئلا يتمكنوا من متابعة القضايا الأساسية.

ـ وأخيراً كان يتّبع سياسة التزوير بظاهر خادع، وباطن يزرع اليأس، وإشغالهم بالحريات المتهتكة، والشهادات، والخبز والماء، لئلا يتمكنوا من إبداء أي مقاومة أو انتفاضة تجاه الملاحظات الأساسية.

من هنا لا بد من إعادة النظر في نظام التربية والتعليم، ليُصبح طريق سعادة هذا الجيل مشرّعاً أمامهم، وتجري تغييرات أساسية في المحتوىٰ

والأسلوب والتعليم ويتم تحديد المبنىٰ الإنساني للتربية علىٰ أساس الأهداف الجديدة.

٣ ـ إصلاح المحتوىٰ:

يجب أن يخرج محتوىٰ نظام التربية والتعليم من الحالة التخديرية، وأن يتعلم الطالب مسائل تبني لديه الشرف والإنسانية، وتوجهه نحو الأعمال المشرّفة والبرمجة والعيش الصحيح.

النصوص السابقة إن كانت قابلة للإصلاح يتم إصلاحها، وإلاّ يجب أن ترمىٰ بعيداً، وأن تعد نصوص في النظام التعليمي ترسم حياة جديدة للأفراد، وتنظم حياتهم، وتؤمن حاجة الفرد والمجتمع، وتوجهه نحو الأهداف الإنسانية المطلوبة.

وأخيراً لا بد أن يكون هناك تطابق بين المحتوىٰ التربوي والحياة الإجتماعية، وأن تملأ الهوّة العميقة القائمة بينهما، وهو ما لم يفكّر به بشكل أساسي حتى الآن للأسف، حيث ما يزال الأطفال لا يجدون علاقة بين ما يقرأونه في كتبهم الدراسية وبين ما يعيشونه في جوّهم خارج الصف.

٤ ـ إصلاح الأسلوب:

من الإصلاحات الضرورية الأخرىٰ في مجال المدرسة والاستاذ: إصلاح الأسلوب التربوي. هذا الإصلاح يجب أن يكون في الجانب التعليمي وفي الجانب التربوي وفي الجانب التقييمي.

علىٰ المعلم والمدرسة أن يغيّرا طريقتهما، وأن يغيّرا أسلوب نقل المعلومات، لتنتقل المعلومات إلىٰ الطفل وترد ذهنه بطريقة أسرع وأفضل وأجمل. وفي الجانب التربوي يجب أن تصبح سيرتهم وتصرفاتهم بطريقة تجعلها أسوة وقدرة.

من ناحية أخرىٰ يجب أن تكون المدرسة مكاناً يرىٰ فيه الأطفال أنهم

يعيشون فيه حياتهم الفعلية بشكل كامل، ويصغون فيه للمستقبل. فإن الاهتمام بأحد هذين الزمانين دون الآخر يشكل خطراً محدقاً. يجب أن يتغير أسلوب تعامل المعلم والمدرسة مع التلميذ، وأن يأخذ منحىً إنسانياً. فيجب أن يحصل الأطفال على الإطمئنان والثقة بأنه إذا بذل جهداً، وسار طبقاً للأسلوب المقترح من قبل المعلم فسينال التوفيق المطلوب، ولن يواجه التأنيب والإنكسار والفشل.

يجب أن يعامل الطفل في المدرسة كفرد عزيز ومحترم، وأن يكون جلّ اهتمام المعلم موجّه نحو بناء الطفل وإعداده. لذا يجب الامتناع عن إهانة الطفل واهماله. لكن ذلك لا يعني إرضاء جميع رغبات الطفل وأهوائه، بل الاهتمام بما يسعده وما فيه مصلحته.

٥ ـ التقييم:

إن أسلوب الامتحانات الحالي سيء تعليمياً ويحرف التلميذ عن الهدف، ولا بد من تغييره. فيجب أن يكون قياس مدى التقدم والفهم على أساس القياس مع السابق وليس مثالياً ولا بالقياس مع المستقبل المطلوب. علينا أن نرى مدى التغيير الطارىء على التلميذ قياساً بالأسبوع الماضي مثلاً.

يجب قياس المحصول الدراسي، وأن يكون هذا القياس على أساس موازين لا تولّد في التلميذ العقد. فعندما يكون جهد المعلم سائراً في اتجاه غير مجدٍ، أو تكون جدواه مصحوبة بعوارض سلبية؛ عندئذٍ ليس أمامنا سوى تغيير الأسلوب وإصلاحه.

فمن الأمور التي لا بد أن يجري إصلاحها: أسئلة المعلم الصريحة للتلاميذ، سعيه للإيقاع بالتلاميذ، إبرازه لنقاط ضعفهم، دفع التلاميذ للإحساس بالحمق، تركيزه على الأسئلة المهمة التي تشكل انتقاماً منهم بدل أن تكون إرشاداً لهم، ملاحظة سلوك الطالب خلال العام الدراسي وإنقاص

بعض العلامات بسبب ذلك مما يشكّل ظلماً، وعشرات الأمور الأخرىٰ.

التوعية:

من الوظائف المهمة للمدرسة توعية الطفل ورفع مستوىٰ معلوماته. فلعلّ كثيراً مما نعتبره قبيحاً وخطأ لا يراه الطفل كذلك، وهو غافل عنه، ولم يُفهمه أحد ذلك.

فمع الأسف إن بعض المفاسد الإجتماعية تظهر بسبب جهل الأفراد وعدم علمهم بفسادها. فمثلاً عندما يدرك الطفل ما هو الشيء الذي يقوم برميه، وإذا رماه ماذا سيحصل، فلعله عندئذٍ لا يرميه. وهكذا الأمر في كثير من تصرفات الطفل.

لا بد من إفهام الطفل أنه يمكنه رمي الكرة علىٰ الأرض، أما الصحن فلا، وأنه إذا لكم الجدار فلن يتأذىٰ الجدار بذلك، لكن إذا وجه لكمته تلك إلىٰ طفل آخر فسيؤذيه ويهينه. وخلاصة الأمر هي أن رفع مستوىٰ الوعي والإدراك لدىٰ الطفل يؤثر كثيراً في إصلاحه.

مراعاة منطق الأطفال:

يتكلم الأطفال بلغة خاصة، ولديهم منطق واستدلال خاص بهم، إنهم يفكرون بطريقة مختلفة عن طريقة الكبار. فإذا تمكنا من التحدث معهم علىٰ أساس ذلك المنطق والإستدلال، وفهمنا لغتهم، واتخذنا قراراً بشأنهم، فسيرضخون لرأينا. وهذا هو الفن المهم الذي يمارسه المربي.

وللوصول إلىٰ هذا الهدف، علىٰ الوالدين والمربين أن يسعوا إلى اكتشاف منطق الأطفال، من خلال التصابي معهم، من خلال التطابق مع الطفل، والتصرف علىٰ طريقته، وقد أوصانا الإسلام بالتصابي مع الطفل أحياناً، لكن ذلك لا يكون بشكل دائم، لأن الطفل بحاجة للنمو والتقدم.

فمن خلال استخدام منطق الطفل يمكننا أن ندفعه ليعترف بخطئه، وأن

يوافق على سلوك الطريق الصحيح، لأن الطفل إذا لم يدرك خطأ أسلوبه وتصرفه فلن يقبل بإصلاحه.

حسن النية:

من القضايا المهمة والأساسية في مجال إعادة تأهيل الطفل أن يبين المربي للطفل حسن نيته تجاهه، وأن يفهمه أنه لا يريد سوى إصلاحه، وأن يسعى لكسب ثقة الطفل به، وأن يصدّق الطفل كلامه.

فرغم أن الوالدين والمربين يحبان الطفل، لكن يجب تذكير الطفل بذلك دوماً، وتكرار ذكر ذلك أمام الطفل حتى تترسخ في مسلّماته تدريجياً. لأن الأطفال يظنون أن عملية أمرهم ونهيهم ومنعهم وزجرهم هي أمر عدائي ضدّهم، فيظنون أن المعلم عدو لهم، وأنه يلومهم لعدائه لهم.

على المعلم أن يثبت للطفل حبّه له من خلال عدم انتقاده المباشر، أو التخفيف من انتقاده له بشكل مباشر، وعدم إبراز عيوبه وتأنيبه عليها، خاصة أمام الآخرين، ومن خلال التعامل معه برفق وليونة، ومن خلال تقديره وتشجيعه، والمحافظة على هدوئه وتماسكه عند تصرف الطفل، وأن يريه الصواب.

الصبر والتحمّل:

من الشروط الأساسية للمربي تحلّيه بالصبر والمثابرة، وتحمّله لتصرفات الطفل غير المناسبة، فيجب أن يمتلك المربي صبراً يمكّنه من الإصغاء لشكوى الطفل وهمومه، مهما كان شرحه مملاً، ولا أهمية له. فعندما يسيء الطفل تصرفه أو خلقه، علينا أن نفكر بوضعه ومستقبله ومصلحته؛ بدل أن نقوم بالإنتقام منه.

أما أن يتخلى المربي عن دوره التربوي عند رؤيته لأي زلة تصدر عن الطفل، أو يقلع عن نصيحته له، فهذا خطأ. وهكذا شخص لا يمكنه أن

يكون مربياً حقيقياً. إن من يسعىٰ إلىٰ الانتقام من الطفل، ويصرّ علىٰ معاقبته علىٰ أي زلة تصدر منه فهو مخطىء وليس مربياً.

إن رشد الطفل وتربيته وإعداد شخصيته وإصلاح ثغراته ونواقصه، كل ذلك يحتاج إلىٰ الصبر والتحمل الكافي، يحتاج إلىٰ العفو وغض الطرف والتجاهل والتعامي وإظهار عدم رؤية ذلك، والإستمرار في متابعة الأهداف.

التعاون بين البيت والمدرسة:

لا مفر من التعاون والتنسيق بين البيت والمدرسة من أجل إصلاح الطفل وتأهيله. علىٰ الوالدين ومربي المدارس أن يضعوا أيديهم بأيدي بعضهم ليقوموا سوياً بإعداد الطفل وتربيته في شتىٰ الجوانب، وجبران نقاط ضعفه، وتنمية قدراته وإرشاده.

إن ضرورة هذا التعاون والتنسيق تبرز من عدم تمكن أيّ من الوالدين أو المربين بمفرده بالقيام بمهمة تربية الطفل وتنفيذ برنامج إصلاحه، ولا يمكنه أن يحل جميع مشاكل الطفل ومصاعبه بمفرده، بل لا بد من قيام تعاون وتنسيق بين البيت والمدرسة. فمن العقبات الأساسية والمهمة في التربية عدم وجود تنسيق بين البيت والمدرسة، واختلاف وتضارب الأساليب والمفاهيم التربوية بين الوالدين والمربين.

إن التفاهم والتعاون بين الأهل والمدرسة أمر ضروري جداً من أجل بناء الطفل وإصلاحه، وتأهيل الجيل المستضعف. وأكثر أهمية لأهله الأكثر استضعافاً منه. كما أن هذا التعاون يشكل خدمة للمجتمع ككل.

ترىٰ ما هي حال ذلك المربي والمعلم الذي يسعىٰ إلىٰ القيام بواجبه التربوي علىٰ أحسن وجه، لكنه لا يلقى من الأهل أي تعاون.

* * *

الفصل الثالث

المجتمع

المجتمع والمحيط الإجتماعي وكذلك الأوضاع والحوادث الاجتماعية تعدّ من العوامل التي تلعب دوراً مؤثراً في إصلاح وإعادة تأهيل الجيل، ذلك لأن الإنسان يتأثر بالعوامل المختلفة التي تحيط به في المجتمع من ثقافة وفن وأدب وسيرة وأساليب تفكير وتوجهات، ويؤثر فيه الناس من خلال إظهار ما يختزنونه.

فالطفل يعيش حياته وينمو ويتربىٰ في محيطه العائلي أولاً، ثم في محيطه الإجتماعي. وقد يمارس في هذا المحيط عادات وأساليب صحيحة أو خاطئة، ويلتقطها الطفل عن وعي أو دون وعي، ويسعىٰ لتقليدها.

لهذا فإنَّ إعداد الطفل مهما كان عن خطة وبرنامج مدروس. وعلى يد مربين ماهرين، لن يكون ناجحاً إلا إذا كان محيط الطفل مؤهلاً أيضاً، أو أن يعد الطفل بعيداً عن ذلك المحيط.

ماذا نعني بالمجتمع؟

نعني بالمجتمع جميع الأشخاص والظواهر والأمور التي نعيش خلالها ونتأثر بها. فمن الأشخاص: الوالد، الوالدة، الأخ، الأخت، والأهل

والأقارب، والمعلم، والمدير، والخادم، وزملاء اللعب، والخباز، والبقال، وعالم الدين، والقاضي، والشرطي وما شابه، ولكل واحد منهم تأثير بمستوىً معيّن في بناء أو تدمير حياة الطفل من الناحية الجسدية والأخلاقية والعاطفية والمعنوية.

ومن الظواهر: الماء، الهواء، الحرارة، البرودة، الجبل، السهل، الينبوع، النهر، البحر، النباتات، الجمادات والمنخفضات، المرتفعات، الجفاف، الخضرة، الكواكب الأخرىٰ، النور وما شابه، وكل هذه الأمور ليس لها تأثير في تحريك الإنسان وتوجيهه بشكل مباشر، لكنها تؤثر في إعداده وتكوينه.

ومن الأمور والوسائل: وسائل الاتصالات، وسائل الإعلام، الكتب، الصحف، المجلات، الإذاعة، التلفزيون، الأفلام، السينما، أشرطة التسجيل، والثقافة من أدب وأمثال وشعر وموسيقىٰ وسائر الفنون. ولكل منها تأثيره علىٰ بناء فكر الطفل وتصرفه وعمله، ويساعد علىٰ إصلاحه أو إفساده.

لا شك أن قدرة التمييز لدىٰ الطفل ومستوىٰ وعيه وعقيدته تساهم في قدرته علىٰ مقاومة المؤثرات أو خفض مستوىٰ تأثره. فمن خلال قدرته المحدودة علىٰ التمييز يستطيع الطفل أن يتقبل بعض الأمور ويرفض أخرىٰ، ويؤثر في ذلك ذوقه وروحيته أيضاً.

أهمية ذلك:

بناءً علىٰ ذلك فإن للمجتمع وللمحيط تأثيراً كبيراً علىٰ إعداد الطفل وتأهيله، ومن كان مهتماً بمستقبل الطفل ومصيره لا يمكنه تجاهل مسألة المحيط، وإهماله كأنه أمر غير موجود.

فعندما يكون المحيط مناسباً يكون علاج الطفل وإصلاحه سريعاً وسهلاً، ويعالج انحرافه ومخالفته بسرعة، أما عندما يكون المحيط غير

مناسب ويعج بالموانع والعقبات التي تقف في وجه رشده وكماله فإن إصلاحه في مثل هذا المحيط يصبح ضئيلاً أو مستحيلاً.

فطفلنا قد يقتدي ببقالٍ أو قاضٍ أو عالم دينٍ أو شرطي أو عابر سبيل وما شابه. فتؤثر فيه أعمالهم صالحة كانت أم طالحة، وينسب الطفل عمله وتصرفه الصحيح أو الخاطىء إلىٰ ما شاهده من أولئك. فأي عِشرة بسيطة، أو عملية بيع أو شراء صغيرة تعطي الطفل درساً جيداً أو سيئاً، لهذا فإننا نقول ما دامت موانع المحيط قائمة، فلن تثمر جهود المربي.

الطفل في المجتمع:

يتعرف طفلنا علىٰ العالم الخارجي بشكل تدريجي، ويتأثر به، كما يقتبس النبات من الشمس أشعة، فيتصل شيئاً فشيئاً بالناس والظواهر والأشياء، فالهموم والأفراح والتصرفات تثير تقييمه الذهني وتحرّكه.

ما يراه الطفل في المجتمع هو ما سنجده فيه فيما بعد، لأنه سيطبع تلك الصور في ذاكرته ويعمل بها عند الإستطاعة. فالرياء والتلّون هما من الأمور التي لا تتلاءم مع روحية الطفل، ولا يتقبلها إلا بصعوبة، لكنه قد يتطبع بها تدريجياً، ويعمل بها، وتؤدي به إلىٰ السقوط والضياع دون وعي وإدارك.

وكلما بلغ الطفل سن التمييز أسرع، وعرف نفسه أسرع، كلما ازدادت إمكانية صيانته من العوامل المضلّة في المجتمع. لهذا فإن مهمة المربي هي إرشاد الطفل نحو الأهداف المطلوبة من ناحية، ورفع مستوىٰ إدراكه ووعيه من جهة أخرىٰ، لئلا يضطر المربي من تحذيره من كل شيء، أو أن يصرف كل وقته في عملية ربطه بالمجتمع ربطاً سليماً.

دور الثقافة في المجتمع:

إذا اعتبرنا أن الثقافة تشمل جميع العلوم والأفكار والفلسفات والقيم

والفنون والآداب والتقاليد والسنن، ولكل مجتمع في كل عصر ومرحلة ثقافة خاصة، فإن أفراد ذلك المجتمع يتأثرون بتلك الثقافة عن إرادة ودون إرادة.

فإذا كان فن المجتمع تخديرياً، والأدب والأمثال التي تشجع الناس على تأمين حاجاتهم كانا مستهلكين ومستوردين، وإذا كانت آداب المجتمع وتقاليده تقتل المعنويات بدلاً من أن تحييها؛ عندئذٍ معروف كيف ستكون عليه حال ذلك المجتمع ومعنوياته. فنوع التربية والتعليم في المجتمع، وشكل الأنظمة والقواعد، ونوع القوانين والقرارات، والجو الثقافي والالتزامي للأسرة، وعشرات العوامل المشابهة قد تُظهر لدى الأفراد ميولاً نحو: الإجرام، الإستسلام، العصيان والتمرد، الإنحراف، طلب الخير، طلب الشرّ، الانتقام، اللامبالاة. ويمكنها أن تصنع من أفراد المجتمع مجتمعاً إنسانياً يسلّم إدارة شؤونه لغيره، أو مجتمعاً خلاّقاً يمتلك فكراً مستقلاً ويدير حياته بنفسه.

على أي حال فإن أحد أبعاد التأهيل في المجتمع يرتبط بثقافة المجتمع وقيمه الثقافية، وما دامت الثقافة والقيم الثقافية غير صالحة فإن إصلاح الأفراد لن يكون ميسوراً أحياناً.

وسائل الإعلام:

إن الإذاعة والتلفزيون والفيلم والسينما والكتب والمطبوعات وباقي الوسائل الإعلامية هي من العوامل التي تساهم كثيراً في إعداد البناء الأخلاقي للأطفال أو هدمه. لهذا فإننا نعتقد أن هذه الوسائل والأجهزة يجب أن تكون بيد أشخاص واعين ملتزمين خيّرين ومحسنين.

فالفيلم والسينما والإذاعة والتلفزيون يمكنها أن تقوي الصفات السامية البشرية كالمروءة والعدالة وحب الخير والإيثار والفداء والتضحية، أو تقوي فيه صفات الفساد والإنحراف والانحطاط وارتكاب الجرائم والمنكرات.

وعلىٰ الأجهزة التنفيذية في البلاد أن تضع هذه المؤسسات تحت إشرافها الدائم. وأن تكلّف أفراداً ذوي أخلاق وتقوىٰ وشرف ليشرفوا علىٰ تلك المؤسسات ويديروها ويعدّوا برامجها، وأن يراقب باقي المسؤولين أعمالهم.

المراكز والنوادي:

من العوامل المهمة المؤثرة في بناء أو هدم البناء الأخلاقي للأطفال هي المراكز والنوادي المختلفة التي تقام تحت عنوان نوادي رياضية، إعلامية، تسلية، أدبية، دينية وغير ذلك. والتي يجب أن تكون تحت إشراف كامل ورعاية من قبل المربين الواعين والمخلصين في المجتمع. فما أكثر ما تقوم به هذه النوادي من هدم بدل البناء، واجتذاب الأفراد غير الواعين وإضلالهم وإسقاطهم.

مسؤولو هذه النوادي يجب أن يكونوا أفراداً معروفين، هادفين، ساعين إلى الخير، يهدفون إلىٰ بناء الجيل. لا أن يكونوا من الساعين نحو تدميره أخلاقياً، أن يكونوا ممن يريد مساعدة الأطفال لا استغلالهم، وأن يكون تعاملهم مع الآخرين إنسانياً وإسلامياً، وأن يكون من حق أولياء الأطفال الإشراف علىٰ ما يجري فيها.

محيط العيش:

لإصلاح الأطفال وتأهيلهم لا بد من الوقوف بوجه المحيط الفاسد وغير المناسب فقد دلّت الدراسات التي أجريت أن ٨٠٪ من المخالفات والإنحرافات كانت بسبب وجود جو غير مناسب. فذهن الطفل يلتقط صوراً للمحيط من حوله من: باب وحائط وأفراد مجتمع وحركات وحوادث، وما أكثر التصرفات التي تؤثر في الطفل.

ففي المحيط الذي يوجد فيه كذب ورياء، وفي المجتمع الذي تجذّرت فيه المفاسد، وعلت أبوابه وجدرانه، وفي المحيط الذي ترتكب فيه المعاصي، ويشاهدها الطفل.. في مثل هذا الجو كيف يمكن ممارسة الإصلاح، وكيف يمكن تقويم الإنحرافات والمخالفات؟

لقد ركّز الإسلام على إصلاح المحيط، ومواجهة حركة الإفساد والقضاء على الفساد، وهو لا يسمح للتصرفات الخاطئة لأفراد المجتمع أن تبرز وتشيع، ويواجه بشدة الذنوب والمعاصي العلنية، ويعتبر مرتكبها مجرماً يستحق العقاب.

زملاء اللعب:

كل طفل يحمل وينقل ثقافة وعادات حسنة أو سيئة تعلمها من الآخرين، وحملها معه، ويظهرها عند تعامله مع الآخرين، أو يبادلهم، فيعلمهم ويتعلّم منهم.

إن عدم وجود صديق ومحادث للطفل يعد مصيبة، لكن اختلاط أبنائنا مع أطفال فاسدين أو مجهولين لدينا هي مصيبة أكبر. إننا لا نعتقد بإبعاد أصدقاء الطفل وزملائه عنه، لكننا نعتقد في نفس الوقت أنه علينا أن لا نسمح لابننا أن يلعب مع أي طفل كان ويأنس به.

من القضايا المهمة في مجال تأهيل الأطفال مراقبة أصدقاء الطفل ورفاقه، ولا بد أن يكون ذلك بشكل مناسب، فإذا أردنا منع الطفل عن اللعب مع طفل آخر علينا أن نبيّن له السبب، وأن نؤمن له صديقاً بديلاً.

الآباء والأمهات الملتزمون يبادرون بأنفسهم لاختيار أصدقاء لأطفالهم، أو بالحد الأدنى يضعون أمامه أفراداً يطمئنون إليهم ليختاروا له الأصدقاء المناسبين. فالتردد والعلاقة بين الأطفال لا بد أن تكون تحت إشرافنا، لئلا تتكوّن السلبيات منها.

ضرورة إصلاح المجتمع:

بناءً على ما مرّ سابقاً، إذا أردنا أن نوجد تحوّلاً في الطفل، لا يمكننا أن نتجاهل مجتمعه. وإذا أردنا أن نزيل مفاسده وعيوبه، لا بد لنا من محاربة مفاسد المجتمع الذي يعيش فيه ذلك الطفل.

إننا نعتقد أن الأفراد العاديين في المجتمع لا يمكنهم مقاومة حركة المجتمع لأن المجتمع يجرفهم معه في حركته صحيحة كانت أم خاطئة، ولا يمكنهم أن يصونوا أبناءهم من التأثر بعوامل المحيط من حولهم، وحفظهم في قمقم. لذا لا بد من القيام بالإصلاح على جبهتين، جبهة المجتمع وجبهة الأبناء. وكلما وفقنا في إصلاح هذين البُعدين كانت غنيمة.

فإذا كان الطفل يرى كل يوم تصرفات معينة من أفراد المجتمع من شرطة وبقال ومعلم وعالم، ونريد منه أن يتصرف خلافاً لما يراه ممن حوله من أبناء مجتمعه فلن يكون ذلك. لذا يجب أن يرى الطفل في محيطه الخارجي نفس المفاهيم والتصرفات التي نتمنى وجودها فيه، وإلا فإن التربية المزدوجة والمتعارضة قد تجعل من أطفالنا مجرمين بالقوة، وتدفعهم للتخفي في الأفعال المرفوضة.

من المبادر؟:

الجواب على هذا السؤال واضح، فمن واجب كل فرد يمتلك القدرة على إصلاح المجتمع وتنقيته أن يبادر إلى ذلك، ولا بد من تعبئة الجميع في هذا الإتجاه، وخاصة أهل الحل والعقد، أي المؤثرين والمسؤولين التربويين، فتوضع الخطة التي تحمل برنامج عمل منبثق من تدبيرهم لإصلاح مصير حاضر المجتمع ومستقبله.

فمن واجب الجميع أن يجهّزوا أنفسهم: الأهل، المربّون، المدارس، المؤسسات الحكومية والأهلية، مراكز الإرشاد والنصح، الإصلاحيات،

المسؤولون الحكوميون. عليهم جميعاً أن يهبّوا من أجل إصلاح المجتمع، والقضاء على المجالات المضلّة، وإبعاد الجيل الجديد عن تأثيرات التربية الخاطئة.

على مسؤولي المجتمع أن يبذلوا الجهد لاكتشاف مشاكل الأطفال وحرمانهم، وأن يضعوا الدراسات والبرامج لتحسين أوضاعهم، وأن يحددوا المخاطر التي تقف في طريق بناء الأطفال، ويبعدوا الأطفال عنها.

دور الحكومة:

كما رأينا فإن الجميع يتحمل المسؤولية في هذه العملية، ومسؤولية الحكومة في هذا المجال أكبر، على الحكومة أن تتخذ التدابير الاحترازية والداعمة في هذا المجال، على الحكومة أن تبذل قصارى جهدها للقضاء على عوامل التخريب والإفساد في المجتمع. ومن الطبيعي أن تكون تلك الجهود نابعة من إيمان المسؤولين وعقيدتهم.

من واجب الحكومة أن تحفظ الأطفال من المخاطر التي تنتظرهم، وأن تعبّد الطريق من أجل نجاتهم من الإنحرافات والضلال والفساد، وأن تجهّز مؤسساتها لحفظ الأطفال من المخاطر المختلفة.

هذا الواجب يقع على عاتق جميع الحكومات أساساً، لكن واجب الحكومة الإسلامية أكبر، فعلى الحكومة الإسلامية أن تكون السبّاقة في مواجهة المنكرات في المجتمع، وأن لا تهدأ في معالجة المخالفات الاجتماعية. فالحكومة هي المسؤولة عن تنقية المجتمع، وإذا وجدت مخالفة أو معصية ترتكب داخل المجتمع عليها أن تهبّ للقضاء عليها بكامل قدرتها.

* * *

القسم السادس
مساحة التأهيل وأبعاده

التأهيل التربوي يجب أن يشمل جميع الأبعاد الوجودية للإنسان، فيشمل جسمه وفكره وذهنه ونفسه.

نريد أن نصلح الصفات الوراثية غير المناسبة لدى الطفل، أو إضعافها كحد أدنى، وأن نحلّ عقده النفسية، وأن نزيل عنه الأفكار المؤذية والتصرفات غير السليمة، وأن نقضي على نواقصه الأخلاقية، وأن نخلّصه من كل ما يؤذيه من نواقص ومخالفات وأي عامل يبتلى به، وأن نقضي على المخالفات الأخلاقية والقبائح وغيرها.

التأهيل يجب أن يشمل مساحة واسعة تكفي لإصلاح ما خرب من الأطفال. حتى يتم القضاء على العادات السيئة لدى الطفل من: قرض الأظافر بالأسنان، والتبول في الفراش، وافتعال الحجج، والتمرد، والتخريب، والكذب، والفوضى، والسرقة، والتقوقع، واللامبالاة، والانفعال بسرعة، والبكاء دون داعٍ، والضحك الزائد عن الحد، والإدمان، وليسير بعدها الطفل في طريق وأسلوب سليم، يخوض بهما غمار حياته الإجتماعية.

نعم يجب أن تكون مساحة التأهيل واسعة لتشمل: جبران جميع نواقص الطفل، وإصلاح جميع اعوجاجاته، وزوال جميع العوامل التي أدت

إلى ابتلاءات الطفل، والقضاء على جميع الصعاب التي برزت في ظل الظروف غير المساعدة من محيطه الطبيعي.

في هذا القسم قمنا بتخصيص فصل للمحافظة على البدن وتأهيله، وفصل للمحافظة على النفس وتأهيلها، وفصل ثالث لتأهيل الذهن. وسنبحث في أبعاد كل منها.

* * *

الفصل الأول

إن الجسد حي بالروح والعقل، ومرتبط بالعمل والتصرفات. فكثير من التصرفات الحسنة أو السيئة ترتبط بالجسم. المخالفات والإنحرافات والميول وسوء الخلق ترتبط إلىٰ حد كبير بضعف البدن وقوّته، بقبح البدن وجماله، بكمال البدن ونقصه.

فقوة البدن قد تيسّر للإنسان أسباب التجبّر والعصيان والغرور، رغم أن قوة البدن هي نقطة إيجابية للإنسان، لأن النشاط الفكري وسلامة التفكير لا غنىٰ لها عن قوة البدن، بل وحتى المدمن فإنه يحتاج إلىٰ قوة جسدية ليتمكن من الإقلاع عن إدمانه.

إنَّ ميولنا التي تنشأ من غرائزنا، لها جذور جسدية، وإذا لم تبن وتربىٰ فستؤدي لوقوع حوادث مرة. وعليه فإنَّ معظم الحوادث والتصرفات وحتى الجوانب الفكرية والأخلاقية والعملية التي تترافق مع بروز هيجان وعواطف فإنها ردود فعل وانعكاسات جسدية.

دور مراحل النمو في التصرفات:

إن كثيراً من التصرفات ترتبط بالبدن، وخاصة في مرحلة النمو. مثلاً: تصاحب مرحلة الطفولة حالات طغيان غير مفهومة تصيب الأطفال، طغيان يظهر فجأة ويختفي فجأة أيضاً، فوضعه النفسي في تقلب دائم كأمواج البحر.

فيتصرف الطفل تجاه أمر ما تصرفاً خاصاً لا يرضاه الأهل، إن تصرفه ذاك يرتبط بمرحلة نموّه الجسدي أو الفكري. طفولته تستدعي منه الركض والقفز والضحك والبكاء دون أن يكون هناك سبب كافٍ أو مقنع.

وخلال مرحلة اليفع والبلوغ أيضاً تصدر عن اليافع والبالغ تصرفات ترتبط بمراحل نموّه. وأساساً فإن البلوغ ـ بحدّ ذاته ـ يدفع البالغ إلىٰ التصرف بشكل خاص ومعقد، ويسبب المشاكل لذويه، من: سوء الخلق، العبوس، الأنانية، الأعمال الساذجة. كل تلك التصرفات في هذا العمر ترتبط بالبلوغ والتغيير في السن. وعليه فإن للبدن أيضاً دور مهم في حصولها.

تأثير اختلالات البدن علىٰ السلوك:

إن الحالات المختلفة للإنسان كأبعاده الوجودية لها تأثير علىٰ جسمه وذهنه وروحه، كما أنها تؤثر في بعضها البعض الآخر، وعند حدوث أي اختلال في أحدها، فإنه يؤدي إلىٰ اختلال الأقسام الأخرىٰ. فعندما يظهر في البدن تداخل واضطراب، أو نقص واختلال يصاب الإنسان بالعمىٰ أو الصمم، ويتغيّر سلوكه. ومن الاختلالات المؤثرة في السلوك:

١ ـ **النقص**: الطفل المبتلىٰ بنقص في أحد أعضائه كالعمىٰ أو الصمم، أو شلل في يده أو ساقه؛ تكون هيئته قبيحة ومخجلة في نظر الآخرين، جسمه نحيف، ضعيف البنية. ومن البديهي أن يكون سلوكه غير موزون.

فقد يكون سلوكه خشناً وعنيفاً، أو علىٰ العكس من ذلك يكون مستسلماً وخاضعاً لإرادة الآخرين وطلباتهم ومفاسدهم تحت أي تهديد أو تشجيع بسيط، أو قد يكون الطفل شخصاً معقّداً ولا يعرف السكينة، يحاول دوماً اكتساب محبة الآخرين وعطفهم، أو الانتقام من الآخرين، والتشاؤم من الحياة...

ولا شك أن الصعوبات التي يضعها الوالدان، واللوم الدائم له من قبل

والديّ الطفل أو الآخرين تعمل علىٰ تغذية بعض عيوبه لتزيد من تزلزله وعدم ثقته، وتجعل تصرفاته وسلوكه أكثر ابتعاداً عن المطلوب.

٢ ـ التعب والإرهاق: إن التعب وظهور حالة الانحطاط في البدن تؤدي إلىٰ ايجاد تصرفات غير موزونة، فمن يتعب بسبب استهلاك جسده، تتلف عضلاته. ومن لا ينام بشكل كافٍ ولا يستريح لا يمكنه أن يفكر بشكل صحيح ويتخذ القرارات الصائبة، أو يؤدي العمل بشكل حسن. بل يكثر الخطأ في قراراته وعدم الإتزان في تصرفه.

التعب والإرهاق قد يوجدان لدىٰ الشخص حالة من العنف والعصبية، أو علىٰ العكس من ذلك حالة من التسليم والأسر والعبودية. وقد يوجد الإرهاق فراغاً أو خللاً دماغياً، يجعل المصاب عاجزاً عن تقييم عمله. وأخيراً فإنه من البديهي والمسلّم به أن الشخص المرهق لن يكون شخصاً عادياً موزوناً.

٣ ـ المرض: إن وضع البدن من ناحية سلامته أو مرضه له آثاره علىٰ تصرفات الطفل، فالأطفال المرضىٰ دوماً يصابون عادة بانحراف خلقي وعدم اتزان، مساحة توقعاتهم كبيرة، لجوجون، يطلبون عطفاً وحناناً مفرطاً، ويتدللون.

ومن الطبيعي أن تفقّد الطفل بشكل مفرط وزائد سيضر به، تماماً كما هي حالة إهماله وعدم تأمين حاجاته ورغباته. إن الاهتمام الزائد به وخاصة في فترة النقاهة تترك أثاراً سلبية عليه، وتجعل من تصرفه اللاموزون أكثر تأرجحاً.

الأمراض تترك أحياناً أثراً سلبياً علىٰ عقل الطفل وذكائه، وتشل نشاط الدماغ. فخلل بسيط أحياناً كانسداد طريق التنفس بسبب الزكام أو غيره يؤدي إلىٰ سوء خُلق وعدم اتزان في تصرفات الطفل، ولا بد من معرفة هذه الأمور بشكل جيد.

٤ ـ **وضع المزاج والهضم**: تشير الدراسات العلمية إلى أن الوضع المزاجي للأفراد يؤثر في سلوكهم، فالطفل الذي يكون مزاجه وخروجه جافاً لا يتصرف مثل الطفل السليم. كما أن وضع الطفل الذي يعاني من أسهال دائم لا يكون مثل الطفل السليم.

فضعف المزاج، الأصفرار الدائم، القابلية الوراثية الناشئة عن أمراض متجذرة موروثة عن الأب أو الأم أو الأجداد، والتي تجعله مؤهلاً أكثر من غيره للإصابة بالأمراض؛ تجعل سلوك الطفل في حالة من عدم الإتزان الدائم، وتؤدي إلى بروز السلوك السيء.

الأمر نفسه يكون بالنسبة للأطفال الذين يحبسون البول أو الخروج، ويمتنعون عن دخول الحمام، أو الأطفال المصابين بآلام قلبية وما شابه بسبب شراهتهم أو قلة طعامهم أو بسبب تناولهم لأغذية متضادة وغير متلائمة.

ضرورة الاهتمام بالبدن:

ليكون لدينا طفل متعادل ومتوازن لا بد لنا من الاهتمام بوضعه الجسدي، وأن نسعى إلى تقوية جسده ليتمكن من الدفاع عن نفسه، وليصون نفسه من الشرّ. ويرتكز الاهتمام على ثلاثة امور جسدية هي: الدم، العضلات، الأعصاب.

إننا نحتاج إلى نمو الجسد، ليتمكن الجسد من القيام بالأعمال المفيدة والضرورية، وليتمكن من الدفاع عن نفسه وغيره لا بد أن يكون سالماً وقوياً. كما أن الغرائز والقدرات تنتظم في ظل نمو البدن ومع وجود أرضية اخلاقية حسنة، وتعد الإنسان للعيش بشكل أفضل.

ومن فوائد الاهتمام بالجسد وإعداده نقول إن الجسد الجميل والمعد والمخلّق يكون اكثر ثقة بنفسه ويتكلم بشكل أكثر ثباتاً، ويبدي رأيه باتزان.

وصايا إسلامية حول الجسد:

أوصى الإسلام بحفظ الجسد وتربيته وإعداده، وخلافاً لما اعتقده بعض المذاهب غير المادية، فإن الإسلام يعطي الجسد قيمة واحتراماً. الإسلام يريد الجسد قوياً، سالماً من الأمراض، معافى. ولهذا اعتبر أن تعريض الجسد للأمراض ذنب ومعصية.

ولوجود أهمية البدن هذه، فإن الإسلام أمر بتناول الطيبات من الطعام الحلال، وأكل الفاكهة والخضروات والألبان، وقد حوت تعاليم الاسلام من ذلك الكثير.

وأوجب الغسل والوضوء من أجل حفظ بدن الانسان وتأمين سلامته، لكنه منع ذلك عنه عندما يكون استخدام الماء مضرّاً به، منعه من الوضوء، وعندما يزيد الغسل من شدة المرض أعفاه منه أيضاً، واعتبره حراماً.

ومن الاهتمام الإسلامي بالجسد طرحه لمسألة الديّات، فجعل لكل من: ضرب الوجه واللطمة واحمرار الجلد واسوداده، والجرح وإراقة الدم، وقطع الأعضاء ديّة وقصاصاً. ولم يسمح حتى للوالدين والمعلمين ضرب الأطفال بشكل مؤذٍ.

مساحة إصلاح البدن:

إن مساحة إعداد الجسد والاهتمام به تشمل جميع أبعاد وجود الإنسان ومنها الأبعاد الثلاثة التالية:

١ ـ الدم الذي يشكل وسيلة لنقل الطعام والهواء، وسلامة الإنسان أو مرضه.

٢ ـ العضلات التي تشكل نقطة قوة البدن وتماسكه.

٣ ـ الأعصاب التي تتولّى مهمة الحس، وتحريك العضلات، والبدن،

وتقوم بتأمين الإتصالات. ولا بد من الاحتراز من الاستنفار غير المعتدل للأعصاب لأنه يذهب بالتوازن الفكري والنفسي.

ولا بد من الالتفات إلى الغرائز الجسدية، دون المبادرة إلىٰ تقويتها، بل إلى تربيتها وتهذيبها أو تعديلها.

كما لا بد من العناية بالحواس من: عين وأذن ويد ولسان وأنف، فكل واحدة منها تشكل نافذة للتعرف علىٰ العالم الخارجي من حولنا، ولا يمكننا العيش دونها.

طرق الإصلاح:

هناك طرق وأساليب لمعالجة الضعف والنقص في بدن الطفل، بعضها لا بد من إجرائه بشكل دائم ومستمر، والبعض الأخر عند الضرورة واللزوم فقط، لكن علىٰ الوالدين والمربين أن يبحثوا دوماً عن أسباب سوء التصرف لدىٰ الطفل، أو النقص أو الانحراف لديه، وأن يستخدموا الحد الأقصىٰ من تجاربهم لملء نقاط ضعفه. وليس أمام المربي من طريق سوىٰ دراسة تغيرات وضع الطفل، ووضع برنامج لإصلاحه. أما الطرق والأساليب فهي كثيرة منها:

١ ـ **الرياضة واللعب**: إن الرياضة لازمة لتقوية البدن وسلامته، فالبدن يكون رياضياً وقوياً ومهيئاً للنمو الفكري، فالطفل الذي يمتلك جسماً سليماً ورياضياً يمكنه أن يفكر بطريقة أسلم وأسرع من غيره.

الرياضة في الهواء الطلق، التسلية المشروعة، الألعاب الحماسية التي لا تؤدي إلىٰ الإرهاق، كل تلك الأمور لها الأثر الملحوظ في نمو الجسم وتقويته. وقد أشارت الدراسات إلىٰ أن ترويض العضلات يساعد علىٰ دقة التركيز الذهني، فعندما يمارس المرء رياضة يومية لمدة نصف ساعة فستبرز لديه أثار إيجابية، وقد يستعيد بها قوته وسلامته التي كان قد افتقدها من قبل.

٢ ـ السلامة والصحة: إن مراعاة الإرشادات الصحية والسلامة العامة أمر ضروري لضمان نمو الجسم وتربيته، وبرعاية تلك الإرشادات يمكن الحدّ من كثير من الانحرافات وسوء الخلق، فمن الجدير ذكره أن قذارة البدن وقلة الاستحمام بحد ذاتها تؤدي إلىٰ سوء التصرف.

وقد أوصىٰ الإسلام برعاية الصحة، وهناك وصايا وتعاليم كثيرة حول الماء والغذاء واللباس والنظافة، وإذا ما التزمنا بتلك التعاليم فسنجد أن لكل واحدة منها دور في سلامة الجسم وتصرف الفرد.

٣ ـ الهواء النقي: يعتبر الهواء النقي والنظيف من العوامل المؤثرة في الحفاظ على سلامة الجسم أو تأهيله صحياً حيث يسهم في تنقية الدم، ونقاوة الدم لها علاقة بتحلّي المرء بالدقة.

التجارب الحياتية دللت على أن سكان المناطق المخضرة والجبلية والبعيدين عن التلوث والغبار وأدخنة السيارات والمعامل يتمتعون بصحة وسلامة وقوة تفوق التي يمتلكها سكان المدن والأماكن الملوثة.

ويوصي العلم بنقل المصابين بأمراض نفسية إلى بيئة تتمتع بأجواء هادئة وصحية لان ذلك يساهم في استعادتهم عافيتهم وهو ما يلجأ إليه أطباء النفس في معالجة مرضاهم.

٤ ـ التغذية: إن تناول الإنسان للطعام بصورة صحيحة يقلل من إستعماله للأدوية إلى الحد الأدنى وعلى كل حال فهناك ثلاثة عوامل هامة في سلامة وطول عمر الإنسان وهي الماء والهواء والغذاء.

نعلم بأن الجسم يمر مع توالي الأيام والدقائق بأطوار تحلل القوى وعلى المرء تعويض مافاته من النقص أو فقده.

إن الأطفال الذين ينعمون بتغذية أفضل يكونون عادة أصح جسماً

وأسلم ذهنية من الأطفال الفقراء الذين لا تتوفر لهم مثل تلك الإمكانات، ومن البديهي أنه لابد من أن يكون الطعام نظيفاً وحلالاً طيباً.

ويرى علماء النفس أن للتغذية دوراً مهماً في سلوك الإنسان ويذهبون إلى أن المرء إذا أراد أن يتعرف على ماهية شخص ما فعليه أن يسأله عن أكله "قل لي أولاً ماذا تأكل؟ حتى أقول كيف أنت.." والمتفحص للروايات الإسلامية يقف على هذه الحقيقة بسهولة ومن هنا جاءت حلية وحرمة بعض الأغذية.

٥ ـ **النوم والخلود إلى الراحة**: يحتاج الأطفال البالغون إلى النوم والراحة وحسب الجهد المبذول، فالجسم يسكن حال النوم والإستراحة وتهدأ حينها الثائرة وتزول التصرفات السيئة.

فالطفل أو البالغ الذي يقل نومه أو لا تغمض جفونه وليست له تصرفات طبيعية يفقد أعصابه بمجرد صدام أو إصطكاك بسيط فيلجأ إلى الزعيق والصراخ والتفوه بما لايليق و.. والمفروض في هذا الحال أن ندع هذا الشخص ليستريح لا أن نعاكسه، حتى الأطفال بما فيهم الصغار علينا ترغيبهم في الذهاب إلى الفراش وذلك بأساليب وحجج متنوعة ومختلفة.

٦ ـ **المعالجة الطبية**: ثم لا بد من أن يجري تعويض النقص والإهمال والتكاسل والتوتر والتصرفات المذمومة عبر مداراة طبية، وعلى أولياء الأمور والمعلمين مسؤولية ثقيلة في هذا المجال، وسنعاود البحث في هذا الموضوع لاحقاً.

الفصل الثاني
تنمية الذهن

يتلخص عمل الذهن في تنضيج الفكر والتجريد والتعميم والمقارنة، فيمكنه تعميم أمر ما وهو بهذا التعميم يمتطي جادة الصواب بطريقة مغلوطة.

إن الذهنيات المتفتحة يمكنها أن تكون منطلقاً لأفكار سامية ومحفزاً للإبداع والإبتكار والتخطيط الصحيح والبرمجة الدقيقة، وبدونها لايمكن التفاؤل بحياة فاعلة وقيمة لبني البشر.

إن العاجز عن التحليل والتمييز بين الأمور الحسنة في ذهنه والمتمادي في تخيلاته وظنونه وغير القادر على تقييم أو نقد موضوع حسن لن يمكنه الإفلات من آثار وإفرازات تقييماته وتصرفاته الخاطئة أو الفرار منها. كما أن الخامل ذهنياً ومن لا يستطيع الوقوف على الحقائق أو كنه الأمور بسرعة لن يكون قادراً على تخطي الأمور بسهولة وبالتالي يكون مفتقراً للتصرف المناسب والمتزن.

ضرورة تنمية الذهن:

من هذا المنطلق كانت تنمية وتربية الذهن أو بعبارة أدق "تأهيل الذهن" واحداً من واجبات ومهام المربين من الوالدين والمعلمين.

ينبغي تربية الذهن بحيث يكون بالمستوى المطلوب في التفكير والمقارنة والموازنة والفهم وكذلك في الإستيعاب والنقد والفصل بالحق والإستدلال بالمنطق.

إن التسرع في الأمور وإطلاق الإدعاءات الفارغة وإصدار الأحكام غير المناسبة والقرارات غير الصائبة وتقبل الأمور بصورة تقليدية و.. كل هذه النقاط ترتبط بنضج الذهن، ولو استطعنا أن نعيد تنظيمه فإن هذه الأبعاد غير الصحيحة ستتلاشى أيضا.

من جهة أخرى فإن تنمية الذهن ينبغي الإهتمام بها من جانبين:

١ ـ إن الذهن محل الفكر ومركز الشعور والإحساس، وحياتنا مرتبطة به إلى حد كبير.

٢ـ الذهن مركز القيادة بالنسبة لحركة الإنسان ونشاطه ومنه يتضح إن كانت حركة الإنسان هادفة أم لا.

على مسار تنمية الذهن:

لابد في مسيرة تنمية الذهن من تخطي ثلاث مراحل..

أ ـ مرحلة التخريب: نسعى في هذه المرحلة إلى التخلص من كل ماهو خطأ وغير صحيح من ذهن المرء سواء أكانت صنمية كرسها خياله أو أوهاماً واهية تكدست فيه، وتحقيق ذلك يكون عبر تخطئة الأفكار المكرسة من خلال الإستدلال والمنطق المتين والإستفادة من لغة المحاورة والمناظرة والتفاهم.

ب ـ مرحلة التطهير: نسعى في هذه المرحلة إلى إزالة ومحو العادات السيئة والإستدلالات المغلوطة والإستعارات الركيكة والتخوف في غير محله من ذهن الشخص وبحيث لا يبقى شيء من الأفكار الملوثة، على أن يتم

الأمر بموافقة الشخص نفسه . . وبعبارة أخرى ينبغي له الوثوق بأن مايحمله في ذهنه غير صحيح وعليه تركه.

ج ـ مرحلة البناء: نسعى في هذه المرحلة إلى تثبيت النقاط الإيجابية والقيمة وهذا يمكن تحقيقه عبر تعليمه المواضيع القيمة وتلقينه بالمضامين الرفيعة.

المقومات اللازمة لتنمية الذهن:

اذا أردنا ان ننمي ذهن الطفل فلا بدّ من مراعاة النقاط التالية:

١ ـ التوعية: ينبغي تفهيم الطفل الأفعال أيها صحيح وأيها خاطئ وتعليمه أن التصرف الفلاني قبيح ومذموم والتصرف الفلاني ممدوح ومستحسن. هذا التعليم يجب أن يطال كافة المجالات بما فيها المتعلق بالعالم الخارجي والقضايا الحياتية والحواس وكل ما له ارتباط بالنفس والبدن حتى يعرف الطفل حقيقة الموقف الذي عليه اتخاذه في مقابل الأحداث والقضايا المختلفة، ويعرف أين أخطأ وماذا عليه أن يفعل.

من الصعوبة أن نعرف قصد ونية الطفل ونكتشف حقائقه وكنه أسراره، والأمر نفسه بالنسبة للطفل؛ أي هو الآخر لا يمكنه أن يدرك شيئاً من أسرارنا، وبالتالي من الضروري توجيهه وتوعيته بالمقدار اللازم وتعليمه المقررات والضوابط.

٢ ـ تقوية ملكة الإستدلال: ليس كافياً في مسيرة تنمية الذهن أن نجري عملية تفريغ الأفكار والتصورات الخاطئة من ذهن الطفل فحسب. . بل المهم أيضاً أن نفهمه سبب خطأ هذه الفكرة وسبب عقم ذلك الأسلوب، أي إفهامه الدلائل والأسباب التي تتعلق بالموضوع.

ما أكثر الخطأ الذي يرافق التأييدات والأحكام التي تصدر بحق الآخرين

والتي تمهد في الواقع إلى تخبط الطفل ووقوعه في الخطأ تلو الآخر ومن ثم سوقه إلى الإنحراف. من الضروري بالنسبة لنا أن نوجد ترابطاً منطقياً بين الأحداث الجارية وبين أفكاره حتى يستطيع في ظل ذلك أن يهتم بكشف خفايا العالم الخارجي ويقف على الحقائق الموجودة في هذا الإطار ويحدد عندها موقفه من القضايا الواضحة.

٣ ـ **تقوية الحافظة**: يعد الإهتمام بتنمية الحافظة من العوامل المهمة والرئيسة في تنمية الذهن علماً أن الذهن نفسه وعاء للحافظة والتخيل والإستدلال والإبتكار وأن تطور أي من هذه الجوانب ينجم عنه نمو في الذهن، ولهذا اتسم دور الحافظة بصفتها من أجزاء الذهن بالأهمية البالغة.

إن كثيراً من الأخطاء بما فيها الكبيرة منها، ناجمة عن خطأ الحافظة؛ أي أن الشخص قد يرتكب خطأ في تسجيل وحفظ المعلومات والوقائع فيحفظها بشكل مغلوط في الذهن.. هنا تبرز أهمية المعلم وضرورته إذ ينبغي تحفيز الطفل على حفظ بعض المعلومات والأشعار والنصوص والعبارات بصورة صحيحة ودون أن يشعر بالملل أو التعب.

٤ ـ **تنمية قوة التخيل**: إن قوة التخيل في الإنسان منشأ الكثير من صور التفاؤل أو التشاؤم فضلاً عن كونها أحياناً مدعاة لظهور الإنحراف أو الفساد. تتأصل الأفكار والتخيلات أحياناً في أعماق الطفل بحيث لايستطيع إظهارها للعلن ببساطة بل ولا حتى التعبير عنها ذلك أنها لم تتبلور أمامه بشكل واضح. لو استطعنا أن نسارع في مثل هذه الحالات لنجدة الطفل ومساعدته على إعطاء صيغة وهيئة معينة فإننا نكون قد وفرنا الظروف من كافة الجوانب لبناء ذاته وإصلاحه.

إن الطفل قد يعاني ويرتعب من التخيلات المخيفة والكوابيس، وأن إحدى مهام المعلم طرد الأوهام والكوابيس من مخيلته، ذلك أن الطفل

يحمل في مخيلته فرضيات ربما لايقبلها الأكبر منه سناً غير انها أمر واقع يعيشه ولاينبغي توبيخه عليه بل يجب تفهيمه أن مايفكر به مجرد خيال ليس إلا.

إن تنمية قوة التخيل أمر جيد شريطة أن لا تصل إلى مرحلة نسج الخيال علماً أنه يتحقق حينما يكون فيه عاطلاً أو كسولاً. إن البطالة منشأ كثير من الإنحرافات الخلقية والإضطرابات النفسية وأقل تبعاتها هي نسج الخيال.

٥ ـ تقوية حب الإستطلاع المفيد: إن الطفل يحب الإستطلاع إنطلاقاً من فطرته وغريزته، ويجهد نفسه في البحث بغية معرفة ما خفي عنه من المعلومات اللازمة الأمر الذي قد يجره إلى حيث الهاوية أو مكان سيء وحينها يتهم بالشعوذة.

من الطبيعي أن الطفل سيواصل تذمره وشعوذته طالما لم يجد طريقاً جديداً لإرضاء فضوله الذي يتسبب عادة في عدم ارتياح المحيط، فالطفل لا يتورع عن القيام بأي شيء أو زج أنفه في كل شيء من أجل إرضاء فضوله.

إن إشغال الطفل بموضوع إنشائي وتحفيزه على تناول جوانب مختلفة منه يعد بحد ذاته تمهيداً وأرضية لتربية وإرضاء فضول الطفل، كما أن وضع صورة أمام الطفل تدفعه لإعطاء شرح لها، وعلى كل حال يجب تنمية العاطفة والمحبة التي تدور في دائرة العقل والروح وتنبثق من فضول وتطلع الإنسان.

٦ ـ رفد الذهن بالمعلومات: من الأمور المهمة في تربية الذهن هي تخزين المعلومات بطريقة ما تعرف في الفقه بقاعدة الإستصحاب، أي أن يقوم الطفل بتذكر بعض الأمور عبر رؤيته لشيء آخر وهذه العملية مؤثرة جدا في تربية الذهن.

إن القدرة على التداعي والإستصحاب الذي حيزه الضمير تساعد في الربط بسرعة بين الأمور مما يعني إمكانية حل الكثير من المشاكل. لابد من

ملء الذهن ولكن ليس بالمواضيع التافهة والخرافية، لأن ذلك ليس فقط لايلئم جرحاً بل وينهك الذهن أيضاً.

لا ينبغي ملء الذهن بالمواضيع الخرافية التي لا أساس علمياً لها بل وحتى القضايا العملية لأن ذلك قد يؤدي إلى إيجاد ردة فعل سلبية لديه وإتعابه والخلط بين الأمور في بعض الأحيان.

على طريق التنمية:

ينبغي مراعاة واستثمار النقاط التالية في مسار تنمية الذهن، وهي:

١ ـ **أنانية الطفل**: إن الطفل أناني بطبعه شأنه في ذلك شأن كل إنسان يحب ذاته ويرغب بأن يكون محبوب الآخرين، وليس يروقه مطلقاً أن يعد أحمقاً أو جاهلاً بل يعتبر مخاطبته بأنه لم يفهم النقطة الفلانية أو لايستطيع تحليل الموضوع الفلاني إساءة له.

إن أنانية الطفل تعد حافزاً جيداً عنده على التفكير وتنشيط ذهنه، فهو يضغط على نفسه ويستجمع قواه ويسعى لإيجاد صلة بينها حتى يبلغ حل المسألة أو يكشف عن مكنونها.

٢ ـ **الرغبة في الإنتفاع**: إن المشاعر الخاصة بالإنتفاع من الأشياء المحيطة تدفع الشخص إلى التدخل في بعض الشؤون أو الإلتفات لبعض النقاط. وفي هذا السياق يندفع الطفل متلهفاً لمعرفة كل شيء ويزيد التدقيق ليحقق حاجة في نفسه وهذا الإهتمام..

ـ قد يكون لاستحصال المنفعة.

ـ وربما لتلبية حاجة البدن مثل البحث عن الغذاء في ثدي الأم مثلاً.

ـ أو لتلبية حاجات نفسية مثل العجب بالنفس والحرص والأذية.

ـ وربما لتلبية رغبات وآمال قلبية من منافسة وميل نحو الجمال.

ـ قد يكون جائعاً مثلاً فيعمل على سد حاجته وعندها يكون حساساً إتجاه الروائح ومكان الغذاء أو أنه يتجه نحو صدر أمه وهو أمر يمهد بحد ذاته لتنمية الذهن.

٣ ـ التزيينات: تعد الإستفادة من التزيينات أو الوسائل المحببة إحدى السبل الكفيلة في تكريس المفاهيم لدى الذهن، أي ينبغي العمل على خلق رغبة في الطفل إتجاه الموضوع المعني والتزيينات وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

إن الأطفال غالباً ما يولون إهتماماً أكبر للأشياء التي تمتاز بظاهر مدهش ومتميز وجميل فيميلون إلى معرفة تفاصيلها بل وفهمها بسهولة ووضوح.

٤ ـ التحفيز على الاختيار: إن الإنسان بطبيعته موجود ناخب ويبادر إلى الإختيار، ولو تم العمل على إيجاد وتربية هذه الخصلة في الطفل فإن ذلك سيساعد في تنمية الذهن وعلى هذا لابد من حث الطفل على التدقيق في الشيء والعثور على جوانبه الإيجابية والسلبية وتحبيب هذا الفعل إلى نفسه حتى يمكنه اختيار الأحسن، وميزة هذا النوع من الإختيار أنه ينمي لديه قدره الإستدلال واعتماد المنطق.

٥ ـ التدريب على التركيز: من العوامل المهمة في تنمية الذهن التمرين على التركيز الفكري فهو يساعد على التفكير بالمسائل المختلفة بصورة جيدة، ومن طرق التمرين هذه أن يقال للطفل " سأتلفظ بجملة لمرة واحدة وأريد منك أن ترددها ".

على أن من الضروري أن تشكل الجملة في محتواها ومفرداتها جزءاً من إهتمامات الطفل حتى يمكن لفت نظره بأكبر قدر ممكن. ومن الطرق الأخرى دفعه إلى القراءة ومن ثم شرح المفهوم الذي قرأه.

جدير بالذكر هنا أن تعويد الطفل على القراءة بسرعة أمر جيد لكن من الخطأ أن تتم القراءة بصورة سريعة تواكبها حالة من الإضطراب لأن ذلك سيشتت فكره ويفقده تركيزه وبالتالي لايدركماينبغي أن يفهمه.

٦ ـ **المراقبة الصحية**: يرتبط نشاط المخ إلى حد كبير بدورة الدم في الجسم وكذا الغذاء المناسب والعامل الصحي والهواء الكافي والطفل الذي يواجه مشكلة في هذا المجال لا يمتلك ذهنية مناسبة ولا يمكن أن يكون فرداً بمواصفات طبيعية ومن أصحاب الفكر والمنطق.

يؤكد الطب على أن الشخص يحتاج الى مراعاة صحية أكثر كلما ازداد ذهنه تعقيداً وتقدماً، ولذا فأولئك الذين يستدعي عملهم جهداً ذهنياً أكبر يحتاجون إلى مراعاة صحية أكثر.

٧ ـ **المراقبة الغذائية**: كما أشير سابقاً فإن تنمية الذهن تحتاج إلى أغذية قليلة في كميتها غنية في محتوياتها مثل السكريات كالزبيب والتمر والمواد الدهنية والمكسرات كالفستق وغير ذلك مما هو مفيد جداً وضروري لأولئك الذين يبذلون جهداً فكرياً.

الحبوب والبقليات تحتوي عموماً على نسبة عالية من الفسفور ولها دور مؤثر في الحل محل المواد المستهلكة وكذلك في الحفاظ على القدرة الذهنية وتزويد المخ بالغذاء الكافي، وعلى هذا فمن يرغب بتحقيق نجاح في هذا المضمار فعليه الإلتزام والتمسك بالمراقبات المذكورة.

٨ ـ **الخوف والإضطراب**: ينبغي تجنيب الطفل المواضيع التافهة والعارية من الصحة وحالات الخوف المفاجئة والاضطرابات والتشويش والسعي قدر الإمكان إلى عدم مواجهته لهذه الأمور حيث ما أكثر مشاهد الخوف التي تؤرق وتتعب ذهن الطفل.

إن مرور الطفل بحالات التشويش والإضطراب وتمركز الخوف في

ذهنه يترك أثراً سلبياً على نشاطه بل ويمنعه من إنجاز عمله، وحينما يعيش الطفل في أجواء مخيفة أو يفقد أعصابه بسبب الضجيج والأصوات النكرة يتحطم غروره ويشعر بأنه ذليل ويتفاقم هذا الشعور عندما يرى الوالدين والمعلمين وقد أصابهم الهلع والخوف ولذا ليس للمعلم إلا أن يحافظ على هدوئه في مقابل المفاجآت والأخطار، وعموماً لاينبغي للمرء أن يظهر بمظهر الخائف أمام الطفل بل وينبغي له مواساة الطفل الخائف وإزالة هذه الحالة عنه.

الفصل الثالث

تهذيب الروح

إن تهذيب الروح يعد قسماً من الأهداف الواسعة النطاق والملحوظة في تأهيل الأشخاص وإعادة بناء شخصياتهم وهذا الأمر لا يتم بمعزل عن عملية نمو الجسم حيث يرى علماء النفس كلهم أن الروح مؤثرة في الجسم والعكس صحيح أيضاً.

فمثلما يؤدي الأذى الجسدي إلى أذية الروح أو اللذة إلى إدخال السرور عليها فإن الإغتمام يجعل الجسد يستشعر المرض والإبتهاج يجعله حيوياً نشطاً، ولقد برهن العلم اليوم على أن الغموم والهموم تؤثر في إصابة الأمعاء والأحشاء بمختلف أنواع الإختلالات.

يعتبر تهذيب الروح من القضايا الضرورية في حياة الإنسان وأن التباين بين الإنسان الطبيعي وغير الطبيعي والكامل والناقص يرتبط إلى حد كبير بهذا الأمر، فمن يطغى التعب والكسل على روحه ولا يتمتع بالسلامة يكون غير عادي ولا منتظم وعلينا أن نعمل على تأهيله وبناء شخصيته مجدداً.

محاور الموضوع:

من الضرورة بمكان الإلتفات في إطار تهذيب الروح إلى أن الأبعاد

الوجودية للإنسان متعلقة ببعضها الآخر وبالتالي لا بد من تنمية القوى والملكات الآدمية وليكون الإنسان أنموذجاً حياً لكل ما هو حسن وجذاب تنعم فيه نفسه وذاته.

وفي إطار تهذيب الروح أيضاً يجب الإهتمام بالأبعاد المختلفة للإنسان مثل طبيعته وفطرته والجوانب الوراثية فيه والقضايا المتعلقة بوعيه مثل (الأحاسيس والإدراك والعواطف والميول والآمال) وحالات مثل العجب بالنفس والجموح بالخيال والحرص واللهو وإطاعة الشهوات، والميل نحو الحريات المشروطه والأصيلة، والرغبة في الوصول إلى الأهداف السامية وآثار البيئة عليه والتي تمثل بمجموعها كياناً مركباً من ميزات جسمية وروحية.

عقبات النمو:

كما هو معروف أن كثيراً من الأطفال يمنعون على أنفسهم أن يكبروا وينموا، وبعبارة أخرى يلتصق مثل هذا النوع بأحضان أمه ويسعى دوماً لأن يكون طفلاً صغيراً ويتمادى أحياناً في طفولته حتى كأنه لا يجرؤ على الكبر ويصعب عليه تحمل المسؤولية مما يجعله يفكر بأن الكبر في السن خطر يهدد حياته.

إن تحفيز مثل هؤلاء الأطفال على مصاحبة الأكبر وتشجيعهم ونصحهم وإقحامهم في ميادين المنافسة وتقوية جرأتهم ورفع معنوياتهم هو السبيل إلى انتشالهم مما هم فيه علماً أنه لا وجود لأسلوب محدد في إعادة بناء الشخصية وتأهيلها حيث ينبغي التعاطي مع الظرف القائم والإمكانات المتوفرة للمربي في تربية الطفل.

جهود المربي:

يمكن للمربي؛ سواء الوالدين أو المعلم أن ينتهج أساليب مختلفة في

تأهيل الطفل، ومن تلك الأساليب:

أ ـ التطهير من المساوئ وتوفير البدائل والحلول: يجب في البدء تخليص الطفل من كل ما يضر به وطرد الأفكار المشوشة والمؤذية الموجودة في داخله، ومن الأمور المضرة:

١ ـ إزالة العقد: كثيرون هم الأطفال الذين واجهوا في حياتهم لحظات عصيبة ومشاكل لم يستطيعوا حلها أو أنهم واجهوا صعوبات لم يقدروا على تخطيها، ويجدر بالمربي أن يسرع لمساعدة الطفل في مثل هذه الموارد ليخلصه مما هو فيه من هم أو غم أو يسكن روعه إن كان في حالة عصبية.

إن بول الطفل في الفراش أثناء الليل يعود في كثير منه إلى الصعوبات التي يواجهها ولايستطيع التحدث والإفصاح عنها بجرأة، وقد يكون الحسد والخوف وعدم التنعم بالمقدار الكافي من المحبة هو السبب في ظهور الحالة المذكورة آنفاً وهنا يكون الطفل غير قادر على الحفاظ على توازنه، وأحياناً يعمد إلى بل فراشه أملاً في استقطاب المزيد من الإهتمام.

وهنا يستلزم بالضرورة الإلتفات في عملية بناء شخصية الطفل إلى مايلي: لابد من منح الطفل الثقة بنفسه وجعل الأجواء المحيطة به مفرحة، وتوفير الأرضية لحصول الإطمئنان من كل الجهات وكذلك تهدئة روعه وجعله يستشعر المحبة والحنان دون أن نؤاخذه على كل صغيرة وكبيرة تصدر منه ونبادر إلى حل مشاكله بطريقة منطقية واستدلاليته و. .

٢ ـ دفع الكآبة: إذا كانت الأذية وحالة الضجر التي يمر بها الطفل مؤقتة فذلك ليس مضراً، أما إذا كانت مستمرة فينبغي متابعة الموضوع ومعرفة جذوره.

إن الكآبة النفسية تؤدي إلى الفتور واليأس من الحياة بل وتؤدي أحياناً إلى أن يمرض الطفل وقد يصل الأمر إلى موته في بعض الحالات. من

الضروري لنا وللأطفال أن نحب الحياة لكونها وسيلة لبلوغ الكمال وكلما تضاءلت هذه الرغبة إزداد التأوه والحسرة.

لكن الطفل يمر أحياناً بحالة كآبة أو مشكلة يصعب عليه تجاوزها بينما يكون حلها سهلاً بالنسبة لنا، فمثلاً يضجر الطفل جداً إلى حد الكآبة بسبب قيام والده بالتقاط صورة لأخيه واهماله هو، أو بوضع الشكولاتة في فم أخته وتجاهله فعندها يعزل الطفل نفسه في زاوية من الغرفة وينصب لنفسه عزاءً في حين يمكن تلافي هذا الموضوع بسهولة وإزالة عوامله بأبسط الوسائل.

٣ ـ إزالة الخوف والإضطراب: الخوف الشديد والإضطراب والقلق الناجم عن توقع بروز أحداث سيئة وحصول نزاعات وصراعات داخلية وكذلك الخوف من المستقبل الغامض دون أن يكون هناك سبب عقلاني، فكل ذلك من القضايا التي توفر الأرضية لسوء الخلق وجعل الطفل غير طبيعي.

يعمد الطفل المصاب بالخوف والإضطراب إلى تأنيب نفسه وإنحاء اللائمة عليها من أجل بلوغ حالة التعادل والخروج من ذلك الوضع وبعبارة أخرى كأنه يريد أن ينتزع نفسه من ذلك الخوف فيقوم بكل ما يرد على خاطره، وواضح جداً أن بروز هذه التصرفات تجعله مضطرباً.

لذا كان من الضروري قلع جذور الخوف والإضطراب من الأصل وطمأنته أن لاخطر يهدده وذلك عبر الإقتراب منه أكثر وتسليته.

٤ ـ إزالة أمارات الحسد: يشعر الطفل أحياناً ومن دون مبرر بالحسد من طفل آخر أقل منه سناً، فيظن أن الطفل الجديد إستطاع استمالة واستقطاب إهتمام الأب والأم وظفر بمحبتهما ورعايتهما وعندها يتوصل إلى شعور مفاده أنه غير قادر على الحياة.

إن الحسد بين الأولاد الأوائل وباقي الأولاد يزداد أحياناً إلى حيث

يسلب الهدوء والسكينة من الطفل، وقد يدفعه الأمر دوماً إلى التفكير بتدبير المكائد للطفل الذي استأثر بمحبة الوالدين مما يستلزم المزيد من الدقة في التعامل مع الطفل الحاسد.

على الوالدين أن يفهما الطفل وبمختلف الوسائل بأنهما يحبانه كما في السابق وأن محبتهما للطفل الأصغر لاتعني عدم محبتهما له وعدم اهتمامهما به وإن حصل المزيد من الإهتمام والرعاية للطفل الأصغر فإنما لحاجته أكثر من غيره لهذا الأمر.

٥ ـ **إزالة الخجل**: يكون الطفل أحياناً خجولاً فلايختلط بالآخرين مما يجعلهم يتهمونه بأنه متكبر ومغرور ولايتفاهم مع أحد. . في حين أن الخجل علامة على وجود حالة تتسم بالعجز وعدم القدرة التي يضجر الطفل منها تماماً.

إن الأطفال الخجولين يكونون مترددين في شؤونهم، ولهم تصرفات بدائية يرافقها تراجعات مفاجئة فهم كمن وقع بين أمرين مهمين وقوتين متعارضتين.

ومثل هؤلاء الأطفال يحبون أن يتركوا على حالهم في اللعب واللهو، يلعبون مع الدمى بشكل أفضل لأن الدمى لاتتكلم ولاتدافع عن نفسها فالحق دوماً معه. . أنه يتكلم مع نفسه، و يصنع لنفسه الأصدقاء.

أما علاج هذا النمط فيتمثل في جرهم إلى المجتمع بالتدريج إذ ينبغي تشجيعهم على اقتحام الأوساط الإجتماعية ومنحهم الثقة بالنفس كي يمكنهم التعبير عن رأيهم وإثبات وجودهم أمام الآخرين ويواصلون حياتهم بكل هدوء وراحة.

٦ ـ **علاج العجب بالنفس**: إن روح الأشخاص يجب أن تبقى بعيدة عن حالة العجب بالنفس والتفاخر والمبالغة بالقدرات لأن الغرور والتكبر

عاملان هدامان ويسوقان الإنسان إلى الهاوية لأنه لن يعرف حينئذ قدر نفسه ولايقف على حقيقتها فضلاً عن أنه يفقد القدرة على التمييز تدريجياً ويبتلي بتخيلاته وتعقيدات الحياة.

لاشك أن الطفل لايستطيع كتمان أحاسيسه في بعض سني عمره حيث يظهر سخطه وغضبه إتجاه أي أذى يتعرض له ولذا من الضروري توفير الظروف التي يمكن للطفل فيها التعبير عن أحاسيسه.

هنا يأتي دور المربي إذ ينبغي له العمل على تبديل الميول المنبعثة عن الهوى والأنانية إلى ميول إرادية تحمل بعداً سامياً على أن يكون ذلك عبر توعية الطفل بأساليب يدركها ويحبذها وصولاً إلى تخليصه من حالة العجب بالنفس.

ب ـ خلق عوامل بناء الشخصية: كما يقول المثل فإن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة والخطوة الأولى تتمثل في التمهيد بما يوفر المقومات اللازمة لبناء الشخصية، وهنا يستلزم الاهتمام بالنقاط التالية:

١ـ رفع المعنويات: إن ذوي المعنويات الضعيفة والروحيات غير المتوازنة والأشخاص الذين لايملكون قدرة مقاومة المشاكل سرعان ما يشعرون بالهزيمة ولهذا كان من الضروري تشجيع الطفل وإلفات نظره أن لاخطر يهدده.

من الخطأ أن يستسلم المرء وبسبب الشعور بالضعف والعجز للهزيمة والموت وهو مايلاحظ على بعض الأشخاص حيث من الضروري أن تطوي الحياة مسيرتها الطبيعية وأن نتطلع للعيش بصورة أفضل وننهض بواجباتنا.

لابد في هذا السياق من الإلتفات والإهتمام بأفعال الطفل ونشاطاته الإيجابية والإشادة بها حتى يشعر بأنه موجود قيم ومحط اهتمام الآخرين ويتمتع بشخصية مهمة.

٢ ـ ملء الفراغ النفسي: تُعزى الكآبة والملل لدى المرء إلى فراغ نفسي وفيه تشعر الروح بالخواء الناجم غالباً من تحطم الشخصية والشك والوسواس والإحساس بعدم إمكانية إزالتها.

ينبغي تخليص الروح من الفراغ والكآبة والضجر بحيث لايلجأ المرء إلى التفكير بالفرار من نفسه ومن الآخرين، ويجب ملء روحه بجوانب ونقاط إيجابية كالمعلومات التي يحتاجها لاستمرار حياته وكذلك ينبغي إخراج الروح من الظلمة إلى النور وتزويدها بالقدرة والقوة بما يجعلها تشرف على الحياة بمنتهى الحيوية والبهجة.

٣ ـ تفعيل العواطف: إن كثيراً من الصراعات الداخلية لدى الشخص إنما هي لوقوع خلل أو نقص في الجوانب العاطفية مما يجعلها آيلة إلى الزوال علماً أن النقص العاطفي يترك أحياناً بصماته على الجسم ويجعله يعيش حالة مرضية.

تقسم العواطف إلى قسمين: ممدوحة ومذمومة أما الملاك في كونها ممدوحة أو مذمومة فيمكن أن يكون شرعياً أو فطرياً أو إجتماعياً. تمتاز بعض الخصال بأنها محببة من الفطرة كالتضحية والإحسان وأخرى تمقتها الفطرة أساساً مثل أذية الآخرين والإزعاج، وكذا هو الحال بالنسبة للجانب الشرعي الذي لا ينفصم عموماً عن الفطرة كما أن هناك مجموعة من الأسس تشكل في الإطار الإجتماعي منهجاً فكرياً أو فلسفة مقبولة أو مرفوضة.

وفي كل الأحوال ينبغي للمربي العمل على تقوية جذور العواطف الممدوحة في الأشخاص وطرد آثار العواطف المذمومة فينمي مثلاً حب الخير لدى الطفل ويصلح ما كان يتعلق بالغضب والملل والضجر.

٤ ـ خلق الهمة العالية: يستلزم في عملية تربية الروح الإنتباه إلى ضرورة أن تكون همم الشخص عالية ويفكر دوماً بالقضايا الكبيرة، فالذي

يقضي حياته بأعمال صغيرة وينظر للحياة من منظار ضيق ويريق ماء وجهه أمام هذا وذاك ليحلا له مشاكله البسيطة ليس بالشخص الجدير بالإحترام والتقدير.

إن من يذل نفسه في كل موقف ولايعلم إن كان ينال مبتغاه أم لا، هو في الواقع شخص ذليل وضعيف ومن الو اجب إنقاذه عبر تشجيعه ورفع معنوياته ليكون في النتيجة ذا همة عالية ولايقيد نفسه بالقضايا الجزئية واسع الأفق رحب الصدر وناشداً لأهداف كبيرة.

٥ ـ **حب الحقيقة**: الحقيقة ألذ وأحلى عناصر الحياة.. أما ظهورها فيكون عادة ثمرة الإرادة والبحث والتحقيق وما إلى ذلك.

في الإطار التربوي ينبغي تنشئة الأطفال بما يجعلهم أنصاراً للحقيقة مهما كان الثمن، وإن شطارة المربي تكمن في أن يبني شخصية الطرف المقابل بما يجعله مستعداً للكف عن الخطأ الذي اعتاد فعله طوال سنوات متوالية وهو غير عارف بأن فعله خطأ، ويتبع سبيل الحق بل ويضحي بكل شيء من أجله بما في ذلك ماله وحلاله.

إن حب الحق والحقيقة ضرورة حياتية بالنسبة للإنسان ومن المفروض أن تستقر في قلبه منذ نعومة أظفاره وعندها ستكون مصدر كل فضيلة وكمال فيما سيكون التساهل بالحقيقة مدعاة لانحطاط الأشخاص الذين سيكونون في المستقبل شخصيات سياسية واجتماعية.

٦ ـ **خلق الحساسية**: من الخطأ أن يكون الشخص لا أبالياً إزاء التيارات والقضايا المختلفة أو أن يتجاهل شؤون الحياة، كما لابد من إمتلاك روح النقد والتجربة في مختلف الأمور حتى يمكن للإنسان ترتيب وضعه الإجتماعي من جهة أخرى ومواصلة مسيرة الكمال والنمو من جهة ثانية.

إن حالة اللامبالاة والتجاهل هذه إما أن تكون ناجمة عن حب الجاه والخلود إلى الراحة أو عن الفشل في شتى الأمور وهو الناجم عن عدم

اهتمامه بما يقع من أحداث، وفي كل الأحوال فإن اللامبالاة مصدر الإنحراف السريع والعميق وإذا لم تعالج فستكون مدعاة للقلق.

إن عدم اعتناء الطفل في تصرفاته أمام المعلم ولامبالاته بشأن الوظائف البيتية وعدم اهتمامه بأمر ونهي الوالدين واعتبار آلام الآخرين صغيرة والتفكير فقط بمصالحه دونهم تمثل بمجموعها مأساة مؤلمة ينبغي الوقوف بوجهها.

٧ ـ **زرع الفضائل**: وأخيراً يجدر في عملية تهذيب الروح زرع وتعزيز مشاعر حب العدالة والحق والتضحية وطلب الحقيقة، وهي ضرورة لامناص عنها في حياة مجتمع ينشد السعادة، ولو أفرزت التربية الخاطئة نتائجها من قبيل الإنتقام والبذاءة وحالات الأنانية والعناد وحب الذات وحب الجاه فعلينا التفكير في إصلاح الأطفال وإزالة هذه الصفات والحالات دون اللجوء إلى قمعهم.

على كل حال فإن الحكمة الإلهية شاءت أن يخلق الإنسان بحيث إنه سيترك باقي اللذات ويستصغرها إذا ما ذاق طعم وحلاوة اللذة الروحية.

ملاحظات على طريق تهذيب الروح:

فيما يلي بعض الملاحظات المفيدة:

١ ـ للمصاديق الحية دور هام في تهذيب الروح.

٢ ـ إصلاح البيئة من جهة أن البيئة المتوترة الأجواء ليست مسرحاً مناسباً لتسامي الروح.

٣ ـ الإلتفات إلى أن طريقة تفكير الأشخاص وسلائقهم مرتبطة بنمط الحياة العائلية والإجتماعية ويجب الإستفادة من هذه النقطة.

٤ ـ محاربة البطالة والكسل اللذين يعدان من عوامل ركود القوى الفكرية والروحية.

٥ ـ ينبغي في السيطرة على تمرد الأطفال الإنتباه إلى أنهم ينشدون من بعض تصرفاتهم هدفاً معيناً وليس في نيتهم أذية الآخرين.

٦ ـ لابد من مكافحة العوامل الدخيلة في إثارة الغضب والخوف واليأس في الطفل.

٧ ـ الإفراط في فرض الرقابة على الطفل ليس أنه غير مفيد بل قد يكون له أحياناً آثاراً سلبية غير عادية.

٨ ـ إن جهود المربي الرامية إلى بناء شخصية الطفل ماكانت لتعطي ثمارها مالم تتبلور في الطفل رغبة للتغيير في تصرفاته ولذا وجب بلورة مثل هذا التغيير فيه عن طريق الإيحاء والتلقين.

القسم السابع
على طريق تأهيل الأطفال

الوالدان والمربون الذين يهتمون بموضوع تأهيل أطفالهم وناشئتهم عليهم مراعاة النقاط الثلاث التالية:

١ ـ توعية الطفل من جهة أن الجهل بلاء خطر بالنسبة للإنسان وأن كثيراً من الإضطرابات والتذمر الصادرة من الطفل إنما تعود لجهله، وعلى هذا فإن تفهيم الطفل خطأه وتوسيع دائرة معلوماته بأسلوب منطقي يستطيع دركه يبعث فينا الأمل على إزالة الكثير من النواقص والعيوب.

٢ ـ توفير أرضية لعمل وانشغال الطفل لأن البطالة تولد بذاتها الأخطار وهي عقبة كبيرة في طريق تكامل الإنسان.

إن المربي الماهر بإمكانه التمهيد للقضاء على حالات التمرد عبر توفير أعمال يمكن أن تعود بالنفع المادي على الطفل.

٣ ـ خلق معنويات عالية في الطفل من جهة أن اللوم والتوبيخ يجعلانه يفكر أنه قد تجاوز الخط الأحمر ولايجدي فيه التهذيب والتربية، في حين لو كرست الجهود لتلقينه وتشجيعه على أن يكون فرداً صالحاً وكذلك تقوية شخصيته فإن احتمال إصلاحه سيكون قوياً.

الفصل الأول

توعية الطفل

إن الجهل طوق محكم في مقابل الفهم الجيد وسد منيع بوجه التصرفات الطبيعية للناس.

إن كثيراً من التصرفات غير الطبيعية الصادرة من الأشخاص إنما مردها إلى جهله بكونها قبيحة أو أن ذهنه لايستوعبها.. من هذا المنطلق صارت توعية الشخص بالمبادئ والأصول الصحيحة لحياته عملاً مفيداً ومن الممكن أن يضع حداً للعيوب إلى حد كبير.

في عالم التربية، يستلزم أن لايكون الوالدان مجرد أسوة حسنة لأولادهما فحسب بل عليهما السعي دوماً وفي مختلف مراحل الحياة إلى توعيتهم وإرشادهم إلى طريق السعادة معتبرين ذلك جزءاً من واجباتهما.

دور وضرورة الإيضاحات:

من الضرورة بمكان تذكير الوالدين بأن يقوما ولو لمرة واحدة بتعريف أطفالهما واجباتهم بدل المغالاة في الحنان والمحبة غير الواعية والبعيدة عن المعقول ذلك أن الوعي وسيلة جيدة في عملية التربية والإصلاح بل لايمكن تحقيق نتائج مثمرة بدونها.

لقد انتقل الإنسان من عالم إلى عالم آخر لايعرف شيئاً من أسراره حين دخله ومن الطبيعي جداً أن الأطفال لايعرفون ماذا يفعلون بل حتى متى وكيف يلعبون أو ماذا يصح لهم لمسه وما الشيء الذي لايصح لهم اللعب به.

ما أكثر التصرفات غير الصحيحة التي تصحح بتوضيح بسيط أو ما أكثر الحالات التي نجا فيها المرء من مستنقع الحياة بفضل امتلاكه لمعلومات حتى البسيطة منها. إن الوالدين يمكنهما تحفيز الطفل على أداء واجبه عن طيب خاطر والتغلب على مشاعر الغضب فيه وذلك عبر التوضيح والكلام المعسول المملوء بالمحبة والخير.

فائدة الوعي بالنسبة للطفل:

يتعين على المرء أن يميز بين الجيد والرديء وبين الحسن والقبيح حتى يستطيع السير على خطى العدالة ويمتثل لصوت العدل، ويكون تصرفه نابعاً عن وعي وطبق ضوابط محددة.

إننا نستطيع التغلب على بعض مشاكل الحياة من خلال رفع مستوى الوعي والتفكير لدى الطفل وإنقاذه من مطبات مختلفة تعترض طريقه، فهو يمتنع عن أذية الآخرين ويكف عن تهشيم الأشياء والمشاغبة إذا ما عرف أنها أفعال غير صحيحة.

وفي كل الأحوال فإن المرء ليشعر بالخجل إذا ما ارتكب القبيح وهو يعلم أنه قبيح وربما ينثني عن الرجوع إليه ثانية بمجرد أن يجري تذكيره، ومن هنا تتضح أيضاً أهمية توعية الطفل.

ثم إن الوعي مبعث اعتزاز الشخص وفخره وهو يدفعه للتفكير بأنه ليس من شأنه ارتكاب الفعل القبيح والمذموم وبعبارة أخرى تكون أذية الآخرين عملاً يهدد شخصيته ويمس كرامته وأن الناس لايتوقعون منه صدور هذا الفعل و.. من أجل هذا يبادر إلى تركه.

مساحة الوعي:

يرتبط مقدار توعية الطفل ومساحته بوجهات نظرنا الشخصية ومدى وسعة الأفق وضيقه لدى كل شخص.

علينا أن نسأل أنفسنا أولاً ماذا نتوقع من الطفل وكيف نريد منه أن يكون وكيف يتصرف؟ ما هي ردود فعله ومواقفه إزاء القضايا المختلفة؟ من الطبيعي أنه ينبغي توعيته بالمستوى الذي ننتظر أن يكون عليه موقفه وردة فعله.

علينا تعليمه كيف يكون متحكماً بأعصابه؟

كيف يكون صبوراً؟

ماذا يفعل حتى لا يصل إلى طريق مسدود في حياته؟

كيف يتخذ القرار في مقابل الأحداث؟

كيف يكون تعامله مع والديه والآخرين؟

ماذا يفعل حينما يجوع أو يعطش أو يكون في موضع محرج؟

أي طريق يختار لمواصلة مشوار حياته؟

كيف يفكر في حل قضاياه؟..

على كل حال ينبغي تعليمه كل ما يحتاجه في حياته الحاضرة والمستقبلية من دين وسياسة واقتصاد وقانون وغير ذلك.

العلاقة بين النمو والوعي:

من القضايا المهمة في توعية الطفل مراعاة موضوع النمو.

ليس من المنطقي فرض المعلومات على الطفل بالمقدار الذي نحن نريده بل من المحال القيام بذلك، فالصبي في العاشرة من عمره يحتاج إلى

أمور غير التي يحتاجها طفل السنة الثالثة كما أن ما يتوقع من فتى في الرابعة عشرة من عمره يختلف تماماً عما يتوقع ممن هو في الرابعة.

السبب في ذلك يعود إلى أمرين هما حجم النمو وفهم الطفل في سني عمره المختلفة من جهة ومن جهة أخرى إلى حجم الحريات التي ينبغي منحها للطفل ضمن حدود التربية الإسلامية، فالأطفال حتى سن السابعة يتمتعون بحريات أكبر قياساً بمن هم في الثانية عشرة إذ لكل عمر ضوابط تربوية يجدر الإلتفات إليها.

من ناحية أخرى تختص بعض الأمور بأعمار معينة وخاصة، فمن المستحيل لمن في السابعة من عمره أن يفهم شيئاً عن الإيثار في حين يمكن درك هذا المفهوم إلى حد ما في عمر أكبر.

تبيين مواطن الخطأ:

يرتكب المرء في كل مرحلة من عمره نوعاً من الأخطاء، وهو ما ينطبق فعلاً على الأطفال أيضاً.

لكنه ينبغي تفهيم الطفل الخطأ الذي صدر منه وتوجيهه إلى الطريق الصحيح بل ومن الضروري إلفات نظره بصراحة إلى المواضع التي أخطأ فيها وكيف له أن يصلحها.

على أن الأسلوب العملي يعد أفضل طريقة لتفهيمه خطأه، وبعبارة أخرى يجب منح الطفل الحرية في أن يقضي لحظات حياته حسب أسلوبه وبما يراه مع لفت نظره إلى ما يصدر منه من خطأ.

من الخطأ أن يرتكب الطفل خطأ في مكان ما ونحن نقدم على تذكيره به بعد أسبوع أو في اليوم التالي إذ لن يحقق التذكير هنا النتيجة المرجوة، فإذا لم يراع الطفل آداب الأكل أثناء الجلوس على المائدة أو أساء للأب أوللأم أو للآخرين فلابد من تنبيهه بأنه ارتكب خطأ.

الوعي والإيمان:

لو تم رفد الطفل بالمعلومات بصورة تجعله يعتقد بصحتها فإنها ستترسخ في ذهنه.

يعد الإيمان والعقيدة من أركان التربية الإسلامية وعلى المرء أن يكون صادقاً في أعماله ويتقي الله تعالى ويراقب أفعاله لا في الظاهر فقط بل يفعل ذلك عن عقيدة واندفاع.

لاشك أن الإيمان يعتبر أفضل جهاز مراقبة من جهة أن المرء يكون على حال واحدة في السر والعلن وعلى صعيد العمل بل وفي كل الأحوال. حينما يحاول المتدين التقليل من ارتكابه للمعاصي أو أن يقاومها في أحرج الظروف فإنما ذلك نابع من إيمانه الذي يعد وسيلة قيمة للإصلاح.

وخلاصة القول: إنه يفترض توفير الأرضية اللازمة لربط الشخص عمله بعقيدته وإلفات نظره إلى أن الله سبحانه وتعالى يرى عمله وسعيه.

أساليب التوعية:

يمكن للمربين سواء الوالدين أو المعلمين وكل من يشعر بالمسؤولية أمام المجتمع ممارسة دور في التعليم والتوعية، إذ تتحمل وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات وكتب وحتى الدراسية منها مسؤولية كبيرة وثقيلة، وفي هذا السياق كان للتراجم والتفاسير وتوضيح النقاط الغامضة وطريقة الفهم والإستدلال دور مفيد أيضاً.

تعد القصة والتمثيلية والشعر ولغة المخاطبة من بين الأساليب الكثيرة المتبعة في التوعية والتعليم، كما أن الكتب الدراسية تتضمن مثل هذه الإشارات التي تحمل في طياتها جوانب تربوية وأخلاقية وكل هذه الأمور ينبغي درجها في الثورة التعليمية والثقافية.

يعد التشجيع على المطالعة بحد ذاته أسلوباً في تعرف الشخص على عيوبه وأخطائه بينما كانت مطالعة حياة الشخصيات الأسوة مدعاة ليقظة وانتباه الشخص لما في حياة هذه النماذج من عبر توقف المرء على كثير من حقائق الحياة وأساليب المعيشة، وعلى هذا بإمكان المرء أن يقف على حقائق الحياة بواسطة مطالعة الكتب والتدبر في الآفاق والأنفس والإعتبار وهكذا الأمر بالنسبة إلى تحفيز المرء على التفكر والتدبر.

إن تشجيع الأطفال على ارتياد المساجد وتحفيزهم على الإلتزام بالأوامر وكذلك الخطابة يعد خطوة قيمة على هذا المسير مع أن من الضروري مسايرة الأطفال بلغة المنطق والإستدلال بما يتناسب مع عمر الطفل نفسه لأن ذهن الطفل لايمكنه استيعاب كافة الإستدلالات التي نفهمها نحن أو أن يتحملها، إن قدرته على التفكير وإرادته محدودة ولايستطيع الخروج بنتيجة في كافة هذه القضايا.

القابليات الكامنة في الطفل:

تتوافر في الطفل قابليات هي في الواقع جزء من الفطرة مثل نشد العدالة وطلب وحب الحق والصفاء والصدق والرقة والعاطفة الدينية والميول السامية و... وهذه كلها تساعد في تحقيق الأهداف المرجوة ولابد من الإستفادة منها.

ثم إن الطفل يقبل التربية ويتأثر بإيحاءات وإرشادات الآخرين وخصوصاً الوالدين والمعلم حيث لمس منهم الحنان والصفاء وهو محتاج لهما كما لمس إحسانهما ومحبتهما.

نعلم أن الإنسان عبد للإحسان ومتلهف للمحبة وهذه الجوانب بحد ذاتها أرضية إيجابية يمكن للمربي الإستفادة منها في تربية الطفل.

الفصل الثاني

توفير فرص العمل

تحفل مرحلة الطفولة عموماً بالمصاعب سواء للطفل أم للمربين..

فالطفل لايمكنه التخلي عن اللعب والتحرك كما لايستطيع المربي حل كافة المشاكل محققاً نجاحاً كاملاً في تأهيل الطفل.

حينما يجري تعريف التربية بأنها عمل فني فإنما لوجود المصاعب التي تتخللها، وضرورة الإنتباه إلى أدق الأمور. يجدر بالمربي مباشرة العملية التربوية عبر الإستفادة من الأساليب المناسبة والفنية دون الإصرار على حل المشاكل باستخدام العصبية أو باللكمات والعنف، وهذا بحد ذاته يستلزم إلماماً بفنون مختلفة.

بطالة الأطفال:

يقضي الأطفال مرحلة طفولتهم في الظاهر وهم عاطلون عن العمل أي انهم لاعمل لهم ذا دخل، بل يقضون في الواقع أوقاتهم طوال اليوم في التحرك واللعب. إن الأطفال تتوفر فيهم قوة تدفعهم على التحرك وأن موضوع حب الإستطلاع فيهم يعد بحد ذاته عاملاً في مضاعفة هذا التحرك، إنهم يرغبون في التعرف على كل ما يشاهدونه ويتعلمون ماخفي عنهم مما

يعني تحفيزهم على التحرك والسعي.

يمكن منع الطفل من التحرك لكنه أمر يخلق المشاكل ومؤد لانحرافه وتمرده، فهو يحب أن يتحرك وتظل يده ورجله وحتى لسانه منشغلاً بشيء يفترض أن يكون مفيداً وقيماً حتى يمكنه إثبات وجوده، وفي نفس الوقت يتعلم المسائل القيمة التي يحتاجها حالياً ومستقبلاً ويكون مستعداً بكل جوارحه لتقبل المعلومات الجديدة حول مايكتنف العالم من أسرار.

ضرورة الشغل:

بات من المعروف اليوم أن البطالة من عوامل انحراف ومشاغبة الأطفال وارتكابهم للأخطاء.

ولو أردنا إصلاح الطفل وصونه من الوقوع في الخطأ فلابد من ملء أوقات يقظته بما هو مفيد، فالطفل الذي يسبب الإزعاج لوالديه في المنزل ينبغي إشغاله بعمل ما كأن يعطى مكنسة لكنس الغرفة أو باحة المنزل أو أن يمسح الأثاث بقطعة قماش مبتلة ويساهم بشكل أو بآخر في عمل الأب والأم فذلك مما يشغله عن اللجوء للمشاغبة.

إن توفير مستلزمات التسلية المفيدة وغير الخطرة للطفل وإعطاءه عدداً من القطع الخشبية ليعيش في عالمه ويبني لنفسه بيتاً و. . . يعد خطوة نحو حل مشاكله وإذا لم تتوفر سبل انشغاله بشيء مفيد فإن احتمال قيامه بالتمرد ومعاودة تمرده وتسبيب الأذى للآخرين سيظل قائماً.

من هذا المنطلق كان الإنشغال بالنسبة للطفل ضرورة من جهة إيجاد تسلية مفيدة كي لا يفكر في التخريب والأذية، سواء من حيث إخراجه من حالة الكسل أو من حيث إنجاز الأعمال اللازمة على صعيد الحاضر والمستقبل وتنمية قابلياته أو تنمية ذهنه.

فوائد الشغل:

بالإضافة إلى ما تبين من فوائد للشغل في البحث السابق فإنه يمكن القول بأن تقديم عمل مفيد ودفع الطفل إلى إنجازه يجعله مؤهلاً في مسيرة نموه لتحمل المسؤولية وهي تجربة يستفيد منها في المستقبل.

من جانب آخر يعد انشغال الطفل وسيلة لتفجر طاقاته ويمهد لنمو شخصيته، فليس من المعلوم ماهي الإمكانات والمواهب التي يمتلكها الطفل إلا إذا ترجمت على صعيد الواقع فحينما يكلف بإنجاز مهمة ما تظهر قدراته ويحظى باحترام ممن حوله علماً أن هذه الطريقة مؤثرة في إصلاح الكثير من المؤاخذات الأخلاقية.

نوع الشغل:

بعد أن ثبتت ضرورة توفير أرضية انشغال الطفل، علينا أن نعرف ماهية الشغل الذي ينبغي توفير مستلزماته له بحيث نضمن فائدته فضلاً عن إحراز عدم كونه مضراً، وخلاصة القول: يجب أن تمتاز أنواع الشغل المراد للأطفال بما يلي:

- توفير الأرضية فيه لتبلور فكر إيجابي وخلاق وبناء.
- تمنح جوارح الطفل وخاصة يده وعينه ولسانه وأذنه وأنفه المهارة اللازمة لحياته في الحاضر والمستقبل.
- توفر مقومات حب الإستطلاع المفيد والبناء.
- تشبع ذهنه الناشد والمتقصي عن الحقائق.
- بعيدة عن كل ضرر جسمي أو فكري أونفسي.
- تساعد الطفل على الإستفادة من يديه وتحقيق نجاح ولو نسبي في إنجاز المهام بما يولد فيه شعوراً بانتصاره.

ـ أن يتسم بشيء من التعقيد يوفق الطفل إلى اكتشافه وحله.

ـ التنويع فيما ينشغل به لئلا يصاب بالملل.

الخطوط الحمراء:

لا شك أن المربي سيسعى في إطار بناء شخصية الطفل إلى منعه من القيام بأفعال تشم منها رائحة الخطورة أو الذهاب إلى أماكن تعرف بالفساد والرذيلة أو مخالطة أصدقاء السوء وسيئي الأخلاق، وهو أمر سليم وصحيح شريطة أن نستطيع توفير البدائل الجيدة والمفيدة.

لكي نستطيع أن نأخذ شيئاً من الطفل دون إزعاجه أو إثارته نعمد إلى إعطائه شيئاً آخر. إذا كان للطفل اقران سيئو الخلق يلعب معهم فينبغي إبعاده عنهم وتعريفه على أقران حسني الخلق للعب معه، وفي نفس السياق يجب منع الطفل عن مواصلة عاداته المغلوطة من قبيل ارتياد النوادي الفاسدة أو مشاهدة الأفلام ذات الآثار السيئة والمنافية للأخلاق مع توفير مكان أفضل له لينشغل به ويقضي وقته فيه.

إن نفس إقدام الوالدين على تخصيص وقت لأولادهما ومسامرتهم أو اصطحابهم مرة أو مرتين في الأسبوع إلى مجالسهم ومحافلهم أو أماكن الترفيه يعد وسيلة ناجعة لحل كثير من مشاكلهم ويجعلهم في غنى عن ارتياد الأماكن غير المرغوب بها.

إستمارات الشغل:

إن الأعمال التي ينبغي للطفل أن ينشغل بها تتدرج من بسيطة وسهلة إلى صعبة وبما يتناسب مع عمر ونمو الطفل.

فمثلاً يستطيع الطفل أن يطعم الدجاج أو أن يسقي الزهور والنباتات في البيت أو الحديقة أو أن يحرث في الحديقة أو المزرعة أو أن يزرع الخضروات

أو أن يرتب الصور في الألبوم أو أن يضع وسائل اللعب والكتب في أماكنها المخصصة لها أو أن يغسل جورابه ومنديله أو أن يشتري ما كلفه به والده من البقال المجاور أو أن يشترك في مناقشات ومحادثات العائلة. . .

على كل حال يمكن توفير شغل ما ينشغل به الطفل حسب عمره ونموه وفهمه وبما يتناسب أيضاً مع إمكانات المناطق والمدن والقرى، ثم لاننسى أن عدم انشغال الطفل بشيء ما واستنفاد طاقاته سيزيد من تصرفاته المعروفة بالتمرد.

الأشغال ذات الدخل:

يمكن للوالدين والمربين فيما لو أرادوا وخصصوا لذلك من وقتهم، أن يوفروا لأطفالهم أعمالاً ذات دخل وعائدات كحياكة الخيوط والزنبيل والحصير وصناعة الإطارات البسيطة الخاصة بالصور الفوتوغرافية وصناعة الصناديق البسيطة وغير ذلك من الأمور.

صحيح أن هذه العائدات بسيطة لكنها مدعاة لتشجيع الطفل على العمل والنشاط وتنمية روح تقبل الشغل وتحمل المسؤولية لديه. ما أكثر ما ساهمت هذه الأعمال البسيطة في توجيه الطفل الوجهة الصحيحة، أو تجعله يقف على الجوانب الإيجابية والسلبية وحجم الدخل طوال مدة العمل بحيث إنه يستطيع وعن علم واطلاع مسبقين أن يتخذ قراره إزاء مصيره والمهنة التي سينتخبها لنفسه، علماً أن العمل حتى لو كان يحمل صبغة فنية فإنه مفيد أيضاً ويعد بحد ذاته حائلاً دون بروز المفاسد التي تؤدي إلى التمرد والأذى.

المؤخذات:

الأفعال الصادرة عن الأطفال في نفس الوقت الذي تعد فرصة واشغالاً للوقت ينبغي تفهيم الطفل على أنها واجبات ولو بسيطة وعليه القيام بها ويتحمل المسؤولية إزاءها، المسؤولية التي تصاحبها المؤاخذات بمعنى أن

يؤاخذ على تساهله في أداء مهمته في وضع الحبوب امام الدجاج أو سقي الزهور فيما إذا كانت هذه مهمته.

إن عدم وجود ضمانات تنفيذية في مجال ما يؤدي إلى التساهل والتهاون في العمل بل وأحياناً إلى الوقاحة وبالتالي عدم بلوغ الهدف المنشود على أن ذلك لايعني أن يكون الأمر الصادر للطفل وكأنه أمر صادر من ضابط إلى جنديّه وأن يكون البيت بمثابة المعسكر بالنسبة إليه.

الأسلوب المستبد في التربية غير ممدوح، صحيح أن الحزم من الخصائص الضرورية في المربي لكن التعامل ينبغي أن يكون منطلقاً من مفهوم الحرية المصحوب بالتخطيط والأسلوب المحبذ إلى جانب التصدي لكل حالة تساهل وتهاون.

حدود الأشغال:

الأعمال التي توكل إلى الطفل لإنجازها يجب أن لا تكون فوق طاقته وحدود إمكاناته، وإنما ينبغي أن تتناسب مع عمره ونموه.

ليس من المحبذ أن يكون العمل الموكل به الطفل متعباً أو مملاً أو أن يصنف في صف الأعمال الشاقة بالنسبة إليه فضلاً عن أن لا يكون من المكررات في نوعيتها وإلا فقد الطفل الرغبة اتجاهها ومن هنا تتضح أهمية التنوع وضرورة الإلتفات إليه ذلك أن كثيراً من الإضطرابات والإنزعاجات التي يشعر بها الطفل ناجمة عن رتابة حياته والأحداث التي يعيشها يومياً.

لقد أظهر تحقيق بأن الطفل ذا العامين يستطيع إنجاز ساعتين من العمل المفيد في اليوم فيما يستطيع البالغ من العمر تسع سنوات أن ينجز ست ساعات من العمل المفيد يومياً شريطة أن يوجههما شخص واع، ومثل هذا العمل فضلاً عن أنه يمهد للبلوغ الفكري فإنه مؤثر في سلامة روح الطفل وإعداده كعضو مفيد في المجتمع.

دور وسائل الإعلام:

يمكن أن تمارس الإذاعة والتلفزيون دوراً جيداً ومسلياً بالإضافة إلى إمكانية تعليم الأطفال طرق الشغل واللعب وحتى طرق المعيشة والتعايش كما أنها قادرة على أن تكون عاملاً لفساد الأطفال. يجب على الحكومة عبر إشرافها المباشر و غير المباشر أن تضمن حقوق الأطفال وتؤمن سعادتهم وتذلل العقبات والعوامل التي تساهم في ظهور حالات التمرد التي تترك بالتالي آثاراً سلبية على المجتمع.

تستطيع وسائل الإعلام هذه أن تبث للأطفال برامج متزنة وبناءة وأفلاماً مفيدة تساعدهم على معرفة طرق الشغل والتسلية المفيدة وتساهم في بناء شخصيتهم وجعلهم أصحاب كفاءة.

الفصل الثالث

تكريس المعنويات

يشبه الطفل في مرحلة نموه وحياته الطير الذي يحتاج إلى أمرين قبل أن يحلق في أجواء الطبيعة:

١ ـ الثقة.

٢ ـ المعنويات.

الثقة التي يحتاجها من جهة أنه لن يهوي إلى الأرض ولن ينكسر جناحه، إذ لايمكنه الطيران بانتظام واتزان إذا كان طيرانه يتسم بالعجلة وعدم الدقة.

أما المعنويات فأهميتها تبرز من جهة أنها تمنحه الجرأة والشهامة كي يغادر عشه مقتحماً عالم الطبيعة.

لابد للوالدين والمربين من إيجاد المعنويات لدى الطفل وتغذيته بما يكسبه الثقة وقوة القلب وضبط النفس والشهامة والجرأة، عليهم أن يجعلوا الطفل يشعر بالإستقرار النفسي آخذين بنظر الإعتبار تخيلاته وتقويم نقاط القوة والضعف حتى تكون قراراتهم منبعثة من تخطيط ودراسة وتفكير.

حاجة الطفل للمعنويات:

الطفل موجود ضعيف، فهو لايستطيع الصمود أمام الحالات الغريبة والمنفرة والمضطربة وكذلك النزاعات التي تجلب البلاء لحياته. إنه كثيراً ما يفقد شهامته وقدرته ويشعر بالهزيمة وعندها يفعل كل مايبدر إلى خلده وهنا سبب كافة المشاكل.

إن أكثر حالات التمرد تظهر ممن يرى نفسه عاجزاً ولا يجد سبيلاً للدفاع عن نفسه ولذا كان من المهم جداً للطفل أن يشعر بالثقة والإطمئنان ويركن إلى العائلة والأب والأم كملاذ دافئ مليء بالحنان والحب والصفاء. لا شك أن توفر مثل هذه الروحية له أثره في كافة أفكار وأفعال الطفل اليومية وسيجعله ناجحاً في التغلب على العقبات والحالات غير الطبيعية فضلاً عن أن ذلك سيصونه من أن يفقد نفسه أمام كل مديح أو ذم يتعرض له وأكثر من ذلك أنه لايتوقع لنفسه مدحاً أوتشجيعاً ويتخطى الأحداث الصعبة بروح مطمئنة.

مكاسب المعنويات:

إن الروحية القوية تمنح أولادنا زخماً للدفاع عن أنفسهم والحفاظ على حقوقهم وحقوق الآخرين فيستطيعون في ظل ذلك الوصول إلى الأهداف التربوية المنشودة ويستلذون بما يلاقونه في معترك الحياة.

والمعروف أن من يمتلك روحية مطمئنة وحالة من الثقة بالنفس فإنه يكن لنفسه إحتراماً وقيمة ويسعى للحفاظ على كرامته والإبتعاد بنفسه عن كل ما يسيء لسمعته وكرامته مما يستلزم منه نبذ الأنانية والتغلب على العيوب والنقص الذي فيه وبناء شخصيته.

وعموماً تعد الروحية بالنسبة للشخص المعرض للخطر دوماً نقطة إيجابية لأن الذين لايمتلكون الروحية يكونون على وشك الإنهيار ولايستطيعون الصمود ولا التعاون مع الآخرين ولا العمل على إصلاح

أنفسهم والآخرين وهو مايمنع الناس من الإعتماد عليهم.

حينما يلجأ الطفل إلى الكذب والرياء والقوة والعناد في مواجهة الآخرين إنما يلجأ إلى ذلك لعدم امتلاكه روحية مستقرة ولعدم اطمئنانه لنفسه وموقعه في المجموعة.

طرق إيجاد الروحية:

هناك طرق وأساليب عديدة يمكن بواسطتها إيجاد الروحية:

١ ـ **إستثمار غرور الطفل**: إن الطفل موجود مغرور إلى حد ما وبنسب مختلفة، فيرى نفسه عنصراً مهماً ويظن أن على الجميع احترامه أو أنه يعتقد بأن الآخرين يكنون له احتراماً إستثنائياً، ويصعب عليه جداً أن يرى شخصيته يساء إليها.

يمكن استثمار هذا الغرور كحافز لبناء شخصيته وتوجيهه إلى الوجهة المنشودة خاصة وأن الطفل يتمتع بغريزة البناء ويطمع أن يكون نموذجياً من كافة الجوانب ويحظى بالتشجيع.

٢ ـ **التلقين والتشجيع**: تترك عملية التلقين والإيحاءات بصماتها على الأشخاص إلى حد كبير، فمثلاً قول « إنك قد كبرت ما شاء الله.. قد تحسنت أخلاقك.. بت تكون طفلاً محبوباً.. يبدو أنك تريد أن تكون طيباً ولائقاً من كل الجوانب... » للطفل يترك أثره الكبير في نفس الطفل.

وعندما يخاف الطفل من شيء ما فيمكن تشجيعه وإفهامه بأنه لاخطر يهدده وأنه يستطيع المضي إلى الأمام دون خوف.. هذا إلى جانب تبيين كيف يبني نفسه وكيف يترك الصفات السيئة.

٣ ـ **التوعية**: مثلما ذكرنا سابقاً فإن كثيراً من الإنحرافات ناجمة عن عدم علمه بقبح هذا العمل أو ذاك، ومن يقف على ميزات عمل ما ويعرف

آثاره الإيجابية والسلبية يسعى أن يكون أسلوبه وتصرفه عقلائياً في مقابل الخطر الذي قد يهدده أو يهدد مجتمعه.

وبطبيعة الحال فإن الطفل يواجه مراحل أخطر وأكثر جدية كلما نما وكبر فلا يعرف واجبه وما عليه أن يفعل إزاء الحادث أو الموقف الفلاني، وهنا تبرز أيضاً وظيفة المربي بحيث يجب عليه أن يرفع من مستوى الوعي لدى الطفل ويغذيه بالمعلومات ويساعده من خلال تعليمه واجباته على اتخاذ الطريق الأنسب والصحيح في الحياة.

٤ ـ **تحبيب الحياة إليه**: من الضرورة بمكان تقوية حب ورغبة الطفل في الحياة ولكن ليس بالشكل الذي تصبح هدفاً يضحي من أجلها بكل شيء.

في البداية ينبغي تعريفه على الحياة الدنيوية والقضايا والأبعاد والمصاعب التي تعترض طريقه وكذلك الخيرات والنعم الموفرة له ومن ثم تفهيمه حينئذ طريق النمو والتكامل وتوعيته بأن كل ما يلحظ في هذه الدنيا من عظمة وكرامة وشرف إنما لسعادة المرء.

ينبغي ضخ الطفل بالروحية وتوعيته ودفعه للتأقلم مع هذه الحياة التي يعيشها. إن الرغبة والإصرار في تحقيق أمر ما هو مدعاة لإقدام الشخص على بناء ذاته ولو وجد أحداً يحب مستقبله ومتفائلاً به فإنه سيعمل له بمنتهى الكمال والشوق وهذا الشعور بحد ذاته حافز لإصلاحه.

٥ ـ **المواساة والإطمئنان**: يشعر الأطفال أحياناً باليأس وسوء الطالع لمجرد أن مطاليبهم لم تتحقق أو أن الآخرين لم يهتموا بما يريدونه أو لم يلبوا متطلباتهم ويتجسد ذلك الإنزعاج في حالات التمرد.

في مثل هذه المواقف من الضروري أن يظهر الوالدان والمربون المواساة والتعاون معهم ومحاباتهم وتهدأتهم وإظهار التأثر لعدم إمكانية تلبية حاجتهم في الوقت الحاضر. وعلى كل حال إن الطفل يشعر بأن الوالدين

والمربين غير منفصلين عنه ومعه في الصعاب.

٦ ـ **تقوية الشخصية**: إن الضعف والعجز في الطفل سواء على صعيد الجسم أو الروح يتسبب في ظهور المتاعب والضجر مما يستدعي في إطار إعادة بناء الطفل تقوية هذه الجوانب.

يجب منح الطفل القوة والقدرة إلى الحد الذي يشعر معها بالإيمان والثقة ويرى أنه قادر على الإعتماد على نفسه وإخراجها من المطبات وأن يكون له رأي ووجهة نظر ويتخذ القرارات بنفسه ويرى في نفسه القدرة على حل مشاكله.

علينا أن نلتفت إلى كافة الأبعاد الوجودية في إطار تقوية شخصية الطفل سواء أكان على صعيد الجسم أم على صعيد الفكر والأخلاق والعاطفة و... وذلك لأن الشخصية تركيبة تضم كافة الابعاد أعلاه، أي أن الإهتمام ببعد دون الآخر يعني أن النتيجة لن تكون متكاملة.

دور العائلة والمربي:

ما أكثر الأطفال الذين لم يتواءموا مع بيئتهم ومجتمعهم والسبب يعود إلى أنهم لايشعرون بالفراغ والأمن في الوسط الذي يعيشون فيه ولايتمتعون بالإطمئنان والهدوء بل هو مملوء بالإضطرابات والغوغاء والنزاع والتأوه والضرب والبذاءة والنفاق والإهتمام بالمظاهر.

الظروف التي يكون فيها الوالدان في اشتباك دائم، والأب والأم يواجهان المصاعب والخوف والهزيمة تسيطر عليهما، والمربّون ليسوا على تفاهم ووفاق، والعائلة تسودها أجواء غير آمنة وانعدام بالثقة ولاوجود لتقسيم الأعمال وكل منهم يتدخل في صلاحيات الآخرين، هي ظروف يكون فيها الطفل متزلزلاً وغير مستقر.

ينبغي للوالدين أن يجعلا الوسط الذي يعيشه الطفل مفعماً بالأمن والدعة، وأن يتغلبا على ضعفهما وعجزهما ولا يظهرا نزاعهما وتلاومهما أمام الأطفال. كل واحد ينهض بالمهام بالقدر المتعارف عليه بحيث يتأمن في هذا الجو النمو الفكري والضوابط الشرعية والعقلية والنظام والإحساس بالمسؤولية حتى يمكن للطفل في ظلها النجاة من المتاعب !.

أضرار القسوة:

لا أحد ينكر ضرورة أن يكون الطفل تحت إشراف ومراقبة أولياء الأمور والمربين وسيطرتهم لكن هذه المراقبة والسيطرة يجب أن تكون في نفس الوقت من منطلق مفهوم صلاح الطفل لا أن تكون نابعة من عقدة في نفس المربي.

فالتكاليف والمهام يجب أن تكون حسب قدرته واستطاعته بحيث يكون بإمكانه القيام بها لا أن يعجز أمامها ويشعر بالخيبة. إن الطفل حينما يكون أمام عمل إجباري ولايستطيع إنجازه جيداً يخيب أمله وتنكسر روحه.

من الخطأ ما يظنه بعض المربين من أنهم لن ينجحوا في تربية وإصلاح الطفل بدون استخدام القسوة فالتجارب أثبتت خلاف ذلك. لو وثقنا بالطفل وتقربنا إليه من خلال التفاهم نكون أكثر نجاحاً في تربيته، خاصة وأن بعض حالات التمرد في الطفل تعود إلى شعوره بأنه غير مرغوب به وليس محل ثقة، الأمر الذي يجعله يتصور أنه ذليل ومحتقر فيقوم بكل ما يرد إلى ذهنه.

تعدد الوظائف:

يصل الطفل أحياناً إلى حالة تناقض وتشتت عجيب فالأب يعطي نوعاً من الأوامر والأم تعطي نوعاً آخر من الأوامر، أو أن الوالدين يتبعان معه منهجاً معيناً ويتبع المعلم منهجاً آخر معه فماذا عليه أن يفعل في وسط هذا

التشتت؟! وأياً من الأوامر يتبع؟ . . لو أراد أن يرضي الجميع فإنه سيتحطم تحت وطأة العبء الثقيل، وإن أراد عدم مراعاة الأوامر فبماذا سيجيبهم؟ . .

إن هذه الأوامر المتباينة والمتعددة تجعل الطفل يعيش الضياع ويستشعر الندم وتؤدي به إلى افتقاد التوازن فكرياً وروحياً. ينبغي أن تنصب الجهود حول حصول اتفاق بوجهات النظر بين الأب والأم وبين المنزل والمدرسة وإعطاء الطفل واجباً واحداً يطالبونه بإنجازه.

على أنه يتعين أن يكون الواجب الذي على الطفل القيام به سهلاً ويمكن تنفيذه وضمن قدراته واستطاعته، وبعبارة أخرى لاينبغي أن يكون الواجب صعباً بحيث يضيع الطفل عمره ووقته عليه دون منحه فرصة للعب والترفيه.

القسم الثامن

المراقبات

لايمكن ترك الطفل كيف مايشاء، وترك حواسه التي هي نوافذ على العالم الخارجي أن ترى كل مشهد أو تسمع كل مقال أو تلمس كل ظاهرة.

ومن جهة أخرى لا يمكن حد الطفل بحيث يرى ويسمع ويلمس الأشياء من خلالنا، ولابد من ممارسة نوع من المراقبة في هذا الشأن.

المراقبة على صعيد العائلة من انواع المراقبة المطلوبة.. على الوالدين ممارسة دور القدوة والنموذج ويجسدان من خلال تصرفاتهما ما يريدانه من الطفل ؛ فمثلاً لوكان الوالدان والمربون لاأباليين في مقابل قوانين المجتمع فإنهم يكونون قد علموا الطفل درساً سيئاً، وإن انهزموا أمام المشاكل فليس لهم أن يأملوا بتربية ولد يتوسم فيه الشهامة.

الموضوع الآخر يتمثل في مراقبة المدرسة وأصحاب الطفل ؛ فالطفل لديه قابلية عالية في التقليد ودرجة تأثره كبيرة فيما المعلم والمدير والأقران يؤثرون فيه كما أنهم يتأثرون به، ومن هذا المنطلق تقع على عاتق الوالدين مسؤولية ثقيلة في اختيار المدرسة له ومعرفة أخلاق وتعامل المعلم وكذلك معرفة ومراقبة أقران ابنه ومن هم حوله.

ثم أن من واجب الوالدين مراقبة الطفل كيف وأين يقضي وقت فراغه؟وفي أي مكان يختلي بنفسه؟ هل المكان الذي اختاره بعيد عن الأنظار؟ وبماذا ينشغل هناك؟ . .

لا شك أن هناك أنواعاً اخرى من المراقبة التي ينبغي للوالدين الأخذ بها بنظر الإعتبار، لكننا سنتناول بالبحث هنا، بشيء من الإختصار، هذه الأنواع الثلاثة.

الفصل الأول

المراقبة على صعيد العائلة

من ميزات الطفل أنه يتأثر إلى حد كبير.

إن نسبة التأثر في الطفل تبلغ حداً بحيث يفقد أحياناً إرادته واختياره حتى أنه غير قادر على السيطرة على نفسه وتسييرها، ولهذا كان من الضروري إزالة العوامل السيئة التي تؤثر فيه سلباً من حوله.

يكرس السعي في إطار التربية الإسلامية على تطهير البيئة حتى لايرى الناس مشاهد الفساد في المجتمع. من الواضح جداً أن احتمال انحراف الشخص يزداد مع زيادة عوامل الفساد المحيطة به.

إن العين والأذن وباقي حواس الإنسان تنقل المعالم والأمور الجميلة والقبيحة في العالم الخارجي إلى أذهاننا وأفكارنا وإرادتنا وهي سبيلنا إلى التعرف عليها. إن كون تأثر الأطفال أكبر مما في غيرهم يعود إلى قوة التدقيق وحب الإستطلاع فيهم وقابليتهم العالية على التقليد وقبول التلقين وقوة التخيل لديهم، فهم سرعان ما يلجأون إلى اختبار وتجربة ما يرونه في العالم الخارجي.

العائلة ودور القدوة:

يعد المنزل أول بيئة حياتية يتعلم منها الطفل، حتى أن المعايير التي تحدد الجيد من القبيح في نظر الطفل تنطلق من نفس الشيء الذي رآه وتعلمه في البيت ؛ فلو كان الصدق سائداً في البيت أو فشى فيه الكذب وعم الوئام فيه أم التناحر واتسم بالصلاح أو الفساد و. . ينبغي عدم توقع رؤية غير هذه الأبعاد لدى الطفل.

حينما لا تسود أجواء العائلة الضوابط الأخلاقية، وحينما لاتربط الوالدين علاقات صحيحة ولاينتهجان المقررات الرئيسة، وحينما لايعرف الأب والأم قدر أحدهما للآخر وهما في تناحر مستمر ويسيء أحدهما للآخر فإنه ليس من المعقول أن يتوقع من الأطفال أن يكونوا على الطريق الصواب.

إن الكثير من المشاكل التي يواجهها المجتمع ناشئة من العائلة. . لقد نشأ الطفل وترعرع في عائلة سادتها أجواء مضطربة ومليئة بالعقد وهاهو يدخل وسط المجتمع. . تربى في بيئة كثر فيها العراك والنزاع وهاهو يعيش اليوم في المجتمع. . عاش التناحر بدل المنطق في البيت الذي كبر فيه ولذا فإنه يطبق ذلك في المحيط الإجتماعي ويمهد لشيوع الإضطراب في الوسط الإجتماعي.

ضرورة مراقبة العلاقات:

من الضروري للوالدين أن يبنيا نفسيهما إذا ما أرادا تسليم جيل سليم وصحي للمجتمع، ويقيما علاقاتهما على أساس المعايير الأصيلة والثابتة ويحلا خلافهما مع بعضهما ومع الأطفال ويجعلا قولهما وفعلهما وفقاً لضوابط ونظام خاص ويشيدا صرح حياتهما على اساس هدف ثابت.

ليس من الحسن من الوالدين نصح الأطفال بأن يكونوا طيبين ولا يلتفتا

إلى تصرفاتهما فهما قدوة لهم شاؤوا أو أبوا، لذا كان من الأفضل أن يبنيا نفسيهما في ظل كل هذه النصائح.

العلاقات التي ينبغي أن تخضع للمراقبة كثيرة ولكن أهمها:

١ ـ **العلاقة مع الذات والنفس**: لن تجني مساعي الوالدين الرامية إلى بناء أبعاد شخصية الطفل وإصلاحه ثمارها إلا أن يكونا قد أصلحا عيوبهما وقضيا على نقاط ضعفهما أو على الأقل عملا على تقليلهما. ما أكثر الأخطاء التي تصدر منا ونسعى لإخفائها عن الأطفال لكنهم يرونها ويطلعون عليها، ثم ما أكثر حالات الغرور المفرط والعجب بالنفس التي تتجلى في تصرفات الأب أو الأم فتكون درساً سيئاً لمستقبل الطفل من جهة ومن جهة أخرى مدعاة لأذية أبناء المجتمع.

ولو أصر الوالدان على عدم قبول عيوبهما، أو أن يريا الأمر عيباً بالنسبة لولدهما وليس عيباً بالنسبة لهما أو أن يتجاهلا عيوبهما فمن الواضح ما سيكون حال أولادهما، وهكذا الحال لو أمرا اطفالهما بالنظام وهما لايعملان به فإن انحراف أطفالهما وانجرافهما نحو الفساد بأنواعه سيكون أكبر.

إن الوالدين إذا تجاهلا موضوع اتصافهما بأخلاق سيئة، ويخطئان ثم لا يعترفان بخطئهما أو لا يعتبرانه خطأً، ويغضبان ويريان نفسيهما متزنين، وينشدان تولي المناصب والجاه الرفيع ويعدان نفسيهما متواضعين، هذان الوالدان مخطئان تماماً.

على الوالدين والمربين السعي لإصلاح أنفسهم من كل الجوانب، وإزالة مجالات التعليم السيء والحالات المذمومة وتوسعة ـ من خلال تصرفاتهم ـ نطاق المفاهيم والحالات الممدوحة وممارسة الأعمال الصحيحة، فهذه الأمور مهمة جداً في حياة وإعادة بناء الأطفال.

٢ ـ **العلاقة مع الزملاء**: من الأمور التي من الضروري مراقبتها في

داخل إطار العائلة العلاقة بين الزوج وزوجه.. فمما لا شك فيه أن هذه العلاقة يجب أن تقوم على أساس الحنان والصفاء والعفو وأن يكون القول والفعل بينهما بالشكل الذي يؤيد أحدهما الآخر وليس فيه آثار من التعليم السيّىء. على صعيد المباشرة والعلاقات الزوجية الخاصة لابد وأن تكون في الخفاء ولاتوقظ النائم وتخلو من التعليم السيّىء، وفي نفس الوقت ينبغي أن لا يظهر نزاع وتناحر فيما بينهما أو أن يخطأ احدهما الآخر...

تبرز للزوج والزوجة في الحياة العائلية فرص للتباحث وتبادل وجهات النظر وأحياناً الجدال والمشاجرة مما يعني أنه ليس من الضرورة أن تتم وتحدث بمرأى من الأطفال، ولو حدث ذلك فعلى الأبوين تفهيم الطفل بان الموضوع لا يتضمن خطراً بل ومن الضروري أحياناً القول للطفل بأنهما أخطآ في التصرف وليس من حقهما أن يتحدثا مع بعضهما بهذه الطريقة.

الخلافات بين الوالدين:

تظهر بمرور الأيام في الحياة الزوجية إختلافات في السلائق والأهداف والمناهج، وإن كان بنسب متباينة، بين الزوج والزوجة.

تعد هذه الحالة طبيعية وقد تكون أحياناً ضرورية في مسيرة الحياة الزوجية على أن لا يجر ذلك إلى الخلاف والنزاع ولو حصل نوع من الخلاف أمام الطفل فعلى الأقل ينبغي توضيح دلائله له بما يتناسب ومستوى إدراكه.

إن الطفل الذي يترعرع في وسط عائلي يكثر فيه النزاع والتناحر ويبادل فيه الزوج زوجته بكلام غير لائق وكل منهما مستاء من الآخر سيكون في وضع محرج تماماً ولن يرجى منه الخير، لأنه سيشعر في هذه الحال بضغط داخلي وعدم الامن والتشويش وسيقدم على تصرفات مرفوضة يقصد منها أحياناً الإنتقام من الوالدين.

العائلة المضطربة:

إذا لم يكن من الممكن إعادة بناء الأطفال في العائلة المضطربة فهو على الأقل من الأمور الصعبة ويندر تحقيقها.

القصد من العائلة المضطربة هي التي لايحظى فيها الطفل بدعم ورعاية الأب أو الأم أو كليهما، وهي التي ينشب بين أعضائها الخلاف ويقل فيها ابراز العاطفة للطفل ولايحكم أعضاءها ضوابط ونظام معين وغالباً ما يغيب الوالدان عن العائلة والطفل.

هذه الأمور توجد في الطفل حالات الشعور بانعدام الأمن والعزلة والخلق السيء والعصيان والطغيان وسوء التصرف ولو أريد إصلاح تمرده وهذه الحالات الشاذة فلابد من إخضاع العائلة للنظام والضوابط.

٣ ـ العلاقة مع الطفل: يلعب تعامل الوالدين مع الطفل وتحدثهما إليه دوراً مفصلياً في العلاقة القائمة بينهما، وبعبارة أخرى إنهما قادران بهذه الوسيلة على أن يفتحا باب العاطفة والمحبة على مصراعيه أمام الطفل أو أن يضعا حداً لهما.

لا ينبغي للوالدين أن يحملا الطفل الصغير أمراً فوق طاقته أو أن يتوقعا منه أن التصرف كشخص كبير. إن الطفل ينشد مراعاة العدل والقسط أكثر من غيره ولذا يعتبر أن من الظلم ومن غير المنطق أن يطلب منه التصرف كما يتصرّف الكبار في الوقت الذي يتوقع من الوالدين أن يكونا أعقل وأكثر حنكة منه.

يجب أن يكون الوالدان متفقين في عملية تربية وإصلاح الطفل ولا يسمحا بما يمهد لضياع واضطراب الطفل ولايتصرفا بما يجعل الطفل حيراناً أمام أوامرهما المتضادة ولايدري ماذا عليه أن يفعل.

حتى نهر الوالدين والمربين للطفل يجب أن يكون وفق مقررات وضوابط معينة شأنها في ذلك شأن التشجيع والتحفيز، وإلا ازداد الشعور بالإعتداء والطغيان والوقوف بوجه الوالدين لدى الطفل فينبري ـ مهما كان الأمر ـ للدفاع عن منزلته ومقامه.

في الوعد والوعيد: يجب الإلتزام بموضوع الوعد والوعيد وتنفيذهما على صعيد العملية التربوية.

إن كثيراً من الآباء والأمهات يقدمون في مجالس السرور والمسامرة على إطلاق وعود لأولادهم لكنهم يغفلون بعد انتهاء المجلس عن الوفاء بما وعدوا به.. أو أنهم يقومون بوعد الأطفال من أجل أن يسمعوا كلامهم أو يدفعونهم للقيام بعمل ما دون أن يفوا بوعودهم.

من الطبيعي أن إطلاق الوعود دون الوفاء بها أسلوب خاطئ، ذلك أن قسماً من حالات التمرد الصادرة من الأطفال عبارة عن انتقام وتذكير للأب والأم بما لم يفيا به من وعودهما.. لا شك أن الأطفال إذا وجدوا آباءهم وأمهاتهم غير صادقي الوعد والعهد فإنهم لن يقبلوهما ولن يثقوا بالتالي بوعودهما.

في منح الحرية: ما من شك أن الأطفال خلقوا أحراراً ويجب أن يبقوا أحراراً لكن المهم هو ماهي حدود الحرية وماهي معاييرها؟

إن الواقع يفرض أن يمنح الطفل حرية مشروطة ومده بمعايير معينة، حيث من المفروض مراقبة أفعاله وجعل حياته تسير وفقاً لمقررات محددة وإلا قوي احتمال ان تكون الحرية سبباً في التعاسة سواء له أو لمن حوله.

أما منطلقات هذه الحدود وأين تطبق فينبغي القول بأنها تطبق في المواقع التي تتسبب الحرية في الإضرار بالجانب المادي أو المعنوي للطفل أو أفراد المجتمع كأن يكون فعل الطفل مدعاة لإراقة ماء وجه العائلة. إن لكل

مذهب ودين رأي في هذا الباب كما للإسلام ضوابط ومعايير فيما يتعلق بتصرفات الأطفال.

في إصلاح الطفل: ينبغي في إطار إصلاح الأطفال مراعاة بعض النقاط منها أن من الخطأ فضح الطفل أمام جمع من الناس مما يجعله يحس بالحقارة والذلة كما لايصح الضحك على الطفل أو التنكيل به وسط الآخرين لأن ذلك يدفعه إلى المزيد من التمرد فضلاً عن أن هذا الفعل يتسم بالإجحاف.

تعد العائلة هي البانية لشخصية الطفل لكنها لاتستطيع القيام بواجبها إزاءه إذا ماكانت تصرفاتها غير موزونة أو معقدة.. من السهل جداً طرد الطفل لكنه ينبغي أن نعرف إن كان بالإمكان رده إلى الوسط الإجتماعي أم لا وهو ليس سهلاً.

لو شاهدنا عدم وجود تنسيق أو تسيب لدى الطفل فعلينا أن نسعى لمعرفة الأسباب والعلل الكامنة وراء ذلك كأن نحفزه على مايدور في خلده ونستنطقه حول العوامل التي ساهمت في ظهور مثل هذه الحالة ومن ثم نعمل على إعادة بنائه.

يعد إلفات نظر الطفل إلى النقاط الإيجابية عند الآخرين مفيداً من جهة الأنموذج المثالي ومضراً من جهة أنه يمس روح الطفل ويحقرها ولو استمر الوضع على هذا المنوال بحيث يرى الطفل دوماً أنه أصغر وأقل شأناً من الأطفال الذين يحظون باهتمام والديه فإنه ستسيء أخلاقه أكثر فأكثر وستزداد المهمة التربوية للوالدين صعوبة.

٤ ـ العلاقة مع القوانين: يتعين على الوالدين إحترام القوانين والضوابط الاجتماعية كوسيلة لأن يكون الطفل في الحال والمستقبل على مسير الحق والقانون، ولو لاحظ الطفل أن الوالدين والمعلمين يتجاهلون القوانين والضوابط الإجتماعية ولا يبالون بالقوانين التي تعد ضرورية لاستمرار الحياة

الإجتماعية فإنه لن يثق أو يحترم تلك القوانين وليس من المتوقع منه ذلك.

إن عمل وأداء الوالدين وموقفهما إزاء القوانين والضوابط الإجتماعية في حد ذاته درس للطفل ولذا فعدم التزامهما بالدرس يعني عدم التزامه به، واحترامهما له يعني احترامه له وعلى الوالدين إذا لم يهتما ولم يلحظا القانون في عملهما، وهو عمل خطأ، أن لا يكررا هذا الخطأ أمام الطفل.

٥ ـ **العلاقة مع المشاكل**: إن إظهار الوالدين عجزهما أمام المشاكل ليس فقط يؤدي إلى شعور الطفل بالضعف والحقارة حاضراً ومستقبلاً فحسب بل وسيؤدي سريانه بين الآباء والأمهات إلى أن يكون المجتمع القادم مجتمعاً خائفاً وغير مستقر ولذا لاينبغي للوالدين الإستسلام أو الشعور بالعجز أمام المشاكل بل عليهما أن يعمدا إلى حل المشكلة بصورة ما ويظهرا الصمود أمامها فذلك يشد من عزيمة الطفل.

ولو حدث بالفعل أنهما عاجزان عن حل المشكلة فعليهما أن يخفيا ذلك عن الطفل ويظهرا أمامه أنه لابد من الصمود والمقاومة إلى آخر لحظة والمثابرة من أجل إزالة العقبات من الطريق. إن مراقبة الوالدين لقولهما وفعلهما يؤثر أكثر من أي شيء في إصلاح الطفل وبدون ذلك ليس من المعقول توقع بحصول أمر إستثنائي.

الفصل الثاني
مراقبة المدرسة والأصدقاء

لايعيش الطفل في عزلة بل في وسط إجتماعي وبين الأصدقاء والأقران في المدرسة، يتأثر بهم ويؤثر فيهم ولو بنسب متفاوتة فما أكثر الأفعال التي تعلمها من الأصدقاء وهي غير صحيحة.

قد يتربى الطفل في البيت تربية سليمة لكنه يفسد وتسوء أخلاقه في المدرسة بسبب معاشرته لأصدقاء السوء ولذا كان من الضروري معرفة مقومات شخصية الطفل ومراقبة إختلاطه مع أقرانه.

الأطفال والتقليد:

كما ذكرنا آنفاً بأن الأطفال قادرون على تقليد الآخرين، حيث إن الكثير من تصرفاتهم التي يتسم قسم منها بالتعقيد والتنوع هي مكتسبة.. يتأثرون بمن وما حولهم خاصة إذا كانوا أكبر منهم سناً أو أكثر منهم رفاهية وأفضل منهم من الناحية المعيشية.

من الواضح جداً أن كثيراً من الأخلاق السيئة والإنحرافات وحالات التمرد ناجمة عن التأثر بالأصدقاء وأقران الطفل في المدرسة أو المحيط الخارجي وبذلك لو تم معرفة جذور الإنحرافات في الطفل فسيمكن معالجة الكثير منها.

لقد أثبتت التجارب العلمية بأن حتى أكثر الأطفال تمرداً يمكن معالجتهم كما أن أكثرهم إنحرافاً يمكن إعادتهم إلى جادة الصواب شريطة أن نعرف السبيل إلى إصلاحهم ونحدد بدقة عوامل الإنحراف والتمرد.

دور المدرسة:

إن بإمكان المدرسة في كل نظام متبع على صعيد البرامج والأسلوب والتقويم وجوانب الإنضباط السائدة أن تمارس دوراً مصيرياً قبال الطفل، فتمهد الأرضية فيه لتفعيل الإصلاحات اللازمة أو أن تهوي بجوانبه الأخلاقية إلى الحضيض، وعلى هذا من الخطأ جداً مايعتقده البعض من المعلمين من أن " الطفل قد شب وصار في عمر ليس لأحد ان يؤثر فيه".

إن المدرسة إذا كانت متزمتة في جانب الإنضباط وإذا كان المعلم يولد في الطفل العقد بدل أن يبني شخصيته ولايهتم باهتمامات الطفل ومطاليبه واحتياجاته وقدراته وإذا كان الوالدان يفرضان أموراً عليه في غير محلها وإذا كان الأصدقاء بذيئي الكلام وإذا كان المدير والمشرف والمعلم هم عوامل مساعدة على الإنحراف فإن الآلام ستكون مضاعفة وكما يقول المثل "سيزداد الطين بلة ".

لقد عكست التحقيقات والتجارب أن كثيراً من عدم النظم والتمرد الصادر عن الأطفال ناجم عن التربية المغلوطة والضعيفة في المدرسة، علماً أن هذا الموضوع لم يحظ بالإهتمام اللازم. على أننا نرى أن أفضل أساليب التربية في المنزل ستكون معرضة للخطر إذا لم تؤخذ بنظر الإعتبار المدرسة وأن الوالدين غير قادرين مطلقاً على الإستمرار في بناء الطفل أو إعادة بنائه.

نظام التحصيل الدراسي:

تتباين الأنظمة التربوية في العالم تبعاً للثقافة والمياه والهواء والمناطق

الجغرافية وحتى العسكرية والإقتصادية، هذا مع الإقرار أن لكل نظام نقاطاً إيجابية وأخرى سلبية إلا أن يكون من قبل الله "جل وعلا" ومبلغاً بواسطة الأنبياء "عليهم السلام". من الطبيعي أن العيوب الموجودة في الأنظمة الموضوعة من قبل البشرية ستترك أثارها غير المحبذة في الأشخاص.

وعلى هذا يمكن القول بأن بعض التمرد الملحوظ لدى الأطفال متعلق بالنظام الذي تربوا على أسسه وقواعده وأن الرؤية التي وضعها أصحاب النظرة الضيقة لم تستطع تلقين الأطفال القضايا الأساسية للحياة وأسلوبها، إنه نظام لم يعلّم الطفل كيف يتعامل مع الآخرين وبأي ضوابط يتعامل مع الظواهر والأحداث المحيطة به.

إن التربية الناقصة والمعلم القاسي مع الأطفال وأسلوب التدريس الخاطئ ومقررات الإنضباط الظالمة والنفاق والقدوة غير السليمة والقرارات المتناقضة... كلها تؤثر في الطفل مما يتعين على العامل في مجال تأهيل الأطفال أن يهتم بالإشارات أعلاه.

إنتقاء المدرسة:

إنطلاقاً من الإشارات أعلاه فإن التربية الإسلامية تعنى جداً بموضوع انتقاء المدرسة للأولاد، فالإسلام أراد من الوالدين وضع اولادهما في مكان يتسم بالصلاح وبأيد أمينة وهو حق للأطفال.

على الوالدين أن يعرفا في أية مدرسة وبأيدي من يضعون أولادهم. من هم المعلمون والمدير وخادم المدرسة. إن الحكومة مكلفة ببناء مدارس جيدة لأبناء المجتمع وإعداد معلمين على مستوى جيد ومن الطبيعي أن تقصير الحكومة في هذا الباب لايعني سقوط التكليف عن عاتق الوالدين.

وظيفة المدرسة:

ينبغي للوالدين وضع أولادهما في مدرسة تصون إلى جانب تعليم القضايا الأساسية، الأطفال من أخطار تعلمهم الخصال السيئة، وتهديهم إلى الطريق المنجي.

عليهم أن يختاروا لأطفالهم مدرسة يسودها الإنضباط والعدالة وتتوفر فيها لحرية المشروطة والمفيدة وتعلمهم الأصول والضوابط العامة في الحياة وكذلك نوعية الإرتباط بينهم وبين الناس حتى يعرف الطفل كيف يتعامل مع الوالد والوالدة والأصدقاء والأصحاب وماذا عليه أن يفعل ليعيش حياة شريفة مليئة بالوئام.

إن المدرسة عليها تبيين مفاهيم ومصاديق الجيد والسيئ وكذلك الجميل والقبيح والصحة والسقم، وتعلم الأطفال أي الأفعال صحيحةً وأي الأفعال خاطئةً. ماهو طريق الكمال؟ وما هي الضوابط التي ينبغي إتباعها في مجال الإنسانية والحفاظ على الصداقة ومحاربة العدو، هذا بالإضافة إلى القضايا التي تندرج في عناوين علمية واجتماعية وثقافية.

صفات المعلم:

على الوالدين أن يعرفا من هو المعلم الذي يشرف على ولدهما وما هي ميزاته؟ ما هي اخلاقه وتصرفاته وعقائده؟ ماذا يعلم الأطفال؟ ثم ما هو أسلوبه في ضبط الصف؟

إن المعلم الذي يلتذ بتعذيب الأطفال وشعورهم بالذلة والعجز أمامه والتملق له ويسعى لإدارة قضايا الصف من خلال إرضاء ذاته يساهم بالواقع في تفاقم حالة التمرد لدى الطفل كما أن العقاب في غير محله والظلم وافتقار المعلمين للعدالة والقساوة في التنبيه والمزاح المفرط والصداقة الغالبة على الحق تتسبب في فساد وانحراف الأطفال.

حينما يواجه الطفل صدمة عاطفية ويشعر بأنه مظلوم، وحينما يشعر الطفل بأن حجم تنبيه المعلم له لايتناسب مع الخطأ الذي ارتكبه فإنه سيواجه سلسلة من الأفكار المؤذية له وستدفعه إلى الإنتقام، ومن الضروري في مثل هذه الظروف الإسراع إلى مساعدته وإنقاذه من هذه الإفكار المؤذية حتى يجد الطفل نفسه ويثق بها ولا يرى نفسه عديم القيمة والأهمية أو أن لا يفكر في الإنتقام من المعلم.

دور الأصدقاء:

يفوق تأثير الأصدقاء في الطفل تأثير الأب والأم بل ويفوق تاثير المعلم أيضاً في بعض الموارد. إن الطفل يتعلم في الأغلب تصرفات ونهج أصدقائه لأنه يتفق معهم في طريقة التفكير والتطلعات.

قد يمهد الأصدقاء والأصحاب الكثير من عوامل الإنحراف، فتصرفاتهم السيئة قد تؤدي إلى أن يقوم الطفل بها مستقبلاً ومن أمثلة ذلك الفرار من البيت أو المدرسة والتسيب أو الإصابة بالإنحراف الجنسي أو الخلقي أي أن التفاخر والإستهزاء والبطالة والعصبية والتمرد كلها أمور ناجمة في كثير من الأحيان من مماشاة ومحاكاة الأصدقاء.

يرغب الأطفال بالأفعال الجديدة بشكل كبير وعندما يرونها يبادرون إلى تقليدها. من الواضح جداً أن لكل طفل أسلوباً ومنهجاً خاصاً تعلمه من محيطه الإجتماعي يترجمه على صعيد الواقع عندما يلاقي أقرانه فمثلاً يقوم بالسرقة تقليداً لصديقه وهكذا يمارس العنف ويستهزىء وغير ذلك من الأمور.

العلاقة بين الأصحاب:

يجري الأطفال فيما بينهم نوعاً من المعاملات فهم يتبادلون الأخلاق

والتصرفات وكذلك المعلومات المفيدة منها والمضرة وهم يلفتون النظر إليهم عبر ذلك. . التنقل المستمر للوالدين وعدم التواؤم فيما بينهما وتغيبهما المتواصل عن الطفل يلقي بظلاله على هذه المعاملات ويضع أمامه مصيراً صعباً ومقلقاً.

بطبيعة الحال إن الطفل حينما يرى ويلتقي بشخص أهل للثقة فإنه سيشرح له قلبه وسيخبره بما يواجهه من مشاكل وقضايا في حياته الشخصية والعائلية ومايشاهده من تصرفات مجحفة بحقه ومايفكر به من أجل التحرر من هذه القيود. يلجأ أحياناً إلى التأوه أمام أصحابه وأحياناً أخرى إلى التفاخر حفاظاً على غروره لا لشيء ألا للبرهنة على أنه مثلهم سواء أكان مؤدى الفعل إلى الصلاح أم إلى الفساد، فلو ركل برجله فلأنه يريد البرهنة على أنه قادر على ذلك أيضاً وهكذا الأمر إن سخر من أحدهم ليضحك آخرين وبالتالي الإثبات بأنه ليس بأقل من أقرانه مما ينبىء بعواقب وخيمة.

مراقبة الأصحاب:

من هذا المنطلق يستلزم من الوالدين والتربويين التحقيق ومعرفة أن اولادهم يسايرون من؟ وأين ومع من يقضون أوقاتهم؟ وكيف يقضون أوقات لعبهم؟ والعمل بقدر المستطاع على قطع العلاقة مع ذوي الأخلاق الضعيفة ومن يتسم ببذاءة اللسان.

إننا نؤمن بضرورة وجود صديق وصاحب لكل طفل لأنه بحاجة إلى من يفكر بطريقته ويفعل مثلما هو يفعل سواء في اللعب أم الضحك أم البكاء وما إلى ذلك، لكن تلك العلاقة والمصاحبة أدعى إلى أن يوضع حد لها إذا ما أدت إلى الإضرار بشخصية العائلة والشرف الإنساني.

إختيار الصديق:

من الجدير ذكره هنا أن منع الطفل من الاتصال بأصحابه ومن يلعب معهم دونما دليل لن يداوي جرحاً بل لا يمكن قطع علاقة الطفل بأصدقائه بشكل عشوائي وبدون تفكير. إن وجود الصديق والصاحب وكما أشرنا يعد أمراً ضرورياً في حياة الطفل ونموه علماً أنه سيلجأ في الخفاء إلى مد جسور العلاقة مع من هم في عمره إذا منع منها في العلن، وبذلك فما أفضل أن يختار الوالدان وخاصة بصورة غير مباشرة الصديق لأولادهما.

يمكن للوالدين اختيار أطفال معروفين والعمل مع آبائهم على إلتقاء بعضهم بالبعض الآخر ويعرفون بعضهم على البعض الآخر والتمهيد أيضاً للصحبة عبر لقائهما في بيت واحد وتزويدهم بوسائل اللعب وإجلاسهم حول مائدة واحدة.

إن هذه السياسة تؤدي إلى تقليص الأخطاء إلى الحد الأدنى والحؤول دون تعلم التصرفات والأعمال القبيحة والمذمومة.

الفصل الثالث
مراقبة قضاء الأوقات

يبدو أن مرحلة الطفولة مصحوبة بإتلاف الوقت والعمر بل يتمتع الطفل بمهارة عالية في هذا المجال.

إنه يملأ أوقاته في الليل والنهار بشكل ما.. سواء بالتكلم أو بالضحك أو البكاء أو اللعب أو الركض أو النوم أو...

بل يحصل أحياناً أنه يركض في الزقاق أو الشارع من غير أن يكون له هدف معين أو قصد يعتد به وقد يحدث أن يجلس لساعات ليشاهد ظاهرة ما وهو ما لايروق لنا. يعمد أحياناً إلى خلق تسلية لنفسه فمثلاً يضع إصبعه في ثقب ليرى ماذا يحصل؟! ويقدم على القيام بشيء ما ليعرف النتائج ثم يسرق ما في يد طفل آخر ليسمع صراخه وآهاته ويراه وهو يتألم... المهم مراقبته لئلا يوقع نفسه في الخطر.

الوحدة وعزلة الأطفال:

تظهر للأطفال وخاصة من هم في السادسة من العمر حالة من الوحدة والعزلة التي تبلغ ذروتها في مرحلة الحداثة والبلوغ.

فهؤلاء يحبون أن يقضوا أوقاتاً من ليلهم وحيدين يختلون بأنفسهم بعيداً

عن الآخرين ؛ يسلون أنفسهم في هذه الدقائق بعالمهم الداخلي ويهدئون نفوسهم بتذكر الآلام التي عانوا منها طوال اليوم.

الحقيقة هي أن الطفل يستشعر وبمقدار نموه الآلام الناجمة من الإخفاقات وحالات الحرمان التي واجهها في مسيرة حياته وهي مما تولد الضغط عليه وتجعله في دوامة من العذاب. لهذا فهو يحب أن يختلي بنفسه ساعة من الزمن ويسلي نفسه من خلال التفكير أو البكاء أو التحدث إلى نفسه ويرفه عنها.

ضرورة الخلوة:

تعد هذه الخلوة والوحدة ضرورية لتسكين الحالات النفسية للطفل شريطة أن لاتصل حد الإفراط، علماً أنه لاينبغي مزاحمته وكسر خلوته لأنها تورثه الهدوء وتمنحه مقاومة جديدة في مقابل الصعاب.

عندما تحيط الضغوط بالطفل من كل صوب وتجعل حياته مرة المذاق فمن الأفضل أن يحصل على دعة وهدوء يشعر فيه بالإستقرار وإلا صعبت عليه الحياة فلا يستطيع الإهتمام بالعمل أو اللعب أو الدرس أو يفقد القدرة على الدفاع عن شخصيته.

أما النقطة التي يجدر بالوالدين الإلتفات إليها هنا فهي أن يخضعا خلوة رانعزال الطفل وبصورة غير مباشرة ودون أن يعلم إلى المراقبة والإشراف تحسباً من أن يخلق لنفسه وللآخرين المتاعب.

ماذا يفعل الطفل في الخلاء؟

الجواب هو أنه يقضي الوقت.. علينا أن لا نتوقع منه أن ينجز في هذه الدقائق عملاً قيماً وكأن بإمكانه اختراع شيء ما، هذا في الوقت الذي قد يكون عملاً مضراً. لذا كان من الضروري أن نعلم كيف يقضي الطفل وقته؟

وبأي طريقة يمكن تقليص مدى الخطرات الناجمة عن ذلك.

لقد أثبتت التجارب بأن الطفل ينشغل في الخلاء بأحد الأمور التالية:

١ ـ **التخريب**: يعمد إلى العبث بالأشياء الموجودة كأن يتناول الساعة المنضدية ويفتحها ليعبث بها أو أنه يعبث بشيء آخر إلى أن تخرب تلك الحاجة. لا شك أن هذا الفعل ناجم عن حب استطلاعه والتعرف على اسرار ذلك الجهاز أو تلك الوسيلة، فيرغب أن يعرف كيف تعمل الساعة؟ أو هل صحيح أن الكهرباء تصعق الإنسان؟ أو كيف تعمل ماكنة الخياطة؟...

وعلى خلفية تلك الأفعال تقوم أحياناً القيامة في البيت ولذلك على الوالدين مراقبة الطفل حفاظاً عليه من أخطار الوحدة وإبعاد الأشياء الخطرة عنه.

٢ ـ **السرقة**: في الواقع إن الطفل ليس لصاً لكن الوساوس أحياناً تطرق بابه وتدفعه للقيام بفعل ما نسميه نحن السرقة.

إن السرقات التي يقوم بها الأطفال تكون في الغالب صغيرة وغير ملحوظة ولتلبية حاجة آنية فيتجه مثلاً نحو الأكل والفواكه والخبز والحلويات وربما النقود من أجل أن يؤمن ما يرغب به في حين لو أنه طلب هذا الشيء من والديه لوفراه له، وقد يكون عدم طلبه الشيء من والديه ناجماً عن خجله أو عدم اهتمامهما بمطاليبه.

غير أنه سرعان مايشعر بالندم الشديد بعد قيامه بذلك الفعل.

٣ ـ **التخيل**: يحملق الطفل بعينيه أحياناً في نقطة واحدة ويستغرق في تصور وتخيل.

إن قوة التخيل تدفعه إلى البحث والعثور على خط موصل بالحياة والشيء الذي يستحوذ على فكره، فأحياناً يرى نفسه قد امتطى السحب محلقاً

في كنف السماء أو أنه يرى تحقق مطاليبه في عالم الخيال بحيث يسكن بها مشاعره العدائية وهكذا.

هذه الحالة تجعله يشعر بالإرتياح الى حد ما، على أن لايكون ذلك مكرراً أو كثيراً يصل مستوى الإستمرارية.

على كل حال يشعر الطفل في تلك الحالة بنوع من الهدوء والسكينة والتوازن.

٤ ـ مص الإبهام: إعتاد الناس على أن يروا الطفل وهو يمص إبهامه لكنهم لايعرفون أنه محلق ـ وهو في هذه الحالة ـ في عالم الخيال، وأن انشغاله بالمص يبلغ حداً بحيث إنه لاينتبه إلى مراقبة الآخرين له ولا لقبح عمله.

إنه يفكر في تلك اللحظات في أبعد نقطة، في الأمور التي لا يمكن بلوغها، إنه يرى البعيد قريباً والقريب بعيداً. وفي نفس الوقت فإن مص الإبهام ناجم عن اضطراب يؤذي روحه من الداخل.

٥ ـ الإنشغال بالنفس: ينشغل الطفل أحياناً في الخلاء بنفسه ويقوم بحركات تعلمها من الآخرين، وبالتدريج تراه يفكر في نقاط الإختلاف بينه وبين الآخرين ويشغل نفسه بذلك.

ويلعب التحفيز الصادر من قبل البيئة والعائلة والنظرات والأقوال دوراً مؤثراً في هذا المجال ولهذا أوصي الوالدان بأن تكون علاقاتهما الخاصة بعيداً عن نظر الأطفال ولا يعمدا إلى المزاح والتصرفات التي يتعلم منها أموراً غير ممدوحة أو تكشف له الستار عن الغرائز، بل عليهما أن يسعيا في سن معينة إلى أن لا يكون أولادهما في مكان مختلط حتى في الصفوف.

٦ ـ اللعب بمفرده: ينشغل الطفل أحياناً لوحده بوسائل لعبه، فيسلي

نفسه ويسكن غضبه من أحد أعضاء العائلة أو الآخرين عبر ضرب الدمية التي بين يديه.

حينما يدخل علبة في أخرى يشعر بأنه موفق وقد أنجز شيئاً مهماً، وحينما يمزق قطعة قماش أو ورقة يشعر بارتياح خفيف وتسكن رغبته للإنتقام ولابد من مراقبته على كل حال لئلا يضر بنفسه أو بأموال البيت.

مكان خلوة الطفل:

ينبغي أن يكون للطفل في العائلة غرفة أو مكان يشعر وكأنها ملكه، لو لم يكن بالمقدور تخصيص غرفة للطفل فإنه ينبغي تخصيص زاوية من الغرفة أو البيت لينشغل فيها باللعب، أو يجمع فيها وسائل لعبه.

المكان الذي يتم اختياره للطفل يجب أن يكون بحيث يشرف عليه الوالدان ويكون تحت مراقبتهما ولو بصورة غير مباشرة. لاينبغي منح الطفل الحق مطلقاً في أن يدخل الغرفة ويغلق الباب على نفسه إذ قد يترتب على ذلك أحياناً فساد أو خسائر لايمكن تعويضها أو أن تكون باهظة الثمن على العائلة.

الشغل ضرورة:

يجب توفير الأرضية لانشغال الطفل بعمل ما تحسباً من إنجرافه إلى المفسدة أو بروز الخطر، وهو أمر ضروري في عملية تهذيب الطفل فبواسطته يصان وإلى حد كبير من الإنحراف والضرر وإضرار الآخرين على أن ذلك يستلزم من الوالدين القيام بدور إرشاده فيما ينشغل فيه من عمل.

ينبغي، وحسب الإستطاعة، توفير وسائل لعب متنوعة ومتعددة للطفل كي يتواصل لديه حب الاستطلاع والرغبة في اللعب وبالتالي إنتاج شيء من صنع يده والإبداع والإختراع، على أنه لا بد من الإلتفات إلى ضرورة أن

تكون وسائل لعب الطفل زهيدة الثمن لئلا تكلف العائلة الكثير في حال تلفها أو تحطمها وأن تكون أيضاً من الوسائل التي لا خطر يترتب على الطفل من استعمالها.

ضرورة المراقبة:

مع كل الملاحظات الآنفة الذكر فإنه ينبغي للوالدين في المنزل والمعلم في المدرسة أن يراقبوا الطفل وتصرفاته في خلوته وتقييم أدائه وماهي الأفعال الصادرة عنه.

هذه المراقبة تبرز ضرورتها أكثر حينما يرون الطفل قد خرج من حالة التحدث إلى نفسه وترنيماته في خلوته وبات ساكتاً يخيم عليه الوجوم لايسمع منه ذلك الضجيج المعهود. ولمعالجة الموقف ينبغي الإسراع في الإقتراب منه ومعرفة أحواله عن كثب لأن الطفل يقدم في مثل هذه الأوضاع عادة على أعمال خطرة ويركز إهتماماته في نقطة معينة.

ولكي لانجرح شعور الطفل، حيث يعتبر أن مراقبته تعد إساءة له، نستطيع التذرع بحجج مختلفة في عملية التقرب منه.

فوائد المراقبة:

تتمتع المراقبة بالفائدة إلى حد كبير وذلك لأسباب منها..

ـ تجعل الوالدين على اطلاع بما يقوم به الطفل.

ـ توقفهم على كون الطفل منظماً ومنتظماً في تصرفاته ومهامه أم لا.

ـ تكشف لهم أفعاله المؤذية في الخفاء، لأن الطفل يعمد أحياناً إلى أن يجعل الرضيع في البيت وسيلته للعب يظهر الود والمحبة له لكنه يقوم في الخفاء بقرصه ويفرغ فيه ضجره، ثم يطبق فيه ما شاهده في السينما أو التلفزيون أو المجتمع وهو أمر خطر.

ـ تنقذ الطفل من حالة الغم والقلق في بعض الموارد.

ـ تمهد لاتخاذ قرارات صائبة وصحيحة بشأن الطفل وبالتالي إصلاحه.

ملاحظات حول مراقبة الأطفال:

يجب في إطار مراقبة الأطفال الإنتباه إلى النقاط التالية:

١ ـ يفترض أن لاتكون المراقبة بما يجعله يشعر أنه سلب من كافة حرياته.

٢ ـ يشرف الوالدان على الطفل والإطلاع عن كثب على وضعه بحجة مشاركته في اللعب.

٣ ـ في الأماكن التي يخطىء فيها الطفل يتم إلفات نظره إلى خطئه إلى جانب تزويده بالتعليمات والوصايا اللازمة.

٤ ـ للطفل عالم خاص ويرى الأمور من زاويته ولابد من احترام وجهة نظره.

٥ ـ المهم أن تكون هناك علاقات إنسانية مع الطفل والمراقبة إنما لهدايته وإرشاده لإيقاعه في الفخ.

٦ـ التخيلات والرؤيا ناجمة عن اضطرابات تأكله من الداخل ويفترض بالوالدين السعي لمعرفة جذورها.

٧ـ يلجأ الطفل أحياناً في الوحدة إلى البكاء ولاينبغي في تلك الحالات الإلحاح عليه بالسؤال عن السبب إلا أن يكون مستمراً.

٨ ـ ينبغي أن لا يعمد إلى وضعه في موقف محرج أو إخجاله فيما لو زل أو أخطأ في شيء ما بل من اللازم توجيهه وإرشاده.

٩ ـ لو ارتكب الطفل خطأ وطلب من الوالدين الصفح فليصفحا عنه.

١٠ ـ من الضروري أن لايحاسب على فعل فعله ارتكبه في خلوته أو بعيداً عن أعين الناس ولايفضح أمامهم.

القسم التاسع

تأمين الاحتياجات وتوفير المستلزمات

يستلزم في عملية تهذيب الطفل أخذ احتياجاته الأولية والضرورية بنظر الإعتبار والسعي إلى تلبيتها . .

من تلك الضرورات حاجته للمحبة وكذلك للتملق واستقرار الوضع الإجتماعي وحب الظهور وإثبات الوجود والثقة بالنفس والشعور بالأمن والإستقلالية والتحلي بالنظام والغذاء والملبس والسكن واللعب و . . . والقسم التاسع سيتناول بالبحث جزءاً من هذه الإحتياجات .

ينقسم الموضوع إلى أقسام منها ما يطرق باب التأمين الإقتصادي للطفل ودوره التربوي مع الإشارة إلى الأضرار المترتبة على عدم تلبية هذه الإحتياجات . . ومنها ما ينبغي للمعلم أن يفعله؟ وأي موقف يتخذ؟ وما هي النقاط التي يفترض به الإهتمام بها؟

ومنها ما يثير موضوع الجانب العاطفي وحاجة الطفل له . . عاطفة الأمومة، واحتضانه، والمضار الناجمة عن الجفاء وحرمانه من العاطفة بالإضافة إلى الأذى الروحي الذي يلاقيه الطفل نتيجة التمييز في التعامل داخل

العائلة وآثاره عليه وكذلك موضوع الإنضباط في البيت والوتيرة الواحدة للوالدين في أوامرهما الصادرة في الأمر والنهي.

وفي فصل آخر يجري الحديث عن الأمن الروحي للطفل، ومناقشة الخوف وحالة الإضطراب التي يمر بها وأثار الخوف وأسباب بروزه.

الفصل الأول

التأمين الإقتصادي للطفل

يرتبط وجود الإنسان بمتطلبات يؤدي عدم توفرها إلى شعوره بعدم الإرتياح . . ومنها الحاجة الغذائية والجوانب المرتبطة بالماديات والاقتصاد.

يعد البعد الإقتصادي والجانب المادي من القضايا المهمة جداً في حياة الإنسان وهو يمارس دوراً حساساً واستثنائياً في موضوع التربية، وإن كثيراً من التمرد والصراع والإنحرافات وحتى الإحتيال والتغيرات ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالجانب الإقتصادي ولذا كانت تلبية المتطلبات الإقتصادية للطفل سبيلاً للحد من نفوذ العوامل الهدامة في هذا المجال.

الطفل ورغباته:

يمتاز الطفل عادة بأن رغباته متعددة ومتنوعة، ولكل منها مدخلية في سمو أو تدني صفاته الخلقية ولذا فمن المفروض الإهتمام بها، إنه يصر على مطاليبه من جهة أنه غير قادر على تحمل الحرمان.

إن بإمكاننا نحن الكبار أن لا نتناول حتى وجبات متتالية من الطعام دون أن نعير لذلك الأهمية، وأن نرى الغذاء والفاكهة التي نشتهيها لكننا لا نمد يدنا إليها من أجل الحصول عليها، وقد نرى وسيلة من وسائل الراحة مما

نتطلع لامتلاكه لكننا لا نذل أنفسنا ولا تطاوعنا لاستجدائها لكن فهم هذا الأمر صعب وقد يكون من المستحيلات أحياناً بالنسبة للطفل الذي ربما يولد عنده ذلك شعور بالهزيمة فيتصارخ ويتأوه ويغضب أو تصدر منه تصرفات غير ممدوحة.

على هذا الأساس يمكن مقاومة مطاليب ورغبات الطفل إلى حد ما ولكن ليس إلى النهاية لأن ذلك قد يمهد لتوجيه صدمة لنفسه أو للآخرين أو يظهر نوعاً من التمرد.

الأهمية التربوية في التامين الإقتصادي:

الطفل الذي يتمنى شيئاً ولا يدركه ليس كالطفل الذي يحصل على ما يتمناه بسهولة.

إن الطفل حينما يرى نوعاً من الحلوى أو غذاءً لذيذاً يشتهيه فإذا لم ينل منه شيئاً شعر بحالة إحباط وحينها لن يكون في شخصيته كمن تلبى كل مطاليبه وتطلعاته.. إننا لا نستطيع أن نحجم عن تلبية مطاليب الطفل بصورة مطلقة أو أن لا نعير لها الأهمية.

إن الفقر والحرمان والحياة غير المرتبة وامتناع الوالدين عن تلبية المتطلبات ليست من الأمور التي يمكن تجاهلها فهي مما يترتب عليها نوع التصرفات وطريقة اتخاذ القرارات والحالات المناسبة وغير المناسبة بل ويمكن أن يكون لها دور في التعامل والتصرفات المتوازنة.

المطاليب لا حدود لها:

يواجه المربي في هذا المجال مشكلة عدم وجود حدود لمطاليب الطفل وعدم مراعاة الإمكانات المتاحة، فهو يريد كل ما يراه أو يعجبه وقد يكون في طلبه جاداً مصحوباً بالغضب وأحياناً بالعجز والتضرع.

يرى الطفل دراجة هوائية في الشارع فيهواها ويطلبها لنفسه دون أن يأخذ بنظر الإعتبار إمكانات الوالد المالية ودخله، وهكذا الحال إذا شاهد وسيلة لعب في الشارع. . لا يهمه إن كان والده أو والدته يستطيعان شراءها أم لا. ثم إنه يشم رائحة طعام ذكية فيصدر أوامره بإعداده دون أن يدرك إن كان بإمكان والديه إعداد هذا الطعام أم لا.

الأهم من ذلك كله أنه لا يقنع ولا يرضى بالمرة الواحدة من تلبية طلبه بل سيعاود طلبه ثانية وثالثة وكلما يتذكرها.

عدم تحقق المطاليب والأضرار الناجمة:

كما أشرنا آنفاً، إن قدرة التحمل لدى الطفل محدودة، فلا يمكنه أن يصمد في مقابل كل حرمان وإذا لم تترجم مطاليبه على صعيد الواقع فمن الممكن أن تظهر منه حالة العصيان لأوامر الوالدين ومواجهتهما بالغضب والعصيان وبصوت مرتفع.

من الممكن أن يستسلم الطفل للإنحراف إذا تجاوز الحرمان حداً معيناً فيلجأ إلى الحصول على ما يريد بوسيلة غير مشروعة، ومن هنا يتضح أن كثيراً من حالات الإنحراف والتشريد والتصرفات المذمومة والقمار والسرقة والتكبر التي تظهر منه إنما هي وسيلة لبلوغ الهدف وتحقيق الغاية.

وفي الواقع، إن الفقراء والمضطربيإ نفسياً ينساقون وراء الفساد والتلوث بالقبائح إرضاءً لأنفسهم فيهرولون في كل اتجاه ويرتمون في كل حضن فيما قد يتجاهلون غرورهم ويتناسونه. الشخص الذي لا يملك ثمن تذكرة الحافلة يصعد فيها بالحيلة والخداع، والطفل العاجز عن الحصول على ما يرغب إذا كان ممن لم يحظ بتربية صحيحة يلجأ إلى الحصول عليه بطريقة غير مشروعة مما قد يسبب المساس باسم العائلة.

المربي في مقابل رغبات الأطفال:

ليس من الصحيح توفير كل ما يريد الطفل فوراً بيد أنه ينبغي الإهتمام إلى حد كبير بمطاليب الأطفال المشروعة خاصة فيما يتعلق منها بالحاجات الأولية والأساسية لحياته.

يشعر الطفل في حياته بأنه طالب غير مطلوب.. يظن بأن الجميع مدينون له ويملك حصة في كل ما في يد الآخرين، بل وكل ما في العالم ملكه وله حق الإستفادة منه ولهذا تجده يطلب كل ما تهواه نفسه سواء أكان على حق في طلبه أم لا على أنه لابد من الأخذ بنظر الإعتبار هذا الطلب والتفكير.

صحيح أن بعض الآباء والأمهات لايمكنهم تلبية مطاليب أطفالهم بسبب الفقر لكنه لا ينبغي تناسي أن الإهتمام بهذه المطاليب وتلبيتها ولو نسبياً يعد مبدأ وأساساً في تهذيب وتربية الأطفال، ولا تذليل للعقبات في الواقع في مسيرة حياة الطفل بدون ذلك.

أما المواقف التي يتعين على الوالدين إتخاذها في مقابل مطاليب الطفل فهي مختلفة ومتعددة منها:

١ ـ **العمل على تلبية الحاجة**: من الأفضل أن يتم في حال قدرة الوالدين على تلبية الرغبات المشروعة والضرورية للطفل، هذا مع مراعاة المصلحة والإعتدال.. إن النقود التي من المقرر توفيرها لمستقبل الطفل من الأفضل أن تستثمر اليوم خاصة وأن في الغد أفق آخر.

ربما ليس بمقدور الوالدين أن يوفرا كل طعام أو فاكهة أو لعبة هوتها نفس الطفل لكنه يمكن عبر الإقتصاد وترشيد الإستهلاك تخصيص شيء من النقود لتلبية رغباته، فبالإقتصاد في المشتريات يمكن غداً أو في الأسبوع القادم شراء اللعبة التي لايمكن شراؤها اليوم.

٢ ـ تفهيم الطفل: الطفل المتفهم والمربى والعارف بعدم أمكانية توفير ما يريده نادراً ما يظهر العناد.

فمثلاً يطلب اللعبة الفلانية في الوقت الذي يبلغ سعرها ألف ليرة ولا يتناسب مع دخل العائلة وهنا إما أن يكون لا يفهم معنى الألف ليرة أو أنه لا يعرف شيئاً عن دخل العائلة.

يمكن في مثل هذه المواقف أن نشرح للطفل وبلسان لين السبب في عدم توفير ما يريد والتحدث له عن معنى الدخل عبر المقارنة بين الأشياء والمشتريات من قبيل الخبز والملبس دون أن نلقي في نفسه اليأس.

٣ ـ التوفير مع ترشيد الإستهلاك: قد يعود السبب في عدم تأمين رغبات الطفل إلى اهتمام الوالدين أكثر بالكماليات، فما أكثر الذين يحشدون منازلهم بوسائل غير مفيدة وباهظة الثمن كالموبيليا والسجاد وباقي الأشياء الكمالية غير آبهين باحتياجات الأطفال. إنهما مستعدان لإنفاق الكثير من أجل اقتناء حاجة غير ضرورية وغير أساسية في حين كان من المناسب جداً كسب قلب الطفل وإخراجه من غمه الذي يمر به ثم ما الفائدة من موبيليا تركن في زاوية الغرفة والطفل يتجرع الحسرة من أجل دراجة هوائية؟

إن الحياة يجب أن تأخذ وبمنأى عن الخداع والرياء منحاها الطبيعي ولاشك أنه ليس من المناسب أن تقوم العائلة التي لا تستطيع تلبية احتياجات طفلها الرئيسية بمثل هذه التصرفات خاصة إذا ماعرفنا أنه مؤثر في تهذيب وبناء شخصية الطفل.

٤ ـ طريقة التوفير: يرى الطفل شيئاً في الشارع فيرغب في اقتنائه.

من الممكن أن لاتكون العائلة قادرة على توفيره في نفس الوقت الذي تشعر فيه أن طلب طفلها لم يأت من فراغ.

لكن النقطة التي يجب أن تحظى بالإهتمام هي ما هو موقفنا أمام احتياجاته ورغباته؟!

يجدر أن لايقابل عناده وإلحاحه على توفير ما يريد بالعصبية أو التحذير والتخويف فإلى جانب ضبط النفس لابد من إفهامه بأنه ليس في المقدور شراؤها الآن ووعده بشرائها ولكن شريطة أن يدخر مصروفه في صندوق التوفير لحين تجميع المبلغ المراد.

يعد هذا الأسلوب أكثر الأساليب عقلانية من جهة أنه يتم فيه ترويض الطفل وفي نفس الوقت تعريفه على قيمة النقود حيث عليه أن يصبر حتى يجمع المبلغ المطلوب وكل هذا دون أن يشعر الطفل بالأذى وعدم الإرتياح.

٥ ـ **تعويض الفقر بالمحبة**: عندما تنعدم السبل تماماً لتحقيق الهدف المنشود، يبقى هناك ملجأ واحد وهو مواساة الطفل وإحاطته بالمحبة وإفهامه بأنهما ـ الوالدان ـ متألمان أيضاً لعدم استطاعتهما توفير الشيء الذي أراده وأنهما يقدمان على ذلك في أقرب فرصة.

تعتبر المحبة والملاطفة بمثابة الأداة السحرية في جذب الأشخاص حتى أنه يمكن بواسطتها جذب قلب الشرير ولقد أثبتت التجارب أن أكثر الأطفال أذية وتمرداً أكثرهم افتقاراً للمحبة ونفس هذا النمط يدفع للإستسلام حتى بالقدر اليسير من المحبة. إن الوالد الذي يحتضن طفله ويقبله ويشاطره الموقف أو يواسيه بدل أن يصفعه ينفذ إلى قلبه بسهولة وتسكين مشاعره وربما جعله ينصرف عن إصراره على اقتناء تلك الحاجة لكن المؤسف أن كثيراً من الآباء لايقومون بهذا الأمر لكثرة مشاغلهم.

ملاحظات حول التأمين الإقتصادي:

في عملية التأمين الإقتصادي للأطفال لابد من مراعاة النقاط التالية:

١ ـ إن مبدأ توفير المتطلبات سليم ومنشود ولكن لا يعني توفير كل ما يهواه الطفل، فمن الضروري الأخذ بنظر الإعتبار ما تقتضيه المصلحة اليوم ومستقبلاً وكذلك سلامة الجسم والروح.

٢ ـ ينبغي إشباع الطفل دوماً ولو بالخبز الخالي أو الأغذية الزهيدة الثمن الأخرى لأن الجوع منشأ الكثير من الآفات.

٣ ـ ينبغي إغناء الطفل حتى لا يلجأ إلى أي مكان لتحقيق هذا الهدف كما لابد من إعداد الطعام أو الفاكهة الجديدة التي يرغبها الطفل في أسرع وقت ولو بمقدار قليل.

٤ ـ ليس من المناسب وضع الشيء الذي يرغبه الطفل بعيداً عن متناوله أو إخفاؤه في صندوق، أليس الهدف من شرائه هو استفادة الطفل منه؟ فلم لا يكون حراً في هذه الإستفادة؟!

٥ ـ إذا لم تكن هناك قدرة على تلبية رغبات الطفل فلا ينبغي على الأقل ضربه أو توجيه اللوم له دوماً لأن ذلك سيضاعف من شعوره بالعقد.

٦ ـ من الأفضل السعي دوماً إلى عدم إظهار العجز والفقر أمام الطفل فإن ذلك يولد لديه الكآبة ويؤذي روحه من جهة ومن جهة أخرى يصغر من شخصية الوالدين في عينه من دون أن تكون له جوانب إيجابية.

الفصل الثاني
التأمين العاطفي

إن حل كثير من المشاكل وأسرار الطفل يجب البحث عنه في الحنان والمحبة وتعبير الوالدين والمعلم عن حبهم له. ما أكثر الأطفال المتعطشين لمحبة الأب وابتسامة الأم وملاطفة المعلم له مما يجعله مستعداً للتنازل عن كل أنواع التمرد والمشاغبة وأن يكون منطقياً ومؤدباً. ثم ما أكثر الأطفال المتمارضين من أجل استمالة الوالدين واستقطاب حنانهما.

تعتبر المحبة عاملاً كبيراً في العملية التربوية، فهي تستميل الجميع نحوها وتمهد لبروز حالة الإعتدال والتوازن في الأشخاص وتكون سبباً في نشوء الألفة والتواصل بين بني البشر حتى الذين لا يعرف بعضهم الآخر ولهذا كان من الضروري استثمار هذا العامل لبناء شخصية الطفل.

الحاجة إلى المحبة:

ليس الطفل وحده بحاجة إلى المحبة بل إن كل إنسان يستشعر الحاجة إلى المحبة غير أن الطفل أكثر حاجة لها من غيره حتى يمكن القول بأنها من أهم متطلبات تكامل الشخصية. إن شخصية الإنسان تجد نفسها في ظل المحبة ويتأثر بها بشدة وأن وجودها وعدمه ربما يكون سبب مواصلة الطريق الصحيح أو الإنحراف عن الجادة.

الطفل المحروم من محبة العائلة يسعى بكل الوسائل إلى لفت نظر الآخرين والتقرب إليهم، فقد يظهر بمظهر المظلوم أو أن يستسلم لمطاليب الآخرين غير المشروعة وهو سر كثير من حالات الإنحراف في الأشخاص.

وبهذه الصورة يتعين على المربين من الوالدين وأولياء الأمور والمعلمين أن يتصرفوا بما لايشعر الطفل بالحرمان في هذا المجال إذ يجب إشباعه بالمحبة دوماً وامتلاك قلبه بهذه المحبة كي لا يرتمي في أحضان الآخرين أو أن يحس بالنقص.

المحبة وحل المشاكل:

إن ذرة من المحبة تزيح أحياناً مشاكل كبيرة عن الطفل وتنقذه من حالة العصيان الممقوتة والإنحراف وتخلصه من العقد وتمنحه الشهامة والشجاعة.

يحتاج الطفل عادة إلى يد دافئة تمسد رأسه برأفة وتزيل عن قلبه وذهنه الهموم الناجمة عن العراك والنقص والصراع وتطمئن قلبه الصغير بحنو الوالدين والمربين.

إن الطفل الذي اختار العزلة في ركن من البيت بسبب حرمانه من الغذاء أو وسائل اللعب أو عدم القدرة على شراء ما يهوى بماذا تريده أن يفكر؟ لا بد أنه يفكر بأن لا قيمة للحياة في نظره ويجب أن ينقذ نفسه من هذه المعضلة.. إنه يفكر بأن والديه ظلماه وعليه فلا بد أن ينتقم منهما وبما أنه لايملك القدرة على مواجهتهما فإنه يعمد إلى المشاغبة والأذية و.. ولو مرر الأب والأم يديهما في هذه الحالة ومسدا على رأس الطفل فسيهدأ خاطره وتبدد كله مخططاته.

عاطفة الأمومة:

ينهض الوالدان معاً بدور كبير في تغذية روح الطفل لكن دور الأم في

هذا المجال أكبر ذلك أن عواطف الأمومة تعد عاملاً في بناء الشخصية. إن الطفل ليمتلىء تماماً بحنان الأمومة فتهدأ روحه المضطربة ولو استمر حرمانه من حنان الأمومة فإن ذلك سيؤدي إلى بروز اختلالات ونقصٍ في الطفل بل وقد يؤدي به إلى الإصابة بأمراض عصبية.

يتوقع الطفل من والدته واستناداً لتجربته أكثر مما يتوقعه من الآخرين وعدم اعتنائها به ليس كعدم اعتناء الأب به كما أن ألم التنبيه وعدم اهتمام الأم أكبر ألماً فيما يكون تمرده ومشاغبته أكبر في حال كون الأم هي مصدر التعامل السلبي معه.

يكون الطفل بحاجة مضاعفة للمحبة حينما يكون عاجزاً أو مريضاً ولذا على الوالدين والمعلمين حينئذ إظهار المزيد من المواساة والرعاية له وإلا طالت مدة معالجته.

إستقبال الطفل:

من الممكن أن يعاني الطفل من نقص في البعد الجسدي والأخلاقي والنفسي إلى الحد الذي يتألم له حتى والديه، أو أن تكون تصرفاته غير مناسبة بحيث لا يكسب رضاهما بالشكل الذي يتطلعان إليه. . لكنه على كل حال يجب الإقدام على الخطوة الأولى في عملية الإصلاح وبناء شخصية الطفل ألا وهي أن ننظر إليه من زاوية أنه واحد من عائلتنا ومجتمعنا ونكن له الإحترام والأهمية وتلك هي الدرجة الأولى في سلم شخصية الطفل.

إن الطفل الذي قلما حظي برضا الآخرين أو قلما حظي بمساندة الوالدين لايمكنه أن يكون إلى جانبهما بكل وجوده ولا يستطيع أن تكون شخصيته موائمة أو مطواعة ذلك أن إحساس الطفل بجفاء والديه وعدم حنوهما عليه مؤلم وقاس بنفس المقدار الذي يكون اهتمامهما به بمثابة النعمة الكبرى والهدية.

إن قبول الطفل عامل لبلورة الشخصية، ونوع من السماح له بالتعلق بالعائلة وإحساسه بأنه عزيز العائلة ويتفاخر أمام أقرانه بالقول " أنا حبيب أمي.. أمي تحبني.. أبي يحميني وسيدافع عني " وهذا بحد ذاته مدعاة للشعور بالثقة والسير قدماً لاستمرار الحياة.

الطفل في كنف التأييد:

من الأفضل أن يظهر الوالدان للطفل ثقتهما به كي يقترب منهما ويعتبرهما محل سره بحيث يبادر إلى إخبارهما بما جرى عليه وواجهه طوال يومه. هنا ينبغي للوالدين تأييده على تصرفاته التي لم تتناف مع العرف والشرع حتى تتولد فيه القدرة على مواصلة العطاء بمزيد من الإطمئنان القلبي. على أنه لا ضير مطلقاً من إلفات نظره إلى الأخطاء التي صدرت منه.

يفتقر الطفل في بداية الأمر إلى الثقة فالشك والترديد يصاحبه أثناء قيامه بعمل ما ويحب أن يواجه بالتأييد أو الرفض حتى يواصل عمله في حال كونه صحيحاً أو يتركه إذا كان بالعكس وهو أمر يفترض بولي الأمر والمربي الإلتفات إليه إذ ينبغي له تأييد الصحيح من أفعاله ودعمه على أن لا يصل ذلك إلى حد الإفراط.

الإنضباط في العائلة:

لا يختلف اثنان في ضرورة سيادة المبادئ والضوابط والعمل بالنظام والإنضباط في المنزل بغية تنفيذ أوامر الوالدين وبلوغ الأهداف التربوية المنشودة إلا أن المهم أن تكون هذه الضوابط محسوبة بحيث يمكن للطفل الإلتزام بها، لأن الضوابط المتشددة والبالغة حد الإفراط تولد لدى الطفل الشعور بالتقصير مما ينعكس ذلك على تصرفاته فتكون أكثر تعقيداً ولا تتسم بالمرونة ويصبح أكثر عدائية.

من الضرورة بمكان التأكيد على أن لا تكون الضوابط من الشدة بحيث تحبس عن الطفل أنفاسه بل ينبغي أن تتسم بالصراحة والعقلانية والفهم بالنسبة للطفل حتى يعرف متى سيواجه التحذير ومتى سيكون في موقع المساءلة أما إذا أوخذ الطفل وواجه التحذير في كل صغيرة وكبيرة فإنه لن يأخذ مسيره الطبيعي في النمو ولن يتحمّل مسؤولية في المجتمع مستقبلاً.

الثبات في الرؤية ووجهة النظر:

تعتبر وجهة النظر الثابتة للمربي بالغة الأهمية في البعد التربوي لا سيما على صعيد الإنضباط داخل العائلة، أي أن يشعر الطفل بأن ما يقوله الأبوان بشأن مبدأ الإنضباط ثابت لا يقبل التغيير فلو تفوها بشيء اليوم لا يغيراه غداً ولو اتخذا قراراً اليوم لا يتراجعا عنه في الغد. ينبغي أن يكون هناك اعتبار وقيمة لما ينطقا به وإن حصل تغيير في طريقة التعامل والأسلوب فمن المهم تفهيم أو إطلاع الطفل عليه.

يعكس هذا الأمر أن التربية داخل العائلة يجب أن تكون عن إرادة ووعي ومنهج مدروس وعلى الوالدين أن يعرفا نقطة البداية التي ينبغي لهما الإنطلاق منها وما هي غايتهما وإلا ليس من الممكن تحقيق عمل ما بعيداً عن النظام والعشوائية.

حرمان الطفل:

ربما يمكن سلوك مبدأ الحرمان مع الطفل أحياناً وصولاً إلى الأهداف التربوية على أن تلحظ في هذا المنهج ثلاث نقاط:

١ ـ أن يكون الشيء الذي يحرم الطفل منه ذا قيمة ومهماً بالنسبة إليه.

٢ ـ أن لا تتكرر عملية الحرمان.

٣ ـ أن لا تكون مدة الحرمان طويلة.

فعدم مراعاة هذه النقاط يستتبعه عوارض ربما يكون بعضها مؤلماً.

في خضم ذلك لاينبغي أن يكون الحرمان سبباً في نفوذ اليأس إلى الطفل أو يدفعه لإن يسيء الظن بالمربي بل عليه أن يفهم بأن أخطاءه هي التي جعلته محروماً من بعض الأمور ولو حصل أن تم توجيه الإنذار من والديه قبل محاسبته فذلك خير على خير. يتعين على الوالدين أن يلفتا نظر الطفل إلى أنه سيواجه العقوبة الفلانية فيما لو عصى الأمر الفلاني وفي أي الأحوال لا بد من توقع الموقف الذي سيتخذه الطفل في مقابل أمر ما ويعرف هو في نفس الوقت ردة الفعل التي ستواجهه إزاء موقفه.

طرد الأطفال:

يعمد نمط من الوالدين أحياناً وانطلاقاً من ضعف مستوى الوعي إلى طرد الطفل من المنزل بمجرد أن يريا منه خطأ أو أن يخرجاه من واقع محبتهما وله والأدهى من ذلك إخباره بأنهما لن يحباه أو لن يكونا ودودين معه.

إن هذا الأسلوب ليس أنه لن يداوي جرحاً فحسب وإنما على العكس إذ ينجم أحياناً عنه أخطار وعواقب غير ممدوحة.

سيبحث الطفل المطرود فوراً عن حل وعن مكان يأويه فيطلب لنفسه العون من الآخرين أو على الأقل ينتقم منهما لأنهما سبب ما هو فيه مما يعني توفير فرص الفساد والإنحطاط للطفل والعائلة معاً.

من المفروض أن لا يطرد الطفل من الجو العائلي أو المنزل حتى في أحلك الظروف الإنضباطية فلهذه الحالة أضرار حتى في حالتها الإستعراضية الكاذبة لأنها تكسر روح الطفل ومعنوياته وتجعله يعيش حالة الإضطراب.

ينبغي أن لا يشعر الطفل في مقابل والديه بأنه شخص مزعج ومصدر

أذيتهم وعدم رضاهم بل على العكس يفترض أن يشعر بأنه مصدر فرح ومسرة وأن والديه يفخران بوجوده وعليهما أن يثبتا ذلك من خلال عملهما.

التمييز في العائلة:

يعتبر التمييز من الأمور التي يصعب جداً على الطفل تحملها. . فلربما ركز الوالدان في البيت أو المعلمون في المدرسة إهتمامهم بطفل دون أقرانه وأولوه المزيد من العناية والرعاية، علماً أن ذلك قد يكون نابعاً من تمتع الطفل المعتنى به بصفات متميزة كاللباقة في اللسان والذكاء والفطنة وما شابهها.

أو أن يكون الأمر عادياً كأن يولي الوالدان المزيد من الإهتمام للطفل الأصغر الذي يحتاج بطبيعة الحال محبة أكبر لكن الأخير يعتبر ذلك تمييزاً في المحبة ويراه بأنه نابع من قلة العاطفة من قبل أولياء الأمور إزاءه وحينئذ سيظهر بمظهر المغتم والمتمرد العاصي.

إن الأطفال ينشدون القسط والعدل ويحبون أن يروا المساواة ولذا لو حصل أن اقتضت الضرورة القيام بما يتعارض مع فهم الطفل فإنه ينبغي أن تكون دلائله واضحة بالنسبة إليه وإلا مهد ذلك لعدم الشعور بالأمن والإضطراب الداخلي وكذلك المشاغبة.

لا شك أن التمييز مدان بكل أنواعه وصوره. . التمييز بين الإبن والبنت، والتمييز بين الولد الأكبر للعائلة ومن دونه، والجميل والقبيح وكذا بين الذكي وقليل الذكاء. من المؤكد أن الأب والأم يحملان نظرة واحدة اتجاه أطفالهما لكنهما يتعلقان لا إرادياً بأحدهما أكثر مما يثير حفيظة الآخرين.

السخرية من الطفل:

إنه لمن الخطأ جداً أن يسخر الوالدان من الطفل أو التنكيل به ونهره، لأن التنكيل به والإستهزاء من أسوأ الوسائل المستخدمة في عملية إصلاح شخصية الطفل. فالطفل يشعر حينها بالإحباط ويرى نفسه مهاناً فيفقد ثقته بنفسه ولا يستطيع أن يكون متفائلاً بوالديه والمعلمين أو أن يواصل حياته مطمئناً ومستقراً.

إن التنكيل بالطفل أو أذيته في مقابل العثرة والخطأ الذي ارتكبه لن يعالج جرحاً بل وله آثار سلبية إذ سيبتعد بعد فترة قصيرة عن المربي أكثر وتتضاءل احتمالات إصلاحه وبناء شخصيته، وحينها لن يستطيع الطفل الركون إلى محبة وعاطفة الوالدين والمربين أو أنه لن يثق بهما.

يتبري الطفل أحياناً وحينما يرى شخصيته قد تحطمت للدفاع عن نفسه فيقف بوجههم ويقابلهم بالإساءة وهو مما ليس بصالحه ولا بصالح الآخرين، أو أن يظهر للسطح البعد الإنتقامي فيه فيدفع الوالدان والمربون الثمن.

الإصلاح الجماعي:

للممارسات الجماعية دور مؤثر في إيجاد التغييرات الخلقية والسلوك وصولاً إلى الهدف الأساس ألا وهو إصلاحه.

من الممكن جداً إزالة الصفة المذمومة من الشخص شريطة أن يكون هو متواجداً ويكون الكلام والإنتقاد عاماً غير مختص بشخص معين. . علينا في الجانب التربوي أن نتحدث عن نقاط الضعف لسلوك ما في لقاء جماعي وسيعتبر الشخص الموجهة إليه أصابع الإتهام من ذلك حتماً. إن التنبيه يكون مملاً ولاذعاً بالنسبة له ولو حصل هذا التنبيه وسط الناس كان أكثر ضرراً. من علامات المربي الناضج أنه يثير وجهات نظر عامة في مجمع عام ما يسمح للمرء أن ينتخب الطريق بنفسه ويدرك ماهية خطئه بنفسه بشكل غير مباشر.

لقد كان هذا هو أسلوب نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إصلاح الأشخاص. . بل يريد الإسلام أن يعيش الأيتام ومن يشتكي نقصاً في العاطفة في وسط عائلي وفي أحضان المجتمع متخذين سبيلهم في الحياة.

الفصل الثالث

بعيداً عن الخوف والإضطرابات

إن النجاح سيكون حليف عملية تأهيل أولادنا متى استطعنا إزالة التناقضات التربوية والعقبات التي تقف حجر عثرة أمام حياتهم، وتنظيم الإضطرابات المعيشية والحياتية، وتخليصهم من الضغوط والآلام وتذليل العقبات والتغلب على النقص الذي يحز في نفوسهم.

وبغية تحقيق مثل هذا الهدف لا بد من تحديد الجذور والعوارض في الطفل ونعرف مم يتألم الطفل وما هو الذي يثير قلقه وضجره؟ إن حالات الخوف والإضطراب التي تتغلغل في الطفل تجعله يتألم من الداخل وهي بحد ذاتها عقبة في حياته ومعها لايمكن توجيه الطفل الوجهة التي ننشدها له.

الطفل والشعور بالأمن:

من بين الأسس المهمة التي من الضروري جداً الإهتمام بها في تربية الأطفال وتأهيلهم توفير الأمن لهم في مقابل الأخطار التي قد تحدق بهم أحياناً من كل جانب.. ومن أجل أن تكون للطفل حياة متوازنة ومتعادلة فلا بد من أن يكون آمناً مما يخيفه ويجعله يشعر بفقدان الأمن، إذ لا ينبغي أن يعيش أيامه في أجواء مليئة بالإضطراب والخوف وهي نقطة يجب الإهتمام بها حتى في عملية الإنضباط وتطبيق المقررات.

إن الحاجة إلى الملجأ والأمن ضرورية في كل عمر لكنها لدى الطفل أكثر ضرورة وانعدامها يولد الإضطراب للشخص مما قد يلجئه لارتكاب الحماقات وكل ما هو مذموم ظناً منه بأنها السبيل إلى الحصول عليها، فقد يلجأ الطفل إلى الكذب من أجل ذلك وقد يرائي وأحياناً يتملق. . ومعروف اليوم أن كثيراً من الأمراض العصبية أو النفسية ناجمة عن الخوف وعدم الشعور بالأمن.

مؤشرات الخوف والإضطراب:

للخوف في الإنسان علامات يصاحب أغلبها إضطرابات ظاهرية وباطنية؛ فعلى صعيد البعد الظاهري تكون علامات الخوف على شكل إصفرار اللون والعرق وضيق النفس والإحساس بالإختناق وتسارع نبضات القلب وفقدان القدرة على التحرك أما على صعيد البعد الباطني فيلحظ فيه الإضطراب الفكري وضعف في التركيز واختلال في الجوانب الإرادية.

إن الخوف قد يمهد الأرضية لتبلور حالة الهجوم والجسارة لدى الشخص بالشكل الذي قد يجعله ينتفض بكل قواه للحفاظ على سلامة بدنه ويستجمع كافة قواه لتوجيه الضربة للشخص.

يظهر الخوف والإضطراب في الطفل أحياناً على شكل الخجل أو الحياء المفرط أو التبول في الفراش أو الثقل في الكلام أو الإهتمام غير الطبيعي بالتقاليد والأعراف؛ فما أكثر الأطفال الذين يكتمون أحاسيسهم الحقيقية ولا يظهرون شيئاً من الألم الذي يعانون منه وهذا بحد ذاته يعد عقبة يعتد بها في مسيرة التربية.

وقد يظهر الخوف والإضطراب بشكل آخر كأن يكون بصورة قلة الشهية فلا يميل الطفل حتى إلى تناول أكلته المفضلة، وربما يولد لدى الطفل ردود فعل من الصعب التغلب على آثارها أو معالجتها.

وخلاصة القول إن الطفل المضطرب والمفتقد للأمن لا يمكن أن يكون له وضع طبيعي ؛ فيقوم بأعمال تخريبية مثل كسر الأواني والمشاغبة وأذية الآخرين بقصد الإنتقام وعض صديقه وغير ذلك مما يعد من الأعمال التخريبية.

الأسباب:

هناك أسباب كثيرة يمكن الإشارة إليها كعوامل لخوف واضطراب الطفل، أهمها:

١ ـ ولادة طفل جديد في العائلة دون التمهيد لذلك مسبقاً ؛ فهو يظن أن الطفل الجديد سيسلبه بعض الرعاية أو كل الرعاية والحنان من والديه في حين أنهما لو أفهماه قبل ولادة الطفل الجديد بشكل ما من أن القادم ليس منافساً له بل صديقه وزميله في اللعب فإن الوضع لن يكون سيئاً بل وستبذر في قلبه على الأقل بذرة انتظار القادم الجديد.

٢ ـ توقعات الوالدين الخارجة عن الحد والمفرطة تمهد الأرضية لإحساس الطفل بانعدام الأمن والخوف والتلكؤ في الكلام والقلق النفسي حتى قد يصل به الأمر إلى أن ينظر للحياة بيأس أو من زاوية ضيقة وييأس من التواؤم والإتفاق في حين أن الوالدين إذا تحجمت توقعاتهما أو تناسبت مع إمكانات وقدرات الطفل وانصب تركيزهما على هداية الناس لما حدث ما حدث.

٣ ـ وضع وتطبيق ضوابط صعبة في البيت وتمشية الأمور بمنطق القوة يكشف في الواقع عدم اهتمام الوالدين بحياة الأطفال كما يزيح الستار عن جانب من المصاعب والعناد والعقد التي يعيشها الأطفال ؛ فمثل هذا التصرف يمكن أن يتسبب في تولد شعور القلق في الطفل أو أن يجعل منه شخصاً صعباً وغير مرن يعمل فقط بالقوانين والضوابط. أما لو فصل الوالدان بين حياتهم

خارج المنزل وبين داخله فلا يذرعون حنقهم الناجم عن المشاكل التي يواجهونها خارج المنزل على رؤوس الأطفال لآل الوضع إلى صورة أخرى.

٤ ـ الصرامة في المعاملة والعقاب قد تشعر الطفل أحياناً بأن روحه في خطر وأنه لا يستطيع أن يخلّص نفسه من الأيادي القوية لوالديه وهي مدعاة لانكسار شخصيته، هذه الأمور كلها يمكن أن تكون عوامل للخوف والإضطراب.. إنه لمن الصعب أن يرى والده أو معلمه قد عقد العزم على القضاء عليه وأنه وحيد لا ناصر له.

٥ ـ إن خوف واضطراب الوالدين نفسه يبعث على شعور الولد بانعدام الأمن؛ فالوالدان الجبانان يتراجعان في مقابل أقل خطر وتهديد قد يواجهانه وبالتالي فإن ذلك سيسري إلى الأطفال. أما لو حافظ الوالدان على وضعهما الطبيعي في مقابل الأخطار ولم يظهرا الجزع فسيكونان أسوة يحتذي بها الطفل.

٦ ـ الوساوس ونسج الخيال والعيش في الأحلام والإنعزال على مدى طويل خاصة إذا كان في بيئة لا يتآلف فيها شخص مع الطفل وكذلك ترك الطفل بحاله وعدم تدليعه وتلبية حاجاته والثقة به و.. كلها عوامل مولدة للخوف والإضطراب في الطفل الأمر الذي يستدعي معالجته.

العوامل المساهمة في تزايد الخوف:

كثيرة هي العوامل التي تساهم في توسيع رقعة الخوف في نفوس الأطفال، منها:

عراك الوالدين أمام الطفل، وترك أحدهما للآخر، وتوبيخ الوالدين والمعلمين المستمر له مما يوحي له أن لا وجود لنقطة إيجابية في شخصيته، والغياب المتواصل للأب أو الأم أو كليهما وعدم تواجدهما إلى جانب الطفل، وانعدام النظام في حياة الطفل أو المسؤولين عنه والإفتقار للإنضباط

وسيادة العشوائية في أجواء العائلة وإشعار الطفل دوماً بأن العقوبة في انتظاره. . كل من هذه الأمور يساهم في زيادة الخوف والإضطرابات.

إن ما ينبغي ملاحظته في مسيرة تربية وتأهيل الأطفال هو جعلهم بمنأى عن مثل هذه الأحداث وإذا لم يكن من الممكن تحقيق ذلك فعلى الأقل السعي إلى إخفاء ما أمكن إخفاؤه عن الطفل أو إذا كان هناك نقطة سوداء في حياته فلنسعَ إلى تبييض الصورة في الأمور الأخرى.

أيهم يكثر فيه الخوف والإضطراب؟

من المناسب أن نعرف أي صنف من الأطفال يكثر فيه الخوف والإضطراب حتى يمكن مدهم بالمزيد من المداراة والمراعاة، وهؤلاء هم:

- من يتسم بمزاج ضعيف.

- من حُرِم الأب أو الأم أو كلاهما.

- من يعيش مع زوج والدته أو زوجة والده ولا يستشعر محبتهما العميقة.

- من لم يجد القرين والصاحب الذي يلعب معه أو أن له مثل هذا الصاحب لكنه منع من اللعب معه دون توفير بديل لذلك.

- من يشعر بالغربة في محلته أو من كان بعيداً عن الآخرين وأقاربه.

- من تتوفر فيه أرضية للتلقين أكثر من الحد اللازم.

- من اتسم بالبساطة وقل ذكاؤه إلى دون الوسط.

- من يكثر لديه نسج الخيال.

- من تزداد فيه نقاط الضعف ويفكر أنه محل الكثير من الإنتقاد.

إمكانية الإصلاح:

المهم هنا هو هل من الممكن إصلاح وتأهيل مثل هؤلاء الأطفال، أم لا؟

وجهة النظر العلمية والتربوية ترد على هذا السؤال بالإيجاب.. فالدراسات أثبتت أن الأطفال المضطربين يمكن إصلاحهم شريطة أن نعاملهم بطريقة هادفة ومبرمجة، وأن نظهر الصبر وحسن النية في عملية تأهيلهم إلى جانب اتباع أساليب واعية وصادقة في هذا المسير.

ربما كان من الصعب إصلاح هذا النمط الذي شب على مثل هذا الوضع لكنه ليس بالأمر المستحيل والمستعصي.

على جادة الإصلاح:

إن إصلاح هذه السلبيات يستلزم مراعاة النقاط التالية:

١ ـ إجراء تعديلات على قرارات الإنضباط في المنزل بحيث يمكن للطفل أن ينظر لأبيه كأب لا كجلاد ورجل تعذيب ولا يعتبر أن وجوده في البيت سبب لعذابه.

٢ ـ أن يكون الإنضباط السائد في البيت قائماً على أساس ضوابط معقولة ومنطقية يعلم معها الطفل متى سيعاقب على فعله أو ماهي الأفعال التي تصنفها العائلة في قائمة الأخطاء والمحرمات.

٣ ـ الإمتناع عن الإستفادة من عامل التخويف في المسيرة التربوية، خاصة إذا كان ذلك الخوف وهمياً وفي عداد الخرافة.

٤ ـ وجود التفاهم بين الزوج والزوجة بحيث يكون البيت محلاً للأمن والهدوء لا محلاً للنزاع والحرب.

٥ ـ الإمتناع عن التهديد بأمر يخافه الطفل ويفر منه، مثل الخوف من الظلمة أو أن يرمي شخص حشرة أو صرصاراً على الطفل في الوقت الذي يعرف أنه يخاف جداً منهما.

٦ ـ عدم التحدث في القضايا المخيفة لا سيما ما عده العرف خطراً.

٧ ـ التركيز على ذكر القصص التي تحكي الشهامة والشجاعة.

٨ ـ سعي المربي إلى بناء ذاته وشخصيته حتى لا يكون انهزامياً في مقابل الصعاب والمشاكل.

٩ ـ زرع روح الثقة في الطفل عبر تقوية شخصيته.

١٠ ـ إحاطة الطفل بالحنان وطمأنته بأنهم سيهبون لمساعدته عند مواجهته لأية عقبة في حياته.

الأرضيات التربوية:

ينبغي في عملية إصلاح ومعالجة الطفل المضطرب والمخواف الإلتفات إلى أنه يجب أن لا تتوفر لديه أرضية خاطئة. على الأب والأم أن لا يستخدما التخويف كعامل لتحقيق أهدافهما بحجة أن يتغلبا حالياً على المشكلة القائمة ومن ثم سيعملان على إصلاح الطفل أو أن يخلصاه من الخوف الذي سيشعر به مستقبلاً.

إن البيئة التي يعيشها الطفل يجب أن تكون هادئة ومفعمة بالحنان وبصورة يشعر معها بالأمان ويعرف أنها لا تشكل خطراً عليه بل هي له إذا ما استفاد من عقله وتدبيره أو على الأقل بدعم من الوالدين أو المعلمين فلو واجه في ظرف ما مشكلة أو خطراً يمكنه حينها تلافيه وأن والديه سيهبان إلى نجدته ومساعدته.

من جهة ثالثة؛ ينبغي منح الطفل الجرأة والقدرة وتشجيعه في مقابل

الأحداث والقضايا التي تواجهه. . من غير الصحيح أبداً أن يقال للطفل الذي ينوي القيام بعمل ما بأنك لا تستطيع القيام بهذا العمل أو لست أهلاً له بل على العكس إذ يفترض تشجيعه على ذلك مع رفع النواقص التي قد ترافق هذا العمل وشريطة عدم وجود خطر يهدده.

عقبات على الطريق:

ما أكثر المصاعب والعقبات التي لا تحول دون نجاح الوالدين والمعلمين في البعد التربوي أو أن يبنوا شخصية أطفالهم، ومنها:

- الإصرار والتزمت بالنظام التربوي القديم.
- مقاومة الأشخاص أنفسهم في مقابل الأمر والنهي.
- وجود ضوابط خاطئة مما يعقد من أمر تأهيل الأطفال.
- تجذر بعض الأوهام والخرافات في ذهن الطفل.
- تخوف المعلمين من منح الحرية للأطفال تحسباً من أن تؤثر على العملية التربوية. . . . . . . الخ.

وفي كل الأحوال ينبغي لمن يعمل في طريق تأهيل الأطفال أن يعمل بشتى الطرق على رفع العقبات ويساعده على العيش بسلام وهدوء مع التمتع بصحة نفسية.

القسم العاشر

أساليب التأهيل

يمكن الإستفادة من طرق وسبل متعددة في مسيرة الإصلاح، وإن اتباع هذه الأساليب من شأنه أن يحل إلى حد كبير كثيراً من العقد التي لاتستطيع القوة والتزمت حلها. إن ممارسة الضغط من أجل إصلاح السلبيات يؤدي إلى ترتب عواقب هي بحد ذاتها مدعاة لإثارة المشاكل.

عموماً لا بد من فهم شيء واحد هو أن مرحلة الطفولة يجب أن تنقضي بالنحو المنشود مع الإستفادة من الأساليب الناجعة حتى يضع الطفل قدمه على طريق النمو علماً أنه يستلزم من المربي الإستفادة من الأساليب السليمة لإرشاده وتوجيهه الوجهة الصحيحة والتي منها ملاعبة الطفل.

فعن طريق اللعب مع الطفل يمكن معرفة الطفل وفي نفس الوقت تعليمه أسلوب العيش وكذلك تسكين اضطراباته الداخلية وتوفير مقومات انسجامه وتآلفه مع الشخص أو المجموعة التي يبتعد عنها الطفل وتنمية روحه ونفسيته وتمهد لما يدخل السرور على قلبه و..

من الأساليب الأخرى الناجعة؛ سرد وقراءة القصص التي يحبها الطفل، القصص التي تزخر بالجوانب التربوية؛ فبها يمكن توعية الطفل وتعليمه ماذا عليه أن يفعل في مقابل المشاكل. إن الأطفال يتأثرون بأبطال

القصص ويسعون إلى إزالة نقاط ضعفهم والظهور بالصورة التي صورتها القصة.

من الطرق الأخرى لإصلاح الأطفال إشراكهم في الأوساط الإجتماعية كاصطحابهم في السفر كما أن تعريفه على صعاب الحياة يترك أثراً كبيراً فيه. وعن هذا الطريق يتعرف الطفل على النظام وماهية واجباته والجهة التي ينبغي له التحرك فيها ويتعلم كيف يقارن ويطابق بين الأفكار ويراعي الوضع الجماعي ويأقلم نفسه تدريجياً مع هذه الأمور.

ويمكن الإشارة إلى تقديم الأسوة والأنموذج السليم بصفته من الأساليب الناجعة الأخرى في عملية الإصلاح وإعادة تأهيل الطفل الذي هو بحاجة إلى أسوة ومصداق للأخلاق والتصرفات إذ يعرف من خلاله كيف يجب أن يكون وكيف ينبغي له أن يتصرف وكيفية طريقة التحدث، ومعرفة المسؤولية والتصرف وما شابه ذلك.

سنحاول في هذا القسم تخصيص فصل لكل من الأساليب المذكورة آنفاً مع مراعاة الإختصار.

الفصل الأول

ملاعبة الطفل

يعد اللعب مع الأطفال ومداعبتهم من الطرق المهمة لإصلاحهم وتأهيلهم . .

يقضي الأطفال شطراً من أوقاتهم في الليل والنهار في اللعب، وهم بهذه الوسيلة يعدون أنفسهم لأحداث الحياة ومواجهة مراسيمها وتقاليدها كما أنهم يفقدون بواسطتها قسماً من تمردهم وعوامل مشاغبتهم وبالتالي تتوفر الأرضية لنموهم من كافة الجوانب .

إن الطفل دائب الحركة والفاعلية سواء أكان وحيداً أو ضمن المجموعة؛ فهو يتفحص ويركض ويضحك أو يبكي ويحدث نفسه ويبني أو يهدم و . . فيحاول أن يقلد هذا وذاك وهو يكتسب عبر كل ذلك المهارات ويعرف قدراته ونقاط ضعفه ويقف على أسرار العالم فيحدد موقفه من الأمور والتيارات . .

هدف الطفل من اللعب:

أما إلى ماذا يهدف الطفل من اللعب؟ . . الجواب واضح ؛ فهو ينشد التسلية والترفيه وقضاء الوقت والتعرف إلى العالم والهروب من الحالات

المغمة والمضجرة، وهو يعمد عبر ذلك إلى ملء أوقات فراغه ويخرج نفسه من الوحدة والعزلة. إن الطفل ليسعى من خلال اللعب إلى استهلاك طاقاته الإحتياطية والتغلب على العقد والهموم التي حملها طوال اليوم أو الأسبوع ويأخذ لنفسه الثأر ممن ظلمه بالإضافة إلى إيجاد صديق وصاحب له ولا يبقى وحده.

إنه يريد من خلال اللعب أن يظهر نفسه ويختبر قوته وقدرته وإمكاناته ويعرف شيئاً من أسرار العالم ويعرف أشباهه وأقرانه ويعيش لحظات سعيدة ويفك عقده ويتعلم شيئاً وغير ذلك.

فوائد اللعب:

للعب في حياة الطفل دور حيوي إذ يصل حب الطفل للّعب إلى الحد الذي يود ممارسته حتى لو كان تعباً من جراء أعمال متعبة وطويلة بل يعمل على إزالة تعبه من العمل باللعب.

إن اللعب يساعد على تربية الروح ويبعث السرور والبهجة في نفس انطفل، وفي ظله يمكن تعليمه الكثير من السجايا الخلقية والإجتماعية وزرع روح التعاون والصداقة والمودة والقيادة والإنضباط فيه من خلال اللعب.

يمكن من خلال اللعب أن يفهم الطفل بأنه لا يستطيع أن يكون أنانياً إذا أراد النجاح، وإذا أراد أن ينجح في حياته وعمله فعليه أن يغير من أسلوبه أو القواعد الكلية الموجودة للعمل ويغض الطرف أحياناً عن مصالحه لصالح الناس ويسعى بدأب لخلق وضع أفضل.

إن اللعب بصورة جماعية يؤدي إلى تربية الضمير الفردي الذي له دور كبير وأساس في حياة الطفل ويحدد حدود الحرية ويعين له النهج الذي ينبغي له اختياره في حياته.

وخلاصة القول: إنه يمكن من خلال اللعب تعليم الطفل الضوابط والقرارات وإصلاح حالات التمرد وتنظيم أمره ودفعه لاتباع طريق التعقل والتفكر وقبول الإنضباط.

اللعب من أجل معرفة الطفل:

يمكن من خلال اللعب مع الطفل معرفة إن كان ضعيفاً أو قوياً، وماهي نقاط ضعفه وماهي نقاط قوته؟ هل هو قائد أم مقود؟ تابع أم متبوع؟ هادئ أم مشاغب؟ مهاجم أم إستسلامي؟

إن طريقة تعامل الطفل مع وسائل اللعب يمكن أن توقفنا على حقيقة أحاسيسه إن كانت عدائية أم صديقة، أو ماهي الأمور التي تسبب له عدم الإرتياح؟ أو من الذي يزعجه وما الذي يؤذيه؟ وماهي أمانيه التي يحلم بتحقيقها و. . .

كثيرة هي الصفات والمواهب التي يتم اكتشافها من خلال اللعب معه كالشجاعة أو الخوف، والحنان أو السخط وكذلك جوانب الإبداع والإبتكار فيه وحالته إن كانت عادية أم مضطربة وهل يحب الإنعزال أم الإختلاط بالآخرين و. . . وهذه كلها نقاط إيجابية للمربي لكي يتخذ القرارات البناءة بشأن الطفل.

اللعب من أجل تهدئة الطفل:

إن الطفل يستشعر الهدوء والسكينة أثناء اللعب، وتتلاشى عقده وآلامه وينسى همه وغمه. . وإلى جانب التسلية التي ينشدها الطفل من اللعب فإنه حينما يصيح بوجه الدمية أو يضربها بالأرض، أو يقدم على تمزيق الورق أو قطعة القماش يكون قد عمل على إخلاء عقده.

يشعر الطفل في اللعب الجماعي أنه قد حظي بالترحيب بين

المجموعة، وأن الآخرين يقيمون له وزناً ويحترمونه ويحسبون له حساباً وهذا بحد ذاته مدعاة للإصلاح والهدوء علماً أن كثيراً من صور حب الجاه والرغبات تتحقق في القيادة والرئاسة.

تجري لعبة القيادة على أساس الإنتخاب، ولو أن الطفل لم يحصل على دور القائد في اللعبة فلن يجرحه ذلك بل سيتفهم الموقف بشكل ما وأنها من حق من استلمها. وهذا خلاف الحالة التي يواجهها في البيت أو المدرسة ذلك أن الطفل يرى نفسه في البيت أو في المدرسة مداناً دوماً ويرى أن الوالدين والمعلمين يمارسون السلطة دون أن يكون لهما حق في التعبير عن الرأي.

اللعب من اجل تعليم الطفل طريق الحياة:

إن كثيراً من اللعب المخصص للطفل يكون بناءً.. وفي ظل ذلك يتعلم كيف يعيش وسط التجمعات والضوابط التي ينبغي له التمسك بها في حياته وما هو الموقف والأسلوب الذي عليه أن يتخذه في التحديات والصراعات.

توقفُ الألعابُ الأطفال على ضوابط ومقررات الحياة وتخلق فيهم روح التعايش وتعلمهم فنون الحياة الجماعية. يعرف الطفل من خلال اللعب أنه لا يمكنه إملاء رغباته دوماً عبر السخط والغضب ولا يمكنه أن يكون عصبياً في كل وقت أو أن يفرض رأيه أو أن يجبر الآخرين دوماً على التسليم بمطاليبه بل من الضروري في بعض الحالات التسليم بمطاليب الآخرين خاصة إذا كانت محقة.

اللعب يعلم الأطفال أن الحياة عبارة عن تعامل متبادل مع الآخرين وعليه تقديم الخدمات للآخرين في مقابل الحصول على المقابل، ولو أخذ شيئاً من أحد فعليه أن يعطي في المقابل وإلا لما تحمل المجتمع وجودنا ولاعتبرنا طفيليين وممن يأكل بالمجان.

تخلق بعض الألعاب في نفس الطفل حب الشغل فتدفعه إلى امتهان شغل ما أو أن يتعلم مقدماته ويستعد له فيدخل عالم الشغل في المستقبل وهو على بصيرة من أمره. كما أنه يتعلم أثناء اللعب ما هي الأعمال المفيدة وما هي المضرة منها؟ وما هو الخطر منها وما هو الخالي من الخطر؟ هذا فضلاً عن أنه يحفز الطفل على المصالحة ويعلمه أنه لا يمكن في كل وقت تمرير رغباته عبر الجبر وممارسة الضغط.

اللعب من أجل إصلاح الطفل:

من الممكن بناء شخصية الطفل بواسطة اللعب، وإصلاح العيوب الفردية والأخلاقية والشخصية له وتنمية فكره بل وحتى التغلب على العاهات الجسدية.

الطفل الخواف والضعيف يمكنه أن يكون شجاعاً وشهماً من خلال اللعب؛ فمثلاً تعتبر لعبة التخفي وخاصة في الليل وسيلة من الممكن أن تخفف فيه حالة الخوف أو أن تقضي عليها ذلك أن الطفل مضطر إلى أن يقبع في ملاذ ما وبالتالي الجلوس والركون إلى مكان مظلم. أو الألعاب التي تحتوي على العراك والصور العدائية المفتعلة فهي تمنحه المعنويات وتشجعه على التصدي والدفاع عن نفسه.

يمكن من خلال اللعب تخليص الطفل المؤذي من حالة الرغبة في الإنتقام ورفده بأحاسيس الأخوة والتعاون والمساواة وحب الآخرين وحل عقده وكشف سحب الهم والغم عنه وإحاطته بالعاطفة التي ظل محروماً منها وما شابه ذلك.

اللعب من أجل الإستئناس والألفة:

إن إصلاح وتأهيل الطفل لن يجني ثماره إلا إذا صادقناه؛ والتصابي

واللعب مع الطفل يمثل أحد صور مصادقته وبهذا الشكل يأنس الطفل بالمربي ويألفه ويصادقه ويتأثر به ويحذو حذو صديقه وأنيسه.

إننا نحتاج في إطار تأهيل الطفل إلى أن نتقرب إليه، ونحادثه دونما تحفظ، ونسره ونحفظ سره ثم نعمل خلال ذلك على كشف بعض الأمور والحالات التي يختص بها وأن اللعب سيساهم في هذا المجال لتحقيق الهدف.

ومن الضرورة بمكان الإشارة هنا إلى أن حالة الإندماج والتصابي مع الطفل يجب أن لاتبلغ الحد الذي يسيء لمنزلة ومكانة الوالدين أو أن يزيح ويمزق ستار الحياء بين الطفل والمربي. ويفترض بالطفل مراعاة عامل الإحترام وفي نفس الوقت تنبيهه كلما ارتكب خطأ، كما أن نوع اللعب ينبغي أن لا يكون بالشكل الذي يجرئ الطفل على المربي أو تجاوز حدوده أمامه.

أنواع اللعب:

وفقاً لما تم تبيينه فإنه يجب على المربين أن لا يقبلوا بلعب أي لعبة كانت مع الطفل إذ ينبغي أن تكون اللعبة وطريقتها إنتقائية بحيث أن لا تكون فيها آثار سيئة من جهة ومن جهة أخرى أن يكون فيها خيرهم وصلاحهم ومن جهة ثالثة تمهد لنمو الطفل، ودون أن تعود بالضرر عليه أو أن تسبب له صدمة على روحه وجسده وكذلك تقوي الألفة والإندماج بين الطفل والمربي وبالتالي تكون مدعاة لبناء شخصية وفكر وجسم وروح الطفل وتضعه على الخط الصحيح والقويم.

ومن البديهي أن يتم في هذا الطريق السعي إلى تجنب التعليم السيء وعدم الإنضباط وإضاعة الوقت وتفويت الفرص كأن يتسبب اللعب في ترك الطفل لواجباته الرئيسية أو أن يكون اللعب شغله الشاغل في كل وقت.

ملاحظات حول لعب الأطفال:

فيما يتعلق باللعب مع الأطفال وخاصة فيما كان له جانب إرشادي وإصلاحي، يجب الإلتفات إلى النقاط التالية:

١ ـ إختيار لعبة للطفل تحتوي على جانب إصلاحي أو فيها نوع من التحذير.

٢ ـ السعي في كل لعبة على تعليم الطفل مبادئ وقوانين محددة مسبقاً لتكون بالنسبة له ضوابط ومبادئ لحياته.

٣ ـ فرض الأصول والقواعد على الطفل تدريجياً حتى يستطيع تحملها ولا يتثاقل منها.

٤ ـ ينبغي التركيز في اللعب مع الأطفال على دفعهم لتقليد أنموذج صحيح من التعامل ويقوم بما يتناسب مع الأخلاق والإنسانية والواجب و . . .

٥ ـ لو صدر من الطفل خطأ فينبغي تذكيره بهدوء أو أن نقول له إننا لا نحب فعلك هذا.

٦ ـ علينا أن نظهر خلال اللعب موقفنا في مقابل القانون وأصول الحياة حتى يفهم أن مراعاة القانون لاتتم فقط من جانبه.

٧ ـ علينا أن نعلم الأطفال أن مراعاة التوصيات والنقاط أمر ضروري للحياة.

٨ ـ ينبغي أن يأخذ اللعب حالته الاعتيادية والطبيعية لا المصطنعة وإلا اعتبر الطفل أنها صعبة وحمل ثقيل عليه.

الفصل الثاني
سرد وقراءة القصص

يعشق الأطفال القصص وخاصة القصيرة منها ؛ فحينما يبدأ الحديث في قصة ما ينصت الطفل بكل وجوده وأحاسيسه للتفاصيل، وهذه الفرصة تعد نقطة إيجابية للمربي يستطيع من خلالها رفد الطفل بالمبادئ الأخلاقية والإنسانية ويعلمه درس الحياة.

إن المربي يمكنه من خلال القصص خلق حالة بناءة في الطفل ويلقنه كيفية مواجهة الصعاب والعقبات ويوضح أمامه الطريق المؤدية إلى الصلاح والبناء.

فوائد القصص:

يمكن أن تكون القصص مفيدة وذات آثار بناءة على الطفل، وتقلع جذور كثير من الإنحرافات والخلل من الأشخاص، وتترك أثراً كبيراً على الأطفال وتفتح الطريق لبلوغ الأهداف التربوية المحددة للطفل.

كما هو معروف، إن هناك كثيراً من القصص تعرف الطفل على آداب وتقاليد المجتمع وتكشف له الثروة الحضارية والتراث الثقافي أو تنقلها إليه وتعده للحياة المستقبلية. إن الطفل ينتبه إلى كثير من الأمور من خلال

تصرفات وسلوك بطل القصة ويدرك الموقف الذي عليه اتخاذه في مقابل القضايا والمشاكل المختلفة وكيفية مقابلة الآخرين.

من آثار الإستماع إلى القصص إحياء روح البحث عن الجديد والحداثة في الطفل، واشباعه بجوانب حب الإستقلالية فضلاً عن شعوره بالنشاط والحيوية، هذا شريطة مراعاة إستدلال ومنطق الأطفال في عملية السرد مع مراقبة سلوكهم وتصرفاتهم وكذلك اعتماد الأسلوب غير المباشر.

إن القصة التي تعد وسيلة جيدة لخلق الشعور بالتفاهم بين الوالدين والمربي وبين الطفل هي في الواقع وسيلة جيدة أيضاً لتعليمه وحل المشاكل الخاصة بالإنضباط إذ يتم في كثير منها الإستغناء عن اللجوء إلى الضغط وفرض المفاهيم والأفكار والتصرفات عليه بالقوة.

القصص والأثر التربوي:

للقصص أثر بناء في الأشخاص حتى الكبار منهم، والدليل على ذلك كثرة استخدامه من قبل القرآن الكريم.

إن قصص القرآن الكريم تعد دروساً قيمة ومتكاملة لهداية وتعليم الأجيال وتهذب الروح الإنسانية وتحرك روح التقوى والفلاح في الأشخاص وتفهمهم نقاط الضعف والعوامل المؤدية إلى تهاويهم وكذلك طرق التسامي والتكامل.

حينما يستمع الإنسان وخاصة الطفل إلى القصة يتأثر بأبطالها ويسعى لتقليدهم، وإذا كانت القصة باللغة المبسطة التي يفهمونها فإن التأثر بها سيبلغ الحد الذي يحاولون معه تنظيم أفكارهم ومعتقداتهم وكذلك تصرفاتهم وحديثهم على أساس القصة وأبطالها الأمر الذي يستلزم أن تكون القصص على شكل دروس مرتبة وعلى أساس نظام خاص يحمل كل منها مسألة وعبرة.

المربي في سرد القصص:

يستطيع الوالدان أو المربي الإستفادة من القصص كوسيلة لبناء الأشخاص من جهة ووسيلة لتسلية الأطفال على الأخص من جهة أخرى.

إن الطفل ليس في موقع نستطيع معه إملاء كافة مطاليبنا ورؤانا عليه بصورة الأمر والنهي وتلقينه بها ذلك أنه غير قادر على تحمل هذا الأمر من جهة ومن جهة أخرى إن الطفل ينفر من فهم وتنفيذ الأوامر النظرية ويعجز عن احتضانها في ذهنه.

حينما يبين المربي للطفل موضوعاً ما من خلال القصة فإنه يكون في الحقيقة قد قربه من حقائق الحياة ووضعه في مجراها ومهد لاندماجه مع البيئة المحيطة.

وفي سياق ذلك يمكن للمربي إضافة بعض النقاط للقصة أو التقليل منها، أو أنه يبدأ في بعض الأحيان قصة ما ويطلب من الطفل إنهاءها حتى يستطيع إكمالها بفهمه الشخصي على أن يتم تصحيح المواقف والنقاط التي تتنافى مع المبادئ والضوابط التربوية.

أنواع القصص:

المهم في الجانب التربوي الإختيار الصحيح للقصص في عملية بناء شخصية الطفل.

يجب أن تخلق القصص التي يفترض أنها توفر عامل التسلية حالات الجمال والمسالمة والصفاء لدى الطفل وتعلمه المفاهيم الجيدة وتعرفه النقاط السيئة وتصور له المشاكل الناجمة عن سوء الخلق.

من القصص ما ينمي قوى التعقل لدى الطفل وهو المطلوب.. تدفعه إلى إبداء الرأي واتخاذ القرار وتقوية جانب المنطق والإستدلال وتبني روحه

وترفع من معنوياته وتحرك فيه حب البحث والتساؤل، والحصول على عناوين مشابهة، والشعور بالحاجة إلى التعميم والتطبيق بين ما يسمعه وبين واقعه.

القصص يجب أن تكون بصورة لا تؤدي إلى نتائج مغلوطة بل ينبغي أن تخرج كل منها بنتيجة أخلاقية تتماشى مع أسس وموازين المذهب، وتكون درساً مفيداً تحفز الطفل على الإستنتاج منه والتحدث بتلك النتيجة بلسانه وبلغته ويظهر رغبته في العمل بالنتيجة.

ثم إن القصص يجب أن تخرج من أسلوب النصيحة وتكون الأوامر والنواهي بصورة غير مباشرة ومؤثرة في نفس الوقت بحيث تشجعه تلقائياً على القيام بعمل ما أو تمنعه تلقائياً عن القيام بعمل آخر.

تأليف القصص:

من الطبيعي أن المربي لا يمكنه توفير كافة القصص التي يحتاجها في تفهيم القضايا التربوية وتصحيح كل نقاط الضعف في الأطفال ولذا يمكنه في هذه الحالات تأليف قصة أو إجراء عملية مونتاج على مجموعة من القصص للخروج بقصة جديدة يستطيع من خلالها تلقين الطفل بفكرة بناءة.

إننا لا نصر على أن تكون قصصنا للأطفال ذات أسلوب قصصي وبصورة علمية، ففي الموارد التي نود أن نطلع الطفل على حقيقة قيمة لن يكون هناك مانع من أن نثير الموضوع على شكل قصصي مترابط وقوي بحيث لا يعرف الطفل أنها مفتعلة.

وفي هذا الإطار يمكن للمؤسسات الصحفية ودور النشر ممارسة دور مهم في رفع هذه النواقص وتوفر للأطفال قصصاً مسلية ومفيدة. المهم هو توفير قصص مفيدة تعلم الطفل المقاومة والسعي وبعد النظر وأداء الواجبات والتضحية والتسامح وتحكي له عن التقوى والطهارة في القول والفعل وتحيي في نفسه مفاخر المذهب وتفتح أمامه باب الحضارة الحقيقية.

تجسيم القصة:

يركز الجانب التربوي في هذا المجال على تصوير وتجسيم أحداث القصة بحيث يرى الطفل نفسه وسط المشهد وهو أسلوب ملحوظ في القرآن الكريم الذي تكون أغلب فصول أحداثه مجسمة وواضحة.

وعندما تقتضي المصلحة يعمد إلى ترك أحد المشاهد خالياً وتحريض الطفل على ملء هذا الفراغ بتخيلاته وأفكاره وظنونه وإظهار موقفه الذي عليه اتخاذه في مقابل القضية الفلانية علماً أن الطفل يظهر في مثل هذه المواقف عادة ما فهمه ومدى تجاوبه مع الموضوع والقصة.

يجب أن تكون القصص بعيدة عما يصعب على الطفل تصوره بل ينبغي أن تكون في حدود تصوره ومفاهيمها ومحتواها ضمن مايستطيع فهمه الأمر الذي يحتم على معد القصة أن تتوفر فيه هذه الإمكانيات.

التفسير واستثمار القصة:

بعض القصص معقدة وغير مفهومة بالنسبة للطفل أو أن أحداثها غير محفزة له، وفي هده الحال لا بد من تفسير بعض أجزاء من القصة وطرح نتائجها وجوانبها بلغة يفهمها الطفل.. وفي هذا السياق يمكن الإستفادة من الأمثال التي يستطيع الطفل فهمها ودفعه عبر ذلك على حب الخير والإحسان والتعاون ونبذ الأفعال الشريرة وإضمار السوء للآخرين.

وخلال التفسير والتعابير يمكن تبيين الأعمال المنبوذة بطريقة مشوبة بالإمتعاض ونتائج الأفعال السيئة مصحوبة بالآهات؛ فالظلم مثلاً يمكن التحدث عنه بحالة من النفرة والإستياء مع ذكر اليوم الأسود وسوء العاقبة التي ستكون من نصيب الظالم والنصر حيث مصير المظلوم، أو إطلاع الطفل على أن مصيره سيكون ناجحاً إذا سار على النهج الصحيح وإلا كان طالحاً.

وقت سرد القصة:

يرد على الذهن السؤال التالي: في أي وقت يستحسن فيه سرد القصة؟ والجواب هو في كل وقت تقتضي الضرورة أو حينما يظهر الطفل رغبة لذلك.

من الطبيعي أن المدرسة يمكنها سرد القصص للأطفال حسب ما تراه مناسباً ومتى ما اقتضت الضرورة كما يمكنها الإستفادة حتى من الدقائق الأخيرة من الدرس لسرد قصة ذات جوانب أخلاقية.

أما الوالدان فيستطيعان سرد القصص لطفلهما في كل وقت وفرصة لاسيما عند ذهابه إلى الفراش وخلوده إلى النوم حيث يحتاج حينها للهدوء والراحة.. من المناسب جداً أن يعمد أحد الوالدين إلى التحدث إلى الطفل في آخر دقائق يقظته لذلك اليوم فيغلق عينيه على صوت والديه وهما يهمسان له بوقائع قصة جميلة.

الوقت المناسب الآخر لسرد القصص للأطفال هو عندما يجتمعون حول بعضهم في غرفة مثلاً علماً أنهم يكونون في مثل هذه الظروف على استعداد للإستماع ولن يعتبروا الكلام موجهاً لهم إذا ما كان بطريقة الكناية والقصة.

نقاط حول سرد القصص:

ينبغي ملاحظة بعض النقاط حين إعداد وسرد القصص؛ أهمها:

١ ـ من الضرورة بمكان أن تكون القصص مستمدة إلى حد ما من وقائع ماضية أو من الوقت الحاضر حتى يمكن أن تؤدي غايتها التربوية المنشودة ويكون أثرها ونفوذها أكثر في نفس الطفل وأوقع في ذهنه.

٢ ـ كل قصة يجب أن تنشد هدفاً قيماً وتنصب في عملية بناء الشخصية.

٣ ـ ينبغي سرد القصة بصورة إجمالية مع إشارات طفيفة عن التفاصيل والأشخاص لتبيين موضوع مهم.

٤ ـ تحديد النتائج الخاصة بكل قصة والسعي إلى إستنطاق الطفل بنتائج القصة بعد تركه يتأمل في الأمر.

٥ ـ لتكون القصص قصيرة حتى لا يمل الطفل منها.

٦ ـ من الضروري أن يكون عدد النقاط التي يراد إيصالها عبر القصة قليلاً إلى جانب كونها غنية بالمضمون لأن ذهن الطفل غير قادر على تقبل مسائل متعددة في آن واحد.

٧ ـ القصص لا ينبغي أن تربي في الطفل روح القساوة.

٨ ـ السعي قدر الإمكان لئلا تترك القصة آثاراً سيئة على الطفل.

الفصل الثالث

المشاركة في الأوساط الإجتماعية

في إطار العملية التربوية وتأهيل الأطفال، لا بد للوالدين والمربين من اختيار أساليب لائقة ومعقولة ولا تتعارض مع الصحة والسلامة.

قد يكون لأساليب تنبيه وضرب الطفل ولومه والإعراض عنه آثار مفيدة في بعض الأحيان لكنها ليست بالمعقولة، والعقل يرى أن اللجوء إلى هذه الأساليب يكون حينما تنغلق أمام المربي سبل الإصلاح الأخرى ولا يمكن مواصلة الطريق.

يعد التجول مع العائلة والأنشطة الجماعية من الأساليب المهمة والمؤثرة في تأهيل الأطفال.. يمكن اصطحاب الطفل وأحياناً مع مجموعة من أقرانه إلى سفرات قصيرة، الأمر الذي يعشقه الأطفال. إن الطفل يتعلم خلال تلك السفرات أو ذلك التجول بعض الأمور ويحاول التأقلم مع الآخرين بالحد الممكن.

فوائد الحياة الجماعية:

من فوائد الإنخراط في الوسط الإجتماعي والقيام بسفرات جماعية، إيجاد نوع من التغيير البيئي وهذا بحد ذاته من العوامل المهمة جداً في تأهيل

الأطفال. إن قضاء لحظات وساعات في أجواء وبيئة أخرى ليس مفيداً فقط لمعالجة حالات الشغب والإضطراب، بل هو أحد السبل الناجعة والمؤثرة أيضاً في معالجة الإضطرابات النفسية والروحية.

فمن خلال هذا الأمر يحاول الأطفال إلى جانب إحساسهم بالأنس والألفة مع المربين وقربهم منهم ومشاهدة تصرفاتهم عن كثب الإنسجام مع الآخرين وتعلم شيء جديد وتكوين صورة أخرى للقدوة خاصة إذا ماعرفنا أن كل ما يشاهده الطفل حينما يكون في وسط اجتماعي يعد درساً في حياته.

ومن الناحية النفسية والأخلاقية ترى أن كثيراً من مشاكل الطفل التي يعاني منها يمكن حلها في بيئة غير البيئة التي اعتاد العيش فيها ونحن نلاحظ عملياً أن من يسافر ولو لمدة قصيرة يعود بسلوك يختلف عما كان عليه قبل السفر وكأنه إنسان جديد حيث يشاهد عليه تغيير في آدابه وأدائه.

إن السلوك العدائي والنزاعات واللجوء إلى الضرب والإصطدام مع الآخرين والإختصام وقلة الصبر يتم إصلاحها في السفر ولو بنسب مختلفة كما تضمحل كثير من حالات الأنانية والإصرار على الإستقلالية والعجب بالنفس من خلال هذه السفرات.

الطفل وسط المجموعة:

يعرف الطفل وسط المجموعة ما معنى الحرية؟ وما مدى إمكانية الإستفادة منها؟ متى عليه أن يضحك ومتى عليه أن يبكي؟ ومتى يظهر فرحته وإلى أي مدى؟ وأين عليه أن يكون مستاءً وكيف يعبر عن ذلك؟ كما أنه يعرف عبر اختلاطه مع الآخرين إلى أي مدى تترك آلامه وأحاسيسه أثرها في الآخرين؟ وإلى أي حد تجري تلبية توقعاته؟

يفهم الطفل في وسط المجموعة تدريجياً أنه لا يستطيع أن يصرخ في أي وقت أراد، أو أن يعترض جزافاً أو أن يفرض نفسه بالدلال. . . ، لأن

ذلك سيعرضه للإنتقاد فضلاً عن أنه لن يخرج بنتيجة من تلك الأفعال، ويفهم أيضاً أن الآخرين لن يرفعوا عنه حملاً إلا بمقدار ما يحمله هو عن ظهور الآخرين.

في وسط المجموعة تتوفر الحوافز الخاصة بالمنافسة والتعاون والعلاقات الإجتماعية وإحراز تقدم في الحياة الإنسانية ومعرفة كيفية إتخاذ المواقف في مقابل قضاياها المختلفة من خلال ذلك الأمر الذي يساعد في إصلاحهم.

التعرف إلى الطفل:

إن الإنخراط في وسط إجتماعي يمكّن المربي من الاطّلاع على أوضاع وحالات الطفل ومعنوياته وتصرفاته، إذ يتضح عبر ذلك كثير من صفاته الأخلاقية وسلوكه من قبيل حنانه وبرودة طبعه وصراحته وتأخر تعرفه إلى الآخرين وإضماره الحقد أو كونه عاطفياً جداً، وفي الحقيقة إن الطفل يفصح عن هويته في السفر والتجوال، وهذه المعرفة مهمة وخطوة أساس للمربي الساعي إلى إصلاح الطفل.

لا يستطيع الشخص أن يظهر دوماً في حالات تصنع ولا يمكنه دوماً إخفاء حالات الرياء والخداع عن الأنظار إلى الأبد أو الإستمرار في سلوكه المصطنع حيث سيظهر سلوكه الحقيقي عاجلاً أم آجلاً. وبعد معرفة هذه الأمور يمكن تكوين صورة واضحة عن الطفل.

المربي وإصلاح الطفل:

وعلى ما تقدم يمكن للمربي العمل على إصلاح الشخص وذلك بمراعاة نقاط أهمها:

١ ـ **تعليم النظام في داخل المجموعات**: إن الحياة الجماعية بكل

صورها وأشكالها تخضع إلى أصول وأنظمة يوائم الأشخاص أنفسهم معها شاؤوا أم أبوا. إن كل تجمع ومجموعة حتى الصغيرة منها لا بد وأن تحتاج إلى ضوابط ومقررات يحترمها أعضاؤها، ويمكن لمس ذلك بوضوح في السفرات القصيرة لا سيما التي تجري تحت رعاية المربي.

فالطفل الذي اعتاد على الاعتداء على الآخرين مثلاً، أو أن يستولي بالقوة على وسائل لعبهم والطفل الذي لا ينجز شيئاً مفيداً للآخرين بل يريد منهم أن يعملوا له ويعتبر أنهم مسؤولون أمامه وهو غير مسؤول أمامهم قد أخطأ مربيه في تربيته وهو لا بدّ يعرف مكامن الخطأ.

٢ ـ **التوجيه**: يعرف الطفل في الوسط الجماعي وإلى جانب الإعتماد على الآخرين أن عليه الاعتماد على نفسه من أجل تسيير أمور حياته. يعرف أن عليه الإعتماد على نفسه فقط في إنجاز أعماله الشخصية ويقدم شخصياً على إنجازها ويفهم جيداً أنه إذا لم يسرع لإنقاذ نفسه فإنه لن يجد من يساعده أبداً.

وفي خضم ذلك يعرف كيف يتغلب على المشاكل وكيف يفكر وما هي الأساليب التي ينبغي له اتباعها في هذا الطريق وفي الواقع أن مثل هذه الأفعال هي التي تربيه وتنمي فيه القابليات.

إن الحياة الإجتماعية تعلم الإنسان كيفية مواصلة الحياة وتحدد له الإتجاه بحيث يدرك أي الخطوات لصالحه وأيها تشكل خطراً عليه ولو استسلم للمطلب الفلاني ماذا سيكون مصيره وما الذي سيؤول إليه أمره إن امتنع عن الفعل الفلاني.

٣ ـ **تحديد الواجبات**: في السفرات والتجوال بصورة جماعية يتحمل كل من الأشخاص مهمة معينة وعليه أن يسعى لتأدية مهمته على أتم وجه إذ ليس من العدل أن يقوم شخص واحد بكافة الأعمال والآخرون ينشغلون بالترفيه.

من المهم جداً مراعاة هذه المسألة في عملية تأهيل الأطفال لا سيما من اعتاد على التكاسل منهم وعلى المربي أو الوالدين تعيين المهام والواجبات وتقسيمها على المجموعة بحسب مقدرة كل فرد والطلب منهم بأن ينجز كل واحد منهم مهمته على أحسن وجه.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى أن مجرد تحديد الوظيفة ليس كافياً بل لا بد من الإشراف والرقابة ودفعهم إلى مراعاة الضوابط والمقررات على أنه يستلزم الإستفادة من الرغبات والميول والنصائح والوسائل التربوية الأخرى وصولاً إلى الهدف المنشود وإنجاح المهمة.

٤ ـ مماشاة طريقة تفكير المجموعة: إن الطفل سيشعر من خلال سلوك المربي بأنه إذا لم يماش المجموعة فإن مطاليبه لن تنفذ وحاجاته لن تلبى ولذا كان لزاماً عليه مواءمة أفكاره وسلوكه مع المجموعة علماً أن ذلك لا يمنع المربي من الوقوف أمام أي انحراف أو خطأ يشاهده.

يدرك الطفل طوال تواجده وسط المجموعة أنه لا يمكنه الإستمرار في سلوكه المشين إجتماعياً وتصرفاته المثيرة لغضب وحفيظة الآخرين مما يعني أن عليه إصلاح سلوكه واحترام حرية الآخرين وتقاليدهم وسننهم وإلا ستكون العزلة مصيره.

كما قلنا سابقاً فإن المهم في المنظار التربوي دفع الطفل لمماشاة أعضاء المجموعة في تفكيرهم على أن ذلك لا يعني أن له الحق في أن يعتبر كل ما يصدر من المجموعة صحيحاً أو أن يوافقهم على الخطأ بل عليه أن لا يقبل منهم العادة والتقليد الخاطئ، وفي هذه الحالة عليه القيام بما يراه مناسباً وصحيحاً إذا كان الموقف بالنسبة له واضحاً وواثقاً من صحة عمله أما إذا ساوره الشك في صحة ما يقومون به وليس الأمر واضحاً بالنسبة له فعليه الإستعانة بالمربي ليقوم بإرشاده.

٥ ـ مراعاة وضع المجموعة: من القضايا المهمة التي ينبغي للطفل تعلمها داخل المجموعة مراعاة الوضع العام في المجموعة ؛ فعليه أن يعرف أنه لا يحق له التعدي على حرية الآخرين أو سلب راحتهم من أجل أن يملأ فراغه ويمتع نفسه.

لا يحق للطفل أثناء لعبه أن يصرخ أو يرشق الآخرين بالحجارة أو يصرخ في وجوههم ويلجأ للأمر والنهي أو أن يعتبر أولياء أمره خدماً بين يديه ويتصرف معهم على هذا الأساس.

على الطفل أن يدرك ضرورة اتباع سلوك مناسب وسليم داخل إطار المجموعة بغية المحافظة على رفاهها، ويعمل على تقديم الخدمة لأعضائها في مقابل الإفادة من خدماتهم والقيام بالعمل الموكل إليه على أحسن وجه، وفي كل الأحوال يجب دفعه إلى مراعاة الضوابط في مقابل الآخرين مثلما يتوقع هو منهم ذلك.

٦ ـ تطبيق النظام: إن المربي سيسعى بالتالي ومن خلال التجوال وإقامة المخيمات إلى تعليم الطفل ضوابط وأصول الحياة الجماعية ومن ثم تحفيزه على العمل بها واحترامها وهو أمر لا يتحقق إلا بمراعاة نقطتين:

أ: أن لا تكون المقررات والضوابط الموضوعة صعبة بحيث يعجز الطفل عن الإمتثال لها وبالتالي يظهر تمرده عليها.

ب: ينبغي أن يفهم الطفل أن الطلب منه تنفيذ هذه المقررات والعمل بالنظام نابع من كون ذلك مفيداً له ومؤثراً في سعادته وأنه يعمل من أجل إزالة المشاكل الموجودة وتحقيق الرفاه لنفسه والتعاون مع الآخرين في هذا المضمار.

ملاحظات:

يجدر الإلتفات في عملية تأهيل وإصلاح سلوك الأطفال عن طريق الحياة الجماعية إلى جملة من الأمور، أهمها:

١ ـ يجب أن تكون المخيمات والتجوال في أيام يكون فيها الوالدان أو المربي مرتاحي البال تماماً وعلى وفاق تام مع الطفل.

٢ ـ من الأفضل أن يكون السفر ليوم واحد يتكرر كل خمسة عشر يوماً مرة لأن الإفراط فيه يفقده آثاره التربوية، أما السفرات الطويلة فيكفي أن تكون خلال كل أربعة إلى ستة أشهر مرة.

٣ ـ قبل كل سفر أو تجوال ينبغي التمهيد له حتى لا يشعر الطفل أنه واجب ووظيفة عليه القيام بهما.

٤ ـ من الضرورة بمكان ممارسة عملية الرقابة على تصرفات الطفل في السفر إلى جانب منحه الحرية اللازمة للتمتع.

٥ ـ التركيز على توفر البشاشة وحسن الخلق أثناء السفر.

٦ ـ لا بأس من اللجوء إلى التنبيه والتحذير في القضايا الضرورية على أن لا يسبب ذلك العقد للأطفال.

٧ ـ ينبغي أن لا يكون توزيع أو إيكال الأعمال في السفر بصورة تسبب الضجر للطفل وبالتالي كرهه المشاركة في التجوال والمخيمات أو السفر.

٨ ـ السعي إلى أن تكون نهاية السفرة أو المخيم مبهجة ومفرحة بما يجعل الطفل يطلب تكرارها.

الفصل الرابع
الأسوة وموقعها من الطفل

إن كثيراً من حالات التمرد والإنحرافات التي تبرز عند الأشخاص عند الكبر تعود جذورها إلى زمن الطفولة والتأثر بالأسلوب التربوي الخاطئ للوالدين والمربين . .

فالتصرفات المغلوطة وأخطاء المسؤولين التربويين تعد دروساً سيئة لأطفالنا وتسبب لهم المتاعب طوال سنوات العمر، وأن الحنان أو الجفاء، أو اللطف أو الغلظة، أو بذاءة اللسان أو حلاوته والتحدث بالمنطق من قبل الوالدين والمربين له أثر بالتأكيد على مصير الأطفال.

كثيرون هم الذين راحوا ضحية أخطاء والديهم وعرفوا بسببهما طريق الإنحراف وهذا الأمر إنما بسبب اتخاذ هؤلاء الأشخاص آباءهم وأمهاتهم قدوة لهم في مرحلة الطفولة، فالأطفال يألفون ويعتادون التصرفات التي تصدر من الأسوة أكثر مما ينصاعون للقوانين والمقررات، فالشهامة وإظهار المقاومة في مقابل صعاب الحياة يتعلمها الطفل من والديه لا من الأوامر الأخلاقية والقانونية.

الأسوة وأهميتها:

المقصود من الأُسوة هو النموذج المشاهد الذي يجري التعلم منه دون

أن ينطق بكلمة، أو بعبارة أخرى هو أمر وقاعدة مجسدة بصورة غير مباشرة يجري الإقتداء بها سواء بصورة إرادية أم غير إرادية.

إن الطفل في بداية حياته مثله كمثل المرآة في مقابل الأشخاص والظواهر والموجودات وحتى الأشياء، إذ تنعكس فيه صورها، وبعد أن ينمو وينمو معه عقله ويخوض التجارب تجده يعمل على الإنتخاب.

على هذا الأساس يمثل القدوة دوراً مهماً واستثنائياً حيوياً، ولأن الوالدين والمربين هم نماذج القدوة الأولى في عين الطفل فإنهم يمثلون دعامة لانطلاقه نحو الأمام والمتغلبين على الصعاب بل وكل أعمالهم ستكون بالنسبة له وثيقة. لقد بين الإسلام أهمية هذا الأمر كثيراً في إطار التربية الإسلامية حينما أوصى المربين بملاحظة تصرفاتهم والجوانب الخلقية أو اختيار القدوات الإسلامية كالنبي الأكرم محمدصلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام حينما يجري التعريف بقدوة للأطفال.

حاجة الطفل إلى الأسوة:

يحتاج الطفل إلى أسوة يقتدي بها ليعيش بذلك حياة عادية يحظى فيها بمحبة الآخرين، إنه بحاجة إلى أن يعرف ماذا عليه أن يفعل وأي سلوك يظهر به أمام الآخرين وأي موقف يتخذ في مقابل الصعاب وكيف يواجه الأمور و..

من الفوائد الأخرى للأسوة التعلم السريع للقضايا المختلفة وإدراك المفاهيم والتعرف على المصاديق بصورة موثقة ومفهومة فإذا أردنا أن نعلم الطفل من خلال كتابة معينة أو كتاب أو عن طريق القصص فذلك يستغرق وقتاً طويلاً، علماً أننا لا نعلم إن كنا نجحنا بنقل ما نريده للطفل أم لا في الوقت الذي يمكن نقل هذه المفاهيم والمصاديق إليه عن طريق الأسوة.

إن التربية الإسلامية إعتمدت أسلوب نقل المفاهيم والقضايا المختلفة عن طريق القدوة والأُسوة؛ فالقرآن الكريم عرّف الرسول الأكرم صلى الله

عليه وآله وسلم أسوة يهدي الناس ويوصيهم بالإقتداء به. الوالدان أيضاً يجب أن يكونا نماذج سامية من التربية القرآنية ومصداقاً مجسداً لتعاليم القرآن الكريم حتى يمكن للأطفال التأسي بهما.

خصائص الأسوة:

إن الذي ينبغي التركيز عليه في مسيرة التربية الخصائص التي ينشدها الأسوة، فالأسوة التربوية عليها أن تتحلى بصفات سامية وتصرفات موزونة لا تظهر عليه العيوب والنواقص.. أن يكون أنموذجاً في التقوى وحسن الخلق والمعاشرة مع باقي الناس والصبر والتحمل في المواقف المختلفة والمقاومة في حينها وإعلان القرار والجدية في تطبيق الإرادة و..

حينما تكون الأسوة غير سليمة فإن أسمى القواعد والأوامر لا يمكنها أن تصلح أمر الأطفال المشاغبين، فمثلاً حينما يكون الوالدان غليظين ومتكاسلين وسيئي الأخلاق وحاقدين فكيف يمكنهما أن يدعوا أطفالهما إلى الحنان والتسامح والتضحية والمثابرة.

إذا أراد الوالدان والمربون أن يربوا الأطفال تربية إسلامية فعليهم أولاً أن يروا أي الأساليب التي يحبذها الإسلام أو يفضلها وأي الأخلاق التي يستحسنها، وما هو الطريق الذي يقره للحياة وعندها يسعون إلى التحلي بها والعمل بما أقرّه الإسلام.

بعد القدوة في الأبوين:

على الأبوين باعتبارهما أول مرب للطفل أن يكون تصرفهما بالشكل الذي يريدانه هما منه، إذ ليس من الصحيح أن نقول للطفل لاعليك بما يصدر منا وافعل أنت الفعل الفلاني.. في تربية الطفل ينبغي أن يرى الطفل التصرف المنشود ومن ثم يعمل به.

أما أهمية سلوك الأبوين بالنسبة للطفل فتظهر من عدة جوانب:

١ ـ إن حالة المثلية والتقليد في الإنسان وخاصة الأطفال من القوة بحيث لا يشبه أي حيوان الإنسان في هذا المضمار، وهي التي تدفعه إلى تقليد كافة التصرفات.

٢ ـ يمتاز الإنسان بأن حاسة البحث والفحص أقوى لديه من كافة الحيوانات التي تحب بطبيعتها معرفة كافة ما يحيط بها من قضايا وأسرار، ولذا فهو دائم البحث بهدف تنفيذ ما يتعلمه من الآخرين.

٣ ـ حالة الظهور بصورة البطل عند الإنسان وخاصة الأطفال تكون قوية، فهو يحب أن يماشي بعمله عمل البطل والقيام بأعمال خارقة شأنه في ذلك شأن البطل. . يقلد ما يراه من البطل سواء أكان إيجابياً أم سلبياً.

٤ ـ ثم إن الرغبة في إثارة دهشة الآخرين واستقطاب إعجابهم ومحبتهم قوية لدى الأطفال خاصة وأنهم بحاجة ملحة إلى مساعدة الآخرين والتعاون معهم الأمر الذي يجعله يفعل كل ما يصدر ممن يحبه.

على هذا الأساس يعد الأبوان والمربون مظهراً للحب والإقتداء والبطولة والحنان والعمل بالقواعد والضوابط في نظر الطفل وأن أي عمل يصدر منهم لن يكون بمنأى عن عينيه المتبحرتين والمترصدتين وبذلك فهم مسؤولون عما يفعلونه أمامه بالتأكيد.

معرفة الوالدين مسؤوليتهما:

كما أشرنا آنفاً إن الوالدين مسؤولان عن تصرفاتهما خاصة أمام أولادهما وهي ليست منفصلة عن المسؤولية أمام الله تعالى والمجتمع، فمن الممكن أن يصدر من المربي سلوك ما يترك أثره في الطفل بحيث قد يجذر فيه ممارسة الشغب وربما يقللها.

ومثلما قلنا من أن كثيراً من حالات الإنحراف لدى الأشخاص عند الكبر تعود إلى التصرف الخاطئ الذي صدر من الوالدين في مرحلة تربية الطفل، ومن المؤكد أنهما سيكونان مسؤولين إذا ما أدت هذه الإنحرافات إلى الإضرار بالطفل أو بالمجتمع.

وفي عملية تأهيل الأطفال من المهم الإلتفات إلى النقطة التالية وهي أن حالات الكسل والإنحلال وانعدام النظام لا يمكن إصلاحها إلا إذا انتهجنا نحن سبيل النظام والعمل بالضوابط.

نعم الوالدان مسؤولان، مسؤولان عن عدم انصياع الأطفال للنظام وعن بذاءة اللسان وعن حالات التمرد التي تصدر منهم ومعنى ذلك أن عليهما مراقبة أعينهما وآذانهما وسمعهما وسائر أعضائهما سواء أكان ذلك من منطلق شرعي أم من زاوية تربوية.

الطفل والنماذج المغلوطة:

غالباً ما يشاهد الطفل في البيت نماذج قدوة مناسبة وجديرة بالإحترام لكنه في المدرسة أو المجتمع وربما عند الجيران والأقارب يشاهد نماذج أخرى لها أثر سيء في نفسه أو أنه يشاهد تصرفات غير صحيحة تشدد فيه حالة التمرد ومن الطبيعي أن مهمة الوالدين التربوية ستكون أصعب في مثل هذه الحالات.

من الضروري أن يحذر المربون قدر ما يستطيعون الطفل ويحثونه على عدم معاشرة مثل هذه النماذج وتنبيهه إلى نقاط الضعف فيهم والآثار المترتبة على معاشرتهم بالأسلوب الذي يفهمه الطفل حتى ينظر إليهم نظر الكاره لهم أو على الأقل نظر الشك وبالتالي لا يقبل عملهم.

هذا الحالات المذمومة قد يتعلمها الطفل عن طريق وسائل الإعلام، والصور والبوسترات، والمجلات والصحف، والأفلام ولذا كان من الواجب

مراقبة هذه العوامل. كما أنه ينبغي إبعاد الطفل عن النزاعات الشخصية حتى لا تترك أثرها السلبي عليه ولو حصل شيء من هذا القبيل فينبغي تبريره له بشكل معقول ومنطقي. وعلى كل حال ينبغي أن تكون الرقابة منطلقة من كون أن ينظر الطفل للأمر الجيد بنظرة إيجابية وللسيء منه بنظرة سلبية.

أخطاء المربين:

يرتكب كل منا في حياته اليومية جملة من الأخطاء، وقد يكون ذلك بمرأى من الطفل.. والأسوأ من ذلك أننا نعتبر ما صدر منا صحيحاً ونصر عليه حفاظاً على مكانتنا وشأننا ثم نروح إلى أبعد من ذلك فنعمد إلى ذكر الأخطاء في الوسط العائلي وأمام الأطفال ونفخر بها !

إن المصلحة تقتضي بأن يتحمل الوالدان والمربون مسؤولية خطئهم الذي ارتكبوه ويعترفوا به حتى يعتبر منه الطفل وفي الوقت نفسه يفهم أنه ليس من المهم ارتكاب الخطأ بل المهم الإعتراف به والسعي إلى إزالته.

إذا تشاجر الوالدان أمام الطفل فعليهما أن يعترفا بخطئهما أو أن يعللا له سبب ذلك وأنهما اضطرا لذلك، وبعبارة أخرى تبرير ما قاما به بشكل منطقي وإلا لن تكون هناك وسيلة لإصلاح الطفل وتأهيله، علماً أن ذلك يستلزم من المربين تأهيل أنفسهم وتربيتها وإلا قلت إحتمالات نجاحهم في مهمتهم في تأهيل الأطفال وتربيتهم.

ملاحظات حول الأسوة:

لا بد من الإلتفات إلى النقاط التالية في عملية تعريف القدوة:

١ ـ الوالدان هما أنموذج الطهارة والإخلاص والصفاء والعفة أو المخادعة والرياء والتدليس بالنسبة للأطفال، فعلى أي وجه كانا تأثر الطفل بهما.

٢ ـ ينبغي أن يكون أسلوب الحياة لكل شخص منطلقاً من تعاليمه الدينية التي يؤمن بها.

٣ ـ الأمر والنهي لا بد وأن يكون مصحوباً بمصاديق عملية حتى يكون أكثر تأثيراً.

٤ ـ السعي لعدم إثارة الأمور التافهة وافتعال حالات الغضب غير الضرورية واتخاذ القرار في الوقت المناسب وتفعيله عند الحاجة حتى تكون هذه التصرفات دروساً يتعلم منها الأطفال.

٥ ـ مراعاة الدقة في القضايا المختلفة من قبل الوالدين والمربين والسيطرة على الأعصاب وممارسة الرقابة من منطلق بناء.

٦ ـ لا تنسى أبداً أن طفلك مرآة لوجودك، فيتأثر أحياناً بك بالشكل الذي يصبح كأنه أنت. ويسأل بعض خبراء علم النفس في مذهب السلوك الوالد «قل من هو ابنك حتى نقول لك ما ومن أنت»؟ مما يعكس مدى تأثر الطفل بالوالدين.

القسم الحادي عشر
الإصلاح الخلقي للأطفال

إن كثيراً من حالات التمرد والشغب بالنسبة للأطفال منشؤها البعد الأخلاقي مما يستلزم معالجتها..

فبسبب الحالات السيئة أو العادات المغلوطة التي تعلمها يقدم على الكذب أو السرقة أو المشاغبة أو الإنحراف جنسياً، وما من شك أن بقاء هذه الخصال مضر ليس به فحسب وإنما بالمجتمع أيضاً وأحياناً قد تمس بشرف العائلة.

في هذا القسم سنسعى إلى الحديث عن كل ما يتعلق أو يتصل بهذا الموضوع..

في البداية سيكون الحديث عن كذب الطفل ومعالجة الحالة بعد بحث العلل والتداعيات المختلفة، وإفهام الطفل قيمة الصدق ومن ثم الإشارة إلى الحكمة والنصيحة والسماح للطفل بالتعبير عن أحاسيسه ومواساته والسكوت المعبر عن الكثير وكذلك التنبيه.

في فصل آخر يتم التحدث عن سبل إصلاح حالة السرقة التي تظهر لدى الطفل والإشارة إلى أضرارها وردود الفعل المفروضة من قبل الوالدين ومن

ثم تبيين الأسباب من جهل وحرمان ورغبات وخوف مع توضيح طرق المعالجة في هذا الباب.

الفصل الثالث سيتناول بالبحث موضوع الأفعال الشريرة ؛ فبعد تبيين ماهية الأفعال الشريرة وأسبابها يجري تبيين سبل إصلاحها بالإضافة إلى تثبيت بعض الملاحظات في هذا الشأن.

وفي الختام فصل آخر عن إصلاح الإنحراف الجنسي بعد بحث أسبابه ومنشئه وأضراره، ومن ثم الإشارة إلى طرق إصلاح الطفل والرقابة التي يجب ممارستها وتوفير التمهيدات اللازمة وتلطيف الاجواء ومن ثم إنهاء الفصل الرابع بعدد من الملاحظات.

الفصل الأول

إصلاح حالة الكذب لدى الأطفال

إن كثيراً من الأطفال وخاصة في سن معينة يتحدثون بأمور هي بخلاف الحقيقة في نظرنا أو أنهم يكذبون الأمر الذي يثير سخطنا إلى حد نلجأ فيه أحياناً إلى ضربه أو ما شابه ذلك أو عدم الإعتناء بما يقوله حتى لو كان صادقاً وما يقوله صحيح.

نعلم أن الكذب مضر بالطفل؛ فلو اعتاد عليه تزعزعت شخصيته بالتدريج وفقد اعتباره في حين أنه بحاجة دوماً إلى استقطاب ثقة أولياء الأمور والمربين حتى يمكنه النمو ولو افتقد لثقة الكبار فلن يكون نموه عادياً وحينها إذا ألم به ألم أو تراكمت في سماء حياته سحب الهموم وأراد أن يزيلها فلن ينجح في ذلك.

يفقد الطفل الكذوب قدرة التحدث بوجهة نظره بصورة صريحة وحازمة خاصة وأنه لن يؤمن حينها بكلامه مفتقداً ذلك الحزم والصراحة اللتان يحتاجهما للإستمرار في حياته.

أسباب الكذب:

يعد الكذب نوعاً من التمرد والإضطراب ولا بد من إصلاح هذه

الحالة، علماً أن الإصلاح وتأهيل الطفل يستلزم أولاً معرفة الأسباب . .

علينا أن نعرف لماذا يكذب الطفل؟ هل يكذب بسبب الخوف أم لعدم ثقته بوالديه والمربين؟ هل يلجأ إليه لاستقطاب نظر الآخرين واهتمامهم أم لأنه يريد إظهار أنه أكبر مما هو عليه؟ . .

الدراسات التي أجراها ذوو الإختصاص خرجت بالنتائج التالية:

١ ـ **التخيل**: إن كثيراً من الأمور التي يتفوه بها الطفل ويصنفها كحقائق ليست إلا عبارة عن تخيلات . . فقدرة التخيل لدى الأطفال قوية جداً حتى أنه غالباً ما يهوّل الأمور في ذهنه ثم يتحدث عنها بصورة مهيبة وكأنه يرى المشهد الخيالي أمامه.

من هذا المنطلق فإن ما يقوله الطفل بكل ثقة وإن كان كذباً في ظاهره لكنه صحيح حسب ما سطره ذهنه بل هو عين الواقع. النموذج المذكور يعاني من نقص من حيث أنه لم يفرق بين عالم الحقيقة وبين عالم الظن والخيال وكل ما يتخيله في ذهنه يتفوه به أمام الآخرين.

٢ ـ **التمني والحلم**: ينمي الطفل أحياناً أمنيته في نفسه، ولأنه يرغب جداً في بلوغها فإنه يبحث عن ضالته في الظن . .

إن الطفل ليعرف في اللحظات والأيام الأولى أن هذا الموضوع ليس له مصداق على صعيد الواقع لكن قوة الأماني وحبه في تحققها يدفعه إلى التصديق بها كحقائق يجريها على لسانه، وهي ذاتها التي نصنفها في صف الكذب.

وقد ينظر للموضوع من جانب آخر؛ فبالرغم من أن ذلك يعد كذباً إلا أنه يرضيه ويشبع غريزته حيث يردد تلك الأمنية على لسانه إلى حين بلوغها أو إلى أن يمل منها وعلى هذا الأساس كان مثل هذا الكذب نوعاً من أماني

الطفل ولا بد في معرض تأهيل الطفل من تحقيق أمنيته أو إصلاحها.

٣ ـ إنعدام الثقة بالطفل: يفقد الطفل أحياناً ثقته بوالديه أو لا تجمعه مع مربيه علاقة جيدة، فيظن أنهم يعملون على فضح أسراره أمام الناس وإراقة ماء وجهه أو يفكر بأنه لن يبلغ ما يريد إذا ما قال الحقيقة أو أنه يكون ذليلاً وحقيراً أمام الآخرين وغير ذلك مما يضطره للكذب.

يسر الطفل أمه بسر ويطلب منها أن لا تبوح به لأبيه لكنها تفعل ذلك نظراً لمصالح عائلية فيقوم الأب بكل سذاجة بالتحدث فيه وتأنيب الطفل ممهداً بذلك لفقدان الطفل ثقته بأهله وبالتالي يرى نفسه مضطراً لترك الحقيقة واللجوء إلى الكذب. أما معالجة الأمر فليس هناك أفضل من جذب ثقة الطفل في مثل هذه المواقف.

٤ ـ الخوف: يكذب الطفل أحياناً خوفاً من قول الصدق وعواقبه؛ يخاف أن يتعرض للضرب أو اللوم والإهانة إن هو نطق بالحقيقة..

فمثلاً يكون مستاءً من أخته أو أخيه الصغير أو لايرغب بأكلة ما لكنه يتخوف من الإفصاح عما في داخله فيصبح منبوذاً أو أن يفقد حب العائلة.

عندما يرتكب الطفل خطأ ما كأن يسقط قدحاً من يده فينكسر يعرف أن والديه لن يسامحاه على خطئه وسيؤنبانه فيلجأ إلى الإنكار خوفاً من التأنيب أو يتهم أخيه الصغير كذباً أو أن الهرة أوقعته فانكسر.

في مثل هذه الحالات يجدر بالمربي إفهام الطفل أن هكذا أخطاء يمكن الصفح عنها ولا حاجة للكذب، ومثلما أن هذه الأخطاء يمكن الصفح عنها إذا صدرت من الأب والأم فهي مما يمكن الصفح عنه إذا صدرت منه أيضاً.

٥ ـ إختبار الوالدين: يستخدم الطفل الكذب أحياناً لاختبار الوالدين أو المربين؛ إذ يريد أن يعرف ما هي ردود فعلهم إزاء عمله.. يريد أن يعرف

ماذا سيفعل الأب والأم إن هو ارتكب العمل الفلاني ولذا تراه ينسب لنفسه العمل الذي لم يقم به وبطبيعة الحال هو سيبلغ مراده إن لم يقل الأبوان شيئاً حيث سيأتي به مستقبلاً بكل اطمئنان أما إذا أظهرا سخطهما عند سماعهما بالأمر فإنه سيبتسم فوراً ويقول بأنه كان يمزح وأنه لم يقم به وبالتالي سينقذ نفسه من المحاسبة.

ومن الطبيعي أن مثل هذه الإختبارات تعرف الوالدين والمربين جيداً وتوقفهم على طريقة تفكير الوالدين حيال العمل الفلاني ومدى فهمهم وكذلك سخطهم ومحاسبتهم على الأعمال التي يقوم بها الطفل وماذا عليه أن يفعل بعد الآن.

٦ ـ **لفت الأنظار**: يطوي النسيان أحياناً الطفل خلال لقاء العوائل وأثناء التزاور فالكل منشغل بالكلام والترحيب أو اللعب دون الإلتفات إلى أن إلى جانبهم صغيراً ينبض قلبه وينتظر أن يشترك معهم في الحوار.

ولكي يلفت نظرهم ويدخل معهم الساحة يجعل أداته الكذب؛ ويفاجئ الجالسين بخبر محزن أو يتحدث بشيء ما بحيث يلتفت إليه الآخرون بتعجب ودهشة تاركين محادثاتهم وانشغالاتهم.

غير أن الأطفال لا ينجحون دوماً بعملهم هذا فيتراجعون بمجرد أن يوجه الحاضرون الأسئلة إليهم ويظهرون أنهم كانوا كاذبين ويتغير لونهم ويبدو عليهم الخجل والتلعثم في الكلام.

ومن أجل تأهيل الطفل في مثل هذه الحالات ينبغي السعي لإشراك الطفل في المجموعة ومنحه دوراً والسماح له أثناء حواراتهم لأن يخلي ما في جعبته.

٧ ـ **التعليم السيىء**: إن الطفل لا يعرف الكذب بل يتعلمه من الآخرين.. وواضح أنه يتعلمه أولاً من الوالدين وممن يصاحبهم وهؤلاء

مهدوا له هذا الفعل ودفعوه لارتكابه. فمثلاً يوقف الطفل أمام مجموعة ويطلب منه أن يصرح بحب أخيه الأصغر في الوقت الذي ينفر هو منه لأنه حسب اعتقاده قد سلب منه محبة والديه.

أو أن الطفل يحب أحياناً وسائل لعبه أو أكلة معينة أو يحتاج إلى قبلة ومحبة ويتوقعها من والديه فيضعون شرطاً لتحقيق ذلك كأن يفرض على الطفل أن يقول " أنا أحب أختي الصغيرة " ومن أجل أن يتحقق هدفه يلجأ إلى الكذب في الوقت الذي هناك سبيل آخر لجعله يحب أخته الصغيرة.

حينما يتحدث الأب أو الأم أمام الآخرين عن موضوع يعرف الطفل تماماً أنه كذب أو يخبرون عن مسألة يعرف الطفل سقمها من صحتها. ومن الطبيعي أن أي رأي يطرح بخلاف الحقيقة له تبعات سيئة إذ سيفهم أن بإمكانه التفوه بخلاف الحقيقة في بعض الأحيان.

سبل الإصلاح والتأهيل:

هناك طرق عديدة لإصلاح الطفل ومنعه من الكذب يتناسب كل منها مع الظروف المحيطة به، منها:

١ ـ **تبيين قيمة الصدق**: على الطفل أن يفهم أن الصدق ينضوي على قيمة وأن الكذب عمل خاطىء وضيع، والسبيل إلى ذلك أن يعرف نتائج وآثار الكذب السيئة عبر القصص بل منحه الفرصة أحياناً ليلمس بنفسه العواقب المرة للكذب ويرى مثلاً مدى الفضيحة التي تلم بالكاذب.

٢ ـ **النصيحة**: تفعل النصيحة في كثير من الحالات فعلها في الطفل خاصة إذا كانت في الخفاء ومصحوبة بالحنان والتودد فيجري تفهيم الطفل أن الكذب يستاء منه الوالدان والأصدقاء وقبل ذلك يغضب الله جل وعلا، وأن مصير هذا العمل أن تطاله والعائلة الفضيحة الأمر الذي يفر منه كافة أفراد العائلة.

٣ ـ منح الفرصة للتعبير عن المشاعر: ينبغي أن يمنح الطفل الفرصة للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه بصراحة وإذا كانت مشاعره قبيحة فالحل يكمن في إفهامه بالتدريج بضرورة تركها. إنه لمن الخطأ أن يمنع الطفل من التفوه إلا بما نرغبه ونريده أن ينطق به، إذ يجب أن يتمكن بدون خوف أو اضطراب أن يقول بأنه ينفر من الشخص الفلاني، أو لا تعجبه الأكلة الفلانية أو يعبر عن عجزه عن أداء العمل الموكل إليه أو لا يرغب في الذهاب إلى المكان الفلاني أو... على أن من الطبيعي إقناعه وتغيير رأيه بالمنطق وبعد تفهم أحاسيسه وبالتالي تحقيق الهدف المنشود.

٤ ـ الصفح عن الطفل: من مهام المربي العمل على مراقبة الطفل والحؤول دون ارتكابه الخطأ، أما إذا أخطأ فعليه أن يسامحه ويلفت نظره إلى أن لا حاجة للكذب.

لا ينبغي محاسبة الطفل أبداً على خطئه بل ينبغي عدم ضربه على كلام الصدق الذي صدر منه وإن كان لا بد من التأنيب فيكتفى بالتذكير والتحذير من مغبة التكرار، كما يجب عدم مباغتة الطفل ليضطر الأخير إلى الكذب.

٥ ـ مواساة الطفل: إن الطفل الذي اتسخت ثيابه أو تمزقت أثناء لعبه لا ينبغي أن يوقف موقف المتهم إلا أن يكون قد سبق تذكيره من قبل في حالات مشابهة، على أن هذا لا يعني معاملته بالضرب إن كرر فعله ولم يبال بالتذكير السابق. أما الحد الأكبر من التأنيب فيتمثل في اللوم والتحذير والإنذار أو حرمانه من اللعب ليوم أو يومين.

وفي بعض الحالات من الضروري أن نواسي الطفل ونعلمه بأن ليس له من حيلة إلا أن يرتدي هذه الملابس الممزقة نفسها، أو أن يكون التأنيب بأن عليه أن يذهب بهذه الملابس نفسها لرؤية الأصدقاء حتى لو اشمأز الآخرون من رؤيته بهذا الشكل.

٦ ـ **السكوت**: يحمل السكوت في بعض المواضع معنى أكبر ويكون أكثر فائدة وتأثيراً من التأنيب اللفظي وما شابهه أو أن نفهمه بسكوتنا أننا عرفنا أنه يكذب، أو عن طريق نظرة الآسف أو عدم المقابلة بالإبتسامة أو مواجهته بوجه عبوس يمكن تفهيمه على أنك كاذب في كلامك.

فمثلاً ربما يحاول طفل من خلال كذبة أن يضحك أو يثير دهشة الجمع وأفضل علاج في هذا الموقف هو عدم مقابلة كذبته بالضحك أو إظهار التعجب أو متابعة مقولته من خلال الأسئلة التي يدرك من خلالها أنهم عرفوا أن كلامه عار من الصحة.

٧ ـ **الإنذار**: أما في الحالات التي لم تؤت الأساليب أعلاه أكلها فعندها يمكن اللجوء إلى الإنذار والتهديد فيقال له مثلاً "سنريق ماء وجهك" أو "سنفضحك أمام الآخرين" أو "سنضطر بعد الآن أن نخبر الأصدقاء والأقارب بأمرك ونقول لهم بأنك تكذب حتى لا ينخدعوا بما تقول".

وفي كل الأحوال ينبغي تكثيف السعي لئلا يصل الأمر إلى هذا الحد وحل المسائل بصورة ودية ويعرف الطفل ماذا عليه أن يفعل وماذا عليه أن لا يفعل.

ملاحظات:

في عملية إنقاذ الطفل من الكذب ومعالجة هذه الحالة فيه، هناك جملة من ملاحظات أهمها:

١ ـ من الضرورة بمكان أن يفرق الوالدان والمربون بين الواقع وبين الظن وأن لا يحملوا كل ما يقوله الطفل على الكذب حيث يمكن أن يكون الطفل قد رأى المشهد في المنام ويقوم بسرده بكل اطمئنان.

٢ ـ ليس من الصحيح أن يمارس الوالدان دور المخبر في مقابل

الأطفال، إذ لا ينبغي أن تحمل أسئلتهما للطفل طابع التحقيق الذي قد يؤدي إلى الإعتراف بقول الكذب أو ما يخالف الواقع، وإذا ما عرف أن الطفل يكذب فينبغي الكف عن توجيه الأسئلة والبحث عن العلل.

٣ ـ يجب أن لا تكون الأسئلة بالشكل الذي يتصور الطفل أنها محاولة لاحصاء عثراته لأنه حينها سيلجأ إلى التهرب فيضطر إلى الكذب.

٤ ـ إن الكذب بصورة متكررة ومتتالية تدل على معاناته من حالة اضطراب ينبغي العثور على منشئها.

٥ ـ ينبغي أن لا يوضع الطفل في موقف يضطر فيه إلى اختيار إحدى كذبتين لأنه في كل الأحوال مضر به.

٦ ـ يفترض تجنب التصرفات الساذجة التي تمهد بشكل أو بآخر إلى لجوئه للكذب، إذ لا بد أن يعيش في كل الأحوال في بيئة يسودها الأمن والإطمئنان والهدوء.

٧ ـ معرفة أن التأنيب لا يمكنه تحقيق الهدف المنشود في التغلب على حالة الكذب لدى الطفل، بل للموعظة والنصيحة أثرهما الإيجابي.

٨ ـ يفترض بالمربي أن يوائم بين قوله وفعله ومن غير المناسب أن يسمع الطفل منه الكذب.

الفصل الثاني
معالجة حالة السرقة لدى الأطفال

قلما نجد طفلاً لم يرتكب السرقة أو ما يعد بشكل ما من السرقة في مرحلة طفولته. .

فسرقة الشكولاتة أو لوازم اللعب وغير ذلك غالباً ما نشاهده بنسب متفاوتة لدى الأطفال، إلا أن كثيراً من فعالهم هذه يسميه الكبار وكما أسلفنا بالسرقة في حين أن هذه الأفعال في ذاتها ليست بسرقة.

إن السرقة عمل قبيح في نظر كافة الثقافات والمذاهب والمعايير الخلقية، وكما هو معروف فإن الإسلام وضع قوانين جزائية للسرقة تطال حتى الأطفال أيضاً. . صحيح أن يد الطفل السارق لا تقطع في الإسلام الحنيف لكنه لم يسمح بترك الطفل يمارس السرقة بحجة أنه لا يزال طفلاً.

أضرار السرقة:

إذا شاعت السرقة في مجتمع ما إنعدم أمنه المالي وحينها سيصعب العيش فيه.

إن جزءاً كبيراً من الهدوء والسكون في المجتمع يتعلق بأمر واحد يتمثل في أن الإنسان يشعر بأنه يملك ثمرة عمله وسعيه فإن أحاط الخطر بهذا

الإحساس كف الناس عن العمل وانشغلوا بالحفاظ على ما يملكونه.

أما الطفل فإن تعلم السرقة واعتاد عليها صارت حياته صعبة أيضاً لأنه دائب في التدبير لأن الفضيحة تنتظره وستطال والديه والمربين بعد ذلك أيضاً.

حتى لو لم يفتضح أمر الطفل في السرقة فإنها مضرّة أيضاً من جهة أن الخيانة تركت أثرها الهدام في فكره وروحه فيشعر بعذاب الضمير. إن الخطأ الأخلاقي يترك أثراً عميقاً في نفس الطفل فينهش الشعور بالخجل روحه من الداخل فيكون مهموماً دائماً.

رد فعل الوالدين:

يكون رد فعل الوالدين عادة في هذا المضمار شديداً لأنهما يعتبران هذا الأمر مرتبطاً بكرامتهما وماء وجههما ويؤدي إلى المساس باسم العائلة، على أن هذا التصور يكون صحيحاً فيما إذا كان الأطفال قد بلغوا سن التمييز وإلا فالموضوع ليس بتلك الأهمية.

يقوم الوالدان أحياناً والإنفعال قد أخذ مأخذه منهم بضرب الطفل السارق بشدة ربما يؤدي في بعض الحالات إلى فقدان الطفل لواحد من أعضائه وما شابه ذلك.

علينا أن لا ننسى أن الضرب أحد طرق الإصلاح لكنه ليس الوحيد منها، وهو غير مناسب أبداً للأطفال صغار العمر إذ قد تولد لديه حالة العصبية والتمرد أو تقوي فيه روح الإنتقام ويصر على أفعاله.

تحذير وتذكير:

تجدر الإشارة هنا إلى إن بعض الأساليب ليس أنها لا تصلح من الطفل شيئاً بل إنها تبعده عن الهدف الذي يتطلع المربي إلى تحقيقه على الأمد البعيد وتؤدي إلى زعزعة العلاقات القائمة بين الأطفال وأولياء الأمور.

إن الغضب والعصبية والضرب غير مجدية في معالجة حالة السرقة لدى الطفل ولا يمكن دعوته لامتطاء الطريق الصحيح والقويم بواسطة هذه الوسائل، كما أن إهانة الطفل ووصفه بالكاذب والسارق لن يداوي جرحاً لأنه سيعتاد بالتدريج على الإهانات وسيعوض الشعور بالنقص عن طريق ممارسة المزيد من السرقة والحصول على الأموال ومن ثم صرفها على أقرانه الذين يستقبلونه بالإطراء والمديح والتشجيع.

كما أن توبيخ الطفل واستجوابه بشكل غاضب لن يصلحه إذ سيلجأ حينها إلى الكذب محاولاً الدفاع عن نفسه في مقابل التحديات، أما العلاج فيكمن في مسايسة الطفل ومحادثته بلطافة وتذكيره بالتي هي أحسن وتلبية طلباته بالمقدار الممكن والوقوف قبل كل شيء على أسباب الإعتياد على السرقة بغية إنقاذه من هذه الصفة.

أسباب سرقة الأطفال:

لماذا يسرق الطفل؟ لهذا السؤال أجوبة عديدة منها:

١ ـ **الجهل**: بعض الأفعال تعتبر سرقة في نظرنا في حين لا يعدها الطفل كذلك، فهو يشعر بالحاجة إلى أمر معين ولايرى أيّ ضرورة لأن يخبر والديه؛ فيجوع مثلاً ويشتهي تناول شيء من الفاكهة فيقدم على سد غريزته دون أن يستأذن أحداً أو أن يفكر بأن هناك حصة للآخرين في ما تناوله.

في الواقع يجهل الطفل هنا بأن عمله هذا غير مناسب لذا يقدم عليه على أساس أنه عمل عادي وهنا يجب أن لا يجري تأنيبه.

٢ ـ **الحرمان**: تحصل السرقة أحياناً بدافع أنه محروم من الأشياء التي يحبها، إذ لا يملك مصرفه اليومي ويرى نفسه محروماً من الأكل والفاكهة ووسائل اللعب وباقي الأشياء.

صحيح أنه يتناول مما يتناوله الآخرون في المنزل لكنه يحب أيضاً أن يحصل على ما يراه في خارجه خاصة ما يتناوله أصدقاؤه، وإذا لم يكن قد ربي بصورة سليمة فإنه سيحاول تلبية رغباته واحتياجاته ولو بصورة غير مشروعة، والحل الوحيد لهذه المشكلة هي تنمية روح الصبر والمقاومة فيه أو توفير احتياجاته الأولية وإزالة الحرمان.

٣ ـ **الرغبة**: تميل نفس الطفل أحياناً إلى أشياء يستعملها الكبار مثل النظارات وما شاكلها فيريد أن يستفيد منها أو أن يعبث بها فيواجه المنع والتحذير من والديه، أو أن يرغب بشيء لكن الحياء يمنعه من التصريح برغبته لوالده أو والدته أو أنه إن أخبرهما لا يعيران أهمية للأمر. والأفضل في مثل هذه الأحوال أن لا نواجه كل مطاليب الطفل بالرفض، بل نسمح له أحياناً بممارسة ما يرغب أو لمس ما يحب أو اللعب به قريباً من أعيننا.

٤ ـ **الخوف**: ربما يضيّع الطفل شيئاً ويشعر أن التأنيب سيكون مصيره إن هو أخبر والديه ولذا يعمد إلى سرقة المال من مكان ما ويشتري الشيء المفقود ويرده إلى مكانه.

وقد تبرز الحالة هذه بصور أخرى ؛ فلو علم الطفل مثلاً انه سيحاسب إن أنفق ماله فيما يرغبه ويشتهيه فإنه سيلجأ إلى تأمين مطاليبه بنقود أخرى يحصل عليها بطرق غير مشروعة.

٥ ـ **حب الظهور**: يقدم الطفل على السرقة في بعض الأوقات بدافع إظهار نفسه بأنه أكبر مما هو عليه وله قدرات إستثنائية. يتظاهر بأنه قادر على فعل أشياء وأشياء ظناً منه بأن امتلاك الشيء الفلاني دليل على العظمة ويسعى للحصول عليه بأي شكل من الأشكال ومن البداهة أن الظهور بهذا المظهر إنما هو نتيجة الأمور السيئة التي يتعلمها الطفل من المجتمع.

يتم إصلاح سلوك الأطفال المصابين بمثل هذه الحالات عبر الإهتمام

إلى حد معقول ببعض صور حب الظهور فيه وإفهامه في الوقت نفسه بأن السرقة لا تقلل فقط من أهميته ومكانته بين الآخرين بل وتضعه موضع الذليل والمنبوذ.

سبل الإصلاح:

هناك سبل كثيرة يمكن من خلالها تأهيل وإعادة بناء شخصية مثل هؤلاء الأطفال، ويمكن من خلال استقراء عام، القول بأن الأفضل للوالدين والمربي في عملية الإصلاح السعي إلى فهم روحية وفكر الطفل بدل اللجوء إلى التأنيب مع اتباع سبل الإصلاح أدناه.

إن الطفل ليس في عداد كبار السن حتى يفعل ما يفعله عن دراية وإحاطة بجوانب الموضوع ولذا وجب اتباع سبل من شأنها إصلاحه وهي:

١ ـ التوعية: من المهم الإشارة هنا إلى أن كثيراً من الأطفال لا يعلمون بقبح الأعمال أو حتى نوعها؛ لا يعلمون ما هي السرقة وإن علموا فهم لا يعرفون شدة قبحها، ينبغي تعليمهم ماهية أضرار الأعمال القبيحة وعواقبها الوخيمة والفضيحة المترتبة عليها.

إن الجهل بلاء كبير، وله عواقب سيئة تمس الجميع وخاصة الصغار ولذا كان لزاماً على الوالدين إخبارهم بالأمور المترتبة على هذا العمل في الحال والمستقبل.

٢ ـ إزالة الحرمان: ينبغي توفير ما يحتاجه الطفل ولكن ليس بمعنى أن يكون على ما عليه أبناء الملوك بل بما يعرف بالحد الأدنى بحيث يشعر بأن والديه يفكران حقيقة بتوفير السعادة له. من الضروري إعطاء الطفل الذي يخرج إلى الشارع مصرفه اليومي حتى يستطيع أن يشتري إن اشتهى شيئاً وأراد أن يسد جوعه أو أراد المشاركة في نشاط جماعي، هذا إلى جانب تذكيره ببعض الملاحظات وإطلاعه على الأشياء التي لا يصح أن يشتريها بنفسه.

٣ ـ توفير ما يرغب به: من الضروري إشباع الطفل بالأشياء التي يرغب بها لئلا يكون مغرماً بها بصورة غير طبيعية..

ربما لم يكن بإمكاننا أن نشتري للطفل كل ما يريده لكننا نستطيع كبح جماحه بشراء ما يشابهها، وربما يعشق الطفل نوعاً من الفاكهة أو الغذاء رغم أن توفيرها صعب على عائلته ولكن ما الحيلة؟ فحينما يكون الطفل في سن لا يستطيع أن يدرك الوضع الذي تعيشه العائلة فإنه يجب توفير الشيء له حتى ولو بمقدار بسيط وإلا فالموضوع لا يحل بنهره كما أنه سيقدم على فعل القبيح متى ما سنحت له الفرصة.

٤ ـ إظهار المعرفة بفعله: علينا أن نظهر للطفل بأننا عرفنا بفعلته الخيانية وعلى علم بما يقوم به فقد يعود إلى رشده..

كما يمكن للوالد أن يلفت نظره إلى الموضوع في المنزل على نحو التلميح وبصورة غير مباشرة كأن يقلل الضحك أو الكلام معه، ومن الأفضل أن تخبره الأم "يبدو أن والدك عرف بالموضوع و...".

٥ ـ سرد القصص: يعد سرد القصص التي تتحدث عن لوم وتوبيخ من يرتكب السرقة بمثابة تحذير للطفل. القصص يجب أن تعرف الطفل بأن الذي سرق واجه العقوبة الفلانية أو افتضح أمره بشكل مذل أو أن عاقبة السرقة خطرة وتحطم الشخصية مما يساهم إلى حد كبير في امتناعه عن ارتكابها.

٦ ـ النصيحة والموعظة: يمكن استخدام أسلوب النصيحة والوعظ في بعض الحالات والمرات الأولى التي يرتكب فيها الطفل السرقة وهو عارف بقبحها، وإخباره بأن هذا العمل لا يرضي الأب والأم كما أنه يسخط الرب قبل كل شيء وتحذيره بأنه عمل مذموم ويريق ماء وجه الإنسان ومن ثم العائلة.

٧ ـ **التذكير والإنذار**: حينما لا تجدي النصيحة مع الطفل عندها ينبغي اللجوء إلى التنبيه والإنذار، والقول له مثلاً بأن أخطاءك باتت تتكرر وإن لم تترك هذا الفعل ستواجه من العقوبة كذا وكذا.

ومن الطبيعي أن يسعى المربون الواعون إلى أن لا يصل الأمر إلى هذا الحد، وأن يكون إنذارهم بحيث يشعر الطفل بأنه جدي وحقيقي كما ينبغي لهم أن يوجهوا إنذاراً ينوون تنفيذه فعلاً وإلا من الخطأ توجيه إنذار ليس في النية تنفيذه.

٨ ـ **التأنيب**: إذا لم تفعل السبل المذكورة فعلها؛ ولم تؤثر المسايسة والتهديد والتخويف فلا بد حينئذ من التأنيب حتى الجسدي منه وإلى الحد الذي يجري دم إصبعه بأمر من حاكم الشرع الأمر الذي لوحظ وأقره الإسلام.

في حال استمرار ارتكاب السرقة:

كما أشرنا سابقاً، ينبغي ترسيخ الوعي والإيمان في نفسه أكثر من أي شيء آخر خاصة بالنسبة لصغار السن..

يمكن القول للطفل بأن " هذا العمل ليس من شأنك، أرجع الحاجة إلى صاحبها " أو " هذا ليس مالك فضعه حيثما كان سابقاً " وكذلك " قل لي متى ما احتجت إلى المال، ولا حاجة لأن تأخذ من جيوب الآخرين دون علمهم " أو مساعدته كأن يقال له " لنذهب معاً إلى صاحب المحل الذي أخذت منه الشيء دون علمه ونرده إليه ونعتذر منه ".

وإن هو أنكر؟!

أما إذا أنكر الطفل السرقة أو أخفض رأسه إلى الأسفل من شدة الخجل فالأفضل أن نكتفي بلومه وأننا قبلنا عذره ونتوقع منه عدم تكرار الفعل، ومن

ثم تذكيره بأننا "سنحفظ لك ماء وجهك ولن ندع أحداً يطلع على ذلك شريطة أن تعدنا بعدم تكرارك له".

وخلاصة القول ينبغي تكريس الجهود على عظم أصل المسألة وإفهام الطفل بأنها عمل قبيح وسيء جداً، وحينما يتقبل الطفل ويهضم هذا المعنى يقال له بأنه قد سومح على ما مضى من فعاله وسنسعى إلى حفظ ماء وجهه وعدم إطلاع الآخرين على فعله حتى من داخل العائلة وإلا لن يتراجع ولن يتورع الطفل عن القيام بأي فعل إن عرف أن أمره قد افتضح.

الفصل الثالث

الشغب وسبل الإصلاح

إن كثيراً من الأطفال يقومون بأعمال غير طبيعية بحيث قلما يرون في حال هدوء أو يضمهم مكان، وقد لا يرضون بما لهم فيتطاولون على حقوق الآخرين. . تراهم دائبين في أذية الآخرين وإن وجدوا ضعفاً في طفل تمادوا في أذيته بل كأنهم يشعرون باللذة في تسبيب الآلام والأوجاع لذلك الطفل.

هذه الأفعال ترى أحياناً من بعض الأطفال في المنزل والمدرسة والزقاق والشارع، فربما نرى الطفل يتحرش بالآخرين في باحة المدرسة أو يستولي على أكل أو وسائل لعب من هم أصغر منه فيبكون أو يفسد لعب الآخرين أو يؤذي الحيوانات. وخلاصة القول يشعر بالراحة إن تسبب في إطلاق الآخرين آهاتهم وإنزال دموعهم. .

الشغب، ما هو؟

في معرض الإجابة على السؤال أعلاه، نقول بأنه نوع من السلوك ونوع من الصراع والتناحر المؤدي إلى إثارة مشاعر الآخرين وإغضابهم. . الشغب هونوع من العداء أو الخصومة التي لا دليل عليها، وبعبارة أخرى هو الإقدام على أذية شخص آخر لم يدفعه أو يحفزه على مثل هذا الفعل.

صور الشغب قد تبدو أحياناً في البعد الخلقي وأخرى بالتفكير المغلوط وثالثة في السلوك المؤذي ورابعة في السلوك المتمثل بالإيقاع بين الأشخاص، ولذا فالطفل المشاغب لا تقيده الأنظمة والمقررات الإجتماعية ولا يراعي ضوابط المجتمع كما أن تصرفاته غير طبيعية.

ولبحث الحالة المتوافرة يجب التنبيه هنا إلى أنها ليست مخيفة ومرعبة بالشكل الذي يتصوره بعض الناس، ولو عرفنا سببها لأمكننا معالجتها. إن الضرورة تحتم علينا تأهيل ومعالجة الطفل المشاغب من جهة أن التساهل في الموضوع ربما يقود إلى أن تصب المصائب والإبتلاءات على رؤوس الآخرين.

ملاحظة:

إن الشغب ليس دائمياً أو مستمراً وكثير منه يمكن معالجته بسهولة وسرعة أما دورة الشغب لدى الطفل فغالباً ما تكون قصيرة إذ تظهر بصورة أزمة ثم سرعان ما تزول.

وإن طالت مدته أمكن معالجته بعد الوقوف على علل بروزه، على أن ذلك يستلزم من المربي التحلي بالصبر واتباع منهج عقلائي ومنطقي.

ومن الضروري الإشارة هنا أيضاً إلى أمر بديهي في الوقت نفسه بأن كل طفل ـ وخاصة ممن هم في السنوات الأولى من عمرهم ـ يكون مؤذياً ومشاغباً إلى حد ما ويتمرد أيضاً، لكن الحالة إذا خرجت عن الحد الطبيعي كان لا بد من التفكير بحل، ما يستوجب معرفة الأسباب وإلا لما أمكن الإصلاح والمعالجة.

الأسباب والدوافع:

السؤال هنا لماذا الطفل يشاغب؟ وهل هذه الأفعال فطرية وطبيعية أم لها علل ودوافع عارضة؟..

فيما يلي نقاط يمكن الإشارة إليها بصفتها أسباباً ودوافع للظهور بحالات الشغب:

١ ـ **التقليد وتعلم الحالات السيئة**: يتميز الأطفال بالقدرة على التقليد، فما يرونه من الأب والأم والمربين والأصحاب يقومون به، ولقد قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام « إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته.. ».

ولذا فإن زرعت فيه بذور الخير فإنه سيظهر بالخير والعكس بالعكس.

٢ ـ **الثأر**: يغضب الطفل أحياناً في مقابل تصرفات الوالدين لكنه غير قادر على الإنتقام فيعمد إلى تحين الفرصة والثأر. ولإنه لا يفكر بالمستقبل فإنه يتصرف كمبتدئ، أي يقدم على ما يعرف بالشغب.

٣ ـ **الإحساس بالذل وعملية التعويض**: إن الشعور بالنقص نفسه يعد بحد ذاته عاملاً لارتكاب الشغب؛ فمواجهة الطفل باللامبالاة وعدم إشراكه في اللعب وشعوره بالعزلة كل ذلك سيتحول إلى ضربات خطرة يظهر مفعولها في حينه حيث يحاول إخلاء عقده وهمومه بهذه الطريقة وتسكين فورته.

٤ ـ **الإنتقام**: الشغب يكون أحياناً بسبب شعوره بأن الآخرين عمدوا إلى تحطيم شخصيته، فيفكر في الإنتقام وتسكين ثورته عبر ذلك فيرى في التمرد والمشاغبة وسيلته إلى إثبات وجوده وظناً منه بأنه ينتقم ممن وصفوه بما يشينه لكنه في الواقع انتقم من زيد بدل عمر.

٥ ـ **إختبار القدرات**: يقوم بعض الأطفال باختبار أنفسهم وقوة عضلاتهم مثلاً، أو يريدون أن يعرفوا إن كانوا قادرين على التصويب بصورة جيدة أم لا.. وحينئذ يرتفع صوت الجار بسبب تهشم زجاجه أو بسبب التعدي على الآخرين في الزقاق وأذيتهم.

٦ ـ **حب التفوق**: البرهنة على تفوقه على الآخرين وإرضاء غروره وأنانيته سبب آخر للمشاغبة، فالطفل المشاغب يحب أن يرى ضحيته وهي في حال سيئة ليجلس هو بعد ذلك في زاوية فرحاً بما فعله.. إنه يتبع في ذلك سلوكاً غير إجتماعي بل وتخريبي يروم من خلاله وضع الآخرين في دوامة أفعاله.

٧ ـ **الفضول وحب الإطلاع**: يظهر شغب الطفل تارة بصورة العبث بالأشياء وتارة أخرى بكثرة الكلام والصخب وهي حالات تصنف في مفهوم الفضول وحب الإطلاع وليس الشغب، فهو لا يريد من ذلك أن يضجر الآخرين بل يود أن يطّلع أكثر فأكثر على هذه الحياة المليئة بالأسرار أو يرغب في أن يعرف ماذا يحصل إن هو فعل كذا وكذا وما هي ردود فعل والديه على ما يصدر منه.

٨ ـ **النمو**: إن نمو الطفل يوجد فيه فوراناً في حياته سواء في البعد المادي أم المعنوي، فالإنسان يواجه في مراحل نموه قضايا جديدة إن لم يتجاوزها بالصبر والتأمل فإنها ستترك أثرها عليه.. إن كثيراً من الشغب تعود جذوره إلى مسيرة نمو الطفل حيث يكتسب بمرور الأيام قدرات مدهشة وقوة لا بد من استعمالها، وإذا لم تكن تربيته أو عقله بالمستوى الجيد فإن استعمالها سيكون في الإتجاه المذموم وغير السليم.

٩ ـ **المرض**: تعد الإصابة بأمراض نفسية مدعاة للشغب، فعندما يشتد المرض والألم بالمرء يفقد سيطرته على نفسه فيقوم بأي عمل يخطر على باله بغية تسكين ألمه.. يسب الآخرين ويؤذيهم وحتى يضربهم. إن المجانين والمصابين بأمراض نفسية يؤذون الآخرين بسبب آلامهم بل ويستمتعون بأذية الآخرين ويعتبرونه نوعاً من الترفيه عن النفس.

١٠ ـ **نبذ الطفل**: يشاغب الطفل أحياناً بسبب إحساسه بأنه منبوذ من

الآخرين أو أن والديه لا يحبانه.. حينها يرى أن كل ما لديه في خطر فيشاغب ويفك عن نفسه القيود والحدود التي كان يقبلها. إن النبذ والطرد يكونان ممكنين حينما يظهر منه الكلام البذيء وبعض الأمور السيئة التي تنم عن نيته في الإنتقام.

على طريق الإصلاح والتأهيل:

بصفتنا مربين نهدف إلى تحسين الوضع التربوي للأطفال وإصلاح سلوكهم لا دفعهم لركوب طريق الفساد والذل والهوان الأمر الذي يستلزم اتباع الأساليب الصحية والسليمة وصولاً إلى الهدف المنشود..

١ ـ **معرفة وفهم الطفل**: في الدرجة الأولى ينبغي معرفة وفهم الطفل حتى يمكن العمل على إصلاحه وتأهيله.. يجب الإطلاع على شخصيته وطريقة تفكيره وسلامته والأخذ بعين الإعتبار مدى ما يعيشه من حرمان أو رفاهية. على المربي أن ينظر إن كان تصرفه الفلاني نابعاً عن نموه أم من مرض ألم به أو بسبب الدلال أو الشعور بالنقص، فالجهل بهذه الأمور يحول دون نجاح مهمة الإصلاح.

٢ ـ **الموانع**: يعد وضع العقبات أحد السبل التي تمنع الطفل من المشاغبة سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة، فعندما يريد أن يؤذي يجد أمامه ما يمنعه ويذكره في الوقت نفسه بأن هذا الفعل غير صحيح، ولو تكرر هذا الموقف ترك أثره بشكل كبير عليه.

٣ ـ **التسلية**: من الأساليب الناجعة في تأهيل الأطفال إشغالهم بما يفيد بحيث أنه لا يجد فرصة للمشاغبة، فالفراغ يعد نوعاً من البلاء إذ يمهد للإنحراف وإيجاد الفساد. ينبغي تكليف الطفل بعمل ما من قبيل تصفيف الكتب وسقي الأزهار واللعب بالدحل و... هذه الأفعال تترك أثرها على الطفل أكثر بكثير من النصيحة والموعظة.

٤ ـ **عزله عن أقرانه**: إذا سلمنا بأن أقران الطفل ومن يلعب معهم من المشاغبين لهم أثر سلبي على سلوكه كان لزاماً علينا عزله عنهم إذ سيكون لهذه الخطوة أثرها على تقليص مساحة وحجم مشاغباته وسلوكه المذموم إلى حد كبير.

يكتسب المرء أخلاق المجموعة التي يتواجد فيها، فيقبل حالاتهم وأوضاعهم ويقدم على أعمال تحظى عادة بتأييدهم الأمر الذي يعد أحد أسباب وجذور كثير من المفاسد الإجتماعية.

٥ ـ **الملاطفة والوعظ**: لا يمكن للتهديد والتأنيب أن يترك أثره دائماً في تهدئة الطفل، والملاطفة وحتى النصيحة والمحبة لها بالغ الأثر في مقابل العصيان والمشاغبة على أن استغلال الطفل لهذ الأسلوب واستمراره في سلوكه الخلقي المشين يستدعي من المربي العزوف عن هذا النهج واتباع نهج آخر. على الآباء والأمهات والمربين أن يستخدموا النصيحة أولاً وافهام الطفل أن العمل الفلاني غير ممدوح وأن وقعها ـ النصيحة ـ سيكون كبيراً جداً إذا كانت مصحوبة بالمحبة والعطف.

٦ ـ **المعالجة السلبية**: المعالجة السلبية من طرق إصلاح الطفل، وهي بمعنى أن يُترك المكان إذا ما عُرف أنه سيبدأ شغبه؛ فإذا أظهر الطفل ما يدل على بدئه المشاغبة مثلاً أمام الوالدين تركا الغرفة له أو تخليص الطفل الذي سيتعرض لشغب الطفل المشاغب وعدم منحه الفرصة أو عدم المبالاة بصراخه وعربدته حيث سيتعب بعد مدة وسينثني عن مواصلة هذا الفعل.

٧ ـ **المعالجة**: إن كثيراً من الشغب الصادر عن الطفل ناجم عن مرض يعاني منه، ولذا فالنصيحة والموعظة غير مجدية في مثل هذه الموارد بل يفترض أخذه للطبيب أو لطبيب نفسي لمعالجته فأحياناً يكون القرص المهدىء أو أي دواء آخر أنفع من ساعات من النصيحة أو التهديد وأحياناً

تكون المشاورة العلمية مع عالم نفس أو مناقشة الموضوع معه كفيلة بحل المعضلة.

٨ ـ **أساليب أخرى**: هناك طرق أخرى يمكن بواسطتها إصلاح الطفل وتأهيله ليس بالإمكان التطرق إليها بل يمكن الإشارة إلى بعضها، وهي:

ـ الثأر بصورة عملية والمقابلة بالمثل حتى يعرف أثر عمله.

ـ سرد القصص والتعريف بالأشخاص الجيدين.

ـ إصلاح وتعديل المربي أسلوبه.

ـ تبيين عواقب الأمور.

ـ التهديد والتنبيه.

ـ تقديم أسوة حسنة.

وفي كل الأحوال ينبغي للمربي أن لا يظهر بمظهر الضعيف لأن ذلك قد يزيد من جسارة الطفل عليه خاصة وأن الصمت علامة الضعف والهوان ولذا ينبغي الإنتباه إلى أن جواب القوة والضرب يجب أن يكون بالقوة والضرب أيضاً حتى يحس بالألم الذي يسببه للآخرين.

نقاط حول إصلاح حالات الشغب:

من الضروري الإلتفات إلى النقاط التالية في عملية إصلاح وتأهيل الأطفال المشاغبين:

١ ـ إن المشاغبة تكون حالة طبيعية في بعض مراحل العمر خاصة بين السادسة والسابعة من العمر، ومن غير الطبيعي أن يتوقع الهدوء من هؤلاء.

٢ ـ ينبغي أن لا يجري في عملية التأهيل عدم إبقاء أي شيء من مقاومة الطفل وتجريده من قدراته لأن هذا الأمر سيؤدي إلى تحطيم إرادته.

٣ ـ ينبغي السعي في إصلاح الأطفال إلى تقوية إرادتهم حتى يمكنهم الحفاظ على أنفسهم.

٤ ـ من الخطأ مواجهة الأفعال السيئة للطفل دوماً برد فعل سيء فقد يتطلّب الأمر مقابلته بالموعظة والنصيحة والوعي.

٥ ـ العمل على أن لا تقوده الأحداث والظروف للإختلاط مع أي كان ويكون عرضة للتلقينات والفساد لأنه سيتأثر بها تدريجياً وقد ينصهر فيها.

٦ ـ الأطفال الذين يحاولون كسر القانون يسعون لأن يكونوا في ظروف استثنائية، لذا يجب أن يخضعوا لرقابة أكثر جدية.

٧ ـ ينبغي السعي ما أمكن أن لا نكون في موقف المواجهة الجادة التي لا رجعة فيها مع الطفل لأن ذلك يعني الهزيمة الحتمية له أو للمربي وكلا الحالتين لهما عواقبهما الوخيمة.

الفصل الرابع

إصلاح الإنحرافات الجنسية

إن وجود الغريزة في الإنسان والحيوان أمر مفروغ منه وفيه السبيل إلى ديمومة الحياة وبقاء النسل..

والرؤية التربوية تركز على إصلاح الغريزة والسيطرة عليها وليس إيقاظها وتكريسها، على أن وجودها في الإنسان تجعله كالمفترس الذي لا يؤذي أحداً عند المنام وخطراً عند اليقظة إلا أن يتم ترويضه.

وبالرغم من أن امتلاك الإنسان للغريزة أمر ضروري فإنها تتسبب في بروز حالات تنطوي على مصاعب تربوية غير طبيعية وظهور انحرافات وفساد لا هو لمصلحة الفرد ولا هو لمصلحة المجتمع والتلوث الناجم عنها نفسه الناجم عن باقي الغرائز فيما الأخطار الناجمة عنها تهدد الحياة السعيدة للجيل الواعد.

بداية الإنحراف الجنسي:

تصاحب الغريزة الجنسية الإنسان منذ ولادته لكن تفتحها الطبيعي يبدأ مع السنوات الأولى للفتوة ويكون معه البلوغ لكنه في بعض الحالات وبسبب أخطاء تربوية وأخرى نابعة عن جهل تظهر علامات الغريزة لدى هذا الشخص

قبل بلوغه العقلي مما يتسبب في بروز الإنحرافات.

من الضروري هنا الإشارة إلى الأسئلة الجنسية التي يطرحها الطفل في مرحلة ما بين الثالثة والرابعة من عمره وهي على سبيل المثال: ماما ؛ من أين أتيتِ بي؟ من أين يأتي الطفل إلى الدنيا؟ وما شابه ذلك من الأسئلة التي هي ليست من الإنحراف في شيء بل نابعة من حب الفضول والإستطلاع، وعلى كل حال لا بد من الإجابة على أسئلته وإقناعه بشكل ما. وكذلك قرب الأطفال من بعضهم الآخر في سنوات ما بين السادسة والثانية عشرة والمحبة التي تظهر فيما بينهم لا علاقة لها بالبعد الشهواني لأن لا نمو جنسياً في هذه السنين.

لكن الذي ينبغي مراعاته هو أن لا يكون أسلوب المربي بما يجعل الطفل ينساق إلى الإنحراف أو أن لا تقوده علاقاته مع الأكبر منه سناً أو الأطفال المنحرفين إلى الإنحراف.

أضرار الإنحراف:

للإنحراف الجنسي أضرار وأخطار لا يمثل الفساد الخلقي سوى واحد منها.. التهتك والصلافة واللامبالاة وعدم الإلتزام بإنجاز المهام من عوارض الفساد الخلقي، ومن عوارضه الأخرى الإنحلال وفقدان الهوية وشيوع أبناء الزنى والتشرد وتوقف عملية النسل في بعض الحالات.

إن الإنحرافات التي هي انحياز عن الطريق الصحيح والطبيعي، تتسبب في بروز أمراض عضوية وعصبية ونفسية وبالتالي فإنها تؤدي إلى التنكس وبلوغ الشيب قبل أوانه والخمول وعدم الرغبة في الأشياء والإستسلام من أجل أهداف دنيئة وصغيرة ومن ثم موت الفجأة ولهذا تضمنت الشريعة الإسلامية سعياً حثيثاً للحؤول دون الإبتلاء بالإنحرافات وفرض رقابة ملحوظة على المسلم.

الإنحرافات ومنشؤها:

هناك أجوبة متعددة للسؤال المتعلق بمنشأِ الإنحرافات الجنسية نتعرض إلى جانب منها:

١ ـ **المرض**: تكون الإصابة بدودة تتسبب في ظهور حك حول الخاتم والعبث في المنطقة القريبة من المجرى البولي مدعاة لبروز الإنحراف، فالطفل يشعر باللذة من جراء العبث وملامسة آلة التناسل الأمر الذي يجره إلى الإستمناء فيما بعد.

٢ ـ **النمو**: يعد عمر الأشبال والبلوغ عمر اليقظة والصحوة، فيكون الشخص فيه حساساً ويعي ما حوله.. في هذا السن تحدث تغييرات فسيولوجية ونفسية تتسبب في ظهور اضطرابات فيه وربما تقوده أحياناً إلى الإنحراف، ومما لاشك فيه أن مراقبة الوالدين في هذا المجال والسعي في تقويم ولدهما له أثره في صونه من الإنحرافات.

٣ ـ **الملامسة والعلاقات**: من المعروف أن اللمس أساس الإنتباه إلى مثل هذه الأشياء، كما أن تلامس الفخذان أثناء النوم أو تلامس جسدين أو احتكاك آلة التناسل بشيء ظريف أو باللباس الداخلي الناعم أو تقبيل الوجه في سنوات النمو وما إلى ذلك.

٤ ـ **الإثارة**: المقصود من الإثارة هي ما كانت بواسطة العبث بآلة التناسل وتدافع الإدرار والخروج وقراءة القصص المثيرة والإستماع إلى القضايا الزوجية ورؤية المشاهد الخاصة بها أو رؤية أفلام الإنحلال والتهتك ومشاهد العري حتى قبل البلوغ.

٥ ـ **التقليد**: الطفل موجود مقلد وقدرته في هذا المجال تفوق كافة الحيوانات، فهو يمارس التقليد أحياناً دون أن يعرف ماذا يفعل ولذا فانحراف صغار السن ينشأ أيضاً عن هذه الطريق.. وفي الحقيقة أن ما يشاهدونه في

البيت أو المجتمع يطبقونه عملياً ما يعني أن الوالدين تساهلا في أداء مهامهما.

٦ ـ **الإختبار وحب الإستطلاع**: إعتباراً من سن التمييز الذي يبلغ الذروة عادة بين السادسة والسابعة من العمر، يبدأ الطفل بإدراك التباين بين عالم المرأة والرجل وحينئذ يبدأ بالتفكير في المهام القادمة للأب أو الأم.. إن حب الإستطلاع والتفكير بعواقب الأمور يسوق الطفل في بعض الأوقات إلى القيام بأداء المراحل اللاحقة من عمره فيختبر نفسه إن كان قادراً على القيام بمهام المراحل اللاحقة أم لا؟ هذا بحد ذاته مقدمة للإنحراف.

٧ ـ **ملاحظات**: وعموماً فإن إرتباط الأطفال مع من هم في سن البلوغ له منافعه في بعض الجوانب شريطة أن يكون تحت الرقابة ووفق ضوابط خاصة وإلا نجمت عنه أخطار ليست بالحسبان خاصة وأن اليافع يكون متعطشاً ومنفتحاً لكن الطفل يكون في سن الحياء والخجل، وأحياناً يكون الخوف والخجل من قول "لا" مدعاة لانحراف الطفل.

على طريق إصلاح الطفل:

على الوالدين والمربين الراغبين في إصلاح الطفل وتأهيله أن يعلموا أولاً أن أساليب العنف والفضح والضرب ليست ناجعة في كل الحالات وكافة المواقف، ولا بد من التصرف بحنكة والعمل وفق ضوابط وأسس مدروسة أهمها:

أ ـ **الملاحظة**: ينبغي ملاحظة بعض الأمور فيما يتعلق بحياة الطفل وذلك ضمن عملية تأهيله وإصلاحه، وهي:

١ ـ **التغذية**: من الضروري الإهتمام بغذاء الأطفال المنحرفين وكذلك اليافعين عموماً؛ فلا بد من التركيز على أن يقوم غذاء الطفل على اللبنيات واستهلاك اللحوم بشكل متوازن وأكل الفواكه والأغذية العشبية والإمتناع عن

تناول البهارات والأغذية الحادة فذلك كله مما يؤثر في عملية التأهيل.

٢ ـ **الملبس**: ينبغي تجنب ارتداء الملابس الضيقة وخاصة الداخلية منها، ومن المفروض غسل الملابس الناعمة قبل ارتدائها، كما يستلزم أن تكون ملابس الطفل عريضة وواسعة وخاصة ملابس النوم التي ينبغي أن تكون مما يغطي فخذيه.

٣ ـ **الصحة**: مراعاة الجانب الصحي والحفاظ على نظافة منطقتي القُبل والدبر ما يؤدي إلى تقليل الحك والإثارة الخارجية وبالتالي تقليل مقدار العبث بهذين المنطقتين الأمر الذي يزيد من عامل الوقاية من الإصابة بالإنحراف. إضافة إلى ذلك ينبغي مراعاة الجانب الصحي العام من قبيل تنفس الهواء الطلق وبصورة صحيحة وكذلك عرض الطفل على الخلاء بصورة منتظمة والحؤول دون حصول حالة الإنقباض، وتنظيف الأسنان بالفرشاة.

٤ ـ **النوم**: يفترض أن يكون نوم واستراحة الطفل بالمقدار الكافي إذ ينبغي أن يتراوح نومه بين ثماني إلى تسع ساعات يومياً وأن يكون نومه واستيقاظه في ساعات محددة ذلك أن قلة النوم وعدم انتظامه يؤدي إلى تشويش في تصرفاته وفكره ما يمهد للإستجابة لصور الإنحرافات التي قد تواجهه.

ب ـ **الرقابة**: من الجدير بالوالدين والمربين ممارسة الرقابة على علاقات الطفل مع الآخرين، ومن ذلك:

١ ـ **علاقة الطفل بزملائه**: ينبغي للوالدين وأولياء الأمور أن يعرفوا زملاء أولادهم ويراقبوا علاقاتهم معهم، ويعلموا أين يذهبون؟ وماذا يفعلون؟ وما هي أعمار هؤلاء الزملاء؟ وفي أية مرحلة دراسية؟..

٢ ـ **العلاقات بين الأب والأم**: يجب أن تكون العلاقات الخاصة بين الأب والأم بعيدة عن أعين الأطفال خاصة وأنهم يكونوا حساسين وفضوليين

جداً في هذا المضمار. . إنه لمن الخطأ أن لا يستر الأب أو الأم جسدهما عن أعين الأطفال ويمهدا بذلك لإثارتهم مستقبلاً، كما لا يحق لهم أن يردوا غرفة نوم الوالدين دون استئذان، هذا فضلاً عن ضرورة أن تحافظ الأم على عفتها فلا يحق لها أن تغير ملابسها أمام أطفالها أو أن تمشي شبه عارية أمامهم.

٣ ـ **علاقة الوالدين مع طفلهما**: إن الإسلام الحنيف لا يسمح بأن يقبل الأب وجه ابنته المميزة أو أن تقبل الأم وجه ابنها المميز وإن كان لا بد من التقبيل فعليهما تقبيل الجبهة. . وفي نفس السياق يمنع من اصطحاب الأم لابنها المميز للحمام وكذلك الأب ليس له أن يفعل ذلك مع ابنته المميزة، ويمنع الإسلام الحنيف أن يضم الوالدين والأولاد غطاء واحد إلا أن يفصلهم حائل عن بعضهم.

٤ ـ **العلاقة بين الأخ والأخت**: إذا بلغ الأولاد سن التمييز صار لزاماً التفريق بين الأخ وأخته وبين الأخ وأخوه وبين الأخت وأختها في الفراش ومن ثم الفصل بينهم في الغرفة فيما بعد إن أمكن وإذا تعذّر ذلك بسبب ضيق اليد فيمكن تقطيع الغرفة بواسطة مد ستار بين طرفيها مثلاً.

٥ ـ **وسائل الإعلام**: قد تتسبب وسائل الإعلام والكتب والأفلام والروايات والصور والبوسترات وبرامج الإذاعة والتلفزيون في خلق نوع من الإثارة وتفتح الطريق أمام الطفل للانحراف مما يستدعي من الوالدين المراقبة.

ج ـ **توفير الأرضيات**: بغية الحؤول دون انحراف الطفل جنسياً، يجب توفير الأرضيات اللازمة والتي منها:

١ ـ **توفير العمل**: يستحسن أن يتم إيجاد عمل للطفل ينشغل فيه فكره وعضلاته ويملأ فراغه. . سواء أكان هذا العمل دراسياً أم بدنياً أم فكرياً. هذا العمل ضروري أيضاً حتى في أيام العطلة وعموماً لا ينبغي أن يذهب الطفل

إلى الفراش وهو لا يزال غير تعب وغير مستعد للنوم.

٢ ـ **العفة والأخلاق**: التحدث للطفل عن الطهارة والأخلاق والعفة مهم جداً في عملية التأهيل، وفي هذا الإطار ينبغي حثه على التحلي بالعفة والحفاظ على الشرف وعدم التفريط به مهما كان الثمن والتمسك بعاملي الطهارة والنزاهة.

٣ ـ **الزواج**: وفي كل الأحوال فإن الحل المثالي هو الزواج ؛ إذ يجب على الوالدين التفكير بشأن زواج أولادهما منذ السنوات الأولى للبلوغ لأنه واحد من حقوقهم عليهما وبالتالي حل الموضوع من خلال الطرق الشرعية. لا شك أن هناك مشاكل عديدة تتعلق بالتحصيل الدراسي والشغل وما شابه ذلك لكننا نعتقد بأن النظام الدراسي القائم ينبغي تغييره وعلى الوالدين تبني ولاية الأولاد إلى جانب مراعاة حق الإستقلالية.

٤ ـ **إقامة حفلة الخطوبة**: إن هذه الخطوة تعد ضرورية بالنسبة لمن هم في سن البلوغ وبإمكانها أن تحد إلى حد ما من الإنحرافات، هذا مع توفر الظروف اللازمة ولو بالحد الأدنى.

د ـ **العوامل الترفيهية**: يعد هذا الأسلوب بحق أحد الطرق الإصلاحية ونوعاً من الرقابة في الوقت نفسه، وصوره متعددة وكثيرة جداً نشير إلى جانب منها:

١ ـ **أعمال التسلية وملء الفراغ**: أعمال من قبيل الزراعة وحرث الحديقة وسقي الزهور وزرع الخضروات وإعداد المجاميع المفيدة (كمجاميع الطوابع أو صور الحيوانات أو. .) وقص المواضيع من الصحف والمجلات وجمعها وتصنيفها وغير ذلك من الأعمال التي يمكن أن تكون ذات فائدة في هذا المضمار.

٢ ـ **الرياضة واللعب**: من الأمور التي تستهلك طاقة الجسم وتملأ

الفراغ وتحول دون سلوك جادة الإنحراف، الرياضات الفردية والجماعية والمشي في الهواء الطلق، وكذلك الألعاب الجماعية وتسلق الجبال والفروسية.

٣ ـ **الأعمال الفنية**: وفي السياق ذاته يمكن الإشارة إلى الرسم والتطريز والحياكة وتصليح الأجهزة المعطلة والإبداع والإختراع وحل المسائل الفكرية.

٤ ـ **المطالعة**: وهناك أيضاً مطالعة الصحف والمجلات المفيدة والمقالات العلمية.

٥ ـ **المشاركة في الأوساط المختلفة**: من المفيد أيضاً الإنضمام للأوساط العلمية والمشاركة في البحوث والمناظرات والمؤتمرات والمسابقات الشعرية والتحقيقات بما يتناسب مع عمر الطفل.

هـ ـ **الممنوعات**: ينبغي الانتباه إلى النقاط التالية:

١ ـ **الإختلاط**: يجب أن لا يكون هناك اختلاط بين الجنسين في البيئة الواحدة، وهذا ليس بمعنى منع أحدهما من التحدث إلى الآخر عند الضرورة بل فهم أن هناك تباين بين عالمي المرأة والرجل ولا بد من الإقرار بهذا التباين.

٢ ـ **بقاء اليد داخل الفراش**: من الضروري بالنسبة للأطفال الذين يعانون من أحد أنواع التلوث أن تكون أيديهم خارج الفراش، فهذا العمل يمنع من حالة العبث وحتى الإستمناء.

٣ ـ **العزلة**: ينبغي الوقوف بوجه حالات الإنعزال الطويل والمتكرر وفي ساعات معينة إلا أن يكون الوالدان على علم بموضوع الإنعزال وتحت إشرافهما والدخول على الطفل بشكل مفاجئ لتقصي وضعه.

٤ ـ **البقاء والتقلب في الفراش**: يجب تعويد الطفل على أن يغادر فراشه فور استيقاظه كما لا يقبل عليه إلا إذا أخذه النعاس، ويمكن للوالدين أن يرفعا غطاء الطفل بعد استيقاظه فجأة ليقطعا عليه خموله ويعرفا في الوقت نفسه الوضع الذي هو فيه.

٥ ـ **إثارة الأعصاب**: من الخطأ إثارة أعصاب الطفل لأن ذلك يولد اضطراباً لديه مما يجعله يبحث عما يهدىء أعصابه وبالتالي القيام ببعض الأعمال المشينة.

٦ ـ **العلاقات المغلوطة**: لا يحق للأب أن يحتضن ابنته التي ناهز عمرها العاشرة ويقبلها وكذا هو الحال بالنسبة للأم مع ابنها فهذه الأفعال من شأنها خلق حالة نفسية لدى الأولاد والتفكير بالقضايا الجنسية وفهمها قبل الأوان والدخول في معتركها.

و ـ وصايا: هنا نلفت نظر أولياء الأمور إلى النقاط التالية:

١ ـ إن إزالة علامات التلوث من الأطفال يحتاج إلى مراعاة أساليب مدروسة لا إلى الضرب والسوط، إلا إذا انعدمت الحيلة وبات التذكير والتحذير عقيماً لا جدوى منه.

٢ ـ أن لا يتم إراقة ماء وجه الطفل أمام الآخرين، وعدم فضحه لأن ذلك يقود نحو الأسوأ.

٣ ـ يجب أن لا تكون الرقابة بحيث يعرف الطفل بها وإلا صار يلجأ إلى أماكن أكثر أماناً بالنسبة له ولما يقوم به.

٤ ـ إن كانت أفعاله المذمومة التي تفصح عن انحراف فيه في ساعات وأيام معينة من الأسبوع فمن الأفضل إعداد برنامج له في هذه الساعات لإشغاله عن تلك الأفعال.

٥ ـ يجب منع الذكور من مخالطة الإناث بصورة مستمرة لأن ذلك يسرّع في بروز الرغبة الجنسية فيهم ويثير لديهم الغريزة أسرع.

٦ ـ إن وجد الطفل الصغير يمرغ نفسه بأشياء صلبة فعلى أولياء الأمور أن يسارعوا لمعالجة الحالة.

٧ ـ من المناسب تسلية الأطفال بوسائل اللعب أثناء النوم حتى تبقى أيديهم خارج الغطاء.

٨ ـ لا تجبر الطفل أبداً على الإعتراف بخطئه أمام الآخرين بل يجب أن يكون التذكير والإصلاح سرياً وإلا تحطمت شخصيته.

٩ ـ يجب أن يكون التصرف مع الطفل وكأنه تصرف مع شخص أهل للثقة لا كشخصٍ مشرد ومريب أمره.

١٠ ـ إن النزوات العابرة والطفولية مصيرها الزوال.

القسم الثاني عشر
الإصلاحات النفسية

نحاول في القسم الفعلي مناقشة بعض جوانب التمرد والعصيان في الطفل من الناحية النفسية وذلك عبر أربعة فصول:

في الفصل الأول سيتركز الحديث حول الغضب وأسبابه مع التعرض إلى صوره ونشوئه وأضراره مع الإشارة إلى الحالات التي يكون فيها ضرورياً، ومن ثم نتحدث عن موقف المربي والسبل الكفيلة والناجعة في إطفاء نار الغضب وبعدها يتم ختم الفصل بتوجيه بعض التحذيرات للمربي وذكر بعض الملاحظات.

الفصل الثاني سيتحدث عن الخوف وأنواعه وصوره وضروراته وآثاره ونشوئه ومن ثم العوامل المساعدة على تفاقمه وبعد ذلك التعريج على طرق معالجته مع الإشارة إلى فوائد الحنان والتفهيم والوعظ والجرأة وتوفير البدائل وتغيير البيئة والمعالجة الطبية والنفسية.

موضوع الحسد وإنقاذ الأطفال من هذه الخصلة وماهية تصورات الحسود وكيفية معالجة الحسد مع تذكير المربين ببعض الأمور، سيتضمنه الفصل الثالث من القسم الثاني عشر.

أما الفصل الرابع فيجري الحديث فيه عن الملل والضجر ومصاديقه والآثار المترتبة عليه وكذلك السنوات التي يزداد فيها وبعد ذلك سنتطرق إلى العلاج ثم يختتم الفصل بالإشارة إلى بعض النقاط المهمة في هذا المضمار.

الفصل الأول

الغضب

الغضب هو صورة من الشعور بالعداء إزاء الأشخاص وأحياناً ضد الأشياء وهذه الصورة في الحقيقة تعتبر إعلاناً عن عدم ارتياح داخلي. . عندما لا يشعر الطفل بالراحة من وضع أو تعامل ما يقابله بالغضب ويسعى إلى أن يترجم ذلك الغضب بشكل ما فيستخدم كل الوسائل من أجل إعادة الوضع إلى الشكل الذي يريده.

دواعي الغضب:

ما هي الأمور التي تجعل الطفل يغضب؟ الجواب واضح. . أمور بسيطة وتافهة وفي بعض الأحيان صعبة ومهمة تساهم في إثارة غضب الطفل؛ فقد يكون الأمر بسيطاً كالبرد القارص أو الحر الشديد، وربما كان بعضهم يغضب بسبب الجوع أو العطش.

لكن الطفل قد يغضب في بعض الأوقات للحصول على امتياز ؛ فمن أجل الحصول على ما يريده يظهر بمظهر الغاضب ليقنع الوالدين ويستجيبا لمطالبه. وربما يكون الغضب بغية لفت الأنظار والبرهنة على أنه شخصية ينبغي الاهتمام بها.

أما إذا تكرر الغضب فمعنى ذلك إصابة الطفل بنوع من الأمراض العضوية أو النفسية مما يستدعي مراجعة الطبيب أو ذوي الإختصاص لمعالجته.

مصاديق الغضب:

يظهر الغضب بصور مختلفة مثل التعدي والضرب والتخريب ورمي الصحون والإساءة ورفس الأرض بقدمه والزعيق و..

وقد يعمد الغاضب إلى الزمجرة وسب من آذاه والتحدث عن الإنتقام والمعاقبة. وفي بعض الأحيان تراه يختلي بنفسه ويستغرق في تخيلاته وكأنه يريد أن ينفجر.. يعزل نفسه في زاوية لا يتكلم ولا يأكل قد أطرق برأسه وحملق في نقطة واحدة ومن ثم تنسكب عبرته وتنفجر عيناه بالدموع.

منشا الغضب:

فيما يتعلق بمنشأ غضب الطفل وما هي الدوافع الكامنة وراءه، هناك نقاط عديدة نشير إلى قسم منها..

يشعر الطفل أحياناً بأنه بات عرضة للتمييز والظلم والإجحاف؛ فحينما يتعارك هو وأخوه الصغير مثلاً يقف والداه إلى جانب أخيه الصغير في حين أن الحق معه وأن أخاه قد ظلمه بالرغم من كونه صغيراً.

يكون الغضب تارة بسبب عدم الإرتياح للوضع القائم ونفوره مما آل إليه أمره، وتارة أخرى يفتعل الغضب حتى يعرف مدى نفوذه وسيطرته على الآخرين، وثالثة ينفجر من الغضب بسبب قلة تحمله وعجزه عن إنجاز وتحقيق مطاليبه، وقد يكون نتيجة الإصابة بمرض ما فيشعر بنوع من النقص أو الحرمان كما أن الطفل يغضب أحياناً لشعوره بأنه قد تم التعدي على حقوقه، وهناك عوامل أخرى تسبب في غضب الطفل.

الغضب وبداياته:

المعروف أن الغضب موجود في كل مراحل العمر حتى في الطفل ذي الشهور الأربعة إذ يترجم احتجاجه على طريقة رعاية الأم أو الممرضة له بالغضب والعناد حتى يصعب تهدئته، وقد تصل لجاجة هؤلاء الأطفال إلى الحد الذي ينقطع نفسهم معها بسبب صراخهم وزعيقهم.

على أن الغضب يتضاعف بشكل ملحوظ في مرحلتين الأولى بين الثانية والثالثة حيث يكون الطفل حساساً اتجاه بيئته ويريد أن يجد حريته ويرسخ مكانته داخل العائلة، والأخرى في مرحلة البلوغ إذ تبرز إلى السطح مسألة استقلاليته، أما على صعيد العموم فالطفل يغضب بسبب ضعفه في كافة المجالات والحاكمية المطلقة للوالدين والمربين.

أضرار الغضب:

يعد حس الإعتداء على الآخرين والتمرد، وهو من الصفات الرئيسة للمجرمين، من إفرازات غضب مرحلة الطفولة التي لم يسع الوالدان والمربون لإزالته من الطفل ومعاملة الحالة بصورة إيجابية، ولذا لا تقتصر أضرار الغضب على المصالح الفردية بل وحتى على المصالح الإجتماعية.

إن الغضب يجعل حياة الفرد والمجتمع مليئة بالصخب والغوغائية، حيث يسوق الفرد إلى أن يفقد السيطرة على نفسه فتهبط بذلك احتمالات السيطرة على سلوكه وتصرفاته إلى الحد الأدنى. إن الغضب لا يؤمّن مصالح الحياة للفرد بل يضمر فيه الحقد والتعدي والضرب والتهشيم والتخريب.

وربما يتسبب الغضب في هلاك الشخص نفسه حيث يضر بنفسه ويضربها أو يصاب بضيق النفس وجلطة قلبية ومن ثم..

الغضب خصلة ضرورية:

في الوقت نفسه الذي يتسبب فيه الغضب بأضرار كبيرة، فإن وجوده في الشخص أمر طبيعي وضرورة لا بد منها؛ فبه يمكن التغلب على كثير من العقبات والإستعداد تماماً لمواجهة مشاكل ومصاعب الحياة. من الخطأ قمع الغضب والقضاء عليه بل الصحيح يجب السيطرة عليه ومعرفة كيفية الإستفادة منه ومتى يكون.

إن الشعور بالغضب أمر ضروري بالنسبة للطفل وطبيعي في الوقت نفسه؛ فلا ينبغي لومه لأنه يغضب ولو انعدم منه الغضب فقد قدرته الدفاعية وحينها سيكون شخصاً ذليلاً سيء الحظ سريع الإستسلام للمشاكل. ليس صحيحاً أن يجري الإصرار على أن لا ينفعل الطفل ولا يصير عصبياً أبداً لأن هذا القرار نفسه يثير الغضب.

الغضب غريزة مكنونة ولا يمكن تجنبها ولا ريب في ضرورتها شريطة أن تكون بالمقدار العادي الذي يستطيع الغاضب السيطرة فيه على نفسه فلا يتسبب بالضرر لا لنفسه ولا لمن حوله.

موقف المربي:

ليس الغضب لدى الطفل مما يثير القلق لأنه أولاً يمكن إصلاحه وثانياً ليس هناك ما يدل على استمراريته في المستقبل فوضع الطفل وحاله يتغير كثيراً من مرحلة إلى أخرى.

في الجهة المقابلة لا ينبغي مقابلة غضب الطفل بموقف متزمت وغاضب، كما لا يمكن ممارسة أسلوب الترهيب والترغيب من أجل ضمان انصياعه وذلك لسببين الأول أن احتمال نجاحه ضئيل والثاني تحطم شخصية الطفل في حال نجاح الأسلوب وبالتالي يعيش التخبط والضياع.

تثار أعصاب الطفل ويزداد عناده إذا ما استهزئ بشخصيته وقل الإهتمام بتصرفاته وسلوكه والقيام بما يدل على تصغيره والتقليل من شأنه. . إن الطفل يحاول ومن أجل الحفاظ على كيانه واعتباره، كما هو شأن الكبار، الإفصاح عن رغباته مسلطاً الضوء على الأشياء بما يتناغم مع مصالحه مصراً على موقفه رافضاً الإستسلام ساحقاً كل محاولة تروم سحقه.

وفي كثير من الحالات يظهر الطفل مغضباً لأنه يريد التمتع بحريته ولذا وجب مراعاة استقلاليته، وإن نحن سلبنا ـ جهلاً ـ حريته أو وضعنا عقبة أمامها لم نقصّر فقط في إصلاحه وتأهيله وإنما ربيناه ليكون شخصاً ضعيفاً وذليلاً.

بغية تسكين الغضب:

تحتاج عملية تسكين غضب الطفل إلى عدد من الخطوات المنطقية، فالتهديد وتوجيه الإساءة إليه إن هو فعل كذا ولم يفعل كذا لن يداوي جرحاً ولن يعالج المشكلة من جذورها، بل ويبلغ هذا الأسلوب بالطفل أحياناً درجة الإنفجار. ربما يستطيع الوالدان ممارسة سياسة التضييق وخنق غضب الطفل لكن ذلك قد يجعله فيما بعد من العاصين والمتمردين والمضطربين وأيضاً عديمي الحيلة وهو مما ليس في صالحه ولا في صالح المجتمع.

ولحسن الحظ من الممكن معالجة حالات الأطفال هذه لاسيما وأنه لا يوجد طفل مغضب وثائر في طبعه وسريرته، أما طرق العلاج فهي متعددة نذكر منها:

١ ـ **المواساة**: إن مواساة الطفل والتعاطف معه وإفهامه أنه لم يكن من المفروض أن يحدث ما حدث، يمكن أن تعالج الحالة التي يمر بها الطفل وتسكن من فورانه وغضبه على عكس ما يفعله البعض خطأ وهو أن يزيدوا من الطين بلة ويأججوا نار غضبه بعبارات تؤذيه.

٢ ـ **الحنان والحب**: من الممكن احتضان الطفل الغاضب في بعض الحالات وإحاطته بالحنان والمسح على رأسه وتقبيله والتحدث معه بحنان، حيث يخف الضغط عن الطفل فيظهر الدلال أولاً ثم يبكي وبعدها يعود طبيعياً.

٣ ـ **تغيير البيئة**: تتوفر الظروف في بعض الأحيان لإخراج الطفل من المكان الذي هو فيه واصطحابه إلى مكان آخر، فنصطحبه في نزهة أو نخرجه من الغرفة إلى الحديقة أو من الحديقة إلى الزقاق وهو أسلوب له أثره في تسكين فورة الغضب لدى الطفل.

٤ ـ **التلقين والتذكير**: التلقين أحد الأساليب التي يمكن اتباعها مع الطفل الغاضب بهدف تسكين غضبه، وفيها يتم تذكيره بأنك والحمد لله قد كبرت ولايليق بك أن تكون بهذه الصورة أو ليس صحيحاً أن تتصرف هكذا تصرف لأن هذا الفعل يريق ماء وجهك ويرهقك نفسياً ويضرك..

٥ ـ **التسلية**: قد يكون لبيت من الشعر أو عبارة وديعة أو مشهد معبر أو قصة تشير إلى الموقف بظرافة أثرها البناء في إنقاذ الطفل من الحالة السيئة التي يمر بها.

٦ ـ **المكافحة السلبية**: يمر طريق الإصلاح أحياناً في محطة المكافحة السلبية؛ فالطفل الذي يتحجج مثلاً بأمور واهية مفتعلاً صورة الغاضب والعصبي يمكن ترك الغرفة له حتى ينشغل بحاله ثم يرى نفسه وحيداً.

٧ ـ **التجاهل**: يلعب هدوء الوالدين وسيطرتهما على أعصابهما دوراً هاماً في تهدئة غضب الأطفال والتغلب على عنادهم فليس من الضروري الرد على الطفل دوماً وتأجيج غضبه. . نعم؛ ليس من الضروري مقابلة الطفل بالمثل فكثير من الأمور تحل بالصبر والتحمل والتجاهل وعدم الإهتمام بالموضوع.

٨ ـ **طرق أخرى**: من الطرق الأخرى تلبية حاجة الطفل وإجلاسه إذا كان واقفاً وتغيير الوضع البيئي ورش الماء البارد في الوجه بطريقة المزاح والظهور ببرودة أعصاب والتحفيز على الإستحمام والطلب منه تقديم تقرير عن عمله في ذلك اليوم وتغيير موضوع البحث وممارسة الرقابة الصحية دائماً تحسباً من الوقوع في الغضب و . . فكل هذه الطرق مفيدة في تسكين غضب الطفل وعصبيته.

تحذير للمربي:

ينتهج المربي أحياناً أسلوباً خاطئاً في إصلاح الطفل مما يشكل خطراً عليه من كافة النواحي، فربما يطرد الطفل الغاضب عنه أو يقابله بالمثل أو يكيل له اللوم والإهانات و. . . الأمر الذي ينتج ردود فعل خطرة على الطفل تتمثل في:

أن يترك الطفل المنزل إلى الأبد أو أن يرمي نفسه في أحضان الآخرين أو يبادر إلى العناد في مقابل الوالدين أو أن يقوم بما يضر بنفسه أو الآخرين خارج المنزل أو أن يعتبر نفسه في أقل الأحوال شخصاً معقداً وعاجزاً.

إن كلاً من ردود الفعل هذه تعد خطراً يهدد الطفل وحتى العائلة ولذا كان من الضرورة بمكان إختيار موقف عقلائي ومنطقي حيال غضب الطفل. . ينبغي السعي لحل المشكلة من الأساس والسير بحق على طريق الإصلاح، فما هي الفائدة من أن نقابل غضب الطفل برد فعل غير صحيح؟ وهل الهدف هو إجراء سباق في اختبار القوة؟ أليس المراد هو تأهيل الطفل وبناء شخصيته؟

ملاحظات حول التأهيل:

من اللازم مراعاة النقاط التالية في مسيرة معالجة حالة الغضب لدى الأطفال:

١ ـ حينما لا يتسبب غضب الطفل بضرر له أو لمن حوله فإن العلاج هو أن يتم عدم الإهتمام به.

٢ ـ ينبغي أن يتحلى القدوة للطفل في المنزل والمدرسة بصفات مثالية.

٣ ـ لا يحل الإلتزام بموقف متعنت والإبتعاد عن الأطفال الغاضبين شيئاً من المشكلة بل وسيجرح مشاعرهم أيضاً.

٤ ـ لا ينبغي الإستسلام أمام غضب الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين الثانية والثالثة من العمر بل يفترض المقاومة قدر الإمكان.

٥ ـ وفي الوقت نفسه يجب أن لا يجبر الطفل على الطاعة العمياء وإلا أضر ذلك بمستقبله.

٦ ـ الغضب لا ينبغي مقابلته بالغضب وإلا سيثير في الطفل شعوراً بالإستياء والنفور من المربي.

٧ ـ ترك أسلوب التهديد والترهيب في تهدئة الطفل لأن ذلك سيفقده ثقته بنفسه.

٨ ـ يمكن الإستفادة من التخويف شريطة ضمان عدم ترتب آثار سيئة على الطفل.

٩ ـ لا بد من مراعاة الحذر وأخذ الحيطة في عملية بناء وتأهيل الطفل، فلا يؤخذ الشيء الذي يحبه من يده مرة واحدة.

١٠ ـ يجب أن يراعى الجانب التدريجي للأمور في عملية إصلاح وتأهيل الطفل إذ من غير المنطقي أن نتوقع أنه سيطوي مراحل النمو دفعة واحدة، هذا فضلاً عن أن السرعة والتسرع تصاحبهما دوماً العثرات والسقطات.

الفصل الثاني

الخوف

يعد الخوف رد فعل لحالة هيجانية لدى الإنسان أو الحيوان وتترتب عليه تصرفات وأوضاع خاصة فيهما، أما وجوده في الإنسان فيعد أمراً طبيعياً بل وانعدامه في شخص ما يعد أمراً غير طبيعي إذ يعتبر ذلك ناجماً عن وجود خلل فيه فلا يخاف كأن يكون أصماً أو أعمى ويعاني من تخلف عقلي.

يوجد الخوف في كل واحد منا لكنه لا يخاف الكل من الشيء نفسه؛ فربما يخاف المرء من شيء ولا يخاف من شيء آخر وقد يرى شخص آخر بعكس هذا الشخص، بيد أن الجميع يصابون بالخوف في حالات معينة مثل الصوت المفاجئ والغموض في أمر ما والجهل به و . . .

أنواع الخوف:

يكون الخوف طبيعياً أحياناً كالخوف من الحيوانات المفترسة، والخوف من المتهور والمسلح خاصة حينما يكون المرء أمامه أعزلاً عديم الحيلة، وحالات الخوف هذه تنبع من الشعور بالخطر الحقيقي وهو أمر عقلائي في الإنسان لأنه يدفعه لدرء الخطر والسعي للإبتعاد عما يعرضه للفناء.

وأحياناً يكون الخوف غير طبيعي أو غير عادي وهو ما ينجم عن وجود خلل في الأشخاص مثل الخوف الناجم عن الخيال الذي لا أساس له وأمثلة ذلك خوف الطفل من الأشباح والأوهام حينما ترتفع درجة حرارته أو عندما يصاب باختلالات عصبية وهذه الأنواع من الخوف يجب أن يكون لها أسس طبية أو نفسية وينبغي معالجته.

وفي أحيان أخرى يكون الخوف إعتباطياً ومن دون أي أساس بحيث أنه يضحك من نفسه بعد أن يبلغ سن البلوغ بل حتى أنه يستحي من ذكرها فيما بعد؛ ومثاله الخوف من الصراصير مثلاً وبعض الطيور وباقي الأشياء التي سرعان ما يألفها الإنسان.

الخوف في صور:

يظهر الخوف أحياناً بصورة الرعب الذي يمر بمراحل تتعلق بالنمو مثل الخوف من مشهد لم يحدث بعد، أو كخوف البنت من الولادة وهي لم تتزوج بعد أو المرأة التي لم تنجب بعد وهي تخاف مما يحصل فيما لو وقع طفلها في البئر مثلاً.

ويظهر الخوف أحياناً من الأشياء المخوفة بحد ذاتها مثل الخوف من المفترسات وتارة من التهديدات، والتقريع، واللوم المستمر والعصبية والأوضاع المضطربة وغير الملائمة والتي تساهم بشكل ما في عدم توازن الشخص.

وفي الخوف النفسي تجد الطفل يخاف من كل شيء حتى من الكلب والقطة والطبيب والنائم والشرير أو الضياع في وسط المجموع ومن كل حادث يمكن وقوعه، وقد يبادر للزعيق والصراخ دون أن تكون أمامه ظاهرة مخيفة في مقابله ويلجأ للإختباء في حضن أحد الكبار.

كما أن الخوف على درجات متباينة من الشدة والضعف، فبعضها يمكن

تحمله ويستطيع المرء امتلاك أعصابه اتجاهه وبعبارة أخرى لا يظهر عليه، ومثل هذه الأنماط تكون ضعيفة لكن بعض أنواع الخوف تكون بحيث يفقد الإنسان مقاومته أمامها ويركن إلى زاوية ما أو تأخذه الرجفة ويصفر أو يحمر لونه و. . . وهذه الحالات يجب إصلاحها فيه.

الخوف.. ضرورة:

يعد وجود الخوف أمراً منطقياً وضرورياً إلى حد ما ؛ فما يخافه المرء من بعض الأشياء أو بعض الأمور كالوعيد يعتبر أمراً جيداً لضبطه، ولو صار الإنسان لا يخاف شيئاً مطلقاً فعندها يصعب تمشيته على ضوابط معينة.

الإنسان يعمل خوفاً من أن يجوع، ولا يسلك طريق الفساد خوفاً من القانون، ثم لا يعصي خوفاً من الجزاء والعقاب الإلهي وهناك من لا يرتكب الحرام ويتجنب الفساد بسبب الشعور بالعزة والشرف والإباء.

إن التربية الإسلامية تستثمر هذه الخاصية إلى حد كبير خاصة عند الأطفال ومن لا يقيده دين أو مبدأ وضابط اجتماعي في أفعاله. والطفل الذي لا يستجيب لأي ضابط وليس من حل لتأهيله لا مناص من اللجوء إلى إخافته وتهديده، كما أن القرآن الكريم يتطرق إلى عذاب جهنم للطالحين.

آثار الخوف وأضراره:

يصاحب الخوف عادة اضطرابات جسمية، وحيرة، واختطاف في اللون، وتعرّق الجسد، وضيق في النفس، والشعور بالإختناق وتسارع في دقات القلب. يكون الطفل تارة في حال تعرض سلامته للخطر بحيث يفقد الإنسان حينئذ قدرته وتتحلل قواه حتى لا يستطيع انتشال نفسه من ذلك المأزق.

تعود حالات الخوف التي مر بها الطفل أحياناً في مرحلة البلوغ فتسبب

له الإضطراب والقلق وربما الشلل في بعض الأوقات، وقد يتجلى على صورة الخوف من المستقبل.

وعادة يكون الخوف من التجمع، الخوف غير المبرر من النار، والخوف من أشياء يعرفونها في الغالب يصاحبه اضطراب وتشويش فيتألم الطفل من الداخل ويبدي ردود فعل لا يمكن فهمها.

علينا أن لا ننسى أن الخوف حالة معدية وإذا لم يجر السيطرة عليه فإنه سيصيب الآخرين؛ فمثلاً إذا أظهر الأب والأم الخوف في المنزل فإن الطفل سيتربى على الخوف بالتدريج وإذا كان الطفل يخاف من شيء فإنه سينقل خوفه إلى أخيه وأخته.

منشأ الخوف:

قبل أن نقف على طرق العلاج لا بد لنا من معرفة منشأ الخوف حتى يمكننا المعالجة من خلال ذلك.. أما منشأ الخوف فيمكن أن يكون بسبب العوامل التالية أو أحدها:

١ ـ **الجهل**: الجهل بلاء كبير إليه يعود كثير من حالات الخوف حيث الحقائق بالنسبة للأطفال غير معلومة؛ فمثلاً تعمد الأم إلى إخافة الطفل من المطة بسبب ما فيها من مكروبات ووساخة حتى يبتعد عنها ولا يفكر بالإقتراب منها. أو أن الخوف بدافع من الخيال ناجم عن أن ذهن الطفل محشو بأمور غامضة وذكريات قديمة وقضايا غير مرغوبة وتبعث على الإضطراب، كمشي الدمية في خيمة ألعاب السيرك ووجود أشخاص وأشياء وحيوانات غير معروفة بالنسبة له ومن الطبيعي أنه لو عرفها فإنه سيأنس بها بسرعة.

٢ ـ **إنعدام الأمن**: إن ما يخل بتوازن الطفل ويسلب منه راحته وهدوءه هو الشعور بعدم الراحة وانعدام الأمن؛ فغياب الأم عن الطفل يؤدي إلى الشعور بانعدام الأمن وبالتالي الخوف، كما أن عدم إيصال الغذاء للطفل يثير

لديه الإحساس بانعدام الأمن وحصول خلل بالتوازن وتولد الخوف.

٣ ـ **التعويد**: يتعلم الطفل بمرور الأيام بعض العادات ويشب عليها، ولو تضارب شيء مع تلك العادة تملكه الخوف.. قد يكون الطفل اعتاد على النوم إلى جانب أمه وإن اضطر يوماً إلى النوم لوحده فسيخاف وتأخذه الرهبة، والحال ذاته بالنسبة للطفل الذي لا يفترق أبداً عن حضن والدته وقد فرضت الضرورة عليه الإبتعاد عنها.

٤ ـ **التخيل**: يحصل التخيل أحياناً من تخيلات واهية؛ فربما يتخيل الطفل حادثاً في ذهنه ويطوره تدريجياً ويدخل فيه أموراً لا يراها ولا يعرف حتى ما هي ثم يتخوف من وقوع ذلك الحادث.. يتصور مشاهد غامضة ويخلطها مع ظواهر بحيث تكون مخيفة بالنسبة له.

٥ ـ **خطأ في أسلوب التربية**: بعض حالات الخوف ليس لها جذور طبيعية بل هي ناجمة من تربية خاطئة؛ فقد يخاف أحد أو كلا الأبوين من الخنفساء ويفران منها بمجرد رؤيتهما لها الأمر الذي ينعكس على الطفل فيخاف من هذا الحيوان أيضاً. أو يصير الطفل لجوجاً في موقف ما فتقول الأم له "إذا لم تسكت أعطيتك لهذه البقرة فتأكلك" أو "سأعطيك لذلك الأعمى ليأخذك" مما يجعل الطفل يخاف بعد ذلك من البقرة والأعمى.

٦ ـ **عامل حياتي**: قد يرجع الخوف أحياناً إلى أسباب طبية؛ فالأطفال الذين يعانون من مرض في المعدة أو المصابون بالصرع أو ترتفع حرارتهم كثيراً ويشكون من آلام حادة قد تنتابهم حالات خوف شديدة. وربما الخوف من زرق الأبر يجعله يخاف الطبيب وهكذا يكون الخوف من اختلالات عصبية.

٧ ـ **العامل النفسي**: الإضطرابات النفسية تولد أحياناً الخوف؛ فسرعة وشدة تأثر الأطفال بالأحداث يجعلهم عرضة للإضطراب أو رؤية الكوابيس

في المنام، وتبدر منهم تصرفات معاتبة، ويشعرون أن رغباتهم لم تحقق لهم وغير ذلك، ما يوقعهم في فخ الخوف.

٨ ـ **مصادر أخرى**: تبرز بعض المخاوف بسبب طريقة التغذية والتنظيف والرضاعة وأسلوب الوالدين في مقابل عناد الطفل وحالات الغضب الظاهرة منهما والأخطار التي واجهها والتجارب المحدودة والأمور العجيبة أو غير المفهومة بالنسبة إليه و. . .

عوامل ترفع نسبة الخوف:

هناك عوامل تساهم في زيادة خوف الطفل في حين توجد عوامل أخرى تساهم في خفضه ؛ فتصرفات الوالدين مثلاً لها مثل هذا الوقع على الطفل الأمر الذي يعكس ضرورة اهتمامهما بإصلاح تصرفاتهما واتخاذ مواقف مناسبة في مواطن الخوف والرهبة.

إن الأطفال يعممون الخوف، فإن شعروا في البدء بالخوف من هر أبيض فسيخافون بعد ذلك من الأرنب الأبيض والحمل الأبيض أو أن الخوف من الطبيب يدفعه للخوف من كل من يرتدي اللون الأبيض. ولو أن الطفل شعر بالألم في ظلمة الليل فإن هذا الأمر والمشهد كان كافياً لأن يخاف من الظلمة بعد ذلك.

وخلاصة القول: إن الخوف الموجود كاف، وإذا لم نستطع تخفيفه في الطفل فعلينا على الأقل أن لا نمهد لتفاقمه وزيادة الوضع سوءاً.

سبل العلاج والتأهيل:

بالإمكان الإستفادة من الأساليب التالية لمعالجة وتأهيل الأطفال:

١ ـ **تعليم وإفهام الطفل**: كما أسلفنا فإن الجهل يعد بلاءً مبرماً، ولو تم إفهام الطفل أو حتى تعريفه بأن خوفه في غير محله ساهم ذلك إلى حد ما في

حل الموضوع. يمكن إنارة الغرفة المظلمة حتى يعرف أن لا خطر يهدده قبل إطفاء وإنارة المصباح وبالتالي فالأسلوب المنطقي عامل جيد للتحرر من الخوف.

٢ ـ **الحنان**: يمكن من خلال مواساة الطفل الخائف وإحاطته بالحنان والمحبة تشجيعه على التخلص من صفة الخوف، بل وحتى منحه الجرأة على تحدي الأخطار الكبيرة والذهاب إليها بنفسه.

٣ ـ **النصائح والموعظة**: للنصائح التربوية دور بناء في حياة الطفل.. يمكن نصيحته بأن من غير المناسب أن تدعو أباك أو أمك وتصطحبها معك إلى الخلاء فهو مما لا يليق بك، وعليك أن تعتمد على نفسك وتدبر أمرك و...

٤ ـ **الإستفادة من الملاحظات**: توجد بين الطفل والوالدين والأقران والأقارب ملاحظات تؤثر في تقليل الخوف، فالضيف أو القريب يمكن أن يقول بأن من المضحك أن يخاف شخص من الخنفساء.

٥ ـ **منح الطفل الجرأة**: من أساليب معالجة الخوف طمأنة الطفل في مقابل الخطر الذي يواجهه ومنحه الثقة بأن لا خطر يهدده، بل ودفعه إلى اللعب في فسحة البيت وهي مظلمة أو أن يعبر الشارع المظلم بنفسه أو أن نمسك الخنفساء التي يخاف منها بيدنا ونضحك.

٦ ـ **التشبيه والتعويد**: يخاف الطفل أحياناً من صوت الرعد وفي مثل هذه الحالة يكون توليد أصوات مشابهة لصوت الرعد حتى يعتاد عليها بالتدريج هو الطريق الأمثل لمعالجة هذه الحالة، أو أن يألف الدجاجة أولاً كي يألف بعد ذلك حيوانات أكبر يخاف منها.

٧ ـ **تغيير المكان**: يعد تغيير المكان بحد ذاته عاملاً لزوال الخوف؛ فالطفل الذي يخاف من غرفة مظلمة يجب تعويده على أماكن أكثر ظلمة

وضيقاً وبالتالي تخليصه من الخوف من ظلمة الغرفة الأولى تدريجياً عبر الإعتياد على غرفة أخرى.

٨ ـ **الأسوة**: الأبوان اللذان يرغبان أن يكون ابنهما جريئاً وشجاعاً عليهما أن يتصرفا بما يجعلهما قدوة، وفي الحقيقة إن الوالدين اللذين يهربان من مواقف مختلفة يعمقان في نفس الطفل عوامل الخوف لا إرادياً بينما عليهما أن يكونا قدوة في الجرأة.

٩ ـ **العلاج الطبي**: يتبع هذا العلاج مع من كان خوفه نابعاً من أمراض عضوية واختلالات معوية وأخرى عصبية يمكن معالجتها فحينها يمكن معالجة الأمر بدواء أو نصيحة من قبل الطبيب.

١٠ ـ **العلاج النفسي**: حينما يتجاوز الخوف الحد المعقول ويصبح الطفل آلة لرهبة غير مبررة ويكون الإضطراب غير عادي أو أن يأخذ الخوف كافة أبعاد حياته فلا بد من مراجعة طبيب نفساني وإخضاعه للمعالجة.

ملاحظات:

هناك نقاط ينبغي مراعاتها في معالجة وتأهيل الأطفال أهمها:

١ ـ ينبغي العمل بالوقاية في مجال الخوف حيث الوقاية خير من العلاج.

٢ ـ إن كثيراً من حالات الخوف ناجمة عن قلق عام وشعور بعدم الإرتياح تمتد جذوره إلى إضطرابات نفسية.

٣ ـ من الضرورة بمكان أن يواجه ويعيش الطفل تدريجياً أوضاعاً وحالات جديدة تساعده على زوال حالة التخوف منه ويتخلص من المشاكل الفكرية.

الفصل الثالث

الحسد وإصلاحه

يحب الأطفال عادة التفرد بالسعادة والإستمتاع بالوقت وأن لا يعمل أحد على سلبهما منهم، وإن حصل عكس ما يحبون ظهر منهم الحسد وتمنوا السوء لمن سرقهم مثل هذه النعمة.

الحسد حالة عاطفية تبرز على شكل شعور نتيجة تقرب شخص من آخر، والحسود هو المتألم من تمتع شخص بنعمة ما ويتمنى زوالها. إن هذه الحالة تضرّ بتجاوب الطفل وتمنعه من أن يكون في وضع طبيعي، ولها آثار هدامة حتى أن الحسد المفرط يتسبب في ظهور الهم والقلق للآخرين.

صور الحسد:

يظهر الحسد بصورة النزاع والهجوم والأذية وأحياناً على شكل الإنعزال والإنضواء على النفس.. قد يعمد بعض الحساد إلى التخريب كأن يقوم بتهشيم الأواني أو بعثرة الأشياء أو نثر الزبالة في وسط الغرفة أو... وقد يظهر الحسد على شكل بذاءة اللسان والضرب وإيذاء المحسود وما شاكل ذلك.

ويمكن أن يظهر الحسد بصورة الإنعزال وعدم المشاركة في اللعب مع الآخرين أو الإفراط في التنافس والعراك وطلب الشهرة أو التواضع أكثر من

الحد اللازم والطمع والسخاء والحرص الممقوت وعند الكبار يتجلى في التسابق في قيادة السيارات.

ثم إن بعض الحاسدين ينشأ مخرباً ومنحرفاً ولا تكون علاقته مع الآخرين جيدة، ويشعر بالوحدة والهجران وبالغضب حينما يرى الآخرين في راحة ودعة ويسعى إلى تهديدهم بأخطار مختلفة و. . .

تخيلات الحسود:

يظن الطفل الحسود أنه قد ظلم ولا يحظى بدعم وحماية أحد ؛ إنه يعتقد أن والده أو والدته لا تحبه قياساً بالطفل الذي هو أصغر منه وأن الإثنين سلبا حقه وظلماه فيفكر بالإنتقام منهما أو القضاء عليهما.

وانطلاقاً من التخيلات العدائية التي يحملها الحاسد إزاء الآخرين وينميها في ذهنه دوماً فإنه يفكر دوماً بالإنتقام، ويتلذذ من قراءة القصص التي تتضمن آثاراً للحسد والإنتقام ويدافع دوماً عنها.

إن كثيراً من الأطفال حينما يرون الإهتمام الذي يوليه الوالدان للمولود الجديد يتمنون أن لو لم يكن لهذا الطفل وجود أو ياليت أنهم كانوا أطفالاً حديثي الولادة لينالوا مثل هذا الاهتمام، بل يميلون أحياناً لشرب الحليب من ثدي الأم وتقليد المولود في حركاته.

منشأ الحسد:

ينشأ الحسد من جراء شعور الطفل بأن مكانته وشخصيته باتتا في خطر بسبب تغلغل الآخرين إلى ساحته ولا يستطيع الإحتفاظ بمكانته السابقة، وبسبب رغبته العارمة بالتفرد بالمحبة والحنان فإنه يمتطي أمواج الحسد دون أن يستطيع مقاومتها ويظن أن الدنيا قد انتهت بالنسبة إليه ولا يمكنه مواصلة حياته بعد الآن.

يشعر الطفل بأنه أعز المخلوقات لدى والديه ولذا حينما يرى من شاركه بهذه المحبة يستاء ويفقد ثقته بنفسه ويقع في شباك الشك بشأن مكانته الجديدة خاصة وأنه يرى بأن الوضع هذا صار يدل على أن الوالدين يحبون المولود الجديد بشكل أكبر وأنهما نسوه.

من الأسباب الأخرى لنشوء الحسد، العداء وحب الذات والشعور بالفوقية والتعجب من تمتع الناس بالنعم والخوف من عدم تحقيق الأهداف وحب الرئاسة وضيق الأفق والخباثة و...

وبطبيعة الحال إن حماية وتضحية الوالدين من أجل أحد الأولاد وترك الآخر، والإهتمام بالإبن وإهمال البنت، وإظهار المحبة لطفل موهوب وعدم الإعتناء بالمتخلف سيساهم بنشوء الحسد وتفاقمه.

الاضرار:

لقد تسبب الحسد ومنذ القدم في ارتكاب جرائم القتل وإراقة الدماء ونشوب صراعات مؤلمة ومؤسفة، والذهن الذي من المفترض أن ينشغل بالإختراع والإبداع صار يخطط لأذية المحسود وما أكثر الجرائم التي شهدها التاريخ انطلاقاً من هذه السمة.

يكون الطفل الحسود دوماً في حال تخطيط وشعور بالعداء، فيتأثر كلما رأى الآخرين ينعمون أو يتمتعون بنعمة ما ويبعد نفسه عن تلك النعم بالحرمان والإنعزال والإنضواء على النفس وتصبح حياته كلها متأثرة بهذا الأمر، ويكون شخصاً سريع الإنهزام وغير مرن وعقبة في طريق الآخرين.

لا يفكر الحاسد إلا بالتخطيط للإنتقام وتضليل الآخرين مع اتسامه بالعداء، علماً أن استمرار الحسد فيه يمهد لتقوية الشعور بالإستعلائية وبالتالي الإحساس بأنه أهم من الباقين بل وحتى يلجأ إلى العراك والتنازع من أجل أشياء تافهة.

بداية الحسد:

يرى علماء النفس أن الحسد يظهر في الطفل في سن (١٥ ـ ١٦) شهراً ويبلغ ذروته في السنتين أو الثلاث سنوات الأولى من حياته، حتى يمكن القول بأن الشعور بالحسد لدى الأطفال أكبر بكثير من الكبار أو أن الكبار يظهرون حسدهم بصورة غير ملحوظة.

إن أشد حالات الحسد تكون في مرحلة ما دون الخمس سنوات ذلك أن الطفل يكبر اعتماده على الوالدين في هذه المرحلة وتصغر علاقته بمن هو خارج هذا الحيز ولذا فكل ما يريده يطلبه من الوالدين، ويستاء ويضجر إن رأى شخصاً آخر بدأ يزاحمه في دائرة حياته.. على أن هذا الأمر نواجهه أيضاً عند الكبر بنسب مختلفة. إن الطفل لينفجر حينما يرى أن أمه تقوم باحتضان طفل آخر ويود قتل منافسه هذا من فرط غضبه.

إمكانية المعالجة:

يمكن أن يكون الحسد أمراً عرضياً حيث يرى البعض أن له جذوراً فطرية وذاتية وقد يكون هذا الرأي نابعاً من عدم إمكانية القضاء على الحسد من جذوره وأن المساعي يجب أن تنصب على تقليله إلى الحد الأدنى.

إن الطفل ليشعر بالعجز أمام الحسد ويتألم لعدم تمكنه من توفير راحة البال والطمأنينة لنفسه، ولو توفر له الحد الأدنى من المحبة فإنه سيهدأ ويستقر نفسياً الأمر الذي يدل على إمكانية المعالجة.

على طريق الإصلاح والمعالجة:

لا يمكن إخماد جذوة الحسد في الطفل عبر الإجبار والضغط، وإن أمكن ذلك فسينجم عنه معاناة الطفل من الاضطراب والقلق وحينئذ لا يقل لسانه ضرراً عن الحسد.. كما أنه لن يخفي حينها ضجره ونفرته من أولياء

الأمر وهو ما يصعب معالجته وربما يتسبب فيما بعد بتبلور شخصية مضطربة ورؤى خاطئة ومغلوطة في الطفل.

وفي عملية الإصلاح والمعالجة لا بد من مراعاة نقاط عديدة أهمها:

١ ـ **تفهيم وتوعية الطفل**: لا شك أن توعية الطفل وتفهيمه بأنه لا زال محبوباً وأن المحبة التي يحظى بها المولود الجديد إنما لعجزه وحاجته لها ستساهم إلى حد ما في إصلاح تفكير الطفل الحاسد.. ينبغي للوالدين أن يتعاملا بأسلوب منطقي مع هذه الحالة في الأطفال لا بالضغط والتهديد، وعليهما أن يفهما الطفل أن خوفه في غير محله.

٢ ـ **مراعاة العدالة**: تعد مراعاة العدالة مع الأطفال من الطرق العملية في تعديل وإصلاح الحالة، فالأم وإلى جانب اهتمامها بالمولودالجديد عليها أن تخصص جزءاً من محبتها لباقي أطفالها حتى يقل الشعور بالحسد لديهم إلى الحد الأدنى، كما ينبغي تجنب المقارنة فيما بينهم.

٣ ـ **المحبة في الوحدة**: تمنح المحبة والحنان في الخلاء الهدوء والسكينة للطفل.. يحتاج الطفل في بعض المواقف إلى الإنفراد بمحبة والديه وأن يقرباه إلى جانبهما ويمسحا على رأسه ووجهه ويواسياه حتى يشعر الطفل وكأنه الولد الوحيد للعائلة وأنه المتفرد بمحبة والديه.

٤ ـ **الوثوق من المحبة**: ينبغي العمل على أن يشعر الطفل في نفسه بأن الوالدين لا يزالان يحبانه وأن يتلذذ بهذا الإحساس، ولو قل اهتمامهما ورعايتهما له في هذه الأيام فذلك لحاجة المولود الجديد لهما أو مشاغلهما الكثيرة.

٥ ـ **إيكال العمل للحاسد**: يمكن تكليف الطفل الحاسد بمهمة تتعلق بالطفل المحسود؛ كأن توكل الأم مهمة حماية وحراسة الطفل الصغير إلى الطفل الحاسد وتدفعه للدفاع عنه وحراسته أو إعطائه قنينة الحليب ووسائل لعبه ويهدئه متى ما بكى.

٦ ـ **جعل الطفل جريئاً**: على الوالدين أحياناً العمل بما يشعر الطفل بالفخر، مثل أن يقولوا له بأنك قد كبرت وصرت قوياً أو تتحلى بالذكاء وتستطيع القيام بالعمل الفلاني بنفسك في حين أن هذا الطفل عاجز ويحتاج إلى مساعدة الآخرين.. يجب دفعه للفخر بأنه يمتاز على الطفل الصغير بعقله الأكبر.

٧ ـ **تبيين أضرار العجز**: لا بد من تفهيم الطفل بأن الضعف والعجز صفتان غير ممدوحتان، وعليه أن يفرح إذا ما أنجز عمله بنفسه دون الإستعانة بالآخرين.

٨ ـ **البديل**: يلجأ الطفل في بعض الأوقات إلى ضرب أخيه أو أخته الأصغر ويصب جام غضبه عليها، يحاول تأديبها فهي التي سرقت حصته من محبة الوالدين.. من الأفضل في هذه الحالات إعطاؤه دمية ليفرغ فيها عقده ويهدئ من حدة حسده عبر ضربها بيده أو بالأرض.

٩ ـ **تحرير العقد**: إن كبت مشاعر الحسد تضر بالطفل، ومن الضروري إخراجه من هذه الحالة كأن يسمح له بالتعبير عن ضجره أو أن يقول لوالديه بأنه لا يحب أخيه الصغير وإن هو فعل ذلك لا ينبغي أن يواجه بالتنبيه والضرب بل يجب مقابلته بهدوء ورويّة وزرع محبة الطفل الصغير في نفسه وإيجاد حل لوضعه.

١٠ ـ **لا أمل له في الأذية**: يجب في كل الأحوال قطع الطريق عليه وعدم السماح له في أن يفكر أو يقدم على أذية الطفل مثلما أنه لا يسمح لأحد بأذيته.

تذكير:

هناك ملاحظات يستلزم مراعاتها في عملية إصلاح وتأهيل الأطفال على صعيد خصلة الحسد، أهمها:

١ ـ ينبغي عدم وضع الطفل في المحاذير الأخلاقية وعدم إجباره على أن يحب الطفل الجديد، فمحبته لهذا الجديد يجب أن تكون من منطلق عقلائي ومنطقي.

٢ ـ لا يطلب من الطفل أن يعطي وسائل لعبه للأصغر والصحيح هو أن يتم التصرف بما يمهد لهذا الأمر حتى يندفع الطفل لإعطاء وسائل لعبه عن رغبة.

٣ ـ إعداد الطفل نفسياً قبل قدوم المولود الجديد؛ كأن يقال له بأنه سيكون هناك من سيلعب معه.

٤ ـ لا يمكن إخماد جذوة الحسد بالإجبار والضغط خاصة وأن ذلك أسوأ بكثير على نفس وروحية الطفل من الحسد.

٥ ـ من غير الصحيح محاسبة الطفل على بعض الأخطاء ومسامحة آخر على نفس الأخطاء.

٦ ـ إن لجاجة الطفل الصغير وبكاءه ودلاله لا يعني الإقدام على محاسبة الطفل الأكبر، بل إن هذا الفعل يعد عاملاً لتوليد الحسد.

٧ ـ السعي إلى تشخيص النقاط الإيجابية في الطفل ومدحه بسببها.

٨ ـ تحفيزه من خلال القصص والمواعظ على تطهير نفسه من الحسد.

٩ ـ العمل على دفع الطفل الصغير للعب مع الأكبر.

١٠ ـ مراعاة المساواة والعدالة مع كافة الأطفال.

١١ ـ عدم إظهار الوقوف إلى جانب الطفل الأصغر عند مواطن النزاع.

١٢ ـ على الوالدين أن لا يبخلا بمحبتهما واهتمامهما الخفي بالطفل الأكبر حتى يكون الطريق مفتوحاً لإسداء النصائح وقبولها من الطرف الآخر.

الفصل الرابع
الملل والضجر وسبل العلاج

يكون الضجر تارة بمعنى المعضلة الأخلاقية المستعصية وتارة بمعنى النفور من الذات وعدم تحمل النفس، وإثر ذلك يتولد الندم والآلام مما يعرض الإنسان للضغط ودفعه للانعزال والحرص وأحياناً إلى المرض وحتى الوفاة. . لذا كان من الضروري الإهتمام بالمصابين بهذه الحالات ووضعهم تحت المراقبة.

إن النفوس الغنية لا تشعر بالملل والضجر وكذا هو الحال بالنسبة للمجتهد والمنشغل بعمل ما ؛ فالأمل يحدو به إلى المستقبل مما يبدد أي أثر للقلق بشأن الإصابة بهذه المعضلة. . عموماً تلاحظ هذه المشكلة فيمن يعاني من فراغ روحي ونفسي وليس له ما يسد رغباته أو يولد القناعة لديه.

المصاديق والتصورات:

يظن من يشعر بالملل والضجر أن الحياة صارت بالنسبة له بحيث لا يمكنه تنظيمها أو أنه لم تبق له نقطة إيجابية حتى يسلي نفسه بها، أو حتى أن عقبات تواجه مسيرته وتقدمه في الحياة لا يمكن التغلب عليها. . هذا النمط

يعاني من اضطراب ونزاع داخلي.

بالإضافة إلى ذلك فإن المصاب بهذه الحالة يهول من المشاكل التي يواجهها في حياته إلى الحد الذي "يعمل من الحبة قبة" كما يقول المثل.. لا يرضى عن شيء وفي كل الأوقات. إن الشعور بالضجر يتحول أحياناً إلى عداء مع النفس ويدفع الإنسان إلى أن يمقت نفسه ويصبح عدواً لها مما يجعله يفكر دوماً بوضع حد لحياته وبالتالي النجاة مما يعاني منه.

آثار الملل والضجر:

يعيش المصاب بالملل العزلة دوماً ولا يستطيع انتزاع نفسه من هذا الوضع بل لا يأنس مع الآخرين ولا يمكن لأي شيء أن يعيده إلى وضعه الطبيعي، كما أنه لا يشعر باللذة والسرور في مقابل ما هو جميل ولا تؤنسه لطائف الحياة ولا تبدر منه أيّ بادرة وكأنه لا شيء لديه ليعطيه.

إن الإنسان الملول لا شيء فيه يتظاهر به ولا يطمع في استفادة، لا فيه نزعة التمحيص والبحث ولا الرغبة في شيء، لا هو ممن يحمل رأياً مستقلاً ولا يجد في نفسه أي تمسك بطريق السعادة الوحيد في تصرفاته.. ضعيف البنية، مكتئب، مريض بالأعصاب، يعاني من ضعف نفسي، هارب من نفسه، ويريد الفرار من الآخرين، مضطرب الحال كما أن خياله غير مستقر، لا اعتماد على قوله وعمله، يرى نفسه وحيداً بين الآخرين، وهمه متزايد في كل لحظة وآن، روحه مريضة ويشعر بألم داخلي.

أضرار الملل:

يعد الملل بمثابة المبرد للروح حيث يبرد الإنسان من الداخل ويقضي عليه بالتدريج.. إن الملل يسلب من الإنسان الجد والاجتهاد ويأخذ منه الدليل على العيش؛ فحينما يعاني الإنسان من فراغ روحي ويشعر بانعدام

الحافز للحياة فإنه يكون على شفير الموت.

يجعل الشعور بالملل الإنسان مهموماً غاضباً خاملاً، وإن لم يتخلص من هذه الحالات قادته إلى الأسوأ الذي قد يكون الجنون علماً أن الأمراض والعوارض الناجمة عن هذه الحالات كثيرة ومنها فقدان الذاكرة والقدرة على الحركة.

وربما قاده الوضع إلى استخدام المخدرات والتلوث بالمفاسد أملاً بالتنعم بنوع من الهدوء والسكينة، فقد يلجأ إلى ارتكاب الجريمة والفحشاء والإدمان والإنتحار.. مثل هؤلاء الأشخاص قلما تجد لهم أصدقاء وقلما يظهرون شيئاً من الحنان والحب للآخرين بل ولا يبادرون حتى لتكوين علاقات صداقة.

الشعور بالملل.. في أي سن يكون؟:

يتمتع الأطفال عادة بروح غنية وجياشة؛ فقدرة الإحساس وقوة التخيل تساعدهم على الإستئناس بحياتهم وتبديد صور الملل منهم، ومع أن عدد الأطفال الذين يصابون بهذه الحالة قليل لكن ذلك لا يعني عدم إصابة الطفل بمثلها، فالذين يعانون من اضطرابات وكذلك الأذكياء والموهوبون بالإضافة إلى من هم على مشارف مرحلة الحداثة والفتوة يصابون بهذه الحالة ولكن بنسب متباينة.

تفيد التجارب أن الشعور بالملل الشديد يكون في الأطفال الذين يمتلكون حداً أعلى من الحد الطبيعي من الفهم والإحساس ويتعرضون سريعاً للخطر، أو الأطفال الذين تولدت لديهم حساسية خاصة بفعل إصابتهم بنوع من الأمراض فهؤلاء الأطفال يقطعون عادة علاقتهم مع عالم الحس والتصورات وربما جاءت الحالة نتيجة تعرض الطفل لصدمة ما أو ضغط غير طبيعي أو وساوس وأوهام.

على أن الشعور بالفراغ الروحي بالنسبة للبالغين واليافعين يكون بنسبة أكبر ؛ وهؤلاء حينما يشعرون بخواء في حياتهم ويسيطر عليهم الغم والهم ولا يرون منفذاً لما هم فيه يصابون بحالة الملل والضجر.

منشأ الملل:

هناك عوامل عديدة لبروز الملل منها:

١ ـ الحساسية: وخاصة الحساسية الشديدة في مرحلة الطفولة، وكذلك تدليل الأطفال حيث قد تولد حالة المداراة والمراقبة الزائدة عن الحد حالة الشعور بالملل.

٢ ـ التطلعات: يتطلع الطفل أحياناً إلى أمور لكنها لا تتحقق له وهو أمر يصعب على الطفل تحمله وبما أنه لا يوجد قياس بين الرغبات الشخصية وبين قدرة التحقق فإنه يصاب بالملل.

٣ ـ الشعور بالغربة: الطفل الذي يفقد أصدقاءه أو يفقد والديه بسبب الموت مثلاً أو يهاجر من منطقة إلى أخرى وليس له من يلهو معه يصاب بحالة الملل.

٤ ـ التعلق الشديد: وهو التعلق والرغبة العارمة بشيء ما. لو افتقده شعر بالهزيمة الأمر الذي يوقعه في الملل.

٥ ـ عقدة الشعور بالذلة: يشعر الشخص أحياناً بالضعف في إنجازه لواجبه ومهمته ولا يستطيع أن يكون عادياً وطبيعياً كالآخرين ما يوقعه في مستنقع الملل.

٦ ـ الرتابة: يضجر الإنسان حينما يرى الرتابة في حياته وأن يومه كأمسه تدور أحداثه كالماكنة.

٧ ـ البطالة: تولد البطالة أحياناً الضجر خاصة وأنها تمهد للركود

العقلي والفكري حيث يشعر الإنسان بأنه ليس لديه عمل قيم ينشغل به.

٨ ـ **الشعور بالتقصير**: عندما يشعر المرء بالتقصير في حادث وفاة شخص آخر أو أنه قصر في عمل ما تنتابه حالة الملل والضجر.

٩ ـ **الإخفاق**: يفكر الإنسان أحياناً بأنه أخفق في الموقف والعمل الفلاني الذي يحبه جداً وعلى هذا لا طائل ولا فائدة من حياته الأمر الذي يدفعه إلى العزلة والملل.

١٠ ـ **عوامل أخرى**: يمكن الإشارة في هذا المجال إلى عوامل أخرى تساهم في بروز حالة الضجر والملل، منها عدم الوفاء والإفتقار للشفافية، وكذلك التملق، والتزوير، والرياء، وعدم الإرتياح للوضع القائم، وعدم توفر العمل الموائم للطبائع والأذواق الشخصية وعدم الإستقلالية، والأمراض النفسية، والتعب الشديد، وفقدان الأحبة، والتشاؤم بالمستقبل وما شابه ذلك.

إمكانية المعالجة:

من حسن الحظ أن معالجة حالة الملل والضجر أمر ممكن خاصة وأن الحالة لم تأت من عامل وراثي أو غريزي حيث لا أحد يولد وفيه حالة الملل بل هي أمر عارض وقابل للعلاج ولو عن طريق التربية والإستشارة.

الملل في الطفل جزئي وعابر، ولو أردنا تصنيف أساليب العلاج فإنه يمكن القول بأن هذا النمط من الأطفال يمكن معالجته بسهولة علماً أن الحالة لو استفحلت في الطفل وتركت دون علاج فربما كان من الصعب معالجتها فيما بعد كما أن طول المدة قد تفاقم الحالة.

على طريق العلاج والتأهيل:

يمكن الإستفادة من الأساليب التالية لتأهيل الطفل والتغلب على

الإضطراب الموجود في الأطفال وحتى باقي الأشخاص:

١ ـ **تشخيص السبب**: الخطوة الأولى أن يتم تشخيص السبب أو الأسباب التي أدت إلى شعور الطفل بالملل، هذا إلى جانب معرفة أن الشعور بالملل والسكوت في ذات الوقت هو في الحقيقة صرخة من بركان هائج في داخله.

٢ ـ **التوعية وتبيين مفهوم الحياة**: تعد الحياة بالنسبة لمن يشعر بالملل هماً في حين ينبغي إفهامه بضرورة الرغبة بالحياة حتى يمكن في ظلها طي مدارج الرقي والتكامل.. ينبغي أن يفهم بأن هذه الحياة إنما هي بمثابة وظيفة وواجب لا محلاً للإلتذاذ وطلب الراحة حتى يستعد لتحمل المصاعب لا أن يعد نفسه للموت.

٣ ـ **إغناء الروح**: يعزى كثير من الملل إلى الشعور بالخواء في الحياة وانعدام الرؤية الواضحة من أجل مواصلة الحياة.. إنه يتصور أن لا وجود لنقطة إيجابية يسلي بها نفسه ولا وجود لأي عامل يحفظ له حيويته ولذا فإن إغناء الروح ينقذه من شر الملل.

٤ ـ **توفير الشغل**: من أساليب معالجة الملل توفير العمل المفيد؛ فمن ينشغل بعمل ما ويجتهد في نشاط ما فإنه يستثمر فكره وينشد هدفاً معيناً وبالتالي لا يشعر بالملل. لهذا كان من الضروري توفير ما يشغله من قبيل مطالعة أو لعب أو ترفيه أو رسم أو كتابة قصة أو أمر إنتاجي أو فني و... مع إثارة شعور الإستفادة فيه.

٥ ـ **التنوع**: قلنا إن إحساس المرء بالرتابة وتكرر الحالات في الحياة يلقي بظلاله عليه ويتعبه مما يولد الملل لديه، ولمعالجة الأمر لا بد من التنويع في شؤون الحياة وبالمقدار الممكن وتوسيع مساحته والسعي إلى إيجاد عامل مشجع في عمله حتى يظل متعلقاً به.

٦ ـ **السفر**: يعد تغيير الجو عن طريق السفرات الترفيهية وحتى الإنتقال من مكان إلى آخر تنويعاً بالنسبة للطفل وينقذه من الملل.. عندما تضيق الدنيا بوجه الطفل يمكن اصطحابه في سفر يفرج عنه غمه.

٧ ـ **تقديم الحلول**: يختار بعض الأشخاص نمطاً واحداً من التفكير ومسيراً واحداً في الحياة ويتطلع لهدف واحد، وهؤلاء لا يستطيعون التفكير بوجود طريق آخر ولذا فإن تقديم الحلول والطرق المتعددة للخروج من الأزمات يمكنه أن يساهم في النجاة من الملل.

٨ ـ **تبيين النقاط الجميلة**: من الأساليب الناجعة لإنقاذ الشخص من الإبتلاء بالملل تبيين الأمور الجميلة والجذابة التي تحيط بالإنسان في حياته؛ فالعمل الممتع والبيئة الجميلة يساعدان جداً في هذا المجال.

٩ ـ **التفاؤل بالمستقبل**: ينبغي زرع بذرة الأمل والتفاؤل بالمستقبل في نفس المرء، ذلك أنه كلما ازدادت عتمة اليأس في نفسه كلما تكرس الشعور بالملل لديه خاصة وأن الإنسان يحمل في نفسه غريزة البقاء والتطبع مع الحياة.

١٠ ـ **التعريف بأصدقاء جدد**: يستحسن أحياناً دفع بعض الأشخاص للإختلاط به ومصادقته بحيث يتعرف إليهم ويأنس بهم الأمر الذي يجعله ينظر للأمور من منظار جديد وبالتالي النجاة من الإصابة بحالة الملل.

١١ ـ **فتح باب الملاحظات**: يجب السعي من أجل تقوية العلاقات معه بحيث يستشعر تماماً أنك تحبه، وقمت بالعمل الفلاني من أجله حتى يشعر في المقابل أنه مدين لك وعليه أن يؤديه إليك ما يخلق فيه روح الإثارة والتحرك والتخلص من الملل إلى حد ما.

١٢ ـ **تبيين النقاط الإيجابية**: ينبغي البحث عن الصفات الجيدة والإيجابية في المصاب بالملل ومدحه عليها حتى يشعر وكأنه شخص مهم

وليس له الحق في تجاهل نفسه.

١٣ ـ **التحفيز على الكلام**: من طرق العلاج تحفيز المرء على التحدث عما يدور في خلده ويكشف عما يعاني منه في داخله أو أن نطلب منه شرح موضوع معين وفي كل الأحوال تحفيزه على المشاركة بالنقاش الأمر الذي يبعث فيه الهدوء والراحة والخروج من حالة الملل.

١٤ ـ **العلاج النفسي**: إذا اشتد الشعور بالملل وظهر على شكل بكاء أو انعزال أو قلة الرغبة بالدراسة أو مواجهة الحياة باللامبالاة أو قلة النوم أو انعدام الشهية فلا بد من مراجعة الطبيب النفسي.

على أن هناك طرقاً أخرى في هذا المضمار مثل لفت نظره إلى شيء آخر، أو إيجاد البديل الذي يرغب به ليحل محل القديم وغير ذلك.

تذكير:

من المناسب الإشارة إلى بعض النقاط المفيدة على صعيد تأهيل الأطفال المصابين بحالة الملل والضجر:

١ ـ إبعاد الأطفال قدر الإمكان عن الأشخاص المصابين بالملل أو الذين يعانون من مرض جسدي أو روحي لأن هذه الحالات معدية وتترك آثاراً سلبية على الآخرين.

٢ ـ على الوالدين السعي لعدم التحدث أمام الأطفال بالأمور والأحداث المؤلمة أو أن يظهرا أمامهم حزينين ومهمومين.

٣ ـ لا ينبغي مواجهة المصاب بحالة الملل بالعنف فهو يزيد من سوء حالته.

٤ ـ الوقاية خير من العلاج ؛ إذ يفترض بأولياء الأمور توخي الحذر في التصرفات والتعامل لئلا يصاب الطفل بحالة الملل.

٥ ـ إن أصيب الطفل بحالة من الملل والضجر فعلى الوالدين التخفيف مما يشعر به من غم وهم عبر الملاطفة والابتسام في وجهه.

٦ ـ يجب أن لا يكون التركيز فقط على زرع الأمل بالمستقبل في الشخص بحيث تتولد لديه فيما بعد حالة من الإحباط بسبب عدم تحقق ما تمناه.

٧ ـ يظهر الملل بصورة تدريجية لكنه ينبغي السعي لئلا تستفحل الحالة.

٨ ـ قلما تكون الموعظة مفيدة في معالجة حالة الملل ولذا يستلزم انتشال المصاب بها بطرق عملية.

٩ ـ يجب عدم الإصرار، خلال محاولة العلاج، على أن يضحك ولو من أجلك لأن ذلك لن يداوي جرحاً.

١٠ ـ ينبغي أن لا ننسى في كل الأحوال التدرج في المعالجة.

القسم الثالث عشر

إصلاحات ضرورية أخرى

تستلزم عملية تأهيل الأطفال حجماً ونوعاً من الخطوات يتناسب مع حجم ونوع حالات الإضطراب التي يعانون منها ؛ وهذه الخطوات الإصلاحية سنتعرض إليها في القسم الذي بين أيدينا المعنون بـ "إصلاحات ضرورية أخرى" .

سنتحدث في فصل من القسم الحالي عن الإصلاحات في المجتمع والثقافة والعوامل البناءة للإنسان وأسس تصرفاته ودور البيئة والأصحاب ثم ننتقل إلى دور الأفكار والفلسفات ووسائل الإعلام والصحف وغيرها إضافة إلى ضرورة تقويتها ومراقبتها، وفي نهاية المطاف نتعرف على واجب الناس في مقابل هذه الأمور وواجب الدولة على الصعيد ذاته.

هناك فصل آخر نتحدث فيه عن إصلاح العائلة وأسلوبه وما يتعلق بتقليد الأطفال، وبعدها نتطرق إلى أهمية العائلة ككيان قائم بحد ذاته وتعليم الطفل وكذلك مسؤولية الوالدين وضرورة إصلاحهما والنقاط التي عليهما مراعاتها بشأن القيادة والأمر والنهي والنظم والإنضباط والأساليب المتبعة وضرورة العلاقة الحميمة مع الأولاد ومن ثم العائلة والمجتمع العاصي والمذنب.

الفصل الثالث يستعرض الإصلاحات الطبية وفيه العلاقة بين الجسد

والروح، والمرض والإضطراب، وأنواع الإضطرابات وكذلك دور الغدد وأثر النقص والتسمم في هذا المجال. بعد ذلك يأتي الحديث عن مراحل العلاج وضرورة الوقاية ومن هو الذي يستحق العلاج والإجراءات الوقائية.

أما القسم الرابع فسيكون الحديث فيه عن الإصلاحات النفسية، ومصاديق الأمراض النفسية ودورها في الإنحراف وعلاقة الموضوع بالجسد ومن ثم يأتي دور الكلام عن ضرورة العلاج ومراحله والطرق المتوفرة وكذلك ضرورة الصحة النفسية كما سنتطرق إلى من يحتاج للعلاج، وفي الختام لنا كلمة مع المسؤولين.

الفصل الأول

إصلاح المجتمع والثقافة

الإنسان بحسب الفطرة أو بالإكتساب حسب نظر بعض علماء الإجتماع، موجود اجتماعي..

يعيش بين الناس، يتأثر بهم ويؤثر فيهم ويقبل نظام قيم المجموعة ويخضع لها في ظل الحياة الإجتماعية بل ويتأثر بأفكار المجتمع ويتصرف على أساس السلوك العقائدي للمجتمع.

من أين نتعلم الأدب والتربية؟ لا شك من الوالدين، من الأقارب والآخرين، من الأصحاب، من وسائل الإعلام وكافة الظواهر المحيطة بنا سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة ولذا فإن مسيرة التأهيل ستؤتي أكلها عندما يتم السيطرة على هذه العوامل.

العوامل البناءة للإنسان:

بعد الخلقة ورؤية النور في هذا العالم يتأثر الإنسان بعشرات العوامل المادية وغير المادية على صعيد الثقافة والمجتمع والبيئة.. القصد من الثقافة مجموعة الرؤى والأفكار والآمال والمهارات والوسائل والأدوات والتقاليد

والآداب و. . وعموماً فللثقافة بعد مفصلي في بناء الإنسان حيث يمكن أن تنجب أشخاصاً سالمين ومستقيمين أو مرضى وفاسدين.

إن مجتمعنا يتأثر بأدوات الثقافة من قبيل الكتاب واللغة والنظم والفنون والأساليب والمقررات والمؤسسات الدينية والإقتصادية والإجتماعية والمؤسسات الصناعية والعسكرية والحكومية حيث تتبادل التأثير والتأثر. كما أن التيارات الإجتماعية المنبثقة عن ثقافة المجتمع أو التي أصبحت فيما بعد جزءاً من الثقافة تترك أثرها فينا وتمارس ضغطها علينا إلى الحد الذي ندمن عليها بالتدريج.

تصرفات الإنسان:

إن تصرفات الإنسان سواء أكانت جيدة أو سلبية، صحيحة أو خاطئة تنبع من القيم السائدة في المجتمع والمتوائمة مع الثقافات بنسب متباينة؛ فكل من الطهارة والجد والإجتهاد وإسداء الخدمات والخيانة والهجوم والدفاع مكتسبة من المجتمع والثقافة.

يعد الإنسان في المفهوم الثقافي لبنة الثقافة السائدة في المجتمع، يتعلم منه الغاية والمنهجية والواجب والعقائد والصداقة والعداوة والمجاملات والحيل والخداع كما يستلهم من ثقافة المجتمع الآداب والمراسيم وطريقة التفكير بل وحتى طريقة النمو.

من هنا فإن كثيراً من صور الإنحراف والحالات الشاذة ناجم عن انحرافات موروثة أو تقليد لسلوك غلط سائد في المجتمع وأن الطفل تعلمها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من أبناء المجتمع ونماذج القدوة والأقران والأصحاب ثم ترسخت فيه. . على هذا فإن أريد إصلاح المجتمع فلا بد أولاً من إصلاح ثقافة المجتمع.

دور البيئة:

المقصود من البيئة كافة العوامل والظروف التي يعوم فيها الشخص.. هذه العوامل ربما كانت مادية وقد تكون معنوية أو غذائية أو جغرافية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو عسكرية أو متعلقة بالدواء أو.. وقد تكون نابعة من المنزل أو المدرسة أو المجتمع وغير ذلك. كما يمكن القول إن المراد من البيئة مجموعة العلل والأسباب التي تولد لدى الأشخاص نوعاً خاصاً من الأحاسيس والأفكار الخاصة المكونة لشخصية الفرد في الحياة.

البيئة تبني الإنسان وأحياناً تحطمه؛ فالبيئة التي يكثر فيها الإزدحام والتلوث والفساد والإنحراف يستحيل فيها الإصلاح والبناء وإن حصل فبمقدار قليل جداً كما أن البيئة المريضة تستحيل فيها السلامة وبذلك فإن الإصلاح والسلامة تستلزمان بالطبع إزالة عوامل التلوث منها. كثير هم الأشخاص النزيهون والطاهرون الذين جرفهم التيار بعد عيشهم في بيئة طالحة فيما انضم كثير من الفاسدين والمنحرفين إلى صف الصلحاء والنزيهين بعد أن عاشوا في بيئة صالحة.

دور الأقران والأصحاب:

الدور الذي يلعبه أصدقاء الطفل يفوق في تأثيره أحياناً دور الأب والأم؛ فالطفل يتعلم الأسس الخلقية والقيم الإجتماعية والنظام الحكومي والآداب والمراسيم ونوع العلاقات ووظائفه عادة من الأصدقاء وبذلك فما من شك أن مصاحبة الوقحين والشريرين وغير المؤدبين تؤثر فيه والأمر كذلك بالنسبة لصاحب المؤدبين والصادقين والخلوقين.

في الوقت الذي نؤيد فيه حاجة الطفل للأصدقاء ومن يلهو معهم لكننا لا نعتقد بصحة أن يعاشر ويصاحب الطفل أياً كان ذلك أن الصديق الخاطئ والمعتدي لا يزيد في الشخص إلا مفاهيم الإعتداء والعنف وربما تفاقم حالة

الإنحراف وظهور الحالات الشاذة في الطفل.

هناك عوائل تعمل على تجنيب أطفالها مشاهدة المشاهد الملوثة والأفلام ذات الآثار السيئة والإحتيال في حين يتعرف أطفالهم على تلك المشاهد والحالات المضرة نفسها عن طريق أصدقائهم.

دور الأفكار والفلسفات:

يعود كثير من حالات التلوث والفساد إلى طريقة التفكير والفلسفة السائدة في المجتمع، فالإمثلة والكنايات القبيحة المستخدمة تمهد لشيوع الفساد في الأطفال واليافعين الأمر الذي يستلزم جهوداً ناجعة في مجال التضاد الفكري والتشاؤم واليأس الفلسفي والرؤى التي تسوق الناس للامبالاة والإنحلال.

تسلب بعض الثقافات إستقلالية الفكر والتحرك والسعي من الأشخاص وتجعل الأولاد أشخاصاً مستسلمين، وأحياناً تسلب الأفكار والفلسفات القائمة من الأشخاص مفاهيم الوحدة وترسخ فيهم القيم الكاذبة والمزيفة بينما تعمل بعض المقاييس على فتح ثغرة في الرؤى الموجودة ومن ثم ملؤها بقيم مغلوطة. . ينبغي التفكير في كل هذه القضايا وإيجاد الحلول الناجعة لها.

دور وسائل الإعلام: لوسائل الإعلام من أذاعة وتلفزيون وسينما وغير ذلك دور إستثنائي في بناء أو تأهيل الأشخاص، وعلى الوالدين اللذين يسمحان لأولادهما الإفادة من هذه الوسائل مراعاة الجانب الخلقي وفحوى برامجها خاصة وأن كثيراً من مضامين هذه البرامج ليست فقط غير مناسبة للأطفال بل ومضرة أيضاً.

لا ينبغي الإفراط في الإستفادة من هذه الوسائل إلا أن تكون برامجها المخصصة للأطفال متماشية مع منهجنا العقائدي، لكن الوضع القائم يكشف عن أن كثيراً منها خالياً من الجانب التربوي فضلاً عن أن بعضها تمهد لأن

يشذ الطفل عن السلوك الصحيح وتعلمه عادات وأفكاراً خاطئة والأمر نفسه ملاحظ في المسرحيات.

دور المطبوعات:

إن مطالعة الكتب والمجلات والصحف جيدة جداً لنقل التراث الثقافي وتوعية الأطفال شريطة أن يكون مضمونها مفيداً وبما يبني شخصية الطفل.. على المطبوعات إن تنقل الأفكار التي تحظى بتأييد المجتمع والدين وتعرّف الطفل على الأمور الإيجابية وإلا وجب الوقوف بوجه المطبوعات الفاسدة والمفسدة.

بعض المناهج الدراسية هي الأخرى لا تملك برامج مفيدة وبناءة بل هي أشبه ما تكون بوسيلة تمهد للفساد والتلوث كما أن بعض القصص والتمثيليات المعدة للأطفال تولد فيهم الغم. نعم إن مطالعة الكتاب والصحيفة والمجلة جيد ولكن أي كتاب وأيّ مجلة وصحيفة وأي نوع من المعلومات تغذيهم بها وبعبارة أخرى يجب الحؤول دون مطالعة النتاجات التي تولد الحقد والعداوة والفساد في الطفل.

دور العوامل الأخرى:

من العوامل الأخرى التي تترك بصماتها في هذا المجال الآداب والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع والنهج السياسي والحكومة والأسس والمقررات النافذة حيث يؤثر كل منها وبطريقة ما في الإنسان بالسلب أم بالإيجاب.

يبلغ حجم تأثير هذه العوامل إلى الحد الذي نعكس جانباً منها في حياتنا الخاصة فلو سيطر النظام الدكتاتوري فإنه سينفذ إلى جميع أبعاد حياتنا ويدفعنا لانتهاج أساليب من المنوال نفسه فيها.. إن شخصية كل طفل، بل وكل إنسان، مرتبطة بالعوامل المحيطة به وتتأثر بها الأمر الذي يدفعنا للإعتقاد بضرورة المراقبة والتقويم.

ضرورة التقويم:

إن كثيراً من مشاكلنا نابعة من كوننا ننسى في أي عصر وأيّ ظروف نعيش.. هل أن ما ينقل إلينا أو حتى ما يفرض علينا تحت عنوان الثقافة الجامعة نزيه ونقي ومطهر من الفساد والتلوث أم لا.

تعد تربية الأولاد أهم واجباتنا على صعيد الحياة العائلية وتقع على عاتقنا مسؤولية عظيمة بشأن ما ننقله إلى الأطفال خاصة وأنهم بناة المستقبل.

لقد بلغ التراث الثقافي من التعقيد والتداخل اليوم حداً بحيث يستلزم تقويم كل ثقافة وعدم المرور من جانبها مرور الكرام، حتى أنه يجب السعي لتعيين النقاط الإيجابية والسلبية ونبذ ما فيها من أوهام وخرافات ومقومات الفساد والواردات السيئة من الثقافات الغربية والشرقية و.. والأخذ بالرؤى والآداب الصحيحة منها ونقلها للطفل.

ضرورة الرقابة:

من الضروري بناء وإصلاح المجتمع وثقافته وفرض الرقابة على المجالات والأقسام الثقافية إذا ما أريد إصلاح وتأهيل الأطفال وحتى كل الجيل الذي يعاني من حالة غير طبيعية.. على الوالدين أن يوفرا للطفل أجواء يستطيع من خلالها الترعرع بصورة سليمة وينجز أعمالاً مفيدة وإيجابية دون أن يتعرضوا لحيف أو ظلم.

إن الإهمية البالغة للتربية تجعلنا نشعر بمسؤولية كبيرة إزاءهم ونأخذ بعين الإعتبار النقاط والضرورات التربوية؛ فالمجتمع الذي يسود فيه السلوك المنحرف والخيانة والخداع والفوضى لا يمكن، أو يصعب جداً، تحقيق تقدم ونجاح بشأن التربية كما أن المجتمع الذي يسوده الإنحلال والفوضى من الصعب جداً أن يكون أطفالنا فيه على النمط الذي ننشده وبالتالي الحفاظ عليهم من المخاطر.

واجب الناس:

يجب على الناس في المجتمع الإسلامي إصلاح أنفسهم وجوباً شرعياً فضلاً عنه وجوبا إنسانياً وأخلاقيا في آن واحد، فينبغي على الناس أن يراقبوا أنفسهم في قولهم وعلاقاتهم ونوع تعاملهم وطريقة تصرفاتهم وأن تكون أخلاقهم وأفعالهم مطابقة للدين وإلا لم ولن يضروا إلا أنفسهم.

يستلزم من الناس في المجتمع الإسلامي بناء بعضهم بعضاً، والتواصي بالخير، والتعاون فيما بينهم وأن يكون أحدهم أسوة حسنة للآخر، ومرآة له يأمر أحدهم الآخر بالمعروف وينهاه عن المنكر.

لا معنى للامبالاة في المجتمع الإسلامي، لا مجال ولا حق للإنحلال.. ليس لأحد الحق في الجهر بالفساد والتسليم للمنكرات ذلك أن الروح المشتركة في المجتمع هي السائدة والأفكار والأحاسيس يؤثر بعضها في الآخر فلو تلوث شخص ما فإنه سيمهد تلقائياً إلى تلوث الآخرين.

في مجال شيوع العادات الحسنة يتوجب على الناس مراقبة تصرفاتهم فيهدي أحدهم للآخر عيوبه ويحول دون بروز الظروف غير الصحيحة وحسب تعبير القرآن الكريم يكون ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فيصلح بعضهم إنحراف البعض الآخر ويحلوا المشاكل ويتبادلوا الود فيما بينهم، وسواء أكان المجتمع بكل قطاعاته على طريق توحيد الصف أم الفرقة تسوده الأخوة أو العداوة فإنه يؤثر بعضه في الآخر غير أن الإسلام يدعو إلى ممارسة الرقابة على كافة الجوانب الحياتية.

واجب الحكومة:

للحكومة الإسلامية صلاحيات واسعة لبناء وإصلاح المجتمع ؛ إذ تبادر إلى مكافحة المنكر مع مراعاة احترام بعضهم الآخر وكذلك السعي للحفاظ على الحقوق والدفاع عن الكرامة والشرف الإنساني وصولاً إلى بناء حياة

إنسانية سامية تخلو منها مظاهر الفساد.

من وجهة النظر الإسلامية يقابل المجاهر بالمعصية بالجزاء العلني حتى يكون عبرة لغيره فيرتدعون عن القيام بمثل هذا العمل، وعلى هذا يجب على الحكومة في المجتمع الإسلامي الحد من اتساع رقعة المعاصي والمشاهد المحرمة ومنع الناس من تناول الخمر ولعب القمار وممارسة الفحشاء وشيوع الفوضى، وللأحكام والحدود الإسلامية آراء في هذا المجال.

وخلاصة القول إن تأهيل وإصلاح الجيل يستوجب أن تنصب بعض المساعي لتأهيل المجتمع والثقافة السائدة فيه ونقدها وتقويمها وتنقيتها بالمقدار الممكن وإلا كان الإصلاح مستحيلاً وإن حصل فبنسبة قليلة جداً.

الفصل الثاني

إصلاح العائلة والأسلوب الأمثل

يبقى دور العائلة هو الأهم والأكثر تأثيراً بين كافة المؤسسات التي تساهم في بناء شخصية الطفل وتربيته ؛ فالطفل يكتسب من العائلة الكثير من الصفات والطبائع والسلوك ومنها تتبلور شخصيته وبسببها قد يكون انحرافه أيضاً.

على أن كثيراً من أولياء الأمور يحتاجون أنفسهم إلى إصلاح ومعالجة وإن ترك هذا الإصلاح مدعاة لظهور كثير من حالات الفساد والإنحراف. إن تربية الأطفال تحتاج في الواقع إلى أساليب جادة ومتينة وإلا فشل المربي في مهمته لا محالة، كما أن على المؤسسات الدينية السعي إلى تعزيز هذا الكيان وبذل ما في وسعها لتوجيهه وإرشاده.

تقليد الأطفال:

توجد في الطفل حالة التشبه إذ يسعى لأن يكون مثل الآخرين لا سيما من يحبهم ولذا فهو يقلد وبمهارة فائقة.

إنه يبحث عن أنموذج ليقلده. . هذا الأنموذج يختاره عادة من بين الأشخاص الذين يستقطبون اهتمامه أو من هم حوله ويتعلم منهم بعض الأشياء.

يلتقط الطفل في الأيام الأولى من حياته من أبيه وأمه، فيهتم ويمارس

ما يراه من أفعالهما ؛ يضحك مثلهما ويتحدث بطريقتهما ويبكي على أسلوبهما وقد غلب الأمر على أن تأخذ البنت من الأم والأبن من الأب وعلى هذا الأساس كان السلوك الحسن والسيء درساً بالنسبة إليه بل وكأنه يلتقط منه صورة لنفسه.

أهمية العائلة:

كما أشير سابقاً فإن العائلة مهمة بالنسبة للطفل من جهة أنها تستطيع منحه ودفعه نحو الكمال أو أن تقف سداً بوجه تكامله وسعادته، فمثلما لوسائل الإعلام أثرٌ في الأشخاص تعمل على تطهيرهم تارة وتارة أخرى تدفعهم لامتطاء جادة الفساد فإن للأب والأم دوراً قائماً بحد ذاته في هذا المجال.

يطوي الطفل مسير حياته بخطوات ناقصة وضعيفة، ولا يستطيع أن يكون ناجحاً في عمله إلا أن يتعلم من الآخرين أسلوب الحياة والتسامي والرقي علماً أن الوالدين من أهم مصادر معلوماته.. إذا لم يتوفر الصدق والنبل في العائلة وإذا سادها الفساد والرذيلة فلن تكون هناك إمكانية البناء في الطفل.

لا يستطيع الطفل تعلم الإخلاص والصدق والشرف إلا من خلال الفضيلة والفعال الخيرة التي تصدر من العائلة.. إن اللهجة الجادة والحنونة من قبل الوالدين للطفل تكون مؤثرة إذ تمنحه الشعور بالألفة والثقة بالنفس وتعلمه التصرف الإنساني المتسم بالصدق والنبل.

ماذا يتعلم الطفل في البيت؟

يرى الطفل نور الحياة وهو لا يعرف شيئاً، وكل ما يتعلمه في مرحلة الطفولة فمن العائلة.. إنه يتعلم من الأب والأم وباقي أعضاء العائلة قضايا كثيرة من قبيل الآداب والأعراف والقوانين والأوامر والمعلومات العامة والتربية والتحدث و...

وفي الواقع إن الوالدين يفتحان نوافذ فكر الطفل وذهنه وأحاسيسه على العالم الخارجي ويعلمانه ما في العالم وكيف يتحدث وكيف يحل مشاكله وما الموقف الذي عليه اتخاذه إزاء القضايا التي تعترضه.

يلقن الوالدان الطفل من خلال القول والفعل ما هو الجيد وما هو الرديء، ما العمل الذي عليه القيام به أو الذي عليه تجنبه.. إنهما يرشدانه إلى الصحيح وإلى الخطأ وإلى طريق معرفة الله تعالى وما هو حق الصداقة وكيفية الدعوة إلى الصبر والتحمل والمسامحة والإيثار والتقوى والطهارة وفي المقابل يقبل الطفل منهما كل ذلك ويطيع أوامرهما انطلاقاً من حبه لهما وكسباً لرضاهما.

المهم على الصعيد التربوي وخاصة في إطار عملية تأهيل الأطفال هو أن يتعلموا ما هو حسن وتجنب ما يؤدي إلى تعلم السلوك الشاذ والتعليمات التي تقود إلى انحرافهم وخروجهم عن جادة الصواب.

مسؤولية الوالدين:

الوالدان مسؤولان..

مسؤولان عن تربية الأطفال، وعن انحرافهم..

مسؤولان في مقابل الله جل وعلا، وفي مقابل الضمير والمجتمع..

فلو صدر من الوالدين سلوك خاطئ أمام الطفل وتعلمه الأخير فعليهما تحمل المسؤولية كما لو غامرهما الفخر في حال حقق الطفل انتصاراً أو أحرز تفوقاً في مجال ما.

على هذا الأساس ففي الوقت الذي يمكن الإنجاب بسهولة يصعب أن يكون الإنسان أباً وأماً بالمعنى الحقيقي ومسؤوليتهما أصعب؛ فالطفل أمانة الله ولا يمكن إيكال أمره لأي أحد ولو حدث أن تنصل الوالدان من تربيته أو

ما شابه ذلك فعلى الحكومة الإسلامية أو الحاكم الشرعي تعيين ولي أمر آخر.

يعزو عدم إصلاح كثير من الحالات المشينة في الطفل إلى عدم اهتمام الوالدين بإصلاحها عملياً أو أن أسلوبهما غير محبب حتى يجذب الأطفال وبالتالي يمتنع عن سلوكه المشين علماً أن الطفل يتطلع إلى أن يعرف دليل كل عمل يقوم به الوالدان.

ضرورة إصلاح الذات أولاً:

إنطلاقاً من هذا المفهوم فإننا نرى أن المصلحة تقضي بأن توكل عملية تأهيل الأطفال إلى أشخاص كفوئين، وإذا لم يكن الوالدان بالمستوى المطلوب ولهما تصرفات غير لائقة فعليهما السعي في إصلاح نفسيهما أولاً.

ينبغي أن تكون بيئة العائلة طاهرة من الرذائل والفساد والعوامل الملوثة، وعلى الوالدين في هذا السياق تجنب ارتكاب الفعال المشينة ويعملا على تهذيب أخلاقهما وترسيخ التقوى في نفسيهما ليكونا أفضل أسوة صالحة لتربية الطفل وبناء شخصيته ورفده بكل ما هو حسن.

لا يحق لنا بعد أن أصبحنا أباً أو أماً أن نتحدث بصفتنا مستقلين ولا يصح أن نتصرف بكل ما يرد على خاطرنا بل ينبغي لنا ممارسة الرقابة على أنفسنا حتى نحول دون انتقال العيوب والسلوك الخاطئ إلى الطفل. . على الوالدين وباعتبارهما بناة الحياة أن يكونا بمستوى المهمة ويتوفر فيهما ما يرغبان بتزويد الطفل به من فكر ووعي وفعال.

ما من شك أن كلاً منا يعاني من عيوب ونقص لكن المهم هو أن نتخلص منها بشكل ما ونعمل على بناء أنفسنا بالصورة الصحيحة و . . .

قيادة الطفل.. على أي منوال؟

يتحمل الوالدان قيادة وإرشاد الطفل على أن هذه القيادة يجب أن تكون واعية من جهة وتتسم بالحيطة من جهة أخرى ؛ فهما يهيمنان على حياة الطفل بكل أبعادها وإن أرادا النجاح في تربيتهما للطفل وبناء شخصيته فلا بد لهما من تحديد نهج وهدف معين يتحركان باتجاهه.

فالعشوائية والسطحية في قيادة الطفل تقلل من مستوى العملية التربوية وقيمتها بل وتتخللها في بعض الحالات أخطاء كثيرة وربما تسببت في بروز وضع لا ننشده للطفل فيما بعد. . إن الإهتمام المنطقي بالأمور والسعي لحل المشاكل عن طريق التأمل والفكر يعد من ضروريات الحياة العائلية في إطار تربية الطفل.

إننا نعتقد بإمكانية زرع مفاهيم الصدق والحرص وعدم التبذير وتحمل المسؤولية والتضحية وحب الخير للآخرين والتحلي بالمثل الإنسانية والقدرة على اتخاذ القرارات في الطفل من خلال القيادة الصحيحة في البيت وإعداده للمشاركة في حياة اجتماعية بصورة مؤثرة.

على صعيد الأمر والنهي:

يعتبر الأمر والنهي جزءاً من مهام العائلة في كافة الحالات وخاصة ما يتعلق بتأهيل الطفل، على أن يكون الأمر والنهي متناسباً مع إمكانات الطفل وقدراته بحيث يمكنه العمل بهما بصورة جيدة.

ينبغي أن يتصف الأمر والنهي بالحزم فيما يتعلق بالأطفال لكي يؤمنوا بضرورة العمل بها دون أن يشعروا بالضغط أو أنها مفروضة عليهم. هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب على العائلة السعي لأن يحترم الطفل أمر والديه ويبادر إلى تنفيذه ؛ فلو أمره الوالدان ومن أجل الخروج من حالة الكسل بلملمة فراشه يومياً فعليه أن يمتثل لذلك لحين صدور الأمر بتركه.

النقطة الأخرى التي من الضروري الإشارة إليها في هذا المجال، أن يكون الأمر والنهي منطقيين ومتماشيين مع العقل السليم ولا ينمان عن الجهل أولا ينطبقان مع العقل السليم. . كما يجب أن لا يتناقض أمر مع أمر آخر لأن ذلك سيجعل الطفل في حيرة من أمره إذ يأمره الأب بشيء وتأمره الأم بخلافه أو أن يأمره الوالدان بشيء والإبن الأكبر لا يمتثل له.

النظام والإنضباط:

تحظى مراعاة الإنضباط والنظم في الأمور في المحيط العائلي بأهمية خاصة على صعيد تأهيل الأطفال؛ فكلما كان الوالدان جادين بشأن النظم والإنضباط وتنفيذ البرامج كلما قلت أخطاء الطفل وتمرده بل ويكفي ذلك مؤونة اللجوء إلى استخدام العصا والضرب. هذا الكلام لا يعني تحويل البيت إلى مقر عسكري يكون الوالدان كآمري الجيش مسلطين سيفهما على رأس الأطفال بل المراد هو أن لا تكون هناك تساهل أو تهاون في مثل هذه الأمور.

على أن الإنضباط ثمرة التربية فيما النظم وسيلتها لكن ذلك الإنضباط وهذا النظم يجب أن يكونا متناسبين مع خصائص كل حالة حيث لا يمكن أن يكونا بنفس المستوى في كافة الظروف وعليه ينبغي الأخذ بنظر الإعتبار موضوع الجنس والموهبة والحيوية والمستوى الفكري والإجتماعي والإقتصادي وما شابهها.

العائلة التي تهتم بعملية تأهيل وتربية الأطفال تمتاز بنظم خاص في مجالات الحياة من قبيل النهوض من النوم والخلود إليه والجلوس والعمل والإستراحة والأكل و. . . فكل هذه الأمور تؤثر في الطفل سواءً بصورة مباشرة أم غير مباشرة، وهنا نشير أيضاً إلى أن النظم وقوانينه يجب أن يكون هادفاً وعقلانياً ومناسباً وبإمكان الطفل تنفيذه.

وبطبيعة الحال فإن عدم اهتمام الوالدين بالنظم وعدم مبالاتهما

بالضوابط يترك أثراً سلبياً على الطفل ويبطئ من علمية الإصلاح، فالطفل يترقب أن تصدر مخالفة من والديه كي يربط فيما بعد تمرده وعدم انضباطه بتلك المخالفة.

الأساليب:

من الضرورة بمكان اختيار الأسلوب المعقول والمؤثر في مسيرة تأهيل الأطفال. . القصد من الأسلوب هو كافة الأدوات والفنون التي تساعدنا على بلوغ الهدف المنشود، كما يمكن أن يشمل الأسلوب مجموعة التدابير الكفيلة بإيصال ولي الأمر إلى هدف مثمر. أما الإفتقار للأسلوب أو عشوائيته يؤديان إلى أن يكون الطريق إلى تحقيق الهدف طويلاً حافلاً بالمشاكل والصعاب مما يعني إتلاف المزيد من الوقت والجهود مع عدم تحقق الإصلاح المنشود.

فمراعاة العدالة وأسلوب المساواة والتطبع على هذا المفهوم مثلاً يترك أثراً إيجابياً على الطفل ويزرع في نفسه الميل لذلك أو حينما يغضب الطفل نقابله بأسلوب المواساة بدل مواجهته بالغضب والإنفعال لأن ذلك سيكون أنجع في إصلاحه. بهذا الشكل لا نلجأ إلى صفع الطفل حينما يتفوه بكلمات غير لائقة بل نعمد إلى أساليب إيجابية في تعليمه الألفاظ المستحسنة واللائقة كأن يقال أمامه "طفل محبوب" بدل "طفل أحمق" أو "ليغفر الله لك" بدل "يا سيء الحظ" وهكذا.

العلاقة الحميمة مع الأطفال:

العلاقة مع الأطفال يجب أن تتسم بالود والصفاء فحينها ستكون أكثر تأثيراً في بناء الطفل مما لو شاع فيها الحقد والبذاءة والغضب والنهر، بالإضافة إلى ذلك فإن الأطفال يسلمون أمرهم للطرف المقابل عندما يلمسون فيه الصفاء والود، يسرونه بالقول ويتحدثون إليه بكل انبساط وفي هذه الحالة يسهل حل مشاكلهم.

من ناحية أخرى فإن العلاقة الودودة مع الطفل تنمي روحه وتجعل صاحبها بمرور الزمن شخصاً طاهراً ونقياً وذا قيمة، والحقيقة أن كثيراً من حالات التمرد سببها العقد الناجمة من إحساس الطفل بانعدام الصفاء.. قد يكون الوالدان بمنتهى الصفاء والود لكن أسلوبهما ربما يلقي بظلاله عليهما فلا يشعر الأطفال بهما ولذا تقضي وجهة النظر التربوية بأن على الوالدين العمل بما يجعل الطفل يستشعر ويلمس محبتهما وحنوهما عليه.

إن الظهور بمظهر العبوس والمتشدد ليس أنه غير بناء فحسب بل ويولد العقد أيضاً للطفل.

العائلة والمجتمع العاصي:

تكشف مقومات بناء المجتمع، من عائلة ومدرسة ومجموعات، عن هويتها ومدى فاعليتها من خلال العمل والتطبيق؛ فلو لم تكن هذه المؤسسات مهذبة وسليمة فإن الأطفال سيتعلمون ما هو سيء ومشين وحينها ستعد مذنبة ومقصرة في مسؤوليتها.. إذا كان المسؤولون وبناة المجتمع حقودين وضعيفي النفوس، وإذا لم يراعوا الأدب، وإذا لم ينتهجوا الأسلوب الصحيح فماذا يمكن أن تكون توقعاتنا من الأطفال.

عندما يكون المنحرفون والطالحون أمام الأعين، كأن يكون في البيت شارب خمر أو فاسد والطفل يراه ويشعر بوضعه بشكل ما فإنه سيتأثر به وسيسلك مستقبلاً ذات الطريق ولهذا كان لزاماً تطهير العائلة والمجتمع وتنقية أجوائهما.

كما أن على هذه المؤسسات (العائلة والمدرسة والمجموعات) أن يكمل بعضها الآخر وتسير جنباً إلى جنب لا أن يحبط أحدها عمل الآخر، وأن أي تجاوز أو عدول عن النهج الصحيح وأي انحراف يعد معصية وذنباً ويستحق العقوبة ولو من جهة أنه يصير وسيلة لتعلم الطفل درساً سيئاً.

الفصل الثالث

الإصلاحات الطبية

لسلامة الجسم دور كبير في سعادة وتفاؤل الإنسان واتزانه ووقاره، وقد أثبتت البحوث الطبية أن الأمراض لها دور كبير في انحرافات وتمرد الأطفال وحتى الكبار.

لقد ساد الإعتقاد بأن معالجة الأمراض النفسية ممكنة إذا ما كان الإنسان سالماً من الناحية الجسمية والعكس صحيح أيضاً إلى حد ما ؛ فتارة يتسبب عيب صغير في الطفل كالألم في الأذن أو التلكؤ بالتلفظ في تولد حالة غير طبيعية لديه ومن الطبيعي أنه طالما لم يتم اقتلاع جذور العلة تعذرت إمكانية العلاج والإصلاح. . إن علماء النفس برهنوا على إمكانية تخليص الطفل من كثير من الإختلالات النفسية عبر معالجة الأمراض وكذلك التدابير الوقائية وتوفير اتزان عقلي وخلقي لهم ومنعهم من الإنحراف.

العلاقة بين الجسم والروح:

من وجهة النظر العلمية يؤثر الجسم في الروح مثلما تؤثر الروح في الجسم. . عندما تتوفر الأرضية لسلامة الجسم فإن الروح تستفيد منها أيضاً وإن توفرت عوامل مرض الإنسان جسدياً مرضت الروح كذلك والعكس بالعكس.

المثال التالي يوضح المفهوم أعلاه إلى حد ما..

إذا أحس الإنسان بمرض جسمي فإنه سيحرمه ولا شك من بعض الملذات، الأمر الذي يتسبب أحياناً بتوليد عقد في نفسه وبالتالي بروز حالات شاذة فيه.. فالطفل الذي يعاني من نقص عضوي كالشلل أو العور أو عيب في الوجه على سبيل المثال يكون ملفتاً للنظر في وسط الآخرين وإن كان في وسط من الجهال صار عرضة لاستهزائهم وكلماتهم اللاذعة وربما لومهم الجارح مما يولد في نفسه العقد، والحال نفسه يلاحظ إذا كان يعاني من عيوب جسدية أخرى.

هذه العقد تتفاقم بالتأكيد في نفس الطفل، وتتفاقم معها حالات التمرد إذا لم يتم إعداده نفسياً وبناء روحه أو عندما يرى اختلافاً بين القيم التي يؤمن بها وبين تلك التي يعامل على أساسها بهذه الطريقة.

العلاقة بين المرض والتمرد:

بناءً على ما سبق، نرى أن هناك علاقة بين المرض والعاهة وعدم سلامة الجسم وبين التمرد والحالات الشاذة على أن هذه العلاقة قد تكون مباشرة وقد تكون غير مباشرة، كما قد تكون بالمستوى الطبيعي أحياناً وأحياناً أخرى تساهم في تأزيم الوضع النفسي وحجم التمرد.. والأمثلة التالية توضح المفهوم أعلاه:

- الطفل الذي يعاني من ثقل في السمع غير قادر في كثير من الأوقات على سماع أوامر والديه حتى ينفذها في حين قد يتصور الوالدان الجاهلان لوضع طفلهما أنه متمرد ولا أبالي.

- يعد سوء الهضم في الطفل مرضاً جسدياً ويكون مصحوباً عادة بعدم ارتياح وضجر في حين قد لا يعلم الطفل نفسه ولا حتى الوالدين بهذا الأمر.

ـ الطفل الذي يشعر بأن لديه الكثير من الكلام ولا يستطيع التفوه به يصير معقداً. يريد أن ينطق بما يجول في خاطره لكنه لا يستطيع، أو ترجف رجله مثلاً حين يبدأ حديثه ويفقد سيطرته على نفسه.

ـ الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية يشعرون أحياناً بالقلق أو الإضطراب أو الغليان بسبب موضوع مجهول بالنسبة إليهم في حين تزول هذه الحالات مع حل الموضوع أو المشكلة.

ـ الطفل المصاب بمرض عصبي يكون أسرع بالتأثر من الآخرين في حال مواجهة أمر مقلق.

ـ وعلى المنوال نفسه؛ مَنْ تعجز كرياته البيض عن الدفاع يكون أسرع وأسهل إصابة بالأمراض النفسية.

أنواع التمرد:

التمرد الناجم عن الأمراض الجسدية على أنواع وصور مختلفة.. تلحظ الأم على طفلها أحياناً قلة النوم وربما عدم النوم لأيام وكذلك حالة عدم الإرتياح عليه الأمر الذي يعني معاناة الطفل من ألم ما في أعضاء بدنه مثل وجع في الأذن أو وجع في الرأس أو إصابته بالزكام وأحياناً يكون ضيق النفس مدعاة لشعور الطفل بالآلام وبالتالي عدم الإرتياح مما يدفعه للتمرد.

يلجأ الطفل في بعض الأوقات، وبسبب ألم في معدته ولكونه عصبياً، إلى الصراخ ورفس الأرض بشدة من فرط الألم حتى أن والديه يتصوران أنه يحتضر. يبكي ويتلوى ثم يظهر تمرده الذي يتعمق فيه إن بقي يعاني من حالته هذه.

ما أكثر الأطفال المنحرفين الذين نجم انحرافهم عن البلوغ السريع أو عن أمراض مختلفة تسببت في انحرافهم وشذوذهم فتبدر منهم تصرفات

مذمومة في البيت والمدرسة في حين يمكن حل كل ذلك من خلال مراجعة الطبيب وإخضاعهم للعلاج.

دور الغدد الراشحة:

إن كثيراً من حالات التمرد لدى الإنسان بل وحتى سلامته أو مرضه سببه الغدد الراشحة الداخلية؛ فهذه الغدد التي تنتشر في مختلف أنحاء الجسد لا تكون إفرازاتها الحجم والمقدار نفسه دوماً بل تتأثر بعوامل من قبيل الغذاء والنور والحرارة ونوع التغذية.

وسواء أكانت الإفرازات قليلة أو كثيرة، إلا أنها تؤثر في سلامة أو مرض الشخص نفسياً وفي اتزان شخصيته أو عدمه وبالتالي تؤثر في مدى حيويته أو خموله. . من الممكن أن يؤدي الخلل في نشاط غدة (الهايبوتالاموس) في الإنسان مثلاً إلى إثارته عصبياً أو خوفه أو إغضابه أو تسارع دقات قلبه أو تباطئها أو بروز عوارض أخرى فيه، كما أن كون الإنسان عصبياً يرجع سببه في الغالب إلى تزايد إفرازات غدة (التيروئيد) وإن قلت فتسبب الوهن والضعف وعلى هذا كانت مراجعة الطبيب ضرورية لإرجاع عمل الغدة إلى الحالة الطبيعية وبالتالي الحؤول دول بروز الكثير من العوارض النفسية.

دور النواقص والتسمم:

لقد أظهر علم الفسلجة أن زيادة أو نقص بعض العناصر في الجسم قد تقود إلى بروز عوارض تخل بالسلامة النفسية للإنسان؛ فالفسفور والحديد والزرنيخ لها آثار إيجابية أو سلبية على جسمه وروحه ما يمنعه من القيام بمهامه على الصورة الصحيحة.

وأظهرت بعض الدراسات والأبحاث أن الأنانية والحسد غير المبرر

والحقد والعناد وسائر العوارض النفسية ناجمة أحياناً من التسمم في المخ الناجم بدوره عن نقص في الدم أو شلل الأعصاب أو وجود الزرنيخ في الدم. . هذه العوارض التي تساهم في بروز حالات التمرد لدى الطفل ناشئة عن خلل في الجسم وإن عولج الخلل زالت تلك العوارض.

على طريق العلاج:

إن معالجة مثل هؤلاء الأطفال تستلزم طي بعض المراحل، نعرض إليها بشكل مقتضب. .

١ ـ **مرحلة التشخيص**: يتركز العمل في هذه المرحلة على تشخيص حالة الطفل وأوضاعه المختلفة عن طريق إخضاعه للفحص أو المطالعة عن مراحل تكوين الطفل.

فالطبيب، وهو الذي يمتلك معلومات عن حالات الأعصاب والنفس وطريقة نشاط الغدد الرشحية، يكتشف من خلال الفحص علامات المرض ويحدد طريق وأسلوب العلاج. . يؤدي وجود الدود والحك في المقعد إلى قيام الطفل بتصرفات غير طبيعية يجب معالجتها.

أما على صعيد المطالعات الخاصة بتكوين الطفل فيجري السعي إلى معرفة منشأ المرض النفسي والحالة غير الطبيعية عن طريق إجراء مطالعة عن الطفل من مرحلة تكوينه إلى وقت الحالة؛ عن مرحلة الحمل والأدوية التي استخدمتها الأم حينها وحالة التغذية والبيئة والظروف الثقافية والإجتماعية والسياسية والدينية والخلقية و. . . حتى يمكن إلى جانب الوقوف على حقائق الأمور وأسرارها، معالجة الحالة.

٢ ـ **المراعاة والإهتمام في المنزل**: إن كثيراً من الحالات المرضية يمكن معالجتها عن طريق المراعاة والإهتمام بالطفل في المنزل؛ فقد نعرف أن الحالة التي يعاني منها الطفل هي بسبب سوء الهضم والقبض الذي قد

يكون ناجماً عن عارض جسمي، عندها يمكن معالجته بإعطائه مليناً وقد تكون بسبب عامل نفسي مثل التألم بشدة حين التبرّز مما يجعله يمتنع عن ذلك وإن استمر الحال على هذا المنوال يوماً أو يومين ازدادت الحالة سوءاً وتركت آثاراً نفسية عليه.

٣ ـ **المعالجة الطبية**: في بعض الموارد تكون الحالة المرضية متجذرة ولا يستطيع الوالدان معالجتها مما يستوجب اللجوء إلى الطبيب ليتولى مهمة علاج الطفل حيث يتم على يديه الشفاء بإذن الله تعالى.

يوصي الطبيب غالباً بأدوية مسكنة ويهدأ بذلك الطفل وبالتالي تزول منه حالة التمرد أو السلوك الشاذ، أو يلجأ أحياناً إلى الأدوية الخاصة بالأعصاب أو التي تنظم عمل الغدد وحينها لا يبقى أثر للخلل النفسي.

ضرورات من أجل الوقاية:

تعد المنظمات الطبية والصحية في البلد هي المسؤولة عن الحفاظ على سلامة جيل الأطفال من الإصابة بالتلوث والأمراض التي تبرز في المجتمع وكذلك اتخاذ التدابير التي من شأنها الحد من الإصابة بنقص أو مرض جسدي أو نفسي وبروز حالات شاذة، وهذه الوقاية خير من اللجوء إلى العلاج بعد الإصابة.

من مهام المنظمات الطبية والرعاية الإجتماعية التحقيق بشأن أمراض الأطفال وخاصة تلك التي تلقي بظلالها على الجانب النفسي للطفل ومن ثم رفد الوالدين بتلك المعلومات وتعريفهم بالموقف الذي عليهما اتخاذه.

إن الوقاية ضرورية من جهة أن مجرد وجع بسيط في معدة الطفل قد يستمر فيه ويبكيه بشدة ومن ثم يجعله مضطرباً وقلقاً لأشهر من الزمن ويدفعه إلى التذرع بحجج واهية وسوء الظن والبذاءة وما شابه ذلك.

تفيد الدراسات بأن الحالات الشاذة نابعة من عوامل نفسية بحتة ولكن إن وجد مرض عضوي فالحالة تكون أشد ؛ فالحسود تشتد حالة الحسد عنده واضطرابه النفسي إن إصيب بجرثومة حية من التيفوئيد.

العلاج والوقاية.. لمن؟

يكون العلاج لكل المرضى والوقاية ضرورية لكل الأطفال، وخاصة:

ضعيف البنية، والمكتئب، والحساس اتجاه بعض القضايا، ومن يفتقر للتوازن الجسدي، والمريض الذي تظهر على جسده البقع الحمراء عند العصبية، وقليل التحمل، وكثير البكاء، والمتعب كثيراً، والمحروم، والبعيد عن أحضان والديه، والمعرّض للإصابة بالسل، والسريع التأثر، والذي يسعل بين الفينة والأخرى، وغير المستقر، ومن يعاني من آلام موضعية، و. . . فهؤلاء الأطفال أكثر حاجة للوقاية من غيرهم.

وبطبيعة الحال فإنه ينبغي توظيف العديد من الوسائل والإفادة من مختلف العوامل المتاحة بهدف الحصول على جسم سليم والتطبع على العادات حسنة، وعلى وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات نشر المعلومات اللازمة على صعيد السلامة والصحة.

الفصل الرابع

إصلاح الروح والنفس

لا تقتصر المهمة الأولى للعائلة على مجرد التغذية والنمو الجسدي للطفل بل تتعداه إلى النمو والتربية الروحية إن لم يكن الثاني هو الأهم.

من الضروري الإشارة هنا إلى أن كثيراً من حالات الإضطراب والتمرد الصادرة من الطفل مردها إلى جهل الوالدين والمربين وعدم اهتمامهم وتساهلهم بشأن تربيته روحياً مما يستتبع المرض العضوي. . نحن نعرف الكثير من الأطفال الذين يعانون من أمراض نفسية بينما الوالدان منهمكون في جمع المال وزخارف الحياة.

على أن من المشاكل المستعصية الشائعة في البلدان، إفتقار عدد ملحوظ من كبارنا للنظم في شؤونهم وإصابتهم باضطرابات نفسية وهم في الوقت نفسه يتولون أمور الناس وقد أحاطت الغفلة بالناس من أنه حينما يكون أصحاب القرار في بلدهم مرضى فلن يكون هناك أمل بتحسن الأمور وشيوع الخير والصلاح.

مصاديق المرض:

تظهر الأمراض النفسية مع بداية مرحلة الطفولة حيث تظهر عوارضها

على شكل الصراخ المفتعل والبكاء وعدم الإستقرار ثم تكون في السنوات التالية على شكل وجع الرأس وقلة التحمل والإضطراب والحساسية والإنفعالية، وأحياناً يكون التمرد علامة المرض فيصبح الطفل بمرور الزمن شخصاً يحب المشاكل وإثارة الشغب.

يتجلى المرض في الشخص في بعض الأوقات على شكل عقد نفسية إذ تتحول الإخفاقات وعدم تحقق الأهداف والمطاليب إلى عقد فيحاول القيام بأي فعل ومهما كان مستواه في محاولة لتهدئة روعه.

إن الإنحرافات والحالات المذمومة كالحسد والبخل والكذب والمشاغبة والتسليم لعوامل التلوث والضحك والبكاء غير المبرر وغير ذلك هي مصاديق للإضطراب النفسي ينبغي الإسراع في معالجتها وإلا كان لبقائها واستمرارها في الشخص عواقب وخيمة.

أثر الأمراض النفسية:

إن الأمراض النفسية تجعل من الإنسان الذي يمكن أن يكون مصدر خير وخدمة للآخرين، إنساناً ذليلاً ومسكيناً وعاجزاً على طريق الإنحراف وتبديد القوى والطاقات بسبب المشاكل لأولياء الأمر والمعلمين ويعقد من مهمتهم.

حتى المعاناة من عقدة نفسية واحدة قد تقود للفساد وأحياناً إلى ارتكاب جريمة القتل، كما أن إحساس الطفل بالذلة قد يحوّل حياته إلى جحيم يدفعه في بعض الحالات إلى التكبر والعجب بالنفس أو الإنتحار !

على أن من المحتمل تفاقم الإضطرابات النفسية في البعض إلى الحد الذي يفقدهم الإحساس بالأمن ويجعلهم ضعفاء أذلاء ليست لهم القدرة على التقرير أو يدفعهم لاتخاذ قرارات غير صحيحة تجلب الويل لحياتهم وحياة الآخرين.

علاقة الأمراض النفسية مع الجسم:

مثلما أسلفنا في الفصل السابق فإن هناك علاقة بين الجسم والروح، ولسلامة أو مرض أحدهما تأثير في الثاني ولذا فالمريض النفسي الذي ننشد سلامته علينا معالجته عضوياً أيضاً والعكس أيضاً صحيح.

كما نعلم فإن غدة (الهايبوتالاموس) مسؤولة عن قسم من الأمور المتعلقة بتنظيم أوضاع الجسم فلها تأثير في السمنة والضعف والشلل والإثارة، ثم إن تزايد إفرازات هذه الغدة يؤثر في حجم الصداقة والعاطفة والحنان والحقد وحالة الوسواس فيما يؤدي تسمم خلايا المخ إلى الإصابة بالأمراض مما يعني أنه لا سلامة نفسية للأشخاص دون سلامة هذه الغدة أو غيرها من الغدد.

لا بد من السعي من أجل سلامة الجسم الممكنة عبر رفده بعوامل مبهجة وصولاً لسلامة الروح.. ثم ما أكثر السلوك المعوج والإنحرافات وسوء الظن الذي منشأه الجسم وفي الوقت نفسه ما أكثر الإضطرابات النفسية الناجمة من علل جسمية الأمر الذي يعني أن إهمال علاج أحدها يعني عدم شفاء الأخرى.

ضرورة العلاج:

وفقاً لما تم توضيحه فإن من الضروري معالجة الأمراض والإضطرابات النفسية، وإلا قادت إلى بروز عقد نفسية وأمراض كثيرة.

حينما يصاب المرء بعوارض نفسية يتبدد الصفاء والهناء من حياته وتكون في نظره صعبة ولا تطاق؛ فالحسود والحقود ومن يضمر في نفسه العداوة يضر نفسه قبل غيره. ويفقد هدوءه ويضني نفسه الأمر الذي يتسبب في أذية الآخرين.. ينبغي معالجة الإضطرابات النفسية في أسرع وقت فإن تعمقت جذور الحالة في المريض لاستحال معالجتها أو كانت النتائج ضعيفة

جداً، هذا فضلاً عن أن حرمانه سيكون مضاعفاً فيما تقدمه ورقيه العقلائي سيكون معدوماً.

ثم إن الإنسان أمانة من الله في أعناقنا ولذا وجب بناء شخصيته وتسليمه للمجتمع ولو لم يتم ذلك فسيبقى عاجزاً ضعيفاً ليس عاجزاً فقط عن فعل شيء للمجتمع بل ويستهلك طاقات وقدرات الآخرين أيضاً.

على طريق العلاج:

لا بد من الإلتفات للنقاط التالية عند معالجة المريض أو المضطرب نفسياً:

١ ـ معرفة المنشأ والأسباب: تلك هي الخطوة الأولى على طريق المعالجة، حتى نعرف من هو؟ وما هو؟ وكيف كان؟ وكيف صار؟ حيث إن الفحص الدقيق والتحليل المناسب للحالة يقرّب الكثير من البعيد ويفتح آفاقاً للشفاء ويزيد من الأمل بتحقيق نتيجة إيجابية.

إن التحقيق حول منشأ الأمراض والإضطرابات النفسية يوقف المرء على أن كثيراً من العوارض النفسية منبثقة من حالات حرمان سابقة، فمن عانى في السابق من نقص وحرمان يصاب اليوم باكتئاب نفسي ومن ترعرع في ظروف صحية ونفسية سيئة وفي بيئة اجتماعية مريضة وواجه مشاكل تربوية وعاش حالات من انعدام العدالة والمساواة يكون اليوم غير طبيعي وربما شاذاً في تصرفاته وسلوكه.

ومن هذا المنطلق فإن كثيراً من الأطفال الذين عانوا في طفولتهم من الذلة والخنوع أو افتقروا للعاطفة لا يمكنهم اليوم أن يكونوا طبيعيين، بل قد يؤدي سوء في التغذية إلى مرض يترك بعده أثراً سلبياً على نفس الإنسان.

يحمل الإنسان معه وعلى مدى حياته مشاعر مختلفة من قبيل الحسد

والأنانية والحقد وحب الإنتقام والبغض والعداوة وطلب الشهرة وغيرها ما يجعله شخصاً عاجزاً الأمر الذي يستدعي الإستفادة من كل وسيلة وأسلوب من أجل معرفة المشكلة التي يعاني منها.

٢ ـ التحاور مع الطفل: يكون التحاور مع الطفل أحياناً من أساليب علاج الحالة التي يمر بها وهو ما يمكن أن يقوم به الوالدان والمعلمون وصولاً إلى حل العقدة وإزالة المشكلة.

يتعين علينا في بعض الأحيان وعلى طريق تأهيل الطفل أن نأخذ ما يعانيه على محمل الجد ونراجع في هذا المجال متخصصاً سواء أكان طبيباً نفسياً أم مرشداً إجتماعياً ليقوم بدوره بالمعالجة.

وفي هذا السياق ينبغي التحدث مع الطفل وتحفيزه على الكلام كوسيلة لحل عقده ومعالجة آلامه النفسية من خلال معرفة سبب ما يعاني منه وأي الأساليب الناجعة لمعالجته على أن هذه الطريقة تحتاج إلى تخصيص وقت وتمهيد للحوار، كما يجب أن يتحلى المحاور بطول الأناة والوعي والإهتمام بمصير الطفل وإصلاحه.

قد يكون قليل من المزاح أو سرد قصة ظريفة أو إشعاره بالحنان كفيل بإنطاق الطفل وبالتالي دفعه لأن يبوح بسره لنا وبالتالي الوقوف على سبب ما يعانيه ومن ثم معالجته.

٣ ـ تغيير الأجواء والتنزه: يعد هذا الأسلوب من الطرق والسبل المؤثرة ليس في معالجة الأطفال فحسب وإنما الكبار أيضاً ذلك أن المصاب باضطراب نفسي أو انحراف أو سوء الخلق أو تعب في الأعصاب تتحسن حاله ويزول مرضه.

تزيد الرتابة في هم وكآبة الشخص وعلاج ذلك في تغيير الأجواء عبر التنزّه أو الذهاب في سفر قصير؛ فالسفر والهجرة والتعرف على أشخاص

جدد والإطلاع على أوضاع جديدة للآخرين يصلح حال الشخص إلى حد كبير ويخلصه من صفات سوء الخلق وبذاءة اللسان والإضطرابات ويرفع من معنوياته.

٤ ـ **التوعية والوعظ**: ينبغي الإقرار بأن الجهل بالقبح وعواقب الأمور يؤدي في كثير من الأوقات إلى الممارسات الخاطئة في الأشخاص، ولو أمكننا رفع مستوى وعي الفرد مع تحفيزه على حب الخير للآخرين لاستطعنا إنقاذه مما قد ابتلي به.

من طرق الإصلاح أن نفهمه بأن الإنفعال يضره، ونرشده إلى أضرار الحسد وعدم المبالاة والإنحلال والمفخرة وما شابه ذلك حيث سيعمل حينها من أجل السيطرة على نفسه إلى حد ما.

وعموماً فإن دفع الإنسان إلى التدبر وضبط النفس يمكن أن يكون بمثابة الدرع الذي يصون سلامته ويمنعه من الإصابة بكثير من الإنحرافات، وبعبارة أخرى يمكن رفع القدرة الدفاعية لدى الفرد وإصلاح نفسه من خلال تعزيز مفهوم استخدام العقل لديه وتوعيته ووعظه.

٥ ـ **التهدئة وتلطيف الأجواء**: إذا كان من المقرر أن نقابل الشخص العصبي والمنفعل بغضب وانفعال أيضاً، ونواجه انحرافاته بمواقف حادة ومتشددة فإن ذلك ليس فقط لا يساهم في معالجته بل من الممكن أن يزيد حالته سوءاً حيث لا يمكن مطلقاً إزالة الحسد من الحسود بمخاصمته وضربه كما هو الحال مع المتشائم والمؤذي.

على هذا الأساس كان من الضروري توفير الأرضية لتهدئة الشخص المنظور وخاصة من يعاني من وضع عصبي حاد يصاحبه خوف واضطراب، ومواجهة الأوضاع المؤسفة والنزاعات الداخلية والإضطرابات الأخرى بتهدئة الشخص حتى لو كان عن طريق دواء خصصه الطبيب لهذه الحالة.

الصحة النفسية وضرورتها:

على الوالدين والمربين عموماً أن يهيئوا الأجواء بما يجعل الطفل يشعر بالأمان في محيطه، فيحبه ويتعلق به كالمنزل الذي يعيش فيه ويأنس فيه بوالديه ويألفهما.

يعد إشراك الطفل في أمور الحياة ومنحه الشخصية وإحاطته في الوقت نفسه بالحنان والذود عنه والدفاع عن كيانه بحيث يشعر بأنه محبوب ومقبول في عائلته الساعية إلى توفير السعادة له، أمراً ضرورياً وواجباً.

وفي السياق نفسه لا بد من تقوية البعد الدفاعي في الطفل سواءً على الصعيد المادي أم المعنوي، أي على صعيد الجسم وعلى صعيد الروح حتى يستطيع صون نفسه في مقابل الأحداث التي يواجهها ويضبط أعصابه اتجاهها. كل منّا لديه نقاط إيجابية وأخرى سلبية مع تباين في شدتها من واحد لآخر لكن المهم أن ندفع عن أنفسنا النقاط السلبية مهما أمكننا ونعمد إلى تقوية النقاط الإيجابية.

العلاج.. لمن؟

يمكن الإشارة إلى قائمة طويلة من الأطفال الذين يحتاجون العلاج نذكر منهم:

الخجول، ومن له حساسية اتجاه أعضاء الجسم، وكثير الجدل والعراك، والمفتقر للأهلية اللازمة لملاطفته، والذي لا يثق بأحد مطلقاً، ومن بات ديدنه الكذب والمشاغبة، ومن هيمن عليه الخوف، والمفتقد للشخصية المتعادلة، ومن يحب العزلة، والذي يشعر بالغربة، والطفل الوسخ، والمخرب، ومن تصدر منه حركات لا إرادية، ومن لا يستطيع السيطرة على خروج فضلاته، ومن بلغ قبل أوانه وكل من يعاني من اضطراب ما.

كلمة مع المسؤولين:

يجب الإستفادة من كافة الوسائل والسبل على طريق تأهيل وإصلاح الأطفال ؛ إذ يمكن لوسائل الإعلام ممارسة دور استثنائي ومهم في هذا الباب وتعد الأشخاص ليعيشوا حياة سليمة ومتعادلة نفسياً وكذلك اتخاذ خطوات قيمة وإيجابية لتربية الناس وتهذيب أخلاقهم.

من جهة أخرى، على الوالدين إحاطة الطفل بالمحبة والعاطفة وتخصيص وقت للإختلاء به واللعب معه واختباره علماً أن الطفل قد يصاب أحياناً بعيب في التلفظ لأن الوالدين لا تسنح لهم الفرصة للتحدث معه وملاطفته وإن أراد التفوه بشيء أسكتاه !!

أضف إلى ذلك أن من الضرورة بمكان العمل على تقوية جسم وروح الطفل وزرع حالة من المقاومة في نفسه عبر التغذية المناسبة والنوم والإستراحة الكافية وتعليمه النظام الإنضباط مع السماح له باللعب واصطحابه للنزهة وملاطفته وجعله يلمس حنان وحب الوالدين له.

القسم الرابع عشر
التدابير الإيجابية في عملية التأهيل والتربية

يمكن الإستفادة من نوعين من التدابير على صعيد إصلاح وتأهيل الأطفال، التدابير الإيجابية والتدابير السلبية. . فعلى صعيد التدابير الإيجابية ينبغي الاستفادة من الأساليب التي منها المحبة والاحتضان، والتشجيع والاشادة، والنصيحة والوعظ.

ففي جانب المحبة والدعم سوف نشير الى ضرورته بالنسبة للحياة الفردية والإجتماعية للطفل، ثم نتناول كيفية الدعم والتعاطف والصفح. اما على صعيد المحبة فسنلمّح إلى حاجة الطفل المبرمة لها، ودور المحبة في مجال البناء التربوي والإصلاح الهام للغاية، ثم نعكف بعد ذلك الى انهاء الدراسة عقب استعراض عدد من الملاحظات حول المحبة إضافة الى بعض التنبيهات في هذا الصدد.

وفي فصل آخر سنعمد للحديث عن التشجيع والإشادة بالاطفال، وبعد أن نتناول مضار عدم الإهتمام بالطفل. نستعرض الآثار التربوية وأهميتها، والأرضيات الضرورية الموطئة لها في هذا الشأن. ثم ومن خلال الاشارة الى وجوب ان يكون الاطراء منطقياً، وتحديد كيفية ذلك الإطراء ونوعه، نعمد الى معرفة ماهية الأشخاص الذين نقدم لهم التشجيع والاشادة، وذكر حدودهما وظروفهما.

في الفصل الثالث، سنتحدّث عن النصح والوعظ، ثم ومن خلال عرض دور وفوائد هذا الأمر، نشير إلى حكمة عظيمة في هذا الشأن، بعد ذلك نتناول بالبحث شكل النصح والوعظ وأنواعه والبعد المنطقي للنصيحة وتوخي الخير والملاطفة المطلوبة في هذا المضمار والمحافظة على شخصية الطفل بما يتناسب والموضوع، حيث نبين متى تجب النصيحة وفي أي مجال والى أي حد، وفي النهاية نختتم هذا الفصل بعد عرض جملة من الملاحظات في هذا الشأن.

الفصل الاول

المحبة والدعم

يمكن اللجوء الى تدابير ووسائل معينة على صعيد إصلاح الأطفال وتأهيلهم، منها إحاطتهم بالرعاية والمحبة ودعمهم. فكما ان النبتة بحاجة للارض الصلبة والمتماسكة من أجل أن تستوي على ساقها، كذلك الطفل يحتاج إلى دعم ورعاية بغية الوقوف على قدمه، وكما أن النبتة بحاجة للماء وضوء الشمس لأجل النمو، فإن الطفل هو الآخر بحاجة للابتسامة والمحبة.

الوالدان لما كانا هما المسيطران على معيشة الطفل وقد جاءا به الى الدنيا ويتحملان مسؤولية بنائه وإعداده، فيجب عليهما توفير أرضية النمو والنشأة الشاملة له، بالشكل الذي يشعر الطفل في ظله بالأمان والإستقرار، فلو لم يعمدا لاحتضانه ولم يوفرا له مستلزمات قوامه فإنه سوف لن ينمو.

فكم من الأطفال الذين يرومون القيام بعمل ما لكنهم يفتقرون الجرأة لإنجازه خشية الفشل، وكثير منهم يقف في مواجهة القضايا والأحداث ببرود وتلكؤ جراء عدم وجود محبة وعاطفة تبعثان الدفء فيهم.

وعليه فلا بدّ ـ على سبيل الإصلاح والتأهيل ـ أن ينشأ البنيان على أساس المحبة وطلب الخير وتوخي مصلحة الأطفال، إضافة إلى دفعهم

لمباشرة عمل ما ومنحهم الجرأة ليستشعروا ـ عبر ذلك ـ بالإكتفاء وأنهم أشخاص يحيون بين الآخرين، فيعتمدون على محاسنهم ونقاطهم الإيجابية، ويبتعدون ويتجنبون الضعف المؤدي للمصائب والتعاسات.

ضرورة الدعم:

إن وجوب تمتع الطفل بالدعم على طريق نشوئه أمر لا يحتاج الى نقاش، لكن المهم هو الإلتفات الى الأبعاد والمستلزمات النفسية للموضوع الأمر الذي قلما يهتم به الوالدان عادة. . نحن نريد أن نولي اهتماماً لهذا البعد، فنحن نقول بأن دعم الطفل ضروري للدواعي التالية:

١ ـ الطفل لا يدرك حسن الأمور وقبحها، فالعمل الذي يؤديه لا يدري هل هو حسن أم سيء بل ويراوده الشك بشأنه بينما باستطاعة الوالدين وعبر دعمهما القيام بمباركة العمل الحسن.

٢ ـ الطفل لازال يفتقر للتجربة، فهو لا يدري هل انه سيكتب له النجاح في الطريق الذي يسلكه، ام سيجابه الفشل، فدعم الوالدين بالشكل الذي يفهمه "تقدم ونحن من ورائك" سيسوقه نحو العمل الذي يستدعي بحد ذاته تحصيل المهارة والتجربة وإلحاءه للممارسة.

٣ ـ للطفل أمنية تتبلور في أن يحظى باهتمام الآخرين به، وهو يسعى دائماً من أجل نيل هذه الغاية، ولكنه من جهة أخرى يفتقر للجرأة ومتوجس، فهو لا يستطيع أن يأتي بأمر يشبع لديه تلك الرغبة، فالوالدان يمكنهما بواسطة الدعم أن يبلغا به تلك الغاية.

٤ ـ الطفل مفعم بالقابليات والرغبات والميول. . فهو بحاجة لكسب رعاية الكبار ودعمهم له بغية تفعيل هذه الأمور وتحقيقها، وإلا فإن الطاقات الكامنة فيه سوف لن تتفجر أبداً.

الضرورة الإجتماعية:

نحن ومن أجل الحياة الإجتماعية بحاجة الى أفراد يكشفون عن مقاومة في معترك الحياة، ويملكون ثقة بالنفس، ويمتلكون القدرة على تخطي المشاكل. نحن نريد من أجل مستقبل مجتمعنا أفراداً لديهم الجدية والمثابرة، ويحثون خطاهم صوب النجاح وعلينا أن نعي بأن الطفل يحتاج إلى دعم ليبلغ تلك الأهداف.

فالفشل الذي يبتلى به أطفالنا جراء عدم اهتمام ولا أبالية الوالدين يمكن أن يكون في المستقبل أمراً لا يطاق، فيشعر الطفل في السنوات المقبلة بالبؤس والمهانة والذل، الأمر الذي يؤدي به نحو الفساد.

وبغية امتلاك الطفل للمثابرة والجد في المستقبل وتعاهده لمسؤوليته والعمل بموجبها، عليه أن يتجنب كل ما من شأنه أن يعمق فيه الكسل والتهاون، وهذا ما يؤكد حاجته للدعم والاحتضان في المرحلة هذه.

وأولئك الذين واجهوا الفشل عموماً في فترة من حياتهم، انما واجهوا ذلك بسبب عدم تلقيهم طيلة مرحلة الطفولة لدعم أو رعاية من أحد، إذ لم يكن هنالك من يمنحه الجرأة ويبادر لتشجيعه.

كيفية الدعم:

ينبغي أن تكون صورة الدعم بشكل تجعله يعتبر نفسه مهماً فيبعد عنها كل شين وتافه، فاذا ما صادف أن نعته أحد بقول بذيء فأنه يبادر للتنصل من ذلك النعت، ولا يكون مستعداً أيضاً للدوران حول مايسيء لسمعته ويلوث شخصيته.

يجب احتضان الطفل على نحو يمتلك بموجبه الجرأة على حل عقده القبلية لدى الآخرين، فاذا ما حصل له أمر صائب أو خاطىء في الزقاق أو

السوق بادر إلى مفاتحة أباه أو أمه به دون أن تتملكه الرهبة على هذا الصعيد.

وفي واقع الأمر، يجب على الطفل أن يكون قادراً على الإفصاح عن مجمل ممارساته في البيت، وأن يصغي الوالدان لكلامه عن وعي وعدل وإنصاف، فيحتضنانه إذا ما كان الحق معه ويقفان بوجه من ظلمه، كي لا يستشعر الطفل في نفسه البؤس والعجز.

المواساة:

من أساليب دعم الطفل، إبراز التعاطف معه ومواساته، فالطفل لديه الكثير من التطلعات، ولأجلها يسكب الدمع، أو أنه يعتبر الآلام وألوان الحرمان غير قابلة للتحمل بظنه.. ومن مسؤوليات الوالدين الهامة في المرحلة الأولى السعي من أجل تلبية حاجاته المشروعة، وإن تعذر ذلك فعلى الأقل إبراز التعاطف معه ومواساته.

إن شعور الطفل بأن أباه وأمه يفكران به ويشعران بألمه ويتحسسانه وأنهما معه وملازمان له، يؤدي إلى زرع الإطمئنان فيه وتقديم لون من ألوان الدعم له، فيحصل الطفل من خلال هذا الأمر على الإستقرار والسكينة.

ومما لا شك فيه أن تكون أفكار الطفل وتصوراته أحياناً غير معتبرة لكن إشعار الطفل باهتمامنا بها سيسر الطفل ويؤنسه ويصبح مستعداً للإقلاع عن الكثير من أخطائه وهفواته، بل وأنه يشعر حتى بالمسؤولية تجاه إصلاح وضعه.

الصفح والتجاوز:

من جملة السبل المهمة لتأهيل الأطفال والتغلب على تصرفاتهم غير السليمة مسألة الصفح وغض الطرف عن الأخطاء.. فمن الخطأ وضع كل اشتباه وهفوة تحت المجهر لتكبيره وتسليط الأضواء عليه.

إن الصفح والتجاوز عن الخطأ من ضروريات الإصلاح، ولا سيما إذا ما كان الطفل غير متمرس على ارتكاب الخطأ والفلتات، وما من شك في أن جميع الآباء والمربين سوف لن ينجحوا في هذا الأمر لأنه يستدعي قدراً من التحمل.

إن الصفح وغض الطرف وخاصة في مجال قصور الطفل، سيتركان تأثيرات أكبر عليه ويأتيان به إلى جادة الصواب بسرعة أكبر إذا ما صاحبتهما النصيحة المناسبة.

وننبه الوالدين خاصة، إلى أمر تكون فيه معارضتهم أحياناً لمجرد المعارضة. . نعم يسعى الوالدان في بعض الأوقات إلى الإعراب فقط عن هيبتهم وجلالهم أو البرهنة على شخصيتهم وعظمتهم فيقعون حينها بالخطأ.

الحاجة الى المحبة:

دعم واحتضان الطفل أمر ضروري، لكنه لن يكون ذا جدوى بالشكل المطلوب إن افتقر لمشاعر المحبة والحنان. فأطفالنا وكبار السن من ذوينا بحاجة للمحبة، وذلك تبعاً لحاجة الأنس لدى الفرد وحاجته وضعفه وعجزه. نحن نعرف في حياتنا أشخاصاً يتمارضون من أجل استدرار المحبة والحنان، أو أنهم يدفعون أنفسهم للمرض نفسه بغية ذلك.

والمحبة أمر ضروري جداً في عملية الإصلاح والبناء التربوي للأطفال، فاذا ما نالوا المحبة من والديهم ومربيهم فإنهم سيقلعون عن بعض التصرفات المرفوضة.

وعلماء النفس يعيدون أسباب الكثير من الإنحرافات والتصرفات المعوجة الى قلة المحبة، ويعتقدون بأن هذا النقص طالما لم يتم تلافيه في الأطفال، فإن ذلك سيجعل إمكانية الإصلاح فيهم متعذرة.

بل ويمكن أن يؤدي النقص في المحبة والحنان إلى الحرمان أو عدم الاحساس بوجود الأب أو الأم أو المربي ما يدفعهم فيما بعد إلى عدم الاعتراف بوالديهم ومربيهم رسمياً، فاذا أوكل هؤلاء مسؤولية لهم فهم سيرفضونها، أو يبدر منهم العجز والضعف إن أرادوا إنجاز وظائفهم المدرسية وماشابهها. بعض الأطفال حينما يرون بأنهم ليسوا محظيين بالمحبة يضجرون في باطنهم، فتنهمر دموعهم في الخفاء ساعين لئلا يظهرون بذلك أمامنا.

دور المحبة:

الكثير من الأطفال يأسرهم الآخرون بفضل المحبة والحنان اللذين يرونهما منهم، فيجدون كل الجد للقيام بأي عمل بغية إحراز رضاهم.

فالعبارات المفعمة بالمحبة، والملاطفة، واحترام الطفل تدفعه للاصغاء لكلام الطرف المقابل، بل وحتى للغرق في المشاعر اللطيفة يمنحها إياه.

والمحبة ضرورية من اجل النمو والتربية الروحية بذات المقدار الذي يكون فيه الطعام واجباً من أجل السلامة والنضج، لكن يبقى الشيء المهم هو في مراعاة النوعية والكمية في هذه المحبة. فلو أردنا ان ينهل الطفل الآداب من اعماق نبعه، فلابد ان نكون رؤوفين مع الطفل فنبرز هذه المحبة على نحو ما لهم.

واذا أفهمنا اطفالنا بأن مقادير محبتنا تجاههم لم تتناقص، وأنهم لا زالوا أعزاء علينا، فإن العديد من القضايا والصعوبات المتعلقة لا سيما بالسلوكيات المرفوضة عند الأطفال سيجري حلها، فقد أثبتت تجارب الحياة ان نقص المحبة هو في ذاته من العوامل التي تمهد أرضية الأحقاد والعصيان، فيما يكون سبيل التغلب عليها في إشباع الطفل من المحبة والحنان.

ملاحظات حول المحبة:

المحبة التي ينبغي اللجوء اليها في تربية الأطفال لابد وان تكون بشكل يحظى بالمتطلبات التالية:

١ ـ المحبة يجب ان تكون النتيجة الطبيعية لعمل الطفل، وبعبارة أخرى ان المحبة ينبغي ان لا تكون مجانية وبغير حساب، وطبعاً يمكن اختلاق دواعٍ ليستحق الطفل المحبة بموجبها.

٢ ـ أن يكون مقدار المحبة متناسباً مع مقدار جهود ومساعي الطفل، فبأي مقدار كان الطفل منسجماً ومواكباً لسلوك أبويه ومربيه يفترض ان يحظى بالمحبة اكثر.

٣ ـ يجب مراعاة السن عند الإعراب عن المحبة، فالمقدار الذي يحتاجه الطفل ذو الثلاث سنوات يختلف عن مقدارها للطفل ذي العشر سنوات.

٤ ـ ويختلف نوع المحبة بما يتناسب واختلاف الأعمار، فالطفل ذو الـ(٤ ـ ٥) أعوام يجد أن المحبة والحنان يتلخصان في الطعام والملابس واللعب، بينما في حالة الطفل ذي الاعوام العشرة فأن الوضع والصورة ستكونان شيئاً آخر.

٥ ـ الطفل بحاجة للصدق، فهو يدرك الوان المحبة والحنان الحمقاء، فينبغي التحرز عن الاعراب عن مثل هذه المحبة.

٦ ـ السعي للتعرف وادراك مشاعر وأحاسيس الطفل بصورة تامة، والعمل على أساس ذلك.

تنبيهات وتحذيرات في المحبة:

هناك نقطة تجدر الإشارة اليها ألا وهي: نحن لا نروم الافراط في

الإعراب عن المحبة، فينجر الامر الى الدلال والتملق، ذلك لان في هذه الحالة سيتم التفريط بالصبر في المعيشة ويصبح الشخص فرداً عاجزاً. كما انه من الضروري ايضاً تحري المحبة والحنان من قبل الوالدين والمربين والقادة الدينيين والمسؤولين الكبار، لأن لهذا الأمر تأثيراً ايجابياً اكثر على الطفل ويعمل على اقتلاع جذور العديد من التصرفات الخاطئة.

والشيء المهم في التربية هو وجوب ان لا تكون المحبة والاحتضان على صورة الاطماع والرشوة، ويكون مستعداً من الآن فصاعداً لتنفيذ الأعمال او تجنب ارتكاب الإساءات في ظل شروط معينة. فلا ينبغي أبداً القول للطفل (اذا فعلت هذا الأمر، او لم تفعل ذلك على هذا النحو، فانني سأحبك) فالمحبة والمودة يجب ان تكونا دائماً موجودتين، واحياناً تحظيان بقبول اكبر وأوسع.

كما أن من بين التحذيرات المهمة في مجال الأغمار بالمحبة، هو ان تكون المحبة ولابد في حينها ومحلها، ويجب ان لا تؤجل الإشارة إلى عمل الطفل الايجابي في هذا اليوم، الى الغد أبداً، او في الحالة التي ينبغي اللجوء للمحبة والاحتضان والمسارعة لتقديمها، لأن هذا الامر يشكل شكلاً من أشكال سوء التربية ويشتمل على آثار سلبية.

ومن جنبات المحبة والاحتضان للطفل ايضاً، كتمان الأسرار، فيجب على الوالدين والمربين صيانة أسرار الطفل، فلو جرى ايداع أمر ما لدينا على أنه سر، فينبغي ان نجتهد من أجل عدم افشائه، حتى وان كنا ـ في بعض الحالات ـ نقوم باطلاع بعض المربين عليه، فلابد وأن نوصيهم بعدم افشائه. لان الطفل اذا فقد الثقة بنا، فانه سوف لن يحدثنا بحديث بعد ذلك، فيغلق علينا طريق اصلاحه وتربيته في وجوهنا.

الفصل الثاني
تشجيع الطفل والاشادة به

يمكن الاستفادة من عدة تدابير مهمة على صعيد اصلاح سلوك الأطفال واحدها هو التشجيع والاشادة. ويمكن التوصل عادة الى اصلاحات عميقة في الطفل عبر الاستفادة من هذه التدابير، فهذا الامر يعد ضرورياً في التعامل مع الأطفال غير السويين، ولا سيما ان قطاعاً من الافراد غير السويين هم من الاشخاص عديمي الشخصية، الذين لا يؤمنون بأنهم يمكن ان يكونوا اشخاصاً في موضع الاحترام والمحبة.

فالانسان في طبيعته يطرب للتشجيع، ويكف عن مزاولة السلوك المستهجن على اثر ذلك، ويرغبه ذلك بالأعمال الصالحة، واللجوء الى هذه التدابير من أجل البناء، وبغية تطبيقها من قبل أي فرد هو امر محبذ، وخصوصاً من قبل الاشخاص الضالعين بصورة مباشرة بأمر تربية الاطفال.

حاجة الأطفال للتشجيع والاشادة:

انه لمن الخطأ ان نتصور بأن الطفل الفلاني لم يعد بحاجة للتشجيع بحجة انه قد كبر، وانه عاد يدرك كافة الامور مثلاً، وهذا التشجيع في الواقع يشكل ميلاً من الميول الفطرية للانسان، التي تبقى فيه مادام العمر، فنحن لا نعرف احداً ليس بحاجة لهذا الامر، فالجميع محتاجون له ويتمنون الحصول

على مكانة تخضع لتشجيع الآخرين واشادتهم بها، فالمسابقات، والمحاولات، بل وحتى الحيل والخدع هي في غالبها بهذا القصد.

احياناً تمنح المداعبة البسيطة الطفل قدرة وقوة تدفعه لبذل الجهد.

إذاً فإن إشعار المرء بأن عمله يحظى بقبول واستحسان الآخرين يمنحه القوة فيستمتع بذلك ويجد في نفسه روحاً منشرحة، وتتفتح الابواب فيما بينه وبين المربين بالشكل الذي يجعله قادراً على الكف عن ارتكاب التصرفات المحجوجة، والامتناع عن الحاق الاذى والافساد والتخريب.

دور التشجيع وجدواه:

التشجيع والاشادة مبعث تعزيز المعنويات، فهما يمنحان الاشخاص طاقة جديدة، ويقويان في الطفل روحه المنهزمة، ويحييان فيه كرامته المضيعة، فتستبدل الحقارة عنده بالعزة، وتكون مدعاة لسلوكه سبيل النمو والتكامل.

ان تشجيع الطفل والاطراء له يؤدي الى انبثاق الشعور بالثقة لدى الاشخاص، فينميان فيه قابلياته الكامنة ويصلان بطاقاته الى اقصاها، فتتبلج كمالاته الخفية، ويضعان حتى الطفل في مقتبل العمر على الطريق وينفخان في كيانه قوة جديدة.

وعن طريق التشجيع يتم احياء شخصية الاطفال، وانقاذهم من اليأس والتشاؤم، وتمهيد سبيل الحياة امامهم بما يوفره لهم من متطلبات الانشراح، فحتى التشجيع العادي البسيط يغير مسيرة حياة المرء، وينشله من المساوىء والأعمال الشائنة، فتتجلى له رؤى جديدة.

والتشجيع والاشادة يعدان نوعاً من انواع التلقين على الاقتدار، فينشأ الطفل من خلاله ويحيا بواسطته. ولو كانت هنالك هزائم واندحارات في

طريقه فإنها تزول أيضاً، خصوصاً اذا كان هذا الأمر مدروساً فإنه سيعتبر عاملاً في بناء الطفل.

لهذا السبب تبذل الجهود من اجل خلق وضع مشفق لدى الوالدين تجاه الفرد بما يصنع له محيطاً عاطفياً يمكن للشخص أن يبرز من خلاله ويعمل على بناء ذاته.

أضرار عدم الإهتمام بالطفل:

الأطفال الذين لم يتذوقوا لذة الثناء والاطراء، ولم يطبقوا عيناً في منازلهم على اشادة من والديهم، هم في الغالب يعانون من الاحباط المعنوي، وليس لديهم الإطمئنان في عملهم ومواصلة برامجهم، فكم من هؤلاء من يظن أن ما من عمل منهم يحظى بالقبول لدى الآخرين، فيشعرون عندئذ بالضعة والمهانة.

وكم من الأطفال الذين يودون ان يكونوا جيدين ويكفوا عن التصرفات غير المحمودة، لكنهم يفتقرون لجرأة هذا الامر، وعدم اهتمام والديهم بالثناء عليهم والاشادة بهم يؤدي الى بقاء هؤلاء على حالهم السابقة ليعتادوا عليها شيئاً فشيئاً.

أجل، ونحن نعتقد كذلك ان الاطراءات والاشادات تكون في بعض الموارد مضرة بالطفل، ولكنها على أي حال تشتمل على أضرار أدنى من اضرار اللوم والتقريع والنهر. فالطفل جراء ذلك يحصل على راحة البال، ويواصل مرغماً هذا الطريق والمنهج بغية صيانة كرامته وشرفه، ويألف السلوك الصحيح.

الآثار التربوية للتشجيع:

بشأن ماهية الاشادة والاطراء للطفل والثناء عليه وتشجيعه من حيث

الآثار التربوية الايجابية، فإن الأجابة واضحة، فمظاهر التشجيع تشوّق الأطفال لمزاولة اعمالهم فتجعلها مرغوبة للغاية، ونحن نستطيع من خلال هذا الأمر تمهيد الأرضية لتعزيز الثقة بالنفس لديهم، وتنتزع منهم روح اليأس والتهاون.

وعن طريق الاطراء والتشجيع يمكن تحسين علاقاتنا بالطفل واصلاح وضعه وشطب نقاطه السلبية، وعادة ما يسعى المربي في البداية لاستجلاء نقاط القوة فيه والاشادة بها، ومن ثم يعكف على توجيه النقد له، وافشاء نقاط ضعفه، ويحمله على إصلاحها.

فكم من الممارسات الجادة، والمحاولات التي تتجاوز المقدار والحد يندفع الطفل لفرضها على نفسه جراء الاطراء والاشادة مما يجعله مستعداً لتحملها كما يتحمل المرارة والحرمان، كيما يتمكن من احراز رضا اوليائه بالنتيجة ويدفعهم لتشجيعه والثناء عليه.

قيمة التشجيع والإشادة:

إن الاطراء والتشجيع اللذان يقدمهما الوالدان والمربون للأطفال انما هما في الواقع أجر يدفعونه في مقابل ما يتحمله الأطفال من عناء. فأي فرد صغيراً كان أم كبيراً وفي أي منزل ومقام كان، يشعر في ظل الثناء والتشجيع بأنه قد نال نصيبه وأجره، وأنه قد تسلم استحقاق عمله، وعلى ما يبدو أنه لا يجني في هذا المجال أجراً مادياً، ولكن النتيجة المعنوية لذلك تفوق النتيجة المادية بعدة مراتب.

وعندما يقومون بالإشادة بالطفل فإنه يشعر بأن مسؤوليه التربويين قد عرفوا قدره وشأنه، وأنهم قد وقفوا على قيمة وأهمية عمله، فهم يعتقدون به ويثمنونه، وهذا الأمر يقضي على عنائه وتعبه، ويشرح قلبه، ويجري الأمور بصورة اكثر انسيابية.

توفير الأرضيات:

ولأجل مزاولتنا بناء الطفل وتربيته عبر هذه الطريق، فمن الضرورة بمكان قيامنا بتوطئة وتمهيد مستلزمات ذلك وأرضياته بصورة شخصية، وبعبارة اخرى نقوم بتكليف الطفل بعمل أو مهمة يسيرة وممكنة الانجاز، لكي ينجح في انجازها ثم نعزم على تشجيعه والثناء عليه بعد نجاحه.

ان تنفيذ هذا الامر، يقال بأنه شكل من أشكال الحيل التربوية في جانب منه، لكنه يؤدي الى فتح باب العلاقة بين الطفل والوالدين، ليتقرب الطفل رويداً رويداً من المربين، واذا ما صادف ان جرى ايكال عمل شاق احياناً الى الطفل فيجب حينئذ شحنه بالإطمئنان والامل لأجل أن يواصل تقدمه، وأنه اذا ما فشل اثناء الطريق وحين العمل فإنهم سيبادرون لمساعدته.

ومن الممكن ان تكون للطفل نقاط ضعف عديدة. لكن هذه القضية ليست بالمهمة، إذ المهم ان يكتشف نقاط قوته فنضعه موضع الاشادة والإطراء، كما يمكن أيضاً ومن بين جملة من الممارسات القبيحة والحسنة العثور على نقاطه الايجابية، والقول له بأن عمله هذا كان حسناً.

النقطة الأخرى في هذا المجال، هي ان التشجيع والإشادة لهما أثر ايجابي اكبر حينما يكونان في حضور الجماعة، فعندما نمتدح العمل الحسن للطفل بحضور الآخرين نكون قد فتحنا في الواقع باب الملاحظة فيما بين الطفل وذلك الجمع، وهذا ما يلزم الطفل لأجل مراعاة تلك الملاحظات التي قد تحصلت للكف عن الانحرافات فيصبح ملتزماً ومسؤولاً.

الإشادة المنطقية:

نقطة أخرى ينبغي مراعاتها في هذا المضمار، وهي أن يكون الإطراء والتشجيع مصحوباً بالمنطق والدليل الذي يحظى بقبول الطفل. فالأطفال جميعاً يدركون الإشادات السطحية والتشجيعات التي تفتقر للأساس والصحة،

واذا ما كانوا اليوم لا يلتفتون لذلك فإنهم في الغد سيعونه، وفي هذه الحال سوف لن يثقوا بعد بوالديهم ومربيهم، في حين نحن نعلم بأن وجود الثقة بالمربي من اجل مواصلة الحياة وبناء الطفل وإصلاحه مبدأ لا يمكن تجاوزه.

وانه لمن الجدير والمناسب بمثل هذه الأشكال من الأشادات المنطقية ان تكون مصحوبة بالملاحظات الوعظية المبينة، فمثلاً يجري إفهام الطفل بأن عزة وسعادة أي شخص بيد ذلك الشخص، فهو باستطاعته أن يهيء دواعي فخره وسعادته بنفسه، وفي معترك الحياة، الانسان بذاته يستطيع ان يجعل من نفسه موفقاً او يلجىء نفسه للفشل. فمن الناحية المبدئية فان المكانة في القضايا لها صلة تامة بالبحث عن التطلعات التي يمكن تحقيقها، ذلك لأنه في غير هذه الحالة سوف لن تكون هناك خطوة ايجابية قد جرى رفعها في هذا الاتجاه، فضلاً عن أننا جعلنا وضعه أشد سوءاً.

نوع التشجيع وكيفيته:

ينبغي ان تكون كيفية الإطراءات والتشجيعات على نحو يؤمن الطفل من خلاله بقيمته واستقلاليته واعتباره، أي ان تكون هذه القضايا مقبولة لديه قلبياً وأنه فرد فاعل بمقدوره ان يحظى بقبول ورضا والديه ومربيه.

ولابد للثناء والاطراء ان يكون على نحو يجد معه الطفل ان والديه ومربيه يقدرون عناءه، ويعتبرونه من صميم قلوبهم فرداً مهماً وقيّماً وجريئاً وذكياً، فهم قد رضوا به كعضو مفيد من اعضاء الاسرة، وهم أيضاً على استعداد للتغاضي عن نقاط ضعفه.

احياناً، يمكن ان تكون الاطراءات والتشجيعات لفظية، وفي احيان أخرى عملية، ففي الصنف الاول يملك الوالدان والمربون قلب الطفل حينما يقولون له أحسنت وأجدت، فبالإشادة اللفظية به يكونون قد اثنوا عليه ودفعوا له أجر عنائه.

وفي الصنف الثاني يمكن اخذ الطفل بالأحضان ومداعبته، وشراء الحاجة التي يحبها، و اصطحابه الى دار السينما لمشاهدة فيلم، او الى اماكن للتمتع بمناظرها، او للمشاركة في المجالس.

فاحياناً يمكن وعبر مداعبة وملاطفة بسيطة، او بالمسح باليد على رأسه،او بتقبيل جبينه، او بالقاء قطعة من الحلوى بين يديه، نقل الطفل التائه الى قارعة الطريق، ودفعه بشكل عملي ليرى نفسه في مرحلة بأن اذعانه لارتكاب الخطأ ويعد حطاً لشأنه، حيث سيعتبر نفسه اكبر واهم من أن يرتكب خطأ.

الإشادة والتشجيع لمن؟

الثناء والإطراء، والتشجيع والإشادة، ومنح الاطمئنان والاهتمام، امور يحتاجها الجميع، وهي ضرورية لكافة الاشخاص، لكن ضرورتها تتأكد لطائفة منهم، فعلى سبيل المثال هي ضرورية جداً للفرد الخجول وغير الاجتماعي، وللطفل الذي يشعر بالضعة والمهانة، وللطفل الذي يهرب من الجماعة، وللأطفال الذين يتمنون ان يكونوا موضع اهتمام الآخرين ولكنهم ليسوا كذلك، وللطفل الذي يشعر بالاضطراب والحيرة في اوساط الجماعة، ويعكف دوماً على الجلوس في زاوية منعزلاً، للطفل الذي يشكو من قلة المحبة أو أنه يتيم مثلاً، للطفل الذي لديه تصرفات غير محبذة وغير سليمة ونحن نعتزم اصلاحه، وفي النهاية لكل اولئك الذين لدينا النية في تنشئتهم وتربيتهم فان هذا الامر ابلغ ضرورة لهم.

فكم من الكثير من التشاؤمات وحالات اليأس، ومظاهر الانزواء يجري القضاء عليها في ظل الإشادة والتشجيع، ويعثر المبتلون بذلك على شخصيتهم، فيستشعرون بشخصيتهم وعظمتهم.

وكم من الاشخاص الذين نعرفهم ممن ليس لديهم أحد في حياتهم

اليومية يدللهم، أو يثني على اعمالهم ولو مرة واحدة ان حصلت، وعلى هذا الاساس فانهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لم يعودوا بحاجة ليصبحوا أفراداً طيبين، فهم يوغلون في الدنس، فيصنعون دواعي أذاهم وعناء الآخرين.

حدود التشجيع وأوانه:

في شتى الأمور والقضايا، ومن بينها موضوع الإشادة والتشجيع أيضاً، ينبغي ان تراعى بعض الحدود، فمن الخطأ أن نترك الإطراء يتجاوز حدوده، لأن هذا الامر يترك أثراً عكسياً في ذهن الطفل وفي تربيته، كما أنه من الخطأ أن يحصل التشجيع بصورة مباشرة، لأنه في هذه الحالة سيعتبر الطفل أنه مسموح له من الآن فصاعداً ان يتلقى أجراً معيناً عن كل ممارسة ايجابية او العزوف عن أي شكل من اشكال التصرفات المرفوضة.

والنقطة الأخرى في هذا المجال هي ان يكون التشجيع والثناء في أوانه، فلو ان طفلاً أدى عملاً ايجابياً فيجب عدم ايكال أمر الاطراء عليه الى أمد آخر، بل يجب في ذلك اليوم انجازه والوفاء به، ولا سيما هذا الامر الذي ينبغي انجازه في أوانه، والذي يجتاز فيه الطفل مشكلة بإصرار وعناد بعيدين او يروم خلاله اصلاح وضعه.

الفصل الثالث

النصح والموعظة

الحكمة البالغة للتربية تكمن في المواعظ، وان النصيحة والموعظة هما من الأمور الإيجابية والقيمة تربوياً، بل وحتى من سبل الدعوة الاسلامية. ويجدر بالوالدين والمربين والمصلحين وكذلك المسؤولين في المجتمع ان يستثمروا هذه الأمور من أجل بناء وتربية الطفل.

ولقد استثمر الاسلام هذا الاسلوب كثيراً على صعيد بناء المجتمع، وحتى في سورة لقمان وبقية السور التي تتناول موضوع البناء والإصلاح على يد الانبياء والعظماء والحكماء، جرى الاعتماد على هذا الأمر.

والوعظ والخطابة عادة ما يكونان مؤثرين في الأفراد اذا ما كانا مشتملين على المواعظ والنصائح، ومصحوبين بالدعوة لخير الناس، فمن خلال هذا الأسلوب يبنى الناس ويتقبلون ذلك بكل رحابة صدر.

دور النصح والوعظ وفوائدهما:

الانسان جرى خلقه عادة بالشكل الذي يجعله يتقبل الأرشاد افضل من تقبله الأمر والنهي، فهو يتحمله بكل بساطة.

من جهة اخرى، فإن العديد من الممارسات الخاطئة يأتي في سياق

عدم وعي المرء لماهية أعماله، فيقدم عليها بكل جرأة ودون وجل، في حين أنه لو جرى اطلاعه على حقائق الأمور، ووعى الناس سوء العواقب، وجعلوا الفرد على إلمام بتفاصيل الأحداث عبر سبيل الدعوة للخير، لأذعنوا حتماً للنصائح الى حد بعيد.

ويعد هذا الامر ضرورياً بل وأشد ضرورة للاشخاص الذين تكون درجة اطلاعهم ووعيهم محدودة، لأن الانسان يحتاج للارشاد في معرفة حسن الأمور وقبحها، والوالدان والمربون تقع على عاتقهم مسؤولية ارشاد الأجيال المقدسة.

وعبر النصح والوعظ يمكن تمهيد أرضية النمو المتعدد الجوانب للطفل، فتنشأ فيه شخصية تحظى بالثقة، ويذعن للوالدين والمربين حينما يريدون انزال التأديب بحقه. فكم من الأطفال هم على عدم اطلاع بقبح التأديب والعقاب، في حين أنهم لو أدركوا بأن الأطفال الذين جرت تربيتهم واصلاحهم ما عادوا بعد بحاجة للعقاب والتأنيب، وعلموا بأن التأديب هو شكل من اشكال الاهانة الموجهة لهم، لأقلعوا عن تصرفاتهم.

احياناً عبارة قصيرة وموعظة تربوية توقظ المرء وترجعه الى ذاته، فتحل له مشاكله، فيكتشف بأن اسلوبه ومنهجه كانا خطأ، فيسعى لانتهاج سبيل أو نهج آخر.

صورة الوعظ والنصح وأنواعه:

في تقديم النصح والوعظ للطفل، الشيء المهم هو تقديم الوعي، وايقاظ الطفل وشحذ ذكائه، وهذه التوعية يمكن ان تكون بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ففي بعض الأحيان يلتفت المرء المخاطب لوجهة الحديث معه فيكون في موضع تلقي النصح والوعظ، وهذا الأمر بناء بذاته طبعاً، ولكن قد نحدث

الملأ أحياناً بأمور عامة من باب الدعوة للخير والخطاب هو للطفل، وهذه الحالة هي الحالة غير المباشرة، اذ يقوم الطفل المقصود خلالها بالتلقي الخاص من بين الجماعة.

وعلى أيّ حال، فان على الطفل أن يعي قبح عمله من خلال هذا السبيل، وأن يعلم مثلاً بأن الكذب أمر غير محمود، وأن الخمر والميسر من عمل الشيطان، وأن سعادة المرء وشرفه بيده نفسه، فاذا لم نتقدم خطوة من اجل المحافظة على انفسنا وتعاهدنا فأن الآخرين سوف لن يتحرقون ألما من أجلنا.

والمهم في عملية الوعظ وتقديم النصح هو امتلاك الهيئة المنفتحة والبشوشة، والحرص الخاص، وتحري الخير مما يلمسه الطفل فينا، ومراعاة المربي لهذا الموضوع والملاحظات، والتنبيه والتكرار، وخلق ارضية حسن الصلة والملاحظة مع الطفل بالشكل الذي يجعله يخضع لتأثير المربي بصورة واقعية.

مراعاة الجوانب المنطقية للنصح:

ان مراعاة هذه المسألة أمر مهم، اذ ينبغي التحدث للأطفال بشكل منطقي، وبكل بساطة في ذات الوقت، بالمنطق الذي يفهمه الأطفال ويتقبلونه، بحيث يكون بسيطاً الى الحد الذي يمكن ان يفهمونه ويعونه.

في الواقع يرى بعض المربين أنفسهم على منبر الوعظ والخطابة امام أطفالهم فيعمدون الى التحدث بلغة التفلسف دون الأخذ بعين الاعتبار مستوى فهم الاطفال، او البعض الذين نعرفهم ممن يريد ان يسد الخلة والفراغ في شخصيتهم بإظهار فضلهم امام الاطفال، في حين ان الأطفال بحاجة للفهم والاستيعاب، وليس لحديث حكيم أو عالم نحرير

فاذا كان هدفنا هو بناء الاطفال، وتعريفهم بقبح الاعمال والتصرفات

الذميمة، فأنه من الضروري ان نتحدث اليهم بكل بساطة وحميمية، نعمد للحديث المناسب، فنفهم الطفل أي سلوكه حسن وأيّ سلوكه سيىء، أي عمل منه مستحسن ومرض، وأيّ عمل مؤذ للآخرين. بل هل من حقه أصلا ان يسبب للآخرين موجبات الضرر والأذى، ام لا؟، وان العقوبات والمكافآت رهن بأي أمر؟ وكيف يتسنى له ان يضع نفسه على طريق كسب وتحصيل الفضائل الاخلاقية، او ان يسيطر على ميوله ورغباته.

توخي الخير والمداعبة:

كما قلنا من قبل، إن اساس النصح والوعظ ينبغي ان يكون متوخياً للخير والصلاح والملاطفة والمودة بحيث يشعر الطفل أن والديه ومربيه ينوون اصلاحه وتربيته، وانهم يبغون إسعاده وانجاحه، فرغم ان عبء مسؤوليته ثقيل الا ان هذا الأمر انما هو لأجل سعادته.

فالأطفال يستمتعون عند تقبيلهم أو مداعبتهم أو التحبب اليهم او اعراب الوالدين عن رضاهما عنهم، فقبلة واحدة من الأب، ومداعبة مغمورة بالحب من الأم تشبع الطفل حتى يبقى الى أمد فرداً عاقلاً ومؤدباً، فيقلع عن التصرفات المؤذية فيصبح شخصاً في مستوى الإشادة به من قبلهم.

فالنصائح والتنبيهات التي تكون مصاحبة لهكذا موضوع تنفذ الى عمق روح الطفل، وتبقى الى الأبد قرطاً معلقاً في أذنه.

من جهة ثانية يجب أن تكون النصائح جادة مع وجود المداعبة لكي يدرك الطفل ان هناك حساباً ورقابة في عمل المربي، لا ان تكون الأوامر والنواهي جزافاً وبلا حساب. . بل فيها رعاية الحق ومراعاة العدل، وان الوالدين باتخاذهم جانب الحياد ليس لهم نية سوء استغلالها، وانما هما بصدد خلق نظام فكري وروحي له، فهما يرومان تنشئته وبلوغه الكمال و. . . .

صيانة شخصية الطفل:

ومن الامور المهمة في هذا المضمار والتي ينبغي ايلاؤها الاهتمام هو احترام الطفل وصيانة شخصيته. فكم من النصائح والمواعظ التي تكون سبباً لاراقة ماء وجه الطفل وحط كرامته، وفي ظل هذه الحال فأن الطفل لا يمكن بناؤه فضلاً عن استحالته بموجبها الى حقود ومؤذ اكثر.

فالنصيحة التي تكون موجهة للطفل في حضور الملأ تكون أقرب الى الفضيحة منها الى النصيحة. ويبقى أفضل نوع من انواع النصح ما يكون منه في الخفاء وبالهمس في الأذن بصورة يدركها الطفل وحده ويؤديها المربي وحده لكي لا يتم الإخلال بشخصية الطفل، وكذلك المحافظة على اسرار الطفل أمام الناس، واظهاره بالمظهر اللائق. واذا ما أريد نصح الطفل أمام الجماعة، فان المصلحة تقتضي ان تجري الاشارة بصورة عامة للقضية، وليس على نحو يشار بالبنان اليه، ويفهم الجميع ان المقصود من نصيحة الناصح هو الشخص الفلاني، ونحن نرى هذا الاسلوب موجوداً في سيرة حياة النبي(ص) في ما يتعلق بالناس.

متى تتم النصيحة؟

فيما يتعلق بفرصة وأوان تقديم النصائح للطفل، ينبغي ان نقول عندما تستدعي الضرورة وتكون التنبيهات، والاحتضان والرعاية، والاطراءات والتشجيعات غير مؤثرة في اصلاح الطفل أو انها تؤثر فيه بشكل ضعيف، فانه يلزم في ظل ذلك استدعاؤه، وتنبيهه على اخطائه، وان نفهمه بأننا نعلم بما فعله وما يفعله، ونحن على معرفة بنقاط ضعفه، ونحن نحب في ذات الاثناء ان نحفظ ماء وجهه، وان ما يفعله لن نحدث الآخرين به، لكننا نحب ان يقلع عن ذلك، لان في ذلك عاراً للأسرة فضلاً عما في ذلك من ضرر عليه أيضاً.

النقطة الأخرى اذا ما ارتكب الطفل خطأ فيجب ان لا ننتظر فترة فاصلة

طويلة فيما بين خطأ الطفل ونصيحتنا فيطوي أصل الموضوع النسيان، فينبغي في تلك الساعة او في اليوم نفسه على الاكثر تعريفه بخطئه وتقديم النصيحة والموعظة له. ولا ريب ان الطفل إذا وجد الاسلوب والطريقة التي تقترحونها له ولا توجه ضربة لشخصيته، وانما تجعله عزيزاً وكريماً فإنه سيستجيب ويذعن لها، فتزداد علاقته بكم وتتنامى طاعته لكم.

في أي مجال تكون النصيحة:

عموماً يمكن القول بأن النصيحة تشمل كافة المجالات التي لها، صلة بحياة الطفل في حاضره ومستقبله، ما السعي الذي ينبغي ان يكون للطفل في حياته؟ وما هو السلوك الذي يجب أن يظهره؟ وما هو الموقف الذي ينبغي ان يتخذه؟ وفي ظل أي وضع؟ وما هي نقاط الضعف التي يمتلكها؟ و. . . . . .

فما يقوله الطفل ويمارسه ويفكر به ويتصوره ويعتقد به، لكنه غير مناسب، يجدر اصلاحه عن طريق النصيحة والموعظة واخضاعه للضوابط. فانجاز مهام الطفل يجب ان يكون على اساس نظام وسيطرة، فسعادته ينبغي ان تكون بصورة مدروسة، وان نفهم الطفل بان لا يضحي بسعادته كلها من أجل يومه الحالي ذلك لان هنالك الغد أيضاً.

والنصائح لابد وان تتوخى اطلاع الطفل على مقدار نموه ومسؤولياته والتزاماته، وأن يجد في نفسه بأنه قد اصبح كبيراً بالفعل الى حد ما، وأنه لا يحق له ان يكون متحللاً من كل قيد وبعيداً عن ايّ مسؤولية، فلا يمكن أن يكذب ويجب عليه الا يكذب، ولا أن يكون سيء الخلق أو لا ابالياً ازاء شؤون وقضايا الأسرة وبعيداً عن الانضباط، فهو له حصة في اقداح المنزل واوانيه، وعليه أن لا يحطمها، كذلك بالنسبة لوسائل المنزل وتجهيزاته فله حصة فيها ولابد له ان لا يعطلها او يفسدها، وفي النهاية هو انسان وفرد من افراد المجتمع، فليس له الحق ولا ينبغي له ان يضر بالمجتمع، وعليه ان لا

يخطو خطوة الا على طريق الخير والصلاح، ينبغي ان يقال له بأنك قد كبرت ولله الحمد، وعليك أن تتقبل المسؤوليات بالتدريج، وأن تعمل على تأمين سعادتك وسعادة الآخرين.

ما هي حدود النصيحة؟

النصيحة والموعظة كأي عامل أو وسيلة تربوية لهما حدود معينة، فينبغي ان لا تتجاوزا تلك الحدود، لأنهما في غير ذلك سوف لن تتركا أثراً ايجابياً، بل سيجعلان الطفل أكثر مشاكسة وتدفعانه للمقاومة والعناد بوجه الوالدين وتنبيهاتهم.

النصيحة والموعظة شيء صحيح، ولكن ينبغي أن يبلغا بقلب الطفل حنجرته، فيؤدي حديث الوالدين الى تعب الطفل وضجره شيئاً فشيئاً. فالأطفال كالكبار لا يستطيعون ان يبقوا على الدوام كمستمعين جيدين لمربيهم، فكلما كان مقدار وحدود نصائحنا أكبر فإنهم سيكونون أقل اصغاءً لكلامنا، فقد تدفعهم ملاحظاتنا وتنبيهاتنا احياناً الى السأم والملل.

ومن جهة أخرى، يجب في عملية النصح وبالالتفات الى جدية القضية، عدم التشديد على الطفل أو مطالبته بالالتزام الى الحد الذي يلجئه مكرهاً للخداع والمراءاة. فبقليل من التسامح وشيء من النصح ومقدار من الاطراء وبلغة التشجيع، ينبغي أن نكشف بشكل عام عن اسلوب تربوي معين.

ملاحظات في النصح والوعظ:

١ ـ عند اعطاء النصح واسداء الوعظ يجب أن تنصب كافة محاولاتنا على الطفل نفسه. لأن الموضوع كله يهتم بخيره وسعادته وسلامته، واحياناً بخير وسعادة المجتمع.

٢ ـ أن نعتمد على أن يستطيع في ضوء سعيه وجهوده القيام باداء مسؤولياته وأن ينتشل نفسه من الاسواء والمشاكسات.

٣ ـ وان المهم في الأمر هو تحذير الطفل بصورة يفهم من خلالها بأنه حالياً ليس في وضع مناسب، وأن عليه أن يصلح نفسه.

٤ ـ أحياناً يكون ايكال الطفل الى نفسه ليرى نتائج اعماله، مفيداً له اكثر من كل نصيحة أو موعظة. وتطبيق هذا الاسلوب رغم كونه يستغرق وقتاً طويلاً، قد يشتمل احياناً على مخاطر ايضاً.

٥ ـ عند تقديم النصيحة والموعظة يجب عدم التشدد والمبالغة جداً، ولا التراخي والتهاون.

٦ ـ عند النصح ينبغي تجنب الحكم العاجل.

٧ ـ لا بدّ من عدم تناسي ان الجهة التي تخضع لنصائحنا هو الطفل، فينبغي الاخذ بعين الاعتبار محدودية افكاره وفهمه.

٨ ـ يجب في عملية النصح عدم هز روحية الطفل او اضعافها بالمرة، لان هذا الأمر يؤدي الى هبوط معنوياته.

٩ ـ يجدر بالنصائح ان تسوق الأطفال نحو الطهر والفضيلة، لا أن تعلمهم سبل التحايل.

١٠ ـ تقديم الأسوة والانموذج للطفل هي أفضل نصيحة، لا سيما بالنسبة للطفل الذي مازال لا يميز بين الخير والشر.

القسم الخامس عشر
التدابير السلبية في التربية

قلنا بأنه يمكن الاستفادة من صنفين من اصناف التدابير، الإيجابية والسلبية، على صعيد اصلاح وتربية الطفل، وفي هذا البحث سنذكر التدابير السلبية التي عادة ما يأنفها الأطفال، ويسعون الى الفرار منها بشكل ما.

لكن الخطوة الاولى في هذه التدابير هي التنبيه والتحذير، وسنشير بعد عرض اهمية هذه التدابير وفوائدها والاهداف التي يتوخاها المربي في هذا المجال، الى صور هذه التدابير واساليبها، وكذلك الى مواقعها وأوانها، ثم نشير الى قضية التهديد والانذار، ونبحث كيفية وصور تطبيقها. وفي خاتمة البحث ومن خلال الالتفات الى ان الانذار والتهديد يجب ان يكون في محله، نقدم بعض التحذيرات للمربي، وعدداً من الملاحظات في هذا المضمار.

وفي الفصل الثاني سنتحدث عن تأنيب الطفل وحرمانه، وأيضاً عن خصام الطفل، ثم بعد استعراض الدور التربوي لهذه الفنون واثارها التربوية نتناول انواعها وصور تطبيقاتها وحدودها مع عدم اغفال فئة العمر عند البحث، بعد ذلك نشير الى قضية الاستهزاء والتعريض ثم ندرج عدداً من الملاحظات الهامة في هذا الشأن لنختتم بها هذا البحث.

وفي الفصل الآخر نعمد الى تناول قضية العقاب والتأديب، ولزومها

واهميتها، بعد ذلك نتعرض الى ذكر المراحل التي تسبق العقاب المذكور والآثار، والجوانب السلبية فيه، ثم نشير الى ردود افعال الطفل في هذا الخصوص، والى أشكال العقاب التأديبي وحدوده وجوانبه التطبيقية، وفي النهاية نقدم تحذيرات للمربي ونستعرض بعض النقاط المهمة في هذا الصدد.

واخيراً، نتناول في فصل آخر المواجهة السلبية، ثم نتعرض لبيان معنى ومفهوم ذلك، ثم نتناول ضرورة ودور المواجهة السلبية من الناحية التربوية وأضرارها، ومجالاتها التطبيقية ومناهجها وكيفية اللجوء اليها، ثم نختتم البحث بالحديث عن ندم الطفل، فإذا ما كان الطفل قد ندم، فما الذي نفعله؟ ثم نوجه تحذيرات للمربي الى جانب ذكر بعض الملاحظات المهمة في هذا المجال.

الفصل الأول

التنبيه والأنذار

من الخدمات الجليلة التي يقدمها المربون للاطفال هو القيام بتنبيههم بغية تذكر وعدم نسيان الأمور المنسية، وانذارهم من أجل السيطرة على أعمالهم وتصرفاتهم والتوقف عن ممارستها.

حياة الطفل حالها كحال حياة الكبار ينبغي ان تكون بين الخوف والرجاء، فهي تطمئن لعطف ورعاية الابوين من جهة، وتخشى الاعمال غير المحبذة وتخاف من شدتهما لأجل ذلك من جهة أخرى.

وفي اوساط العائلة هنالك المحبة والإطراء، لكن هذا الأمر لا يعني ان لا يكون هناك توبيخ وتأديب وتنبيه وانذار، لأن وجود أي واحد من هذه الفنون والوسائل ضروري في محله ومقامه. ويجب على الوالدين والمربين أن يعربوا عن ردود فعل تجاه تصرفات الاطفال، لكن كيف يكون رد الفعل هذا؟ انه يتناسب والحالة. ولا شك بأن التأديب ضروري أيضاً في بعض الموارد، ولكن هناك مراحل تسبقه ينبغي وضعها في الحسبان.

الضرورات والفوائد:

ان التنبيهات التي تقدم للأطفال تؤدي الى لون من اكتساب الفطنة عندهم، وهي عامل من أجل تصحيح ممارساتهم، حيث يطلع الطفل جراءها

على خطئه ويضطر ازاء قضية او امر ان يعمد الى سلوك معقول والكف عن ممارسة السلوك غير الصحيح.

ومقولة التهديدات في بعض الموارد تتسبب في توجيه ضربة روحية للطفل فتعتبر من وجهة النظر هذه ضرراً، هي مقولة سليمة لانها تنبثق عن حب الذات والغرور الشخصي مما يؤدي الي الحاق صدمة وضرر بالطفل، ولكن لهذا الامر فائدة، حيث يدفع ذلك، الطفل لبذل الجهود من أجل صيانة شخصيته، ويسعى لإصلاح ذاته.

والطفل بحاجة لمحبة الوالدين وحنانهم، وهو ينزعج من كثرة ثرثرتهم للتعريف بعمله، لكنه يسر اذا ما جاء بسلوك ينبثق عن هذه الثرثرات المقرعة يصلح به نفسه فيتحرك بالاتجاه الذي يريدانه منه. فعلى هذا الاساس يكون التهديد مفيداً له شريطة ان لا يتكرر ولا يبالغ فيه، لان في غير هذه الحالة سوف يسمع الكلام بأذن ويخرج من أخرى.

أهداف التنبيه والإنذار:

وما يهم في التنبيه والتهديد هو مراعاة الهدف. اذ ينبغي ان نرى ما هو الهدف الذي يفترض بنا التوصل اليه من التنبيه والأنذار؟ والاجابة الصريحة على ذلك تتمثل في كون الهدف هو منح الطفل الفطنة، أي توعيته، وكذلك اطلاعه على عواقب الامور، ويجب على المربي ان يسعى لأجل تنبيه الطفل على قبح العمل وان يفهمه بان التصرف والسلوك الذي اختاره ينفر منه الآخرون، وأن الله أيضاً لا يحبه.

ونحن من جهة أخرى نريد ان نفهم الطفل بأن عمله يشكل نوعاً من انواع العدوان وأن من يعتدي فهو ظالم، وان الظالم يغضب ويسخط منه الله، وان العمل الذي يفعله يستحق القصاص، والقصاص يؤدي الى حياة

المجتمع، وأن ما يقوله هو كذب، والكذب ينفر منه الآخرون، وان عاقبة الكذب هي الفضيحة.

فالهدف من التنبيه والانذار هو الهداية والإحياء، وليس الانتقام الغرض منه هو التوضيح وليس الفحش بالقول، فالمربي انما يريد من خلال التنبيه ان يوطيء للطفل موجبات صلاحه وسعادته، وان ينقذه من الوضع الذي هو فيه.

وانه من الضروري على المربي القيام بتنبيه الطفل وانذاره، لأن الطفل يصبح مدللاً جراء الغفلات والسكوت الزائد عنه، فيعمل خارج ضوابط الأسرة. ثم لا ينفك حتى يألف ذلك ويعتاد عليه رويداً رويداً، فيواصل هذا السلوك غير المحبذ، وعلى الوالدين والمربين ان ينبهوا الطفل الى أنه يسبب الأهانة لشخصه، فيلزمونه الكف عن سلوكه غير المقبول.

صورة التنبيه واسلوبه:

يجب ان يكون لكل تنبيه وجهتان، هما:

١ ـ الاعراب والكشف عن عدم صحة العمل، والسعي من خلال ذلك لافهام الطفل بأن هذه الممارسة جائزة أم غير جائزة.

٢ ـ التحقيق معه في سبب ارتكابه هذا العمل، ولماذا يجنح لمثل هذا التصرف المرفوض.

لكن يبقى الامر المهم الذي تنبغي رعايته هو عدم ضرورة ان يكون ما يتقدم من التنبيه والانذار بصورة عنف وتهديد، اذ يمكن وفي موارد عديدة التحدث بذلك بصورة الملاطفة والرفق أيضاً.

فالملاحظات المغلفة بالرقة والملاطفة (وفي ذات الوقت) تكون مشتملة على الشروط التي جرى ذكرها آنفا سيكون لها أثر مفيد في المستمع وتؤدي

الى تحقيق نتائج مؤثرة، وذلك سيدفعه للكف عن التصرفات السيئة، والابتعاد عن الأمور غير المستساغة منه.

ومن جانب ثان يجب ان لا يكون التنبيه والانذار على هيئة الرجاء والتمني والالحاح، مما يجبر الطفل على قبوله تحت عنوان الرحمة والعطف بوالديه. ان الحزم في الكلام والثبات على الراي ووجهة النظر، وفرض والقاء الحجة، والحديث من موضع القوة، هي امور يجب على المربين مراعاتها.

التنبيه، متى يكون؟

عادة ما يحصل التنبيه من شخص أقواله صحيحة واساسية، ويكون سلوك الطفل غير متزن، والسلوك الانموذجي للوالدين، والحنان والمحبة، والملاطفة والرقة، وغض الطرف والمسامحة كلها غير مؤثرة في هذا المجال، ويكون عدم اتزان العمل مؤدياً الى توجيه ضربة لشخصية الطفل أو الأسرة أو المجتمع.

ولا ننسى ان بعض التصرفات مع الأخذ بنظر الاعتبار ان صاحبها طفل، ليست غير مستساغة تماماً، لكن وللاسف يصر الوالدان والمربون على ان يتطابق عمل الابن مع عمل الشخص الكبير، وهذا بحد ذاته خطأ جسيم. اذ يمكن ان يكون الحديث الذي يصدر عن الشخص الكبير خطأ كبيراً لافتقاره للدليل، لكن هذا الامر بالنسبة للطفل هو امر طبيعي تماماً.

قضية التهديد والانذار:

الحقيقة ان المربي يستطيع من هذا خلال الامر ان يقف على موارد استفادة متعددة، ولكن يفترض ان تبذل الجهود من أجل الا ينجر الامر الى هذا الموقف، فالمشاكل الموجودة فيما بين الطفل والأسرة ينبغي حلها عبر سبل أخرى تتناسب مع عمر الطفل وادراكه، وكذلك في حدود فهمه وتوقعه، وليس عبر سبيل التهديد الذي لا يتوقعه الطفل.

ويكمن الخطأ هنا، حيث يظن البعض بأنه يمكن من خلال سبيل الإخافة والتهديد أن يجلب اهتمام الطفل لأداء عمل أو تركه. ولهذه الأمور اثر كثير او قليل، لكنها لا يمكن ان تستمر او ان تصلح الطفل، فاذا ما اراد الوالدان او المربون حل جميع المشاكل من خلال التهديد والانذار، فان عملهم سينتهي الى أحد أمرين:

١ ـ فقدان الانذار والتهديد لقيمتهما واعتياد الطفل على ذلك.

٢ ـ الرفع التدريجي لدرجة ومقدار التهديد والانذار، والوصول الى مرحلة يعجزون فيها عن تطبيق وتنفيذ ما يقولونه ـ وفي هذه الحالة تتحكم هيبة وقدرة الوالدين ـ وينغلق عليهما سبيل مواصلة الإصلاح.

نحن نعتقد، ان هذا الامر خاصة اذا كان مصحوباً بالخوف فيجب الاقلاع عنه قدر المستطاع، لأن ذلك لا يخل باستقرار الطفل وحده وحسب، وانما يضطره أيضاً للتفتيش عن حل وتدبير لمواجهة ذلك، بل وحتى للانتقام.

كيفية الانذار والتهديد:

كما تطرقنا الى ذلك من قبل، يكون اللجوء إلى التهديد والانذار على أساس التوضيح وافهام الطفل بأنه اذا حصل كذا فإنه سيترتب عليه كذا، اذا تواصلت مشاكساته فسيواجه عدم الحنان والعطف من الوالدين، وعدم الاهتمام منهما به، وسيفقد لعبه الفلانية، والنزهة، واللهو واللعب، والرحلات واللعب مع والديه و.....

ومن جهة أخرى في حدود الانذار والتنبيه، يفترض ان تكون النتيجة التي سيبلغها ويتوصل اليها الطفل واضحة، يجب على الطفل ان يعي بأن نتيجة العمل المعيّن ماذا ستكون، وما هي الفضائح التي ستترتب عليه، كما ننبه الى انه لو حصل توجيه تنبيه للطفل ولم تجر متابعته فستكون آثاره اسوأ من آثار تقديم التنبيه نفسه.

فلعل التنبيه والإنذار وحتى التهديد يمكن ان يتخذ صورة الاستشارة ويتم السعي من خلاله لافهام الطفل الجوانب الإيجابية والسلبية للعمل بكل أناة وصبر ودقة. وهذا الامر يمكن ان يكون مفيداً للغاية على صعيد اصلاح المشاكسة وديمومة التصرفات اللائقة، فضلاً عن البرهنة في ذلك على حسن نوايا الوالدين تجاه الطفل.

وفي النهاية ينبغي مراعاة هذه النقطة، الا وهي انه يستحسن ان تكون التنبيهات في الخفاء وللطفل بمعزل عن غيره بغية صيانة كرامة الطفل وعزته، ولأجل أن لا تنهار شخصيته أو تتحطم، ولكي لا تتوفر دوافع ودواعي الحياء والخجل امام الآخرين، اذ الطفل الذي يفقد كرامته امام الحاضرين لن ينصلح من بعد، ذلك لأنه يعتقد بأنه قد اصابه البلل، فلايهم بعد ان يسكب عليه قدح ماء او عشرة أقداح.

صورة التطبيق:

الانذار والتهديد بامكانهما ان يتكونا من مراحل، ففي المرحلة الأولى نسعى لتنبيه الطفل، وافهامه بأن عملك أخذ يسخطنا شيئاً فشيئاً، وان تصرفاتك وذرائعك ومشاكساتك وتصرفاتك المعوجة، اخذت تتعبنا تدريجياً، وأن أذاك وتخريبك وكذلك أخذ معه صبرنا بالنفاد.

ومن جهة أخرى، يجب على الطفل أن يفهم بأن نتيجة غضب الأب، واذا ما نفذ صبر الوالد ماذا سيحصل. ولو تعب الأب أو الأم من ممارسات الطفل، فما هي ردود أفعالهما.

وفي المرحلة اللاحقة ينبغي تقديم الانذار، بأن لو فعلت ذلك مرة أخرى فسترى الأمر الفلاني، واذا لم تكف عن ذلك العمل، فستتلقى العقوبة، ولكن ينبغي الالتفات الى بعض الملاحظات المهمة التالية:

١ ـ لتكن لهجة الإنذار بصيغة الامر والفرض.

٢ ـ اذا لم نكن نعتزم تنفيذ العقوبة فلا نقل ذلك للطفل أبداً.

٣ ـ التهديد والانذار يجب ان يكون عملاً وليس على النحو الذي يكتشف الطفل فيه انه خدعة.

٤ ـ ليكن الطفل واثقاً من انكم ستلاحقونه وتنفذون فيه تهديدكم.

التهديد في أوانه:

النقطة المهمة التي ينبغي ذكرها في هذا الموضوع هي أن تكون التهديدات في أوانها وعلى قدر معين.

والقصد من الأوان هو ان الطفل إذا ما ارتكب خطأ او تصرفاً غير سليم أو انحرافاً فيجب ان لا نتركه وشأنه، وندع الواقعة يمر عليها يومان أو ثلاثة فتصبح قديمة.

يجب التصدي للانحراف والفساد في الوقت المناسب، وينبغي إصلاح التصرفات الخاطئة في الظرف الملائم، لان الكثير من الانحرافات انما تصبح انحرافات لأنه لا يعمد في اليوم الأول للحؤول دونها، فحينما يسرق الطفل يوماً بيضة ولا يواجه بالتهديد والإنذار، يكون في اليوم التالي قد سرق بعيراً.

فلابد ان يكون التهديد والانذار بمقدار، وبحدود، لكي لا تهدر قيمة وأهمية الكلام، و لأجل ان يكتشف الطفل ان عمله الى أي درجة هو صحيح او خاطىء وعلى أيّ حال، اذا ما ارتكب الطفل اليوم خطأ، فلنسعى لتنبيهه وانذاره في اليوم نفسه، لكي لا ينجر الامر الى نسيانه هذه المشكلة.

تحذير للمربي:

هذه النقطة جديرة بالذكر، وهي أن دور العقاب والجزاء ليس دوراً فاعلاً واساسياً في اصلاح وتربية الاطفال، ويجب قدر الامكان القضاء على العلة، وكذلك ينبغي اللجوء الى طريق التنبيه والانذار قبل ان يبلغ الأمر درجة

العقاب والثواب، وحمل الطفل على الكف عن مشاكساته وتصرفاته الذميمة.

وعند تقديم التنبيه، يجدر السعي لأجل ان لا يكون حاداً ومتشدداً، وأن تتجاوز القدم حدود الحق والمصلحة، وأن لا يؤدي الى هتك الحرمة والإهانة، وان لا يسلب الطفل كرامته وماء وجهه. فقد اثبتت التجارب العلمية ان الانذارات المهينة والمؤلمة لا تقتصر على الافتقار على الآثار المفيدة فحسب، وانما تؤدي احياناً إلى العداوة واثارة روح الانتقام والضغينة أيضاً.

ولقد كشفت التجارب بأن الصراخ، واطلاق الكلمات النابية والعنيفة، ليست لا تخيف الطفل فقط، بل وتقوم بتحريك مشاعر المخالفة والعناد عنده، فيستحكم لديه الثبات على مواجهة والديه، وتدفع الفرد للوقوف بوجه مربيه، وتحرّي المقاومة، والدفاع عن عمله وممارسته.

ولابد للانذارات والتهديدات ان تكون مدروسة ومنطقية وموزونة، يظهر فيها حسن نية المربي، وتفهم الطفل بأن جميع هذه القضايا انما هي فقط من أجل خيره وصلاحه، وكذلك ان لا يكون الانذار بشكل يخلق للطفل عقدة الحقارة ويؤدي به للذل والمهانة.

ملاحظات هامة:

خلال بحثنا الذي تطرقنا اليه قمنا بعرض ما كان ينبغي عرضه، ونلفت النظر الى ما يلي أيضاً:

ـ يجب عند الانذار والتهديد مراعاة قضية العمر، والجنس، ومقدار الادراك والفهم عند الطفل، وحدود تمييزه.

ـ في الانذار والتهديد، يجب أن يكون الطفل في موضع الإجابة بأن عمله صواب أو خطأ.

ـ التنبيه يجب ان يكون قاطعاً وبعيداً عن التكلف والمجاملة.

ـ الإنذار قضية، والإهانة قضية أخرى، وفي التربية تكون الاولى مرخص بها، أما الثانية فممنوعة.

ـ أن تكون حدود ومقدار الانذار بنحو لا يستتبعها إنكسار نفسي وتنبثق عنه عواقب غير محمودة.

ـ في الوقت الذي تكون فيه متابعة الانذار أمراً جاداً، ينبغي أن لا تكون العلاقة مع الطفل كالعلاقة بين القائد والجندي.

ـ من الأنجع الإستفادة من الحب والعلاقة الودودة بدل الإنذار والإخافة.

ـ يجب أن لا ننسى مطلقاً أن الهدف هو التأهيل والإصلاح وليس إبراز العضلات والقوة.

الفصل الثاني

اللوم والحرمان

اساس عمل المربي قائم على اعداد الجيل وبنائه وعليه توظيف كافة الآليات والادوات وما يتقنه من فنون لبلوغ هذا الهدف.

فمن الخطأ ان يقف الوالدان والمربون مكتوفي الأيدي امام الممارسات الخاطئة للطفل فلا ينبغي ان يراودنا السرور اذا ما وجدنا الطفل يلجأ الى المبالغة ونسج خياله عند تجاذب اطراف الحديث مع الآخرين لان هذه الظاهرة قد تدفعه لاحقاً الى مزيد من المبالغة والكذب. كما يتعين علينا الوقوف امام الممارسات الشريرة للطفل مهما صغرت لانها قد تجعله فيما بعد انساناً شريراً بمعنى الكلمة او انساناً مشاكساً وطاغياً. وامام المربي خلال عملية بناء واصلاح الأطفال اساليب وفنون كثيرة اشرنا الى بعضها فيما سلف وسنتناول بعضها الآخر لاحقاً.

ثلاثة اساليب تربوية هي اللوم والحرمان والقطيعة حيث سنتناولها هنا باقتضاب.

١ ـ **موضوع اللوم**: اللوم يعد من الاساليب والطرق التي يجري الاستفادة منها في التربية الاسلامية بشكل ملحوظ.

فالمقصود من اللوم نوع من التأنيب عادة ما نلجأ اليه عندما يصدر عمل

خاطيء من المقابل طالما حذرناه من عواقبه الوخيمة وعندما يرفض الطفل الانصياع لتنبيه المربي ويرفض الانصياع لذلك ويبادر الى تكراره.

فعندما يرفض الطفل الانصياع لتنبيه المربي ويصر على ارتكاب فعل معين يلزم ان يقابل بالتأنيب واللوم، ويعد هذا اللوم في الواقع تذكير جديد للطفل ليعي ان فعله كان بعيداً عن الصواب ولا ينبغي ان يصدر منه ثانية.

٢ ـ موضوع الحرمان: يعد الحرمان من الاساليب الاخرى التي تستخدم لبناء الطفل، فالمقصود من الحرمان هو منع الطفل عما يرغب به فالطفل على سبيل المثال يحب اللعب ولعب الأطفال وعطف وحنان الوالدين والمأكولات ويصعب عليه التنازل عن هذه العلائق ولذا فهو مستعد لان يترك جانباً كل الممارسات الخاطئة للفوز بهذه الرغبات.

ومما لا شك فيه ان الحرمان ينبغي ان يكون محدوداً ومتناسباً مع عمر وادراك الطفل وقدرته على التحمل وسنعاود الحديث عن هذا الموضوع لاحقاً ولكن يجب الاشارة الى ان الاصلاحيات ودور التأديب والملاجيء لا تخدم بناء الطفل لان عملية الاصلاح ينبغي ان تجري داخل محيط الاسرة لا في الاصلاحيات.

٣ ـ موضوع القطيعة: القطيعة تعتبر من الاساليب الاخرى لاصلاح الطفل، فبامكان الوالدين والمربي اللجوء الى القطيعة والهجران اذا ما وجدوا ان الطفل يصر برغم التذكير والتحذير على ارتكاب الممارسات الخاطئة ولكن ينبغي للقطيعة اولاً: ان لا تكون طويلة ومستمرة.

ثانياً: ان لا يواجه الطفل هجراناً من قبل جميع افراد الاسرة، فلو هجر الاب مثلاً ابنه فعلى الام ان تكون في وئام مع الطفل وبالعكس.

ثالثاً: ان تكون القطيعة ذات طابع تمهد الارضية لإدعاة اجواء الوئام.

رابعاً: ان يوفر الوالدان ارضية الوئام بنفسهما.

خامساً: أن تقبل التوبة من الطفل لو تاب من فعله طواعية.

سادساً: اذا لم يبد الطفل استعداداً للتوبة فعلينا المبادرة الى خلق ارضية ذلك داخل نفسه.

الدوران التربوي لهذه الفنون:

اللوم يعد نوعاً من الوسائل التربوية التي ينبغي استخدامها بحذر كامل ويتعين استخدامه مع صغار السن فقط بدقة فائقة لان اللوم الشديد لا يخدم مطلقاً.

ان الطفل يتأثر باللوم والحرمان والقطيعة لا سيما وانها تأخذ بنظر الاعتبار البعد العاطفي وان البعد العاطفي يعد من دعائم الروح البشرية، وطالما وجدنا اشخاصاً احجموا عن ارتكاب الاعمال غير الصحيحة وابتعدوا عنها خوفاً وهرباً من اللوم والقطيعة والحرمان.

من البديهي ان انزعاج الرأي العام وانزعاج الاسرة يعذب الطفل بل حتى أنه يصعب تحمله من قبل البعض ويجعل الحياة بالنسبة لهم جحيماً لا يطاق ووقعه عليهم اشد من وقع الجلد والعقاب.

وعليه فباستطاعتنا استخدام هذا الاسلوب التربوي لبناء واصلاح الفرد ونضمن من خلاله ابتعاد الطفل عن الممارسات السيئة.

الآثار السلبية المترتبة عليها:

لا يترك اللوم والحرمان والقطيعة مع الطفل اثاراً ايجابية وبناءة دوماً بل قد يترتب عليها آثار سلبية وغير مرضية.

فعلى سبيل المثال ان الحرمان يثير استياء وسخط الآخرين ويخلق بعض

الامراض، فاللوم يخلق عند الطفل شعوراً بالحقارة والضعة ويدفعه إلى الإنتقام او ان القطيعة تجعل الطفل يشعر بالوحدة وانه مقطوع عن الآخرين وليس الى جانبه احد لذا فهو لا يتورع عن القيام باي حماقة او عمل دنيء.

ومن الطبيعي ان كل ما يقود الى تحطيم شخصية الطفل يترك آثاراً سيئة على الطفل ويترك احياناً شوائب على روحه وذهنه لا يمكن ازالتها بسهولة، ويدفع الفرد الى التعامل بحدة وعنف بالشكل الذي يسعى الى المواجهة وتبدو عليه علائم الظلم والقسوة بشدة وتترسخ في ذاته نزعة الكراهية وهذا امر عواقبه وخيمة.

ان حرمان الطفل ولا سيما اقصاءه عن محيط الاسرة قد يجعل منه انساناً معقداً الى درجة انه يضطر من اجل انقاذ نفسه الى جلب انتباه من هم حوله، ويتحول الى انسان مجادل مع اسرته او يجنح الى الانعزال لا ارادياً. ان الطفل يفكر مع نفسه عندما يكون تصرف والديه معه على هذه الشاكلة فان واجبه حيال الآخرين سيكون واضحاً جداً، هذا وان الكثير من حالات الخجل والجنوح الى الانعزال وحتى الجنوح الى الفساد والفعال الدنيئة مصدرها هذا الامر ايضاً

نوع وانواع ذلك:

ليس من الضروري ان يكون اللوم باللسان فاحياناً تترك نظرة لوم آثاراً بنّاءة وتربوية على الطفل فالمظهر العابس والكئيب والنظرة الباردة والغرق في عالم الغم بامكانه ان يؤدي دور اللوم نفسه بالنسبة للطفل.

فالحرمان يعد من الوسائل التربوية ولكن لا ينبغي ان يكون بالشكل الذي يشعر فيه الطفل انه مقطوع عن كل ما حوله ومن كل شيء او ان يتصور ان ابويه اتفقا على أن يسوّدا حياته فهو بحاجة الى ركن يلجأ اليه وبصيص امل يدفعه الى مواصلة العيش.

فالقطيعة قد تكون بشكل مقاطعة كلامية او اتخاذ موقف متجاهل ولا ابالي او الامتناع عن اللعب مع الطفل بحيث يشعر معه ان علاقة ابويه معه يسودها فتور مطلق ومن الضروري في كل هذه الحالات ان يدرك الطفل لماذا بات عرضة للوم ولماذا حرم من نعمة كان يرفل فيها؟ وما هو السبب الذي دفع أبويه الى مقاطعته؟ وما ينبغي ان يفعل لكي يكسب ودهما؟ وكيف يعيد المياه الى مجاريها و. . . . .

هذا وينبغي اثناء تأنيب الطفل ولومه ان نتجنب تأنيبه على عاهة في جسمه او بدانة او نحول، فلا تقصير للطفل في هذه العاهة البدنية لكي نبادر الى تأنيبه عليها.

فلا ينبغي لنا ان نخاطبه بالقول يا أعرج ويا أعمى و. . . . لان هذا النوع من التأنيب واللوم يخلق عقدة لدى الطفل ويجعله انساناً خجولاً يختار العزلة فضلاً عن أنها ممارسة تعد بعيدة عن العدل والانصاف.

طريقة التنفيذ:

من الامور المهمة التي ينبغي مراعاتها عندما نتعاطى مع هذه الاساليب التربوية هي الاسلوب غير المباشر.

فعلينا ان نعلم الطفل الامور التربوية الحساسة والمهمة عبر رعاية الادب واللجوء الى الاسلوب غير المباشر ولكن شريطة ان نطمئن بأن الطفل يتفهم ويدرك هذا الاسلوب، فلو علمنا ان الطفل لا يدرك ولايتفهم هذا الاسلوب فعلينا ان نلجأ الى الاسلوب المباشر.

ويتعين علينا ان نظهر بمظهر الانسان العبوس والكئيب عندما نريد ان نلوم الطفل او نحرمه او نقاطعه لنبرهن له اننا مستاؤون ومتألمون ايضاً، فعلى المربي ان يثبت للطفل انه غير مرتاح لمبادرته الى مقاطعته او حرمانه من نعمة ما او ان هذا التعامل ما هو الا نتيجة لممارسته التي جعلته اهلاً لهذا التعامل.

ويجدر بنا في جميع الاحوال ان نتجنب استعمال هذه الاساليب مع الطفل امام اصدقائه وان نتجنب الحط من منزلته اثناء لومه لانه يتألم كثيراً من ذلك ويدفعه في بعض الاحيان الى الانتقام والاصرار على ممارساته الخاطئة.

حدود ذلك:

ينبغي ان نأخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية عند تحديد درجة القطيعة واللوم والحرمان، أولاً: ان تكون عند مستوى تحمل الطفل، ثانياً: ان لا يجري تكرار ذلك الى درجة انها تفقد قيمتها واعتبارها او ان يعتاد الطفل عليها، ثالثاً: ان تكون متناسبة مع الخطأ الصادر عن الطفل، رابعاً: ان نكف عن اللوم والحرمان اذا ما وجدناه اطرق برأسه وابدى خجله، خامساً: ان نحرص على عدم كشف كل اسراره وفي غير ذلك سيصبح الطفل اكثر جرأة وصلافة.

المسألة المهمة هنا هي ضرورة ان لا يكون التعاطي مع هذه الاساليب من الشدة بدرجة ان الطفل يضطر للركود وعدم بذل مساعيه بالشكل اللائق فعلى سبيل المثال اذا تجاوز اللوم حده فانه سيثير الشعور بالغضب والنفرة وسيفقد اللوم آثاره التربوية.

ولذا تجدر الاستفادة من هذه الاساليب بالدرجة التي تحث الطفل على مراجعة تصرفاته.

مراعاة العمر:

من النقاط المهمة جداً في هذا المجال هو الاخذ بنظر الاعتبار عمر الطفل، فلا ينبغي الاستفادة من هذه الاساليب في السنين الاولى خصوصاً وان الطفل شديد التعلق بوالديه في هذه المرحلة ولا يتحمل ادنى قطيعة وجفاء وتجاهل فالحياة ستسود امام عينيه اذا ما افتقد محبة والديه او حتى

غذاءه ووسائل لعبه وستخلف آثاراً سلبية على نفسيته وروحه.

هذا وينبغي تعاطي هذا الاسلوب بشكل اقل عند سن الرابعة فما بعد وان يكون استعمال هذا الاسلوب بصورة دقيقة كتعاطي الدواء كما يتعين تعاطي هذا الاسلوب بشكل اقل ايضاً عند سني الـ١٢ ـ ١٨ لان الانسان في هذه السنين يتطلع الى نيل الحرية والاستقلال بدرجة اكبر واذا ما شعر أن تطلعاته هذه معرضة للخطر وتواجه عقبات كبيرة فانه سيبادر الى المواجهة والدخول في صراع ونزاع الامر الذي لا يخدم الفرد فضلاً عن المربي، ولذا يجب ان نلجأ في هذه الحالة وفي هذه المرحلة من عمر الفرد الى تبني اسلوب المصاحبة واعطاء النصائح وابداء حسن النوايا.

موضوع السخرية والحط من الشخصية:

لا ينبغي ان يقود اللوم والحرمان والقطيعة الى السخرية بالطفل والحط من منزلته او جرح مشاعره بكلمات نابية لان ذلك سيزرع حاجزاً امام اصلاح وتقدم الطفل.

للاسف ان بعض الآباء والامهات هم عديمو الاخلاق ولذا يربون اطفالهم على الاخلاق السيئة، فهم يتبادلون كلمات بذيئة الامر الذي يقود الى فساد اخلاق الطفل، فالكلام النابي يعزز في روح الطفل الانتقام والحقد، فالسخرية من الطفل امام الاصدقاء والاقارب والتوبيخ المتواصل يحكم شخصية الطفل ولا يقود سوى الى تردي اوضاعه اكثر فاكثر ولا ينبغي مطلقاً توبيخ الطفل والحط من شخصيته او تحقيره قبل ان تنكشف الحقيقة، كما لا ينبغي الاساءة اليه او وصفه بالاحمق لخطيء صدر منه لان هذا التصرف يزيد من وخامة وضع الطفل ويجعله اكثر اهمالاً ويجعل الطفل يعيش حالات سيئة ومؤلمة ذات عواقب وخيمة في بعض الاحيان، واثبتت الدراسات العلمية ان الحرمان غير المدروس واللوم المفرط يقود الى زرع عقبات في طريق حياة

الطفل وخلق ارضية العجز والحرمان في روحية الطفل وتجاهل شخصيته والتدخل في شؤونه الشخصية وتحقيره والاستهزاء به والتمييز بين الأطفال تترك اثاراً سلبية على الطفل وتتسبب في ارتكابه أفعالاً غير مناسبة.

ملاحظات مهمة:

ينبغي عند تربية وبناء شخصية الطفل عبر ممارسة هذه الاساليب الاخذ بنظر الاعتبار ملاحظات منها ما يلي:

١ ـ لا ينبغي عند بناء شخصية الطفل الاستخفاف به او الافراط في فرض السيطرة عليه.

٢ ـ يعد غياب العدل عند تربية الطفل من الامراض الكبيرة التي تقود الى الطغيان وخلق عقد كثيرة وتجعل الطفل في بعض الاحيان منطوياً على نفسه او عاصياً او معزولاً.

٣ ـ ينبغي ان يكون اللوم مقروناً بالاشادة والحرمان بالمحبة والرحمة لكي نحافظ على طراوة نفسية وروح الطفل.

٤ ـ ينبغي ان يكون لوم الطفل بسبب الخطأ الصادر عنه لا بسبب العاهة الجسمية التي فيه فعلى سبيل المثال اذا ما اردنا ان ننحي باللائمة على الطفل بسبب ما صدر عنه من اخطاء فلا ينبغي ان نعيره على لثغة لسانه مثلاً.

٥ ـ ان التأنيب والحرمان المتواصل لا يعالج مرضاً بل العكس ان الطفل سيعتاد ذلك وهذه الحالة هي بحد ذاتها محنة جديدة.

٦ ـ علينا ان نسيطر على أعصابنا عندما نريد توجيه اللوم الى الطفل وان نتجنب الاهانات اللفظية او العقوبة البدنية.

٧ ـ ان الممارسات التربوية للوالدين لا تكون ذات قيمة واعتبار الا عندما تكون بعيدة عن طابع الانتقام والتحقير والاستهزاء.

٨ ـ ينبغي التعامل بجد مع الطفل من دون ان نخلق في قلبه أي نوع من الحقد.

٩ ـ لابد ان يكون تعاملنا مع الطفل جاداً ومشفوعاً بالانصاف والعفو والتجاوز.

١٠ ـ ينبغي معالجة الكثير من الفعال السيئة عن طريق المصاحبة واسداء النصح لا من خلال انحاء اللائمة والقطيعة.

الفصل الثالث

العقاب

هناك اساليب تربوية كثيرة يمكن استخدامها في تربية الطفل وبناء شخصيته تطرقنا الى بعضها فيما سبق واذا ما فشلت هذه الاساليب في اصلاح الطفل فعلينا ان نلجأ مضطرين الى اسلوب العقاب البدني والضرب، ومما لا شك فيه ان هناك بحوثاً كثيرة في تأييد ومعارضة هذا الاسلوب، فالبعض يحظر الضرب جملة وتفصيلا ويعتبره امراً متعارضاً مع الشؤون الانسانية واما البعض الآخر فانه يذهب الى عكس ذلك ويعتبر الضرب افضل وسيلة على طريقة اصلاح الطفل وحتى يفرطون في استخدام هذا الاسلوب.

وعلينا التذكير في هذه الدراسة انه لا يمكننا ان نقبل كلاً من هاتين النظرتين بشكل مطلق، فاذا ما فشلنا في اصلاح الطفل بالاساليب السابقة فانه لا حيلة لنا سوى اللجوء الى اسلوب الضرب والعقوبة البدنية وبدونه لا يمكننا ان نفعل شيئاً، ولكن الشيء المهم هنا هو ضرورة تجنب الضرب المفرط ومن غير سبب وان يجري الاستفادة منه بشكل قليل مثل الدواء وان يكون في اغلب الاحيان كالفزاعة بالنسبة للطفل.

ضرورات العقاب:

الاسرة مركز لتعليم الأنظمة والضوابط، وان الطفل وبسبب عطف

ومحبة والديه يرى نفسه حراً يقوم باي عمل يشاء ويبدي عواطفه بالشكل الذي يرتئيه، ولاشك ان الوالدين وانطلاقاً من مهمتهم التربوية والدينية مجبرون على مراقبة مشاعر الطفل والسيطرة عليهما وهما يستفيدان في هذا الطريق من شتى الاساليب والفنون، واذا ما عجزت هذه الاساليب عن بلوغ الاهداف فمن اللازم اللجوء الى اساليب اكثر جدية.

ان قيام الوالدين بفرض قدرتهما وسطوتهما وصولاً الى صيانة المقررات وتعزيز الانضباط لدى الأطفال يعد أمراً ضرورياً واساسياً ولكن شريطة ان يكون ذلك على أساس عادل ومنطقي. كما ينبغي للأولاد أن يقفوا على معنى قدرة وسطوة الوالدين لكي يطيعوهما دوماً ويتخذوا منهجاً عقلانياً في الحياة.

ويتعين على العائلة ان تبني الجوانب المعنوية والمادية للطفل وترسم له النهج الصحيح الأمر الذي يحتاج الى ممارسة الوالدين قدرتهما وسطوتهما، وان غياب القدرة لدى الوالدين ومنح الطفل الحريات غير المنضبطة والمبالغة في التأكيد على شخصيته تعد جميعها من العوامل المخربة للطفل. والجدير ذكره ان الطفل اذا ما رفض الانصياع في بعض الحالات فينبغي اللجوء الى العقوبات البدنية لاعادته الى جادة الصواب.

المراحل التي تسبق العقاب:

لا تعتبر العقوبات البدنية وبعبارة اخرى ضرب الطفل الخطوة الاولى لاصلاح الطفل او المرحلة الاولى لبناء شخصية الطفل بل ينبغي ان نطوي مراحل معينة قبل ان نصل الى هذه المرحلة. وكما ذكرنا فيما سبق ان الاساس في العملية التربوية هو اللجوء الى اسلوب المحبة والحماية والاشادة والتشجيع واسداء النصيحة والوعظ والتذكير والتنبيه والتهديد والوعيد واللوم والحرمان والقطيعة والمصالحة لاصلاح الطفل وبناء شخصيته واذا ما فشلت

كل هذه الاساليب في اصلاح الطفل عندها نلجأ الى اسلوب الضرب.

فالوالدان ومن اجل صيانة مصالح الطفل يأمرانه باداء مهمة ما ويطلبان منه ان ينفذ هذا الامر، ولو رفض الطفل الانصياع الى هذا الامر يطلبان منه بلهجة اشد ان يلبي هذا الامر واذا ما رفض الانصياع ايضاً عندها ينبغي التفكير بتطويعه باسلوب آخر ومن خلال الاخذ بنظر الاعتبار الظروف التي يعيشها، فنحن من حقنا معاقبة الطفل بدنياً ولكن ما هو الهدف من وراء ذلك؟ اليس الهدف هو اصلاح الطفل بشكل حقيقي؟ وفي هذه الحالة ينبغي لنا ان نسلك الطريق الذي يترتب عليه الحد الادنى من الخسائر والحد الاكثر من الفوائد، كما اننا سنلاحظ ان الضرب الى جانب فوائده التربوية يترك آثاراً سلبية كبيرة على الطفل رغم اننا مضطرون لتعاطي هذا الاسلوب.

الآثار التربوية لهذا الاسلوب:

يعد الضرب عاملاً لجذب انتباه الطفل ووسيلة لاصلاحه وبناء شخصيته ونوعاً من التدبير التربوي البناء الذي ينبغي استخدامه ضمن حدود معينة، وهو يترك آثاراً سريعة قد تنجلي بسرعة او تبقى راسخة، فتأثير الضرب ينجلي بسرعة إذا جاء من غير تدبير ومن دون مقدمات وفي المقابل تبقى آثاره راسخة اذا ما جاء عن تمهيد واعداد واجتياز المراحل اللازمة.

فالطفل الذي لم يأخذه هاجس العقوبة ولم يجرب غضب وعقوبة الوالدين او لا يخشى العقوبة لا يعد فرداً ناضجاً، فامثال هذا الطفل يكونون اشخاصاً انانيين ومغرورين متخبطين يفتقرون لمنهج معين او يختارون المنهج الذي يخدم أهواءهم وتوجهاتهم فضلاً عن انهم اناس توقعاتهم كبيرة.

العقاب البدني ليس عامل نمو يساهم في تسريع التلقي عند الطفل، فالضرب لا يقود الى رفع مستوى فهم الطفل او دفعه الى فهم الدرس الذي لم يستوعبه، فالضرب لا يرفع مستوى كفاءة واستعداد الطفل بل هو وسيلة يقظة

وتحذير للطفل وعامل محفز له للوقوف على الوضع الذي يعيشه واعادة النظر في مستقبله.

فالعقوبة البدنية اذا كانت قائمة على اساس العدالة وبدافع خير تترك اثاراً بناءة جداً وتحفز الفرد على مراجعة أفعاله وممارساته بشكل جدي، وفي غير هذه الصورة لا يترك الضرب سوى مجموعة من العقد لدى الطفل.

الآثار السلبية للعقاب:

العقاب لا يترك دوماً آثاراً بناءة فكثيراً ما يساهم في تحقير الفرد وزرع العقد في داخله وتجعله انساناً خشناً وعنيفاً لا سيما اذا كان الضرب مقروناً بالتأنيب والاتهام وكشف العيوب والاجحاف.

فسياسة ممارسة القوة قد تكون بناءة في الظاهر ولكنها تساهم في زرع نزعة الغضب والانتقام عند الفرد وتبقى آثارها موسمية وغير مستقرة، فالطفل الذي لا يجد حيلة مقابل عنف المربي ويشعر انه يفتقر الى الملاذ الذي يلجأ اليه يأخذه اليأس حيالهم وحيال الحياة لانه لا يجد سبيلاً للنجاة ويغرق بذلك في عالم من التشاؤم.

نحن نتصور ان توجيه صفعة للطفل او الصراخ بوجهه وتهديده يساهم في معالجة أخطائه او ان ركله وضربه يعيده الى جادة الصواب في حين ان هذا التصور هو تصور خاطىء، فهذا الاسلوب ليس فقط لا يقود الى بناء الطفل بل يدفعه في بعض الحالات الى التخطيط للانتقام وتختمر في رأسه افكار سيئة لا تخدمه ولا تخدم مربيه.

فالعقاب لاسيما اذا قام على اساس خاطىء او لم يكن متناسباً مع مستوى الخطأ الصادر او قبل تقديم التوعية اللازمة للطفل يترك آثاراً سلبية كثيرة ولذا فمن الضروري قبل ممارسة أي عقوبة بدنية دراسة عواقبها وان يقيم المربي هل ان فوائدها أكثر أم مضارها.

رد فعل الطفل:

ما هو رد فعل الطفل حيال عقاب الوالدين والمربي؟ الجواب واضح:

- قد يرى ان شخصيته مسحوقة وينعزل في زاوية ما.

- قد يبدي رد فعلٍ ويقاوم صيانة وحفاظاً على شخصيته.

- قد يرى سبيلاً للخلاص وانقاذ نفسه من شر ذلك.

- قد يفقد قدرته على المقاومة ويشل الانضباط السائد داخل الاسرة.

- نرى في بعض الاحيان ان الطفل يعتاد على تلقي الضرب ولكن لا يكف عن ممارسة فعاله.

- قد يفرغ عقده على رؤوس الآخرين.

- او قد يصدر عنه رد انتقامي ويمارس اعمالاً تخريبية.

- او قد يلجأ الى الكذب لانقاذ نفسه.

يتعين في كل الاحوال ان تكون حدود ونوع التنبيه بالشكل الذي لا يجعل الطفل ينظر الى الضرب على انه عمل انتقامي وعدائي بل العكس ان يراه رد فعل ونتيجة لاعماله وان يتوصل الى ان لا سبيل للخلاص في المراحل اللاحقة الا بالكف عن اعماله الخاطئة.

صور العقاب:

هناك صور مختلفة للعقاب فليس من الضروري ان يكون دوماً بصورة الضرب فالعقاب قد يكون بصورة منع الطفل من الممارسات الترفيهية واللعب مع الاصدقاء وما شابه ذلك وقد يكون تارة بصورة حرمان مثل قطع المصروف اليومي للطفل لعدة ايام او حرمانه من الغذاء والماكولات وتارة بصورة الاعلان عن سلب الثقة والحب.

فعقوبة الطفل الذي لم يكتب واجباته المدرسية هو اجباره على كتابة واجباته في الوقت المخصص للعبه كما ان عقوبة الطفل الذي ضيع لعبته جراء اهماله او كسرها هو حرمانه من اللعب بتلك اللعبة واخيراً ان عقوبة الطفل الذي يسيء التصرف اثناء مراسم الضيافة هو حرمانه من أي برنامج ضيافة.

على كل ان الطفل ينبغي ان يرى نتيجة اعماله وعواقب ممارساته وتصرفاته السيئة واهماله. هذا وتعد بعض الممارسات والتصريحات والتصرفات من جملة العقوبات ولكن لا يصح استخدامها فمثلاً تحقير الطفل والمبالغة في التأنيب والضرب المبرح والحقد عليه وارعابه وبث اليأس في قلبه وممارسته القوة بدون دليل وسلب الامن منه والحرمان الشديد والمستمر و.... يترتب على كل واحدة فوائد واضرار وعلى المربي ان يقيم فوائد واضرار كل منها.

حدود العقاب:

عادةً العقاب يعد مهمة صعبة ويتعين ان يكون قائما على أُسس وضوابط ولذا فان بعض القرارات في هذا الاطار تترك آثاراً سيئة على الطفل وحتى ان العقوبات الشديدة تورث القساوة عند الطفل او على الاقل تجعله يستسلم دون أي قيد او شرط وهذا الاسلوب مناسب للعبيد اكثر مما هو مناسب للاحرار. فالعنف والحدة الزائدة عن الحد للوالدين حيال الطفل ليس انه لا يداوي جرحاً بل يزيد من قلق ورعب الطفل، هذا وان اغراق الابوين في الوعيد قد يترك في الظاهر آثاره ولكن الطفل سيدرك بسرعة زيف ذلك وهذا في حد ذاته يعد من السنن السيئة.

نحن لا نقول بالغاء العقوبة مطلقاً بل ندعو الى ضرورة ان يكون العقاب ذا قيمة تربوية لا ان يكون ذا طابع مستبد ومن غير حساب، كما ينبغي ان يراعى في العقاب العدل والانصاف والاحتياط وان نميز بين ممارسة القوة

وممارسة اسلوب تربوي فلا يتعين ان يكون بالصورة التي تكرس التشاؤم عند الطفل وسوء ظنه بوالديه . . .

البعد التنفيذي له:

ينبغي مراعاة عدة نقاط عند تنفيذ العقوبة :

ـ يجب ان يخلو من طابع الغضب والعصبية .

ـ ان يكون متناسباً مع نوع الخطأ الصادر .

ـ ان يكون عند مستوى تحمل الطفل .

ـ ان يكون الاسلوب التربوي الاخير في العملية التربوية .

ـ ان لا يفقد منفذ العقوبة السيطرة على اعصابه .

ـ ان نكتفي بنوع واحد من العقاب في كل مرة .

ـ ان لا نخلط بين الممارسات الماضية للطفل والممارسة الحالية .

ـ ان نسعى الى تجنب الوقوع في الخطأ عند اجراء العقوبة .

ـ ان يجري تنفيذ العقوبات بالشكل الذي يساهم في دعم شعوره بالمسؤولية .

ـ ان يشعر الطفل انه نتيجة طبيعية لاعماله لا ان يعتبره عملاً مجحفاً يجري بدافع من الحقد .

تحذير للمربي:

قال الامام علي عليه السلام: لا ينبغي التعامل مع الأطفال مثل جفاة الجاهلية .

ان هذه الملاحظة تشير الى ان على الابوين ان لا يتصوروا انهما يملكان

روح ودم الطفل وبامكانهما ان يفعلا به ما يحلو لهما.

عادةً ان الضرب الذي نوجهه للطفل يطفىء غضبنا قبل ان يساهم في بناء شخصيته وهذا هو خطأ كبير. فالعقاب من المنظار التربوي هو وسيلة للتوعية وليس وسيلة للانتقام والتشفي او انزال القصاص. لا ينبغي ان يكون العقاب على نمط واحد لان الطفل لا يلبث ان يعتاد عليه وهذا هو عين الضرر لان الحالة ستكون بالشكل الذي يصبح الضرب غير موجع للطفل ولذا فهو يبادر الى القيام باي عمل دون ان يخاف عواقبه وهذا هو مدعاة لانحراف الطفل اكثر فاكثر.

هذا ومن الضروري للمربي ان يسيطر على اعصابه اثناء انزال العقوبة وقد نشاهد في بعض الأحيان ان الطفل يذهب ضحية جنون والديه ومربيه.

ملاحظات مهمة:

علينا الالتفات الى بعض الملاحظات عند انزال العقاب على الطفل اهمها هي:

١ ـ لا ينبغي ان يأخذ العقاب طابعاً عدائياً ومن الضروري ان يصدر حتى الضرب بدافع حب الخير للطفل.

٢ ـ ان نكون جادين في قراراتنا وتعاملنا مع الطفل وان لا نخشى شيئاً.

٣ ـ من حقنا ان نمارس العقوبة ولكن لا يحق لنا ان نعبس ونتبع عيوبه.

٤ ـ لا ينبغي للعقاب ان يكون فوق طاقة الطفل.

٥ ـ ان يكون هناك توافق بين الابوين على ممارسة العقوبة لا أن يشكك أحدهما بعمل الاخر.

٦ ـ ينبغي للعقوبة شانها شأن أي عمل تربوي ان تقوم على اسس وضوابط.

٧ ـ ان فرض السطوة والقوة اذا كان مشفوعاً بالوقار والهدوء يترك تأثيراً اكبر ويمهد ارضية تعزيز الثقة.

٨ ـ ينبغي رعاية العدالة عند اجراء العقوبة.

٩ ـ يتعين الاخذ بنظر الاعتبار الوضع الروحي وحال الطفل عند اجراء العقوبة والا فانها لا تساهم في بناء شخصيته.

١٠ ـ لا ينبغي تكرار العقوبة اذا لم يرجع الطفل عن ممارسة الخطأ بل يتعين البحث عن جذور ذلك.

١١ ـ هناك سبيل آخر للاصلاح غير العقاب لا بدّ من التفكير به.

١٢ ـ حاول على الاقل بعد انزال العقاب كسب ود الطفل وتفريغ عقدته.

الفصل الرابع
التعامل السلبي

تلقى ممارسة اسلوب العنف في التربية رفضاً وتنديداً كما ان اسلوب التشجيع والاشادة ليس بالدواء الناجع في كل الاحوال، هذا وان رفع الصوت والصراخ واثارة الضجيج لا يجدي نفعاً بل حتى انه يترك اثاراً سلبية وعواقب سيئة في بعض الاحيان.

ويبادر بعض المربين وبسبب التصرفات السيئة للاطفال إلى موقفٍ غير ودي معهم في حين ان هذا الاسلوب هو اسلوب خاطىء ويزيد من جرأة الأطفال ويعطيهم ذريعة جديدة لمواصلة تصرفاتهم السيئة، لان الطفل يظن انه استلم زمام الامور منهم وعليه ان يتخذ القرار بنفسه فالمربي الناجح هو الذي يبدي وده وغضبه في الوقت والمكان المناسبين. فهو يلجأ الى النصيحة عندما يلزم الامر ذلك وينحي باللائمة حينما يجد ضرورة لذلك، فهو يتعاطى هذا الاسلوب وهذه الفنون حيثما اقتضت مصلحة الطفل ذلك بكل ثقة واقتدار، فمن الفنون اللازمة لاصلاح وبناء الطفل هو الموقف والتعامل السلبي معه.

ما المقصود من ذلك:

المقصود من التعامل السلبي هو عدم المبالاة والاكتراث بالممارسات التي يقوم بها الطفل، فبدلاً من ان نعاقب أو نلوم الطفل على ممارسته

الخاطئة نتجاهل خطأه او نبادر الى مغادرة المكان.

فالطفل يحاول في بعض الاحيان القيام ببعض الاعمال المضحكة لجلب انتباهنا او دفع من حواليه الى الضحك، فالمربي يشخص ان هذا السلوك لا يخدم الطفل ويجعله مهرجاً يغلب على شخصيته طابع السخرية لذا يحاول وضع حدّ لهذا السلوك عبر اتخاذ موقف سلبي حياله وذلك من خلال عدم الضحك او تجاهل عمله او التعاطي ببرود ليوحي له انه غير مرتاح من تصرفاته، يمكننا ان نلجأ الى هذا الاسلوب للوقوف امام ممارساته الخاطئة والسلبية وغضبه وصراخه المشوب بالتهديد. وباستطاعة المربي من خلال موقفه الجديد ان يوقفه عند حده ودفعه الى الكف عن عمله بالشكل الذي يشعر فيه انه فشل في تمرير مخططه.

ضرورة ذلك:

التعامل او الموقف السلبي امر ضروري لتربية الطفل، فاذا كان القرار ان يبدي الوالدان موقفهما حيال كل ممارسة تصدر عن الطفل سواءً عبر تشجيعه والاشادة به او انحاء اللائمة عليه ومعاقبته فان ذلك يضيق الدائرة على المربي وفي هذه الحالة سيجد نفسه مضطراً لتوظيف كل ما يملك من طاقات وجهود لتربية الطفل وسوف لا يجد فرصة لمتابعة شؤونه الحياتية والشخصية وحتى المعاشية، فالأطفال الذين تلقوا تربية خاطئة سيتحولون الى اناس مغرورين ومستبدي الراي وشريرين ويفرضون آراءهم على الآخرين ويمارسون ضغوطهم عليهم الامر الذي يجعلهم يعيشون حياة صعبة وغير هانئة.

نعم ان تجاهل بعض ممارسات الأطفال وعدم الاكتراث بها يسهل عمل المربي ويدفع الطفل الى الوقوف على خطئه وان ينشأ نشأه متّزنة تعينه على كشف ممارساته السلبية والخاطئة.

الدور التربوي لهذا الاسلوب:

كثيراً ما نشاهد ان قليلاً من المراقبة والتعامل او الموقف السلبي يساهم في تطويع الطفل والكف عن أفعاله السيئة، فكثيراً ما يضطر الأطفال الى الاستسلام والكف عن أفعالهم الخاطئة او ممارسة الضغوط عندما يجدونها لا تجدي نفعاً. فعدم اصرار الوالدين على الوقوف امام اهواء ومطاليب الطفل وعدم الاكتراث بها يقوده الى السكون والهدوء وينتشله من الوضع الذي كان يعيشه.

فالتعامل السلبي اذا ما تم تطبيقه بشكل مناسب وباسلوب علمي صائب بامكانه ان يترك تأثيراً بالغاً.

فالطفل يحتاج الى اناس من حوله لإثارة الصخب والتمادي في العناد واللجاجة فاذا لم يجد أحداً حوله ليمضي في عناده فانه سيضطر لا ارادياً الى الكف والتراجع عن عناده كما ان الطفل يحتاج الى والديه حوله لكي يبدي دلاله فاذا وجدهم لا يكترثون له فانه سيضطر الى الكف عن ذلك.

مضار هذا الاسلوب:

ينبغي الاشارة الى ان الموقف السلبي بدوره يترك آثاراً مضرة لان الهزيمة التي يعيشها الطفل جراء عدم الاكتراث والتعامل السلبي تجعله بعض الاحيان يعيش معاناة لا تطاق الامر الذي يضعف في صموده ومقاومته.

فعدم الاكتراث بتصرفات الأطفال والتعاطي سلباً معها تقود بعض الاحيان الى قتل حيوية الطفل وتجعله يعيش معاناة اخرى لا يمكن جبرها في بعض الحالات. فالتعاطي السلبي يزرع اليأس عند الطفل حيال الحياة ويجعله ينظر اليها بتشاؤم الى درجة انه يتصور انه لا يستطيع ولا ينبغي القيام باي شيء مقابل ابوان من هذا النوع وسيعتاد التسليم واتخاذ موقف لا ابالي حيال ما يواجهه من احداث.

ويعرض هذا الاسلوب في بعض الاحيان الطفل الى خطر جسيم فمثلاً اذا سقط الطفل على الارض وكسرت يده فيعلو صراخه وعويله وينتظر من والديه ان ينجدانه ولكنهما يظنان انه يريد ان يتدلل لذا يتركانه يتلوى من الالم وعليه فان تطبيق هذا الاسلوب يتطلب نوعاً من الاحتياط والدقة.

موارد استخدام هذا الاسلوب:

والآن نستطلع الموارد التي ينبغي فيها استخدام هذا الاسلوب:

- عندما يحاول الطفل التدلل اصراراً منه للحصول على رشوة.
- عندما يحاول الطفل التمارض ليخطب ود والديه.
- عندما يثير الصخب من اجل ان يدفع والديه لتحقيق رغباته ومطالبه.
- عندما يحاول تحقيق مطالبه بالقوة.
- عندما يبدي زعله وضجره من امر عادي مثلاً عندما يضرب عن الطعام.
- عندما يتشبث بالكذب لنيل مكانة ومرتبة.
- عندما يتباكى لفك عقده.
- عندما ينتظر من الآخرين ان يقضوا له حوائجه ويعيش هو عيش البطالين.
- عندما تفشل النصائح والإرشادات والاستدلالات في اقناعه.

طريقة تطبيق هذا الاسلوب:

والان نحاول تناول طريقة التعاطي مع هذا الاسلوب مع ذكر الامثلة:

١ ـ قد يحاول الطفل ومن اجل ان يحرق قلب والديه او الانتقام منهما ان يضرب عن الطعام ولا يجلس على مائدة الطعام، فهنا يمكن ان نقول له انت حر بامكانك ان لا تأكل واذا كنت تشتهي فتعال واجلس عند المائدة

وباستطاعتنا في بعض الحالات ان نضع له غذاءه جانباً وبامكاننا لو تكررت هذه الظاهرة ان نحرمه من الطعام ليقاسي الجوع قليلاً.

٢ ـ الطفل المعاند يحاول من خلال الصراخ واثارة الضجيج ازعاج والديه وهنا يمكننا ان نختار احد السبيلين اما ان ننقله الى غرفة أخرى ونقول له اصرخ الى ما شئت او ان نغادر المكان لنتركه يصرخ ما شاء.

٣ ـ يحاول الطفل احياناً ازعاجنا عبر القيام ببعض الاعمال التخريبية مثال القاء الكوب على الارض او تمزيق قماش او ايذاء الآخرين وبامكاننا بدلاً من تهديده او معاقبته ان نعمل على ابعاد هذه الاشياء عن متناول يده مثلاً نضع الكوب في مكان بعيد عن متناوله.

٤ ـ قد يحاول الطفل جلب نظرنا عبر اختلاق القصص الكاذبة والغريبة او تعزيز مكانته امام الجمع الذي حوله او اضحاك مجموعة، وعلينا في مثل هذه الحالة الامتناع عن الضحك وان ننظر اليه نظرة يفهم من خلالها اننا نعلم كذبه ونحن منزعجون من ممارسته.

٥ ـ الطفل الذي اعتاد على حمله من قبل والديه يريد منهما ان يحملانه رغم انه قادر على المشي ولذا ينبغي لنا العمل على دفع الطفل الى ترك هذه العادة عبر اخذه الى الاماكن التي يتطلع اليها واجباره على السير على اقدامه واذا ما بكى وطالبنا بحمله فعلينا ان نتجاهل بكاءه ونواصل سيرنا ونضطره الى الركض وراءنا ويتعين علينا في كل الاحوال ان نسعى الى السيطرة على أعصابنا وان لا نخشى عناده وحججه.

عندما نواجه حالة الندم:

كيف نتصرف اذا ما ندم الطفل على فعلته وعاد الى صوابه وترك العود الى ممارساته الخاطئة؟ الحقيقة علينا التعامل معه بود ومحبة وان نعلن تأييدنا له.

فلا ينبغي تأنيب الطفل مطلقاً ومخاطبته بالقول هل رأيت ماذا فعلت؟ هل رأيت كيف اضطررت الى. . . . ؟

بعبارة اخرى علينا تجنب أي نوع من التأنيب والتحقير والاشارة الى نقاط ضعفه فهذا كان تلقينه درساً مفيداً وان نتجنب الانصياع اليه وقد تسنى لنا تحقيق ذلك .

لا ينبغي لنا ان نقطع علاقتنا مع الطفل سواء ندم على فعلته ام لم يندم بل علينا ان نلقن الطفل انه بامكانه ان ينال ثقتنا من جديد شريطة ان يكف عن فعاله السيئة ، ويتعين علينا ان نزيد من احترامه كلما عاد خطوة الى الطريق وبامكاننا الاستفادة من قدراته العقلية والعاطفية لاعادته الى الطريق وان نبرهن له عملياً انه ما زال محط ثقتنا واحترامنا عبر اشراكه في الشؤون العائلية ، على كل حال ان الانصياع للطفل والاستسلام امامه لايخدمه بل يعد سنة سيئة تترتب عليها عواقب وخيمة .

تحذير للمربي:

علينا ان لا ننسى ان هدفنا من التعامل السلبي هو بناء الطفل وليس الاستهزاء به بالشكل الذي يشعر فيه بالخجل او انه لا يؤخذ بالحسبان الهدف المهم في هذا الاسلوب هو بناء واصلاح الطفل وهدايته الى الطريق القويم وليس الهدف منه اختبار درجة عناد الوالدين وعلى هذا الاساس ينبغي اعانة الطفل على اصلاح نفسه واداء اعماله على احسن وجه لا ان نزيد من همومه وآلامه .

يتعين علينا ان نتجنب تتبع مثالب الطفل عند ممارسة اسلوب التعامل السلبي او طرده بل يجب ان نسيطر على غضبنا وان نتجنب التصريح او الاشارة باننا منزعجون من وجوده او ان تربيته اتعبتنا ، على كل حال علينا ان نلقنه باننا نحبه ونريده الى جانبنا وانه يعد أحد الأعضاء المؤثرين داخل الاسرة .

لابد لنا في بعض الحالات التي نجد فيها الطفل مرمى في زاوية ما ويصرخ من اعماق قلبه ويظهر عجزه ان نذهب لنجدته لانه قد يكون متعرضاً لخطر ما ونحن لا نعلم بذلك.

ملاحظات مهمة:

هناك ملاحظات ينبغي ان نأخذها بنظر الاعتبار عند التعاطي مع هذا الاسلوب اهمها:

١ ـ يجري عادة الاستفادة من هذا الاسلوب عندما نستخدم باقي الاساليب التربوية وقبل اللجوء الى اسلوب العقاب، لاننا لا نريد ان يتعرض الطفل للضرب ولا نريد ان ندلله.

٢ ـ التعامل السلبي لا ينبغي ان يكون بالشكل الذي يشعر فيه الطفل بالحقارة ويرى نفسه عديم الشخصية لاننا سنضطر في هذه الحال الى تحمل معاناة احساسه بالحقارة الى آخر العمر.

٣ ـ لابد للمربي ان يحافظ على هدوئه في كل الظروف وان لا يفقد السيطرة على اعصابه لكي يسلّم الطفل ان صراخه لا يؤدي الى نتيجة.

٤ ـ لا ينبغي ان تغيب الابتسامة عن وجهنا عند ممارسة اسلوب التعامل السلمي ليعلم الطفل ان تعاملنا هذا ليس بدافع عدائي.

٥ ـ علينا التعاطي بود ومحبة واهتمام مع الطفل بعد ان يعود الى الطريق.

٦ ـ ينبغي ان يفهم الطفل اننا لا نحقد عليه بل وليس هدفنا تفريغ عقدنا.

٧ ـ لا ينبغي ان ننسى المداراة والتعاطي بليونة سواء اثناء التعامل السلبي أو بعده.

القسم السادس عشر

على طريق مواصلة البناء (الاصلاح)

التربية حاجة ملحة تبدأ قبل الولادة وتستمر حتى نهاية الحياة، فاننا لا نستغني عن التربية في أي مرحلة من مراحل الحياة لان الاستعداد لتلقي التربية يمهد الانسان لقبول أي امر حسن او سيء حتى آخر لحظة من الحياة.

وسنتناول في فصل من هذا القسم موضوع مواصلة التربية والتدرج فيها وسنبحث خلاله ضرورة مواصلة التربية سواء على الصعيد الفردي والشخصي او البيئي فضلاً عن الاجراءات اللازمة في هذا المجال وعن المساعي والجهود المتزامنة وعن موضوع التدرج في الاصلاح ومن ثم سنتناول فوائد التدرج في الاصلاح ومسألة العمر في البناء وعلى يد من ينبغي ان تتواصل التربية ونختتم الفصل بذكر صعوبات الطريق بالنسبة للمربي، وفي الختام سنفرد فصلاً آخر لبحث ضرورات تجنب الافراط والتفريط ونشير خلاله الى ضرورة ان يعرف الطفل قواعد الحياة وان تكون توقعاتنا من الطفل ضمن حدود وان يغض الوالدان والمربي الطرف عن بعض الامور على الصعيد التربوي، ومن ثم سنتناول الامور التي يتعين مراعاتها في هذا الطريق على صعيد المحبة وتوفير الدعم ومنح الحرية والتدخل في شؤون الطفل والضغوط والعقوبات والنصائح وعلى صعيد السيطرة على سلوك الطفل وننهي البحث بعرض تحذيرات للوالدين.

الفصل الأول

الحاجة الى الاستمرار والتدرج في الاصلاح

الطفل ارض خصبة جاهزة لتلقي كل امر حسن وسيّىء سواء على الصعيد البدني او الروحي، فاذا كان تعلم حتى الأمس الأفعال الحسنة وواظب عليها فانه مستعد للاستسلام اليوم امام مشهد سيّىء وغير مناسب يواجهه، فالوالدان والمربون يتحملان اعباء تربية اطفالهم في كل الاحوال بدافع من الشرع والاخلاق ويتعين عليهم اثر انقضاء مرحلة التربية الاجبارية مواصلة عملية مراقبة سلوك الطفل في كافة المراحل صوناً لجسمه وروحه، فالطفل الذي يشذ عن الطريق ويعود الى الصواب في ظل جهود والديه ومربيه لا ينبغي ان يهمل ويترك لحاله فانه بحاجة الى مراقبة ومتابعة دائمة وينبغي ان تستمر مراقبة الوالدين دون كلل او ملل لان الانسان ذاتاً لديه الاستعداد للوقوع في الخطأ من جديد، لذا ينبغي للوالدين مواصلة احتضان ورعاية الطفل حتى اكمال المشوار وبلوغ الهدف المتجسد في تكامل الانسان، فعلى الوالدين والمربين ان يخطوا خطوة في كل يوم وان يراجعوا مراقبتهم كل اسبوع ويخضعوها للدراسة والتدقيق.

ضرورة الاستمرار:

لا ينبغي للمربي ان يطمئن للمراقبة البسيطة التي يجريها ويظن انه نجح

في تسوية جميع امور الطفل وبات لا يحتاج الى اجراءات اصلاحية، فلابد من مواصلة الهيمنة على الطفل ولا يتعين قطع هذا العلاج، فهاجسنا على وضع الطفل ينبغي ان يستمر حتى بعد اصلاحه خوفاً من أن يعود ثانية.

ان السبب وراء ما تذهب اليه الوصايا الاسلامية بشأن ضرورة مواصلة تكرار فعل او امر ما لمدة اربعين يوماً هو ان يتحول هذا الفعل الى عادة وبالتالي اجتثاث جذور التلوث داخل الطفل.

وبامكاننا ان ندرس هذه الضرورة من وجهات نظر مختلفة وعلى الاقل من منظارين:

١ ـ **من المنظار الشخصي**: قد نجد احياناً ان بعض الممارسات السلبية تنتقل بصورة طبيعية وبشكل وراثي الى الانسان، فالمربي ينجح في ظل ممارساته التربوية وما يضعه من علاج في دفن طباع الطفل وفعاله السلبية تحت الرماد ولكن أي اعصار او عاصفة تهب في حياة الطفل تزيل هذا الرماد وتكشف عن تلك الطباع والفعال لتظهر من جديد.

فالحاجات الداخلية للانسان تظهر بين حين وآخر وتحاصره وتلحق به الضرر فحالات مثل الطغيان والعدوان والظلم وغياب الكفاءة والفساد الخلقي تظهر بين حين وآخر على طباع الانسان وتتطلب السيطرة والترويض لاسيما وان اولادنا كل منهم يمتلك شخصية مستقلة ويبدون رغباتهم المختلفة باشكال متفاوتة، فالغرور والاعجاب لدى الأطفال هما بصورة لا يمكنهم ان يتخلوا عنها بسهولة ولذا ينبغي التفكير باصلاحها عبر مواصلة التربية.

٢ ـ **من المنظار البيئي**: يتأثر الانسان لا ارادياً بظروف البيئة الطبيعية والثقافية لمجتمعه لان البيئة هي في تغير ومن الطبيعي ان يغير الافراد طباعهم للتجاوب مع المحيط.

هذا وان عوامل نظير الكوارث الطبيعية، والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن حالات مثل التعب والالام والمعاناة تمنع الانسان من ان يبادر الى اتخاذ اجراء ما او قرار بالشكل الذي يرضيه او يرضي مربيه، فالاصوات المهيبة والافلام المختلفة والبرامج ووسائل الاعلام والمناخ السياسي والاجتماعي المعاصر والهيمنة التي يفرضها الافراد الاقوياء والحاجات الصائبة وغير الصائبة للمجتمع كل واحدة منها تترك تاثيرها علينا، طبعاً هذا لا يعني ان نستخلص من هذا الكلام اذا ما تغيرت اخلاق الطفل يوماً ما فان ذلك يعود الى فساد بيئته او ان مصيراً سيئاً في انتظاره بل نريد ان نقول ان هذه العوامل تترك تأثيرها على الافراد وبسبب هذه التغيرات المختلفة ينبغي مواصلة عملية البناء والاصلاح.

الاجراءات اللازمة:

ينبغي ان نسعى على صعيد مواصلة التربية ان نجعل الطفل ملتزماً بتعهداته والنهج الذي خطه له والداه وان يؤدي اعماله بدقة وعلى احسن ما يرام، فللتلقين الايجابي دوراً بناءً ومخاطبته بالقول نحن واثقون من انك قادر على ان تحافظ على اخلاقك الحسنة وباستطاعتك ان تكون اميناً وصالحاً و. . . يترك اثاراً بناءة على الطفل، على صعيد الاسرة ينبغي العمل على تمهيد الارضية لتعزيز اواصر المحبة والود بين الام وولدها وبين الاب وابنه وان يحثا الطفل عن طريق الملاحظات القائمة والموجودة بين الجانبين على عدم تكرار اخطائه والتحرر من القيود التي تلوثه.

ويتعين على الوالدين ـ على صعيد السيطرة على أبنائهم ـ مراقبة ذهاب واياب الطفل ومن يعاشر والاهتمام حتى بعلاقاته السرية مع الآخرين حتى لو كانت عن طريق الرسائل من دون ان نضعه في الصورة او نكشف له الامر، فلا ينبغي ان يعلم الطفل انه خاضع لسيطرة ومراقبة مباشرة.

المساعي المتزامنة:

ينبغي ان تكون الجهود المبذولة لاصلاح وتأهيل الطفل مشفوعة بمساعٍ في اتجاه التعرف المستمر على شخصية الطفل، فيتعين في كل مرحلةٍ دراسة نوع عمل وطريقة استنتاجه وتفكيره وذوقه لنكتشف مواطن التغيير في شخصيته، للاسف ان مسائل ومشاكل الأطفال لا يمكن تصنيفها وإدراجها في قائمة ليتسنى لنا اتخاذ قرارات منظمة بشأنها بناء على هذه القائمة.

هذا وان بذل الجهود في هذا المضمار والتوصل الى حقائق تعد من مهام المربي في الوهلة الاولى ومن مهام المعالجين في المستويات العليا، ويتعين على المربي خلال عملية التأهيل اللجوء الى اسلوب الوعظ والنصيحة عبر الاستفادة من منطق واستدلال الأطفال وان يلقنه قيمة التصرفات الحسنة والسيئة بالشكل الذي يتطلع الطفل الى اصلاح نفسه وان يدرك ضرورة اتخاذ موقف افضل في الحياة.

موضوع التدرج في الاصلاح:

كما ان جسم الطفل لا ينمو دفعة واحدة فان روحه واخلاقه ايضاً لا ينصلحان دفعة واحدة، فالفضائل والسجايا الاخلاقية ترسخ عند الطفل ولكنها لا تكتسب بالسرعة التي نتصورها فعلينا ان نأخذ بنظر الاعتبار البعد التدريجي للقضية، فيتعين ان نتقدم خطوة خطوة الى الامام وبامكاننا ان نصلح في كل يوم او كل اسبوع خصلة او خصلتين في الطفل.

طبعاً ان مسألة السرعة والبطء تؤخذ بنظر الاعتبار في قضية التدرج حسب الاشخاص فالبعض يعود الى الطريق بسرعة والبعض الآخر لا يعود بسرعة فبعض الأطفال يتلقى تعليمات ونصائح الوالدين بشكل اسرع من قرائنهم، وعلى كل حال فان ترسيخ موضوع معين في ذهن الطفل او معالجة

حالة التمرد عنده ينبغي ان تكون بشكل تدريجي وبمرور الزمن، فالممارسة الخاطئة التي اعتاد عليها الطفل طيلة سنوات وفي ظل ظروف خاصة لا يمكن اصلاحها دفعة واحدة بل تحتاج الى وقت.

ضرورة التدرج:

الطفل الذي اعتاد على طبع او حالة معينة قد يبقى منجذباً نحو ذلك الطبع او تلك الحالة لشهور، فالانضباط الذي يعيشه الطفل هو حصيلة وثمرة شهور وسنوات من التمرين والتجربة والعادة، فالانحطاط الخلقي عند الطفل لا يأتي فجأة في غضون يوم ولذا من الضروري العمل على ازالته بشكل تدريجي.

ينبغي ان نلتفت عند تأهيل الطفل الى ان السمو الروحي يمثل اوج تكامل الانسان بحيث ان جميع الفعاليات والجهود ينبغي ان تنتهي تدريجياً الى تلك النقطة، فخطأ الوالدين والمربين يكمن في انهم يستعجلون الامر ولا يتحلون بالصبر ويريدون ازالة الانحطاط الخلقي بسرعة.

فالطفل يمتلك غرائز ويبدي ردود فعل الا انه يفتقر للعادة سواء العادة السلبية او الإيجابية وزرع عادة او ملكة معينة عند الطفل يحتاج الى التدرج ومرور الزمان.

فالطفل الذي قضى عمراً يحسب نفسه مركز العالم كيف نتوقع ان يتخلى عن ذلك وينصلح دفعة واحدة لا سيما اذا كان الفعل السيء يصدر منه بشكل مستمر فانه لمن الصعب جداً معالجته.

فوائد التدرج:

كما ذكرنا ان من فوائد التدرج في عملية الاصلاح والتأهيل انه يحول الفعل الى ملكة وعادة ويصدق هذا الامر على الفعال السيئة والحسنة على حد

سواء، هذا وان العبارات التي يتمرن عليها الأطفال في الاسلام الغرض منها هو ان يتعلم الطفل اشياء جديدة بشكل تدريجي.

ومن الفوائد الاخرى للتدرج هو ان الطفل لا يشعر بالتعب والاعياء في مقابلها، فهو يتلقى التربية شيئاً فشيئاً وتترسخ التعليمات في اعماق نفسه وتتحول الى طباع ثانوية في ذاته.

وأخيراً ان الاصلاح والتأهيل التدريجي يمنح الطفل القدرة على الاستقلال وينمي الارادة عنده بحيث يعطيه القدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة به وينشأ قوياً قادراً على تحمل عبء التربية من دون الشعور بالتعب.

مسألة العمر في التأهيل:

نعلم جميعاً ان العمر كلما كان اقل كانت فرص نجاح المربي اكبر، كما ان مراعاة التكرار والاستمرار في السنين الاولى من عمر الطفل تزيد من فرص رسوخ الفعل في اعماق روحه، فمن مضار السنين المتأخرة انها تقلل من فرص رسوخ الأفعال في روح الانسان، اصولاً في التربية يتم الاستفادة من فرص مرحلة الطفولة ويجري خلالها السعي لترسيخ السجايا الاخلاقية عند الطفل.

من جهة أخرى ان أفعال وسلوك الطفل فضلاً عن تقدمه وتخلفه وانحرافه واستقامته يجري دراستها بالتناسب مع عمره، فنحن نعلم ان بعض الامور تتناسب مع عمر معين ولا تتناسب مع عمر آخر وعلى المربي ان يلتفت الى ذلك والا فان نتائج عمله ستكون غير ايجابية وسيتحطم الطفل جراء ذلك.

وينبغي الاشارة الى ملاحظة مهمة وهي ان بعض الآباء يتصورون ان واجبهم التربوي ينتهي عند سن البلوغ في حين ان المراقبة والاشراف وتقديم النصح أمور يجب أن تستمر بعد البلوغ ايضاً لا سيما من جهة ان كبر سن

الطفل سيضطره الى التأثير على الآخرين وارشادهم الى الطريق القويم وبذلك يتحول الفرد الى عنصر مفيد وبناء في المجتمع.

من يتكفل مواصلة التربية:

لا شك ان مواصلة التربية تقع على عاتق الابوين والمربي رغم ان للباحثين الاجتماعيين وطبيعة الاجتماع الأثر في ذلك.

فللمعلم في هذا الصعيد دور بناء ومؤثر ونحن بحاجة في هذا المجال الى الاتفاق مع المعلم والاستفادة من استشارته ودعمه وتعاونه.

ان دور الام داخل الاسرة اكبر واهم بكثير من دور الاب فهي اعلم وآنس بالطفل من الاب وبامكانها ان تترك تأثيراً كبيراً عليه.

ولهذا السبب يتعين على الأم الغاء قسم من برامجها واعمالها المنزلية والاعتناء بتربية اولادها. فهي غير مجبورة على تضييع وقتها على تنظيف المنزل او التطريز.

وينبغي في جميع مراحل التأهيل الاستفادة من الاشخاص الصالحين وطلب العون منهم على صعيد اصلاح الاطفال ودعوتهم الى مواكبة الأبوين في طريق تأهيل الاطفال، لا شك ان هؤلاء الاشخاص بامكانهم ان يساهموا في اعداد وتأهيل الطفل وتقديم الملاحظات اللازمة نظراً لامتلاكهم الصفات الحميدة والعادات الحسنة وتعاطيهم المشوب بالاحترام والعناية مع الاطفال.

صعاب الطريق:

تأهيل الطفل يستلزم ايجاد تغييرات اساسية لديه وهذا الامر يتطلب بذل مساعي وجهود جسيمة، فعملية تأهيل الطفل لترك عادةٍ درج عليها اصعب بكثير من عملية بناء فرد جديد، فنحن نعتقد بان بناء وتأهيل الفرد امر صعب رغم بساطته فهو يحتاج الى سعة صدر وصبر وتحمل تكرار فعل المرات.

لحسن الحظ ان الاطفال قلما يتعرضون للخطر عند اعادة تأهيلهم في حين ان احتمالات العودة الى الفساد عند كبار السن اكثر بكثير.

هذا وان نفاد صبر المربي والتوقعات غير الطبيعية للوالدين من اطفالهم تعقد الامور البسيطة، فنحن نعلم ان الطفل ليس كالمادة المعدنية التي يمكن تطويعها من خلال ضربها بالمطرقة لمرات.

الفصل الثاني

تجنب حالات الافراط والتفريط

من القضايا المهمة خلال العملية التربوية سواء على صعيد البناء او التأهيل والتي ينبغي ان تؤخذ بنظر الاعتبار هي تجنب حالات الافراط والتفريط، فالاباء يظلمون أبناءهم جراء عدم مراعاة ذلك ويعرضونهم في المستقبل الى انواع المصائب.

فالافراط والتفريط يحرفان الطفل عن مسار الحياة ويلعبان دور السم القاتل بالنسبة لسعادة الطفل.

فهما يعملان على تلويث الطفل بدلاً من بنائه ولهذا السبب ينبغي لمن يريد اصلاح وتأهيل الطفل ان يأخذ هذه الضوابط بنظر الاعتبار.

فالاسلام يحذر المربين من الافراط والتفريط في الامور المتعلقة بحياة الطفل.

ويشمل الافراط والتفريط الطعام والمحبة والسلوك العصبي والعاطفي وحتى مسألة تقديم النصح وفيما يلي نتطرق الى جوانب من هذا البحث.

الطفل وقاعدة الحياة:

من المسائل المهمة في التربية هي تحديد قاعدة الحياة للطفل لكي يعلم

ما عليه ان يعمله وما ليس له ان يعمله.

فالاطفال لديهم رغبات مختلفة واهواء كثيرة، واذا كان القرار تلبية كل رغباته واهوائه فانه سيفقد توازنه وينشأ منحرفاً.

وما اكثر الانحرافات الناجمة عن عدم وعي الطفل بقواعد الحياة، فهو لا يعلم أي الاعمال تثير غضب والديه واستياءهما ولا يعلم أي الاعمال تعد غير مناسبة وأي الأعمال مناسبة، فالعيش وسط حالة من الشك والتردد توفر مستلزمات بروز الآلام والصراع داخل الطفل.

فلا يتسنى للوالدين بلوغ هذا الهدف الا من خلال مبادرتهما الى تحديد منهج ثابت لانفسهما وافهام الطفل ذلك، ويجري افهامه تارة بشكل مباشر وتارة بشكل غير مباشر فينبغي للطفل في كل الاحوال ان يعرف قواعد الحياة.

حدود توقعاتنا من الطفل:

من المسائل الاخرى التي ينبغي للوالدين ان يولوها اهتمامهما هي تحديد توقعاتنا من الطفل ضمن دائرة معينة.

فالوالدان السلطويان تفوق توقعاتهما طاقة تحمل الطفل الامر الذي يجعله يواجه الفشل امام رغباتهما ففي رأي بعض الآباء يعتبر الطفل كائناً فضولياً ومخرباً في حين ان الطفل حسب مقتضيات طفولته يركض ويلعب وتبرز منه حركات وتصرفات غير مطلوبة ويبادر الى لمس أي شيء جديد ويحاول التطلع الى كل شيء او ان يذوق طعم الاشياء.

فعلينا ان نسمح للطفل ان يعمل حسب ما تمليه عليه طبيعة عمره فهو يتعرف عن طريق التجربة على الخطأ والصواب وطريق الفشل والنجاح ويتعلم مواجهة الانحراف واكتشاف عوالم جديدة وتحمل المسؤولية وهو ينمو في ظل ذلك جسمياً وروحياً.

هذا وينبغي ان تكون توقعاتنا من الطفل متناسبة مع عمره ونموه وادراكه وفهمه لا ان تكون فوق طاقته ليفشل في تلبيتها، فعلينا ان نأخذ بنظر الاعتبار مدى قدرته وان لا نوفر مستلزمات فشله ويأسه على الصعيد العملي.

ضرورة الصفح:

ينبغي ان نتوخى الدقة في الصفح عن تصرفات وممارسات الطفل فلا يتعين للوالدين والمربي الاهتمام بكل دقائق الامور لان الكثير من مسائل الطفل تزول عن طريق الصفح والتجاهل.

من جهة اخرى ينبغي ان نلتفت الى ان الكثير من الامور التي نعتبرها عيباً عند الطفل هي في الواقع لا تعد عيوباً بل ان طبيعة عمره تقتضي مثل هذه الامور، ففي مثل هذه الحالات يمكننا ان نصفح عن الطفل وبدلاً من ان نؤاخذه عليها نغض الطرف عنها، فالتشديد الزائد شأنه شأن التساهل قد يكون مصدر خطر فالطفل قد يتجرأ على والديه او مربيه جراء ما يواجه من تشديد وتضييق ويفقد بذلك ثقته ويضطر الى اقتحام المخاطر والسقوط في المزالق.

المراقبة:

عملية اصلاح وبناء وتأهيل الطفل تحتاج الى انواع من المراقبة والحراسة اهمها:

١ ـ **المراقبة في المحبة والرعاية**: المحبة تعد من الحاجات الاساسية والمهمة جداً بالنسبة للطفل ودورها دور الماء الذي يحتاجه الطفل لمواصلة نموه وشق طريق الحياة.

فالطفل الذي يفتقر إلى المحبة ولا يتلقاها بشكل كاف يبقى دوماً يصارع الألم ويشعر بالنقص ويعاني من العقد النفسية. . قد يتصور البعض أن الحب والعاطفة لا يتماشيان مع ممارسة القوة لكننا لو تأملنا جيداً لوجدنا أن بإمكاننا

التعاطي مع كل منهما في محله شريطة استخدامه عند الحاجة. إن المحبة والعاطفة في غير محلهما والصفح الذي في غير محله لا يفسد فقط إصلاح الطفل بل ويجعله مدللاً معدوم الحياء.

الحب الذي في غير محله يكون مصدراً للكثير من الأخطار ويجعل مستقبل الطفل معتماً سواء على الأمد البعيد أم القريب، فما أكثر حالات ضعف النفس وسرعة التأثر والدلال الناتجة عن هذا الإفراط والتفريط والتي تجعل الطفل في طريق وعرة، وبعبارة أخرى يكون هذا النوع من المحبة مدعاة لتراجعه أمام مشاكل الحياة وفشله في بناء مستقبله والعمل على تحديد مصيره.

فالطفل يحاول استقطاب اهتمام والديه نحوه حتى لو ترتب على ذلك إلحاق الضرر بالآخرين؛ فالبكاء والنحيب يصنفان في هذا الإطار على الأغلب. لا شك أنه ينبغي للوالدين الإلتفات إلى موضوع إحاطة الطفل بالمحبة ولكن ليس بالشكل الذي يسمح للطفل بممارسة ضغوطه وإملاء رغباته. وتصدق الحالة في خلاف هذه القضية أيضاً، فالزواج المفروض أحياناً وعدم الرغبة في الإنجاب تمهد الأرضية لتجاهل الأبناء وإهمالهم دون أن يكون لهم أي ذنب في ذلك، وهذه الحالة بدورها تعد خطأ جسيماً.

٢ ـ **المراقبة على صعيد حماية الطفل**: الطفل بحاجة إلى حماية ودعم الوالدين والمربي لاستمرار نموه، فيتعين عندما تقتضي الضرورة الإهتمام بالطفل وتوفير الحماية له بما يتناسب ومصلحته. فعدم توفير الحماية للطفل تجعله عاجزاً عن الإعتماد على نفسه بالشكل المنشود؛ فالتردد يكون ملازماً لعمله خوفاً من عدم إنجازه بالصورة المرضية، وهنا تظهر أهمية حماية ودعم الوالدين لدفعه إلى امتطاء جادة الصواب وتقوية عزائمه عند مبادرته للقيام بعمل ما.

على أن الحماية والدعم الزائدين يجعلان الطفل أشبه ما يكون بالدمية ويحولان دون نموه بالشكل الطبيعي، فالخوف المستمر على الطفل مثلاً من أن يسقط أو أن يفعل ما يسبب له الأذية يترك بصماته على مصيره ويكون في غير صالحه، ولذا كان من الخطأ توفير حماية تفوق المقدار اللازم للطفل خاصة وأنها تحرمه من حالة البحث والتقصي والإكتشاف والجد والإجتهاد فضلاً عن أنها تجعله في المستقبل إنساناً ذليلاً يحتاج دوماً إلى الآخرين، حيث يتشبث بهذا وذاك طالباً العون منهم بسبب عدم قدرته على مواصلة المشوار بالإعتماد على نفسه.

٣ ـ **المراقبة في منح الحرية**: لا بد أن نمنح الطفل الحرية ولكن ليس بالشكل الذي يمكنه من إلحاق الضرر بنفسه وبالآخرين، فهو من جهة بحاجة إلى الحرية ليستطيع الإستفادة من تجاربه ويفجر طاقاته ويترجم ما يملك من ابتكارات وإبداعات ويكشف الجوانب الخفية في شخصيته.

من الضروري جداً أن تكون الحرية بالمقدار اللازم دون زيادة أو نقصان؛ حيث من الأخطاء التربوية للوالدين والمربي منحهم الطفل حريات مفتوحة بدافع الحب والعطف في حين لا يعد هذا العمل من المحبة بقدر ما هو تسييب الطفل وبالتالي التمهيد ليكون مدللاً عديم الكفاءة.

أما التضييق في الحريات الممنوحة للطفل يجعله إنساناً معقداً حيث إن الحرمان من الحرية والإستقرار وراحة البال يحطم شخصية الطفل بينما تولد الحرية المطلقة لديه شعوراً بالفوقية مما قد يجرّئه ذلك على التطاول في بعض الأوقات على والديه وأقاربه إلى حد إلحاق أضرار بدنية بهم وأذيتهم.

٤ ـ **المراقبة في عملية التدخل**: من الخطأ التصور أن الوالدين وأولياء الأمور لا يحق لهم مطلقاً التدخل والإشراف على نشاط الطفل ذلك أن الأخير قد يجد وسيلة ترفيه تلحق الضرر به وبالآخرين، كما أن من الخطأ التدخل في

كل شؤون الطفل وتفاصيل حياته. فالإفراط في التدخل بشؤون الطفل يعد نوعاً من التضييق عليه وقد يضطر الطفل الذي يشعر بأنه خاضع دوماً لرقابة وسلطة والديه إلى الإمتناع عن إنجاز العمل الذي كان ينوي القيام به أو قد يفضل الإنعزال والإبتعاد عن من حواليه، وعليه فالطفل في مثل هذه الحالة يجد نفسه مسلوب الإرادة ويشعر أن أمنه معرض للخطر والإنتهاك.

٥ ـ **المراقبة عند ممارسة الضغوط والعقاب**: تعد ممارسة الضغط وفرض بعد الأمور عليه أمراً لازماً وضرورياً من الناحية التربوية.. على أن هذه الضغوط يمكن أن تمارس في الجانب الغذائي أو المالي أو الأخلاقي أو... لكن المهم هو ضرورة أن تكون الضغوط بمستوى طاقة وتحمل الطفل وإلا سيضطر إلى الإنصياع مرغماً أو التمرد.

وأما بالنسبة للعقاب فنحن نؤمن بضرورته للأطفال؛ فعندما لا تؤتي الطرق التربوية الإيجابية نتيجتها في إصلاح وتأهيل الطفل يمكن الإستفادة من العقاب مع ملاحظة أن يكون معقولاً ومتناسباً مع الخطأ الصادر عن الطفل. فالدراسات العلمية أثبتت أن الضغوط والعقوبات الشديدة تعطي نتائج أقل ولا تدفع الطفل إلى تجنب الفعل المنبوذ، كما أن العقوبة والضغوط تقود الطفل أحياناً إلى بذل قصارى جهوده لبلوغ الهدف المرجو بيد أنه يفشل في تحقيق ما يصبو إليه ما يساهم في تحطيم شخصيته.

٦ ـ **المراقبة عند النصح والوعظ**: لا شك أن الطفل بحاجة إلى الوعظ والنصح لكن الشيء المهم هنا معرفة مدى إمكانية الإستفادة من الوعظ والنصيحة.. في الحقيقة أن تكرر النصيحة تتعب روح الطفل وتدفعه إلى إبداء رد فعل سلبي حيالها.

إن الكثير من الأطفال يستغربون قيام الوالدين بتكرار الوعظ والنصح في حين يكفي ذلك لمرة واحدة، ومن البديهي أن التكرار يدفع الطفل إلى

المقاومة والإنتقام ومزيد من التخريب.

صحيح إن تكرر النصيحة يعد عملاً سيئاً لكن تركها أسوأ؛ ذلك أن الطفل يحتاج من جهة إلى الوعي ومن جهة أخرى إن النصيحة تفعل فعلها تدريجياً في روح الطفل وتترك آثاراً إيجابية على تربيته.

٧ ـ **المراقبة في عملية السيطرة**: نحن نعتقد بضرورة السيطرة على سلوك وتصرفات الطفل وكل ما يتفوه به.. فالوالدان والمربون هم أشبه بالحراس والمراقبين الذين يتطلعون إلى إصلاح الطفل من كافة النواحي، حيث إنه بحاجة إلى إصلاح سلوكه ومنطقه وأن تركه وشأنه سيبقيه في حالة من الجهل المركب.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي أن نحذر من التمادي في فرض سيطرتنا إلى الدرجة التي يشعر فيها الطفل بأن حريته مهددة بالخطر، فلا ينبغي أن يشعر بأن والديه يقفان له دوماً بالمرصاد كما لا ينبغي أن يضطر إلى طلب الإذن من والديه للقيام بكل عمل ما يعني أن من الضروري فسح المجال أمامه في المواقف التي نعلم أن لا ضرر ولا خطر يهدده أو يهدد أسرته، علماً أن إيقافه موقف المتهم وجعله تحت الوصاية والرقابة يساهم في تردي أوضاعه أكثر فأكثر ويدفعه للقيام بأعماله في الخفاء.

تحذير للوالدين:

ينبغي أن نلتفت في هذا التحذير إلى نقاط أهمها:

١ ـ عند إصلاح وتأهيل الطفل ينبغي للوالدين والمربين الذين تنتابهم حالات عصبية أو المصابين بالوسواس أو الذين ينفعلون بسرعة والمدمنين على الكحول والمخدرات أو الضالين والمضلين أو الذين لا يهمهم مصير الطفل أو الذين يتألمون من تردي أوضاع أبنائهم، ينبغي أن يبدأوا أولاً بإصلاح أنفسهم ويعيشوا حالة من التوازن.

٢ ـ إن الحساسية والحرص غير الطبيعي في إصلاح سلوك الطفل وهكذا اللاأبالية كلاهما يترك أثراً سلبياً على تربية الأولاد.

٣ ـ قد تذهب مساعي المربي أحياناً سدى جراء حادث طارئ، وحينها يجب أن لا يداخلنا اليأس بل علينا البدء بعملية الإصلاح من جديد.

٤ ـ الطفل الكثير البكاء ولا يقر له قرار أو من ينعزل في زاوية ويذرف دموعه هو في الواقع بحاجة إلى المساعدة، ولا يعد تقديم العون له في هذه الحالة نوعاً من الدلال.

٥ ـ لا شك أن من حق الأبوين إصدار الأحكام بحق ممارسات أولادهما، غير أن المهم هو أن يكونا واثقين من صواب أحكامهما.

٦ ـ بإمكان الجميع ممارسة دور في إصلاح وتأهيل الطفل لكن دور الأم أكبر من الباقين.

والله ولي التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير

الفهرس

شكر وتقدير ٥

القسم الأول

تمهيد ٧

الفصل الأول: تمهيد ٩

الفصل الثاني: ظواهر الإنحراف والمخالفة ٢٠

القسم الثاني: الضرورات والأهداف

الفصل الأول: ضرورة إعادة البناء أو التأهيل والمقصود منه ٣٣

١ ـ في الجانب الفردي ٣٦

٢ ـ في الجانب الإجتماعي ٣٦

٣ ـ في الجانب السياسي ٣٧

٤ ـ من ناحية المسؤولية الشرعية ٣٨

الفصل الثاني: أهداف التأهيل ٤٣

القسم الثالث: علل الإنحرافات وأسبابها

الفصل الأول: العلل البيئيّة ٥٩

الفصل الثاني: العلل والأسباب النفسية ٦٧

الفصل الثالث: الأسباب الاجتماعية والثقافية ٧٥

أ ـ القضايا المتعلقة بالوالدين ٧٥

١ ـ أسلوب التربية ٧٥

٢ ـ العلاقات الخاطئة ٧٦

٣ ـ التعامل غير السليم ٧٧

٤ ـ انشغال الوالدين وغيابهما ٧٨

ب ـ القضايا المتعلقة بالمجتمع ٧٩

١ ـ رفاق اللعب ٨٠

٢ ـ المعلم والمدرسة ٨١

٣ ـ سائر أفراد المجتمع ٨٢

جـ ـ القضايا المتعلقة بوسائل الإعلام ٨٣

د ـ الأدب والفن ٨٣

الفصل الرابع: الأسباب السياسية ٨٥

القسم الرابع: إمكانية التأهيل، ومشروع التأهيل

الفصل الأول: إمكانية التأهيل ٩٥

الفصل الثاني: ضرورة وجود مشروع وبرنامج للتأهيل ١٠٢

القسم الخامس: القائمون بالتأهيل والإعداد

الفصل الأول: الأسرة ١١١
على طريق إصلاح الطفل ١١٤
١ ـ إصلاح الذات ١١٤
٢ ـ اكتساب الوعي ١١٤
٣ ـ قبول الطفل ١١٥
٤ ـ إعطاؤه بعض الوقت ١١٥
٥ ـ كسب ثقة الطفل ١١٦
٦ ـ الصبر والتحمل ١١٦
٧ ـ التعاون مع المدرسة ١١٧
الفصل الثاني: المدرسة والتعليم ١١٩
ضرورة الإصلاحات ١٢٠
١ ـ المعلم والمربي ١٢٠
٢ ـ النظام والتربية ١٢١
٣ ـ إصلاح المحتوىٰ ١٢٢
٤ ـ إصلاح الأسلوب ١٢٢
٥ ـ التقييم ١٢٣
الفصل الثالث: المجتمع ١٢٧

القسم السادس: مساحة التأهيل وأبعاده

الفصل الأول: دور مراحل النمو في التصرفات ١٣٧
الفصل الثاني: تنمية الذهن ١٤٥

الفصل الثالث: تهذيب الروح ١٥٤

القسم السابع: على طريق تأهيل الأطفال

الفصل الأول: توعية الطفل ١٦٧
الفصل الثاني: توفير فرص العمل ١٧٣
الفصل الثالث: تكريس المعنويات ١٨٠

القسم الثامن: المراقبات

الفصل الأول: المراقبة على صعيد العائلة ١٨٩
الفصل الثاني: مراقبة المدرسة والأصدقاء ١٩٧
الفصل الثالث: مراقبة قضاء الأوقات ٢٠٤

القسم التاسع: تامين الاحتياجات وتوفير المستلزمات

الفصل الأول: التأمين الإقتصادي للطفل ٢١٣
الفصل الثاني: التأمين العاطفي ٢٢٠
الفصل الثالث: بعيداً عن الخوف والإضطرابات ٢٢٩

القسم العاشر: أساليب التأهيل

الفصل الأول: ملاعبة الطفل ٢٣٩
الفصل الثاني: سرد وقراءة القصص ٢٤٦

الفصل الثالث: المشاركة في الأوساط الإجتماعية ٢٥٣
الفصل الرابع: الأسوة وموقعها من الطفل ٢٦٠

القسم الحادي عشر: الإصلاح الخلقي للأطفال

الفصل الأول: إصلاح حالة الكذب لدى الأطفال ٢٦٩
الفصل الثاني: معالجة حالة السرقة لدى الأطفال ٢٧٧
الفصل الثالث: الشغب وسبل الإصلاح ٢٨٥
الفصل الرابع: إصلاح الإنحرافات الجنسية ٢٩٣

القسم الثاني عشر: الإصلاحات النفسية

الفصل الأول: الغضب ٣٠٥
الفصل الثاني: الخوف ٣١٣
الفصل الثالث: الحسد وإصلاحه ٣٢١
الفصل الرابع: الملل والضجر وسبل العلاج ٣٢٨

القسم الثالث عشر: إصلاحات ضرورية أخرى

الفصل الأول: إصلاح المجتمع والثقافة ٣٣٩
الفصل الثاني: إصلاح العائلة والأسلوب الأمثل ٣٤٧
الفصل الثالث: الإصلاحات الطبية ٣٥٥
الفصل الرابع: إصلاح الروح والنفس ٣٦٢

القسم الرابع عشر: التدابير الإيجابية في عملية التأهيل والتربية

الفصل الأول: المحبة والدعم ٣٧٣

الفصل الثاني: تشجيع الطفل والاشادة به ٣٨١

الفصل الثالث: النصح والموعظة ٣٨٩

القسم الخامس عشر: التدابير السلبية في التربية

الفصل الأول: التنبيه والأنذار ٣٩٩

الفصل الثاني: اللوم والحرمان ٤٠٨

الفصل الثالث: العقاب ٤١٧

الفصل الرابع: التعامل السلبي ٤٢٦

القسم السادس عشر: على طريق مواصلة البناء (الاصلاح)

الفصل الأول: الحاجة الى الاستمرار والتدرج في الاصلاح ٤٣٥

الفصل الثاني: تجنب حالات الافراط والتفريط ٤٤٣